

المسحاة

١٣١٥

يقضي الحكمة من بناء ومن يؤث الحكمة فقد
أثري خيرا كثيرا وما يذكر الا اولو الابواب

قبر عبادي الذين يستعملون القول فيقولون احسن
اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الابواب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و منارا كمنار الطريق

مصر ٢٩ شعبان ١٣٣٤ — ٨ السرطان (ص ١) ١٢٩٤ هـ ٣٠ يونيو ١٩١٦

فاتحة السنة التاسعة عشرة للمنار

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سبحانك اللهم وبحمدك أنت الحمود على كل حال ، عالم الغيب
والشهادة الكبير المتعال ، قوي الحال عظيم النوال ، تعطي من تشاء وتولي غير
سؤال ، وتحول ما شئت من حال الى حال ، قوة بعد ضعف ، وغنى بعد
فقر ، وعز بعد ذل ، وكل ضد يعقبه ضد ، فما رفع الله شيئا الا وضعه ،
ولا وضع شيئا الا رفعه ، وكل شيء عنده بمقدار (١٢ : ١٣) إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ
مَا يَقُومُ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ
وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَال)
نحمدك اللهم بالغدو والآصال ، ونصلي ونسلم على محمد خاتم رسلك وآله

وصحبه خير صحب وآل، وعلى من تقدمه وتقدمهم من النبيين والمرسلين، ومن تأخر عنهم من الصديقين والشهداء والصالحين، واهدنا اللهم صراطهم المستقيم في الدنيا من الاخلاق والاعمال، (١٤: ٢٣ من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال)

أما بعد فإن المنار يذكر قراءة على رأس عامه التاسع عشر، بأن يعتبروا بما نزل بأقوى أمم البشر، من آثار عزته تعالى وقوته، ومظاهر عدله وحكمته، الدالة على أنه هو الذي يغير ولا يتغير، ويبدل ما شاء بما شاء ولا يتبدل، وأن الامن من مكره غرور ووبال، والقنوط من رحمة كفر وضلال، وأن القوة لا تنقلب الحق، ولكنها قد تكون بالحق والحق ومن الحق، وإن الحق ليس بمجرد دعوى اللسان، ولا مجرد ما يجري عليه الناس من عرف واصطلاح، فحق الملك وسياسة العباد، لا يجب أن يورث عن الآباء والاجداد، وإنما أحق الناس بأمر الناس، من كان أنفعهم للناس، واقامته سنن الله تعالى في الاجتماع (١٨: ١٣) أنزل من السماء ماء فسالته أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدًا رايك، ومما يؤقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله، كذلك يضرب الله الحق والباطل، فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض، كذلك يضرب الله الامثال)

ثم يذكرهم على عادته بما طرأ على سير الاصلاح، بعد أن خففت أصوات المعارضة في جميع الاقطار، وهو شيء حدث في هذه الديار، ذلك بأن فيها كثيرها أناسا اعتزوا بمظاهر القوة المادية، فاحتقروا قوى العقائد والفضائل الروحية، وفتنوا بتقليد الاقوياء بما هو من آفات القوة

ومفاسدها، لا من أسبابها ولا من محامدها، كالسرف في الزينة والترف، والانغماس في الشهوات واللذات، وأعجب أمرهم أن منهم من يدعون الدعوة إلى الإصلاح، والصمود بالضعفاء إلى مستوى الأقوياء، أولئك هم الملاحدة المنفريجون، الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون، وإنما حاجتهم على عامة المسلمين، سوء حال كثير من المعممين، وتذللهم للامراء والحاكين، وذمهم بعصية الدين، وإن هؤلاء الملاحدة لقوة من غيرهم لا من أنفسهم ولكنهم يعتزون بها، وإن منهم من يكد للمؤمنين مكاييد لا يفتنون لها، وإن للمؤمنين لقوة ذاتية ولكنهم غافلون عنها، وإنما بقاء الباطل في غفلة الحق عنه، فإذا قذف عليه دمنه، وإن بقاء الباطل لا إلى زوال (٤٠: ٢٥ وما كيد الكافرين إلا في ضلال)

قد كان ملاحدة قطرنا هذا أجبن ملاحدة المسلمين وأخوفهم من اظهار الكفر، على كونهم أجراًهم على الجهر بالفسق، ثم تجرأ أفراد منهم منذسين على التصريح به أو ببعض لوازمه في الجرائد، بعد طول العهد على تصريح الكثيرين بذلك في المجالس، ومنهم من ألف كتباً أو رسائل في ذلك؛ ثم بلغنا في العام الماضي أنهم أفواجية لاجل التعاون على تشكيك الناس في الإسلام وجذبهم إلى الإلحاد، والظن في عقائد الدين وآدابه وأحكامه ولا سيما الآداب والاحكام الخاصة بالنساء. وأنشأوا لهم صحيفة لدس الدسائس، وبث الوسوس، وتوجيه العناية فيها إلى نابتة المدارس، وبناء دعوتهم على قاعدة التشويه للقديم والصد عنه، والتنويه بالجديد والترغيب فيه، وإن لهم لا نصاراً في القصور والدواوين، وفي المدارس وأكبر معاهد الدين، وقد استفادوا من تقييد

حرية المطبوعات بسبب الحرب، ما كفوا به أقلام من تصدّى لأجباط بعض
 دسائسهم من أهل الحق، وأنهم ليختلبون ألباب المختلين من الشبان والشابات،
 بما ينمقون من زخرف الشبهات، (٢: ٢٠٣) ومن الناس من يُسجِبُك قوله
 في الحياة الدنيا ويُشهدُ الله على ما في قلبه وهو ألدُّ الخصام ٢٠٤ وإذا تولى
 سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد)
 فهذا قد وجب على أهل الإصلاح أخذ الالهة لجهاد جديد، هو
 أشد من جهاد أصحاب الخرافات والتقاليد، فإن أصحاب الخرافات عزّل
 وهؤلاء الملاحدة مسلحون، وأولئك ضعفاء متفرقون، وهؤلاء أقوياء
 مجتمعون، وأولئك غافلون متواكلون، وهؤلاء أيقاظ حذرون، فإذا جاهد
 أهل الإصلاح أباطيلهم بمثل ما يجاهدون به الحق، من الاجتماع والتعاون
 والحزم، كانوا حزب الله الغالبين (وليتضرر الله من ينصره إن الله
 لقوي عزيز ٤٠: ٥١) إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ
 يَقُومُ الشَّهَادَةُ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذَرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ
 إن هؤلاء الملاحدة لا يخافون من الأزهر وما يتبعه من المعاهد
 الدينية ماداموا يدعون الاسلام بالسنتهم، بل لا يعدمون هنالك أولياء
 وأنصاراً لهم، لما بين نفاق الاعتقاد ونفاق الاعمال، من رابطة
 التناسب والاتصال، ويقال ان الجمعية الاتحاد الجديدة ركننا في الأزهر
 ركيناً، وإنهم بذلك أشكوا ان يحدوثا فيه حدثاً مبيناً، ولكنهم لم يصيبوا به
 الا خذلاً تافهلاً ومهيناً، ولان كلامهما يؤثر المنافع الخاصة، ويتوسل اليها
 بما في يده من المصالح العامة، ولان أكثر الأزهريين، لا يمتنون بالنظر
 في مكتوبات المتفرجين، وما كل من ينظر فيها، يفهم المراد منها، وما

كل من يفهم أن فيها طعناً على الدين يهتم بالدفاع عنه ، وما كل من يهتم منهم بذلك يقدر عليه ، وما كل من يقدر عليه يقوم به . — لأجل ذلك كله لا يحسب هؤلاء الملاحدة للزهرين حساباً ، وقد يكذب الأزهر ظنهم فيه كذباً ، وإنما يخافون من رجال الإصلاح سواء كانوا من الأزهر أو من غير الأزهر لأنهم أقدر الناس على اظهار عوارهم ، وتقليم أخفارهم ، ولأن كل ما يزعمونه ويتقربون به الى الامة من السعي الى ترقيتها وتمدينها ، قد سبقهم اليه طلاب الإصلاح الاسلامي مع المحافظة على مقومات الامة ومشخصاتها ، وإنما أركنوا الدين واللغة والعادات والازياء ، وهم يحاولون هدم ذلك كله بلا استثناء .

واضرب لهم مثلاً ما قاله أحد الظرفاء مفادها للاستاذ الامام — وهو في مرض موته — قال : ان طريقتك في تفسير القرآن قد أضرت الامة أعظم الضرر ! قال الاستاذ لماذا ؟ قال لأنها أبانت للناس أن الدين موافق للعقل والعلم وركن من أركان المدنية ، فتعذر علينا ما كنا نحاول من هدمه بدعوى انه عقبة في سبيل ترقينا في دنيانا . فمن هذه الجملة التي عبر قائليها عن خدمة الاستاذ الامام العليا للدين والمسلمين ، ينجلي لنا رأي هؤلاء الملاحدة في الإصلاح والمصلحين (١٤ : ٢٧) يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء) . من أجل هذا كانت مدرسة الدعوة والارشاد قذى في أعينهم ، وشجى في حلقهم ، وطخا على قلوبهم ، وما زالوا يكيّدون لها ، حتى حالوا دون أعظم اعانة كانت تنتظرها ، وقد كان أشدهم سعيًا وسعاية ، أشدهم استهزاءً بالدين ووزارية ، ذلك الذي كلما عن « طعن يلوي عنقه ويهز أكتافه ،

ويُنْفَضُ رأسه ويثني أعطافه، ويتبسّم ساخراً، أو يُعَرِّبُ ضاحكاً — ذلك الذي يعلم رئيسه الآن، أنه يأكل لحم الخنزير جهراً في نهار رمضان، ولو زدنا في وصفه لعرفه كثير من الناس، وإنما الفرض بيان الصفات والاعمال وعلى هذه الشاكلة كل أولئك الصلّال، الذين لم يرضوا بسكوت المسلمين لهم على الضلال، حتى تصدوا للعدوان والصيال، (٥٨: ١٤) وقد مكروا مكراً وعند الله مكراً، وإن كان مكراً لهم لتزول منه الجبال)

فهم على ما هم، (٤٧: ٣١) ولو نشاء لأرينا كيف فلعلّ فتنهم بسياهم، ولتعرّفنهم في لحن القول) وفيما يوجهون إليه القوة والحول، فمنهم من يحاول هدم الاسلام، بالدعوة الى استبدال لغة العوام بلغة القرآن، ومنهم من ينتهي التشكيك فيه بنشر آراء الماديين، من القدماء والاوربيين، ومنهم من يصد عن محجته، بتفضيل ما عرفوا من القوانين على ما جهلوا من شريعته، ومنهم من يفر عما حرّمه من آدابه الروحية والاجتماعية، لتذات بما حرّمه من الشهوات الضارة والمعاداة البهيمية، ومنهم من هم أقصر من هؤلاء نظراً، وأظلم بصيرة وأفسد ذوقاً، وهم الذين يحتقرون مشخصات أمّتهم (كالجبة والمامة) ويهزؤون بها، ويرغبون في الاستعاضة بالازياء الغربية عنها، ويتوهمون أنهم قد عرجوا بذلك الى مستوى من فلسفة الذوق والجمال، لا يعرفه الا من خلق في جو الخيال الى أوج السكّال، كخترعات الازياء الجديدة (المودّة) من ربّات النسيج والدلال، ولوعقوا ما تجرّه هذه الفلسفة النسائية أو الصبائية من الخزي والنكال، أو قرؤا وفهموا مقالته الدكتور سنوك الهولندي في خطبته في مستقبل الاسلام، لودوا لو كانوا من ربّات الجمال، راجعين عن مذهب السفور ومخالطة نساءهم للرجال، وإنما يلوذ هؤلاء، وأولئك بخلافة

القتال (٢١١:٢) ذُيِّنَ للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا، والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة، والله يرزق من يشاء بغير حساب) وجملة القول اننا بعد ان فرحنا بنصر الله تعالى لحزب الاصلاح على المبتدعة والدجالين ، قد ابتلينا بتكوين حزب للملاحدة المارقين ، يواليه أفراد من أغرار الشبان وكهول المنافقين ، فاذا ترك هؤلاء وشأنهم ، وسكت لهم أهل الحق على ما يفتنون من سموم أباطيلهم، تعظم جراتهم، وتنتشر دعوتهم، وتكبر فتنهم ، وليس الاستظهار عليهم بالامر العسير، فان حجبتهم داحضة، وغواياتهم متناقضة، وغاياتهم متعارضة، ويخافون الردة الصريحة، ان تحرمهم احترام الامة وبعض مناصب الحكومة، فالجريء منهم على التصريح بالكفر على رؤوس الاشهاد قليل، وانما يصرحون غالباً بما يظنون أنه يحتمل التأويل، كزعمهم أن النبي عليه الصلاة والسلام، أقر العرب على بعض عباداتهم الوثنية لاجل استمالتهم كما فعل بعض البابوات، وهذا من أقبح البهتان ، فان ما أقره الاسلام من مناسك الحج كان من شريعة ابراهيم عليه الصلاة والسلام، فهو الذي نبى بمساعدة ولده اسماعيل البيت العتيق، وطهره للطائفين والماكفين والركع السجود، وأذن في الناس بالحج فلبوه من كل فج عميق ومن دعائه عليه الصلاة والسلام، (٣٥:١٤) رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ

هذا وإن سواد المصريين الاعظم يفار على دينه، ويذب عنه بشماله ويمينه، حتى ان أكثر المعلمين في المدارس المتفرنجة والافرنجية، ليتهصبون له عصبية سياسية اجتماعية، لا يشعر بمثلها المتعلمون في المعاهد الدينية ، فهم يفتنون من يحمل نفسه داعية للكفر ، ويلفظونه كما تلفظ النخامة

من الفم، ويعلمون أن ما يتوخاه هؤلاء من نباهة الذكر عند الأوروبيين،
 والتشبه بمن ناهضوا الكنيسة ورجال الدين، ليس بالغرض الصحيح الذي
 يمدرون فيه، ولا العمل المفيد للدنيا فيساعدتهم من لا يؤمن بالآخرة
 عليه، فهم لا يجدون في الاسلام ولا في رؤسائه تلك الاسباب التي هملت
 بعض كتاب أوربة وجهيتها السياسية، على مجاهدة الكنيسة ورجالها
 والظعن في نفس النصرانية، فالاسلام نفسه أرشد البشر الى العلوم
 العقلية والكونية، وأوجب الفنون والصناعات المدنية، وأخرج
 البشر من رق رؤساء الدين والدنيا الى فضاء الحرية، وأما رجال الدين
 الرسميين في مصر فلا مجال لاتهامهم بمصيبة دينية، ولا بمقاومة الحرية
 العلمية ولا العملية، أنى وشيخ الازهر ومفتي الديار المصرية، وشيخ
 مشايخ طرق الصوفية، قد اشتركوا في جمع الاعانة لجمعية الصليب
 الاحمر، حتى فرضها الاول على جميع أصحاب الرواتب في الجامع الازهر،
 وحضروا ما كانوا يتحامون من المحافل، في معاهد التمثيل والفنادق،
 وقد حضر المفتي حفلة الصلاة على روح لورد كيتشر في هذه الايام،
 كما حضر الصلاة على روح بطرس باشا منذ أعوام، فلم يبق لهؤلاء
 الملاحدة ما يتقموه من هؤلاء العلماء، الا عدم مشايقتهم إياهم على السفور
 ومخالطة النساء، ولعلمهم لا يرضونه منهم الا أن يذنبوا هذه الازياء (٧:٣)
 رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بِمَا أَزْغَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ
 الْوَهَّابُ ۝ رَبَّنَا أَنْتَ جَامِعُ النَّاسِ يَوْمَ يُرِيدُ فِيهِ اللَّهُ لَا يُخْلِفَ الْمِيعَادُ

منشئ المنار ومحرره

محمد رشيد رضا

السنة وصحتها والشرعية ومئاتها

رد على دعاة النصرانية بمصر

تهيد في بيان حالنا مع المبشرين

لا يزل دعاة النصرانية (المبشرون) يطعنون على الاسلام بما ينشرون من الرسائل والمقالات ، وانني أتعد ترك قراءة ما يصل الي من مجلاتهم ورسائلهم حتى لا أفتح على نفسي باب الرد عليهم ، اذ رد الشبهات الموجهة الى الاسلام انما يجب على من علمه وجوبا كفاثيا ، وقد كنت أكره الرد عليهم لولا ذلك وان كانوا يظنون أنه من مقاصد المنار ومشروع الدعوة والارشاد الذي اكبروا أمره ، على أنه لم ينلهم منه أذى يقول ولا فعل ، وجميع الطلبة في دار الدعوة والارشاد من قسم المرشدين الذين يعدون لارشاد العوام لمقاومة الشرور والمعاصي الفاشية فيهم ، فقد كثرت في هذه البلاد جنائياتهم في الانفس والاموال والزروع ، وفشا فيهم السكر والقمار والفحش ، نعم ان من مقاصد المنار رد الشبهات عن الاسلام مقاومة للشك والتشكيك فيه ، وإيما أكره الجدل ، وأكره تعمّد مناقشتهم أو فتح بابها علي لأنهم هم الذين يتعرضون لها ويتغنّون بها ، وما أكثرت من حاجة أهل الكتاب في سني المنار الاخيرتين الا في التفسير اذ اتفق بلوغي فيه الى سورتي النساء والمائدة المدنيتين ، وأكثر ما في القرآن من حاجة أهل الكتاب في هاتين السورتين وأقله فيما قبلهما . على ان فيه أيضا ما أوجبه الاسلام من إنصافهم والعدل فيهم ، وبيان مودة النصارى منهم . وقد انتهينا من ذلك ، ووصلنا الى تفسير السور المكية التي خطب بها المشركون وقبلما يذكر فيها أهل الكتاب الا في سياق بيان سنة الله تعالى في الرسل وأممهم .

لهذا كنّا نظن أن باب حاجة أهل الكتاب يكون مغلقا في المنار الى ما شاء الله ، ولكن مجلة المبشرين العربية (الشرق والغرب) نشرت في العدد الذي صدر منها في أول الشهر الماضي (ابريل) مقالة عنوانها (السنة وصحتها) طعنت فيها على السنة (المنار: ج ١) (٤) (المجلد التاسع عشر)

النبوية وزعمت أن طعننا يوجب الريب في الشريعة وترك العمل بها، وأنها لا قيمة لها في نفسها، وقد جاءتنا المجلة فلم نفتحها، ثم علمنا بذلك المقالة فلم نقرأها، ثم رأينا لهذه المقالة تأثيرا سيئا في المسلمين حتى إن منهم من نقلها عن المجلة وطبع كثيرا من نسخها بمطبعة الجلائين ووزعت على الناس ووصلت إلينا نسخة منها، واقترح علينا كثيرون أن نرد عليها فوجب شرعا اجابة طلبهم

ومما أكد وجوب الرد ما رأيناه في المقالة من مطالبة ثلاث مئة مليون من أهل السنة بالجواب عنها، فلا ندع لهم مجالاً أن يقولوا للمسلمين إنه لم يستطع أحد من علمائكم أن يدافع عن سننكم وشريعتكم، ولا أن يرد شيئا من حججنا عليها، فما نحن أولاء نرد عليهم ودأ يعلمون ويعلم الناس به أنهم لم يتحروا الامانة فيما نقلوا من كتبنا ولم يفتوا ما قرؤا منها وما نقلوا عنها، وأن طعنهم في أبي هريرة رضي الله عنه خطأ، وأنه لو صح لم يترب عليه بطلان الثقة بالسنة، ولما رتبوه على ذلك من عدم وجوب طاعة الشريعة، وإنما قصاراه أنهم افتخروا دعاوى نسبوا إلى الاسلام، وردوا عليها بما لا يصلح أن يكون ردا

وقد رأينا أن نقل كلامهم بومته على ما فيه من الركاكة واللقو والضعف، وإطلاق بعض الكلام على غير المعاني التي نطلقها عليها، ولكن لا نناقشهم في شيء من الالفاظ لثباتها، ولا في العبارة من حيث ضعفها، بل في المسائل والمعاني، وقد كان الغرض الاول من نقل عبارتهم بنصها وعدم تلخيص مسائلها والرد عليها أن لا يتوهم أحد منهم أو من غيرهم أننا تصرفنا في التلخيص تصرفا يخل بالمعنى المراد أو حذفنا منه ما لا يمكن رده بنقض ولا انتقاد، واستتبع ذلك بيان أن القوم لا يوثق بقولهم ولا بفهمهم، ومن المعلوم بالضرورة أنهم ليسوا كالفلاسفة الذين يبحثون في المسائل لأجل استبانة الحق في ذاته، وإنما يتحرون بالبحث ما يرون فيه سبيلا للطعن والاعتراض، ومجالا للشك والاثارة الشبهات كما يعلم مما يأتي

﴿ المجلة الاولى من مقدمة الطاعن ﴾

افتتح طاعنهم مقالته بجملة تتضمن عدة دعاوى هذا نصها :

« ان صحة الشريعة قضية لا بد لكل مسلم من التسليم بها وذلك متوقف على صحة السنة . فاذا ارتاب أحد في صحة السنة فليس له دافع منطقي يوجب إخطاعة الشريعة لأن جانباً قليلاً منها فقط يتوقف على القرآن ، ولجانب الأكبر يتوقف على السنة التي اجتمعت في الاحاديث . فاذا ثبت الريب في هذه الاحاديث تزعزعت أركان الشريعة وأركان تأسيها من حنفي ومالكي وشافعي وحنبلي . وعددهم لا يقل عن ثلاث مئة مليون من الاتباع » اهـ

فلنخص هذه الجملة من كلامه في ثلاث قضايا ونبين ما فيها

القضية الاولى

﴿ زعمه اذا ارتاب أحد في السنة بنتهي وجوب طاعة الشريعة ﴾

هذه القضية بديهية البطلان فان الإطلاق في جزاء الشرط يدل على ان المراد من القضية الشرطية ان ارتباب فرد من الافراد في صحة السنة يستلزم انتفاء وجوب اتباع الشريعة على جميع الافراد . وانما المقول الموافق للمنطق ان ارتباب الفرد أو ظنه أو علمه يترتب عليه ما يستلزمه في حق نفسه ولا يكون ذلك مؤثراً في غيره ممن لم يرتب ارتبابه أو لم يعلم علمه ، وكذلك ارتباب الافراد الكثيرين . وقد ارتاب بعض علماء أوربة الاحرار في وجود المسيح عليه السلام وزعموا أنه شخص خيالي — أو متخيل — لم يوجد ، كما زعم بعض المؤرخين مثلي ذلك في هوميروس شاعر أساطير اليونان — فهو استلزم ارتباب أولئك المرتابين فيه انتفاء إيمان مئات الملايين من المسلمين والتصارى وغيرهم بوجوده عليه السلام ؛

القضية الثانية

﴿ زعمه ان أكثر الشريعة يتوقف على الاحاديث ﴾

هذه القضية غير مسلمة فان الشريعة عندنا تشمل العقائد والعبادة فيها بالدلالة القطعية وجميع العقائد التي تتوقف عليها صحة الاسلام ثابتة بنصوص القرآن وإجماع المسلمين ، وإثبات الألوهية والنبوة منها مؤيد بالبراهين العقلية ، ولا يوجد شيء منها يتوقف على أحاديث الآحاد التي يمكن الارتباب في بعضها . وكذلك أصول العبادات

كلها قطعية ثابتة بالقرآن والسنة العملية المتواترة التي لا تتوقف على أحاديث الآحاد . وما ثبت من احكام العبادات بأحاديث الآحاد ولم يجمع عليه أئمة العلم فلا تتوقف عليه صحة الاسلام وان كان صحيحا في نفسه ، وانما هو مزيد كمال في علم السنة . وأما أحكام الشرع في المعاملات فأكثرها مأخوذ من القواعد والاصول وكذلك الفروع الواردة في القرآن إما بالنص وإما بدلالة النص وغواء ، ومن القياس الذي توسع فيه بعضهم كالخفية فالشافعية ، والمصالح العامة التي توسع المالكية والحنابلة . وأقلها من حديث الآحاد . وما بقي من أركان الشريعة بعد العقائد والاحكام الصلبة الا الاخلاق والآداب ، وجميع ما ورد في الاحاديث من الحكم والفضائل والآداب فهو مستمد من القرآن الحكيم وشرح له ، بل السنة كلها بيان للقرآن لقوله تعالى (وأنزلنا اليك الذكرا تبين للناس ما نزل اليهم) وقد ثبت في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها أنها وصفت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بقولها : كان خلقه القرآن .

وقد اختلف العلماء في أحكام السنة التي لا تستند الى نص من القرآن قليل إنها بوحى من الله تعالى وان الوحي لا ينحصر في القرآن ولكن للقرآن مزايا ليست لغيره من وحي الله الى خاتم رسله ولا الى الرسل قبله ، أعظمها إعجازه والتعبد بتلاوته . وقيل ان الله تعالى أذن لرسوله بأن يحكم ويشرع برأيه واجتهاده

ومن تأمل كثيرا من الاحكام التي استدلوا عليها بالسنة وحدها يرى لها ما أخذ من القرآن كتحریم الجمع بين المرأة وبين عمتها أو خالتها في الزواج وكتحریم الاكل والشرب في آنية الذهب والفضة ، وقد بينا ذلك في المنار ، كما بينا تفاوت الافهام في النصوص على درر القرآن ، وأين أفهام الناس كلهم فيه من فهمه عليه الصلاة والسلام ، وقد ثبت مع ذلك انه صلى الله عليه وسلم كان يقضي في المسائل السياسية والادارية باجتهاده ، ويستشير فيها أصحابه

القضية الثالثة

﴿ زعمه أنه اذا ثبت الريب في الاحاديث نزلت أركان الشريعة ﴾
هذه القضية غير مسلمة أيضا وفيها إجمال وإيهام . فإذا أراد بثبوت الريب في

الأحاديث ما أفادته جملة الأولى من ارتباب بعض الأفراد ولو واحدا — فقد بينا أن هذا لا يرتب عليه إلا ما يستلزمه الارتباب في نفس المرتاب وحده ، وإذا أراد ارتباب جميع الناس أو جميع المسلمين في جميع الأحاديث فهذا ما وقع ولن يقع ولا يغفل أن يقع ، وسنشرح ذلك على وضوحه في نفسه ، فإن فرضنا جدلا أنه يقع فأنما يرتب عليه حينئذ الاكتفاء في الدين بما في القرآن والسنة العملية المنقولة بعمل مشات الألف وألف الألف منذ العصر الأول ككيفية الصلاة والصيام والحج وغير ذلك وبما ثبت بالإجماع والقياس الصحيح ، ولا ينقص من كتب الشريعة حينئذ إلا الأحكام والحكم التي ثبتت بأحاديث الآحاد وحدها كما بيناه في الكلام على القضية الثانية

وبهذا وذلك يظهر لك بطلان قوله « نزعزت أركان الشريعة وأركان تابعيها » فإن أراد بأركان الشريعة أصول العقائد وقضايا الإيمان التي يكون بها المرء مؤمنا فقد علمت أنه لا يتوقف شيء منها على أحاديث الآحاد ، وإن أراد أركان الإسلام الخمسة فكذلك ، فإن معرفة هذه الأركان لا تتوقف على ثبوت الأحاديث الواردة فيها فأنما يجمع عليها معاومة من الدين بالضرورة ، سواء صح ما ورد فيها من الحديث أم لم يصح ، على أنه صحيح والله الحمد ، وإن أراد بأركان الشريعة أو أركان تابعيها أصولها المستمدة منها عند الآئمة الأربعة فقوله أظهر بطلانا فإن هذه الأركان أربعة — الكتاب والسنة والإجماع والقياس — وما أُلحق بها عند بعضهم كالمصالح والاستحسان ، فلا حديث جزء من السنة التي هي ركن من هذه الأركان ، فالارتباب في هذا الجزء لا يوجب الارتباب في الجزء الآخر منها وهو مائت بالتواتر عملا أو قولا ، فكيف يوجب الارتباب في القرآن وكله متواتر ، وفي الإجماع والقياس ؟ قلنا إن ارتباب جميع الناس أو جميع المسلمين في جميع أحاديث الآحاد ما وقع ولن يقع ولا يغفل أن يقع . وبيان ذلك أن المعهود من البشر في كل زمان ومكان أن يصدقوا خبر كل مخبر — لأن الأصل الغالب في أخبار الناس الصدق — إلا إذا وجدت علة في الخبر أو المخبر تقتضي الارتباب ، كأن يكون الخبر غير معقول أو يكون المخبر معروفا بالكذب . على أننا نرى الناس يصدقون أكثر أخبار الجرائد

السياسة والشركات البرقية على كثرة ما عرفوا من كذبها ، واعتقادهم أن
لا صحتها أهواء سياسية يحاولون تأييدها بالحق وبالباطل . فإذا كان هذا شأن
البشر في أمثال هذه الأخبار التي تحوم حولها الشبهات في أنفسها وفي سيرة رواتها ،
فكيف يمكن أن يرتابوا في صحة جميع الأحاديث التي صححها حفاظ المحدثين بعد
تقدم متونها وإقامة ميزان الجرح والتعديل لكل فرد من أفراد رواتها ، وقد علم أنهم
لا يقبلون في الاحتجاج حديثا منقطع الاسناد ولا حديثا في رواته مجهول أو أحد
ثبت عليه الكذب أو سوء الحفظ أو النسيان أو مخالفة الثقات الإثبات في روايته ؟
ها أنتم أولاء تصدقون أخبار أناسيكم الأربعة وغيرها من كتبكم وليس عندكم
سند متصل لشيء منها ، وقد اختلف علماءكم ومؤرخوكم في كتابها وفي اللغات التي
كتبت بها ، وفي التواريخ التي كتبت فيها ، فلم يتوفر لكم فيها شيء من النقد
والتمحيص الذي توفر لنا في نقل الحديث ، أفنتعملون مع هذا أن ترتاب في تصديق
جميع الأحاديث التي نقلت لنا بدقة لم يهد لها البشر نظيرا في تاريخهم القديم ولا
الحديث — وأنتم ترون أنفسكم وسائر البشر يصدقون أكثر ما يروى لهم بلا سند
ولا بحث في رواته ، بل كثيرا ما يصدقون أخبار من ثبت عليهم الكذب من روا
كثيرة ، كرواة البرقيات والجرائد ؟



﴿ الجملة الثانية من كلام الطاعن ﴾

قال : « وسنثبت في الفصول التالية أن من السهل إثبات الشبهات الملقاة على
تلك الأحاديث . ونحن مثبتون في هذا الفصل ومن الاعتماد على بعض الصحابة
التي توقف مشات من الأحاديث على شهادتهم حتى قامت عليها الشريعة ومنها
نشأت السنة على أن البخاري الذي اشتهر بنقد رجال الحديث لم يخطأ له أن يرتاب
في صدق الصحابة لأنهم كانوا في نظره معصومين من الكذب ، وهذا يدل على
ضعف حجته ، فقد ثبت بوجه لا يتقبل الشك أن أبا هريرة وابن عباس لم يكونا
محصنين في رواية الأحاديث . وغرضنا الآن أن نبين أن الريب في أحاديث أبي
هريرة تسرب إلى نفوس معاصريه ونفوس الذين جاؤا بعده ومع ذلك فقد نقل

عنه البخاري الاحاديث بالمشات فتداولتها السنة المجتهدين الذين اسسوا المذاهب الاربية وبنوا عليها نظامهم الشرعي »

أقول تلخص هذه الجملة في قضايا تابعة في العدد لما تقدم وبنين ما فيها من الخطا والاباطيل

القضية الرابعة

﴿ زعمه وهن الاعتماد على رواة المئات الاحاديث من الصحابة كأبي هريرة ﴾
 هذه القضية باطلة فانها توهم القارى ان الكاتب ثبت في هذا الفصل مطاعن في عدالة عدة من الصحابة الذين رروا المئات الكثيرة من الاحاديث — حتى اذا ما قرأ الفصل كله لم يجد فيه الا روايات في واحد منهم — وهو أبو هريرة رضي الله عنه — ويرى ان هذه الروايات لا تسقط عدالته كما تسقطه في هذا المقال . وهذا مما يزيد قولنا ان هؤلاء الناس يكتبون ما لا يفهمون لانهم اعتادوا الجرأة على إلقاء المطاعن من غير تفكير ولا روية ، فهم ينقصون ما يذنون ولا يشعرون

القضية الخامسة

﴿ زعمه أن البخاري لم يحظر بياله الارتباب في صدق الصحابة لاعتقاده عصمتهم ﴾
 هذه القضية باطلة أيضا لانها حكم بعموم الساب ، على شيء يتعلق بالقبيل لا يعلمه الا الرب ، فان مثل هذا الكاتب لا يناقش في مثل هذا التعبير لانه لا يفرق بينه وبين القول بأن البخاري لا يتهم أحدا من رواة الصحابة بالكذب ، ولا بغيره من المال القاذحة في الرواية ، وانما يريد بيان بطلان زعمه ان البخاري كان يرى أن رواة الصحابة معصومون . والصواب انه كان يرى ويقول إنهم عدول صادقون لا معصومون ، وما قال هذا القول هو وغيره من نقاد المحدثين الا أنهم تتبع تاريخهم كثيرهم من الرواة ، وقد نقل عنه الطاعن ما أراد أن يسقط به عدالة أبي هريرة وشيئا من محججه لما يرويه ، فالبخاري كان أعلم من الطاعن بكل ما قيل في أبي هريرة وبما رواه أبو هريرة ولم يره مسقطا لعدالته ، ولو آراه مسقطا لما وصى عنه في صحيحه . وقد كان البخاري من أئمة أهل السنة الذين لا يقولون بأن أحدا

من البشر معصوم من الكذب الا الانبياء عليهم السلام . وصدق الرواية لا يتوقف على العصمة والا لما قبل أحد من البشر قول أحد بعد تبليغ أنبيائهم الوحي . وانما يكفى في تصديق الرواية بالعلم بعدالة الراوي وجودة حفظه وضبطه لما يرويه ، ولم يقل هن أحد من مؤرخي البشر ونقله الاخبار مثلاً نقل عن البخاري من شدة التحري في كتابه الجامع الصحيح ، فليأتنا هذا الطاعن بمثله أو بما يقرب منهم من علمائهم ؟ كيف وكتبهم المقدسة تنسب الكذب وغيره من كبائر المعاصي الى الانبياء برأهم الله تعالى وصلى الله عليهم وسلم ، وهؤلاء المبشرون وأهل نحلهم لا يقولون بعصمة الانبياء دح عصمة ناقلي كتبهم بغير أسانيد متصلة ولكنهم يقبلون ما عزي اليهم . وسنشير الى المقابلة بين رجالنا ورجالهم في هذا المقال ، ولا حاجة الى تنفيذ قوله بضعف حجة البخاري الذي بناه على زعمه أن البخاري يعتقد عصمة الصحابة ، فهو ساقط في نفسه وأضعف منه وأسقط ما بناه عليه

القضية السادسة

﴿ زعمه أن الأئمة الاربعة أسسوا مذاهبهم على ما رواه البخاري عن أبي هريرة ﴾

هذه القضية الباطلة تدل على مبلغ علم المبشرين الناصرين لهذا المقال وعلى درجة تحريمهم وصدقهم فيما يقولون ويقولون

المحافظ البخاري متأخر عن الأئمة الاربعة أدرك رابعهم الامام أحمد ابن حنبل وتلقى الحديث عنه . وقد جاء في تهذيب التهذيب عن العقيلي أن البخاري لما ألف كتابه الصحيح عرضه على علي بن المديني ويحيى بن معين وأحمد بن حنبل (وكلهم من كبار شيوخه) وغيرهم فامتنعوه وكلهم قال : كتابك صحيح الا اربعة أحاديث . قال العقيلي والقول فيها قول البخاري وهي صحيحة . والشاهد في هذا النقل أن البخاري أخذ عن أدرك من الأئمة الاربعة ولم يأخذ أحد منهم عنه شيئاً ، ولم يكن أحد من المجتهدين يقلد أحداً في رواية ولا دراية ، وانما يأخذ كل منهم بما صح عنده من الرواية

ولد الامام أبو حنيفة سنة ٨٠ وتوفي سنة ١٥٠ وولد الامام مالك سنة ٩٣ وتوفي

سنة ١٧٩ وولد الامام الشافعي سنة ١٥٠ وتوفي سنة ٢٠٤ وولد الامام احمد ١٦٢
وتوفي ٢٤١ وولد الامام محمد بن اسماعيل البخاري سنة ١٩٤ وتوفي سنة ٢٥٦ وقد
رحل من بلاده لطلب العلم سنة ٢١٠ أي بعد وفاة الامام الشافعي ببضع سنين
وبعد وفاة مالك باحدى وثلاثين سنة وبعد وفاة أبي حنيفة بستين سنة
فكيف اجاز لهذا الطاعن في السنة والشرعية دينه وعقله أن يقول ان الائمة
الاربعة أخذوا عن البخاري مارواه من الاحاديث عن أبي هريرة وبنوا عليه نظامهم
الشرعي؟ وكيف توم أنه جاء بعلوم وحقائق تزعم هذه الشريعة التي هي أثبت
من الجبال الرواسي؟ أمثل هذه الدعاوى المخترعة تهدم الحقائق الثابتة؟

﴿الجملة الثالثة من كلام الطاعن﴾

الشبهات في أبي هريرة

الشبهة الاولى

(١) قال الطاعن: الارتباب العام في أبي هريرة (بشهادة نفسه) حدثنا عبدالعزيز بن
عبدالله... عن أبي هريرة قال «ان الناس يقولون أكثر أبو هريرة» ولولا آيتان
من كتاب ما حدثت حديثا... ان إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصنفق بالاسواق
وان اخواننا من الانصار كان يشغلهم العمل في أموالهم، وأن أبا هريرة كان يلزم
رسول الله (صلعم) بشيخ بطنه ويحضر ما لا يحضرون ويحفظ ما لا يحفظون.
(البخاري جزء أول كتاب العلم صفحة ٣٧) وكتب في الحاشية ما نصه:
(جاء في الاصابة لابن حجر جزء ٧: ٢٣ قوله «انكم تزعمون ان أبا هريرة
يكثر الحديث عن رسول الله» وقد علل هذا الاكثار برواية غريبة) اه كلام الطاعن
الجواب عن هذه الشبهة

استدل الطاعن بهاتين الروايتين على ما سماه الارتباب العام في أبي هريرة،
ويفهم من هذا أنه يوم قارئ مقالاته أن جميع أهل عصره أو أكثرهم كان يرتاب
في صحة روايته. وهذه دعوى باطلة، ولغرض الناس يصدق بالقليل والكثير قل الله
تعالى (الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم) روي في التفسير
(المنار: ج ١) (٥) (المجلد التاسع عشر)

المأثور أن الذي قال ذلك هو نعيم بن مسعود قال إن أبا سفيان يجمع لكم الجيش الخ وقيل إن القائل ركب عبد القيس . قال الناس اسم جنس يطلق على الواحد كما يقال : فلان يركب الخيل . وإن لم يركب الا فرسا واحدا ، ويطلق على الكثير . وقد ثبت أن بعض الصحابة أنكروا كثرة أبي هريرة من التحديث كما هو صريح هذا الحديث الذي اختصره الطاعن من البخاري . وقد صرح في رواية أخرى له بزيادة « ويقولون ما للمهاجرين والانصار لا يتحدثون مثل حديثه » ووجه الانكار أن أبا هريرة من متأخري الصحابة فينبغي ان يكون أقل سماعا منهم . ومن المعلوم بالبداهة المتفعل عليه من العقلاء الذي يقضون به في محاكمهم ان الاستنكار والاستغراب في مثل هذا لا يقتضي الاتهام بالكذب ، وأن التهمة لا تقتضي بمجرد سلب العدالة ، لان من التهم ما يبنى على شبهات وأوهام ، ومنه ما هنا وقد أجاب أبو هريرة عن الاكثار هنا بأنه كان يلزم الرسول صلى الله عليه وسلم لا يكاد يفارقه اذ لا تجارة له كالمهاجرين ولا حرت له كالانصار فيشغله هذا أو ذاك ، فكان بهذه الملازمة يسمع ما لا يسمعون ويحفظ ما لا يحفظون . ويضاف الى هذا الجواب أنه حدث بما سمعه وبما رواه ، وأجوبة أخرى سيأتي بيانها — وأجاب عن أصل التحديث بالآيتين الداليتين على وجوب اظهار العلم وحرمة كتمانها ، وهما قوله تعالى (ان الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله) الى قوله (التواب الرحيم) وقد حذف ذلك الطاعن

وأما الرواية الثانية وهي ما نقله الطاعن في الحاشية عن الاصابة لابن حجر فهي رواية أخرى لهذا الاثر نفسه رواها البخاري عن الاعرج (عبد الرحمن بن هرمز) عن أبي هريرة، وقال الطاعن انه عطل الاكثار برواية غريبة؛ أي عطل كثرة حديثه بعلة غريبة أي عند الطاعن، ولم يذكر هذه العلة؛ وهي عين العلة التي في الرواية الاخرى مع زيادة تعدد من آيات النبي صلى الله عليه وسلم ودلائل نبوته — ولذلك لم يذكرها الطاعن وهي : فحضرت من النبي صلى الله عليه وسلم مجلسا قتال « من يسطرداه حتى أقضي مقاتلي ثم يقبضه اليه فلن ينسى شيئا سمعه مني » فبسطت برودة علي

حتى قضى حديثه ثم قبضتها اليّ فوالذي نفسي بيده ما نسيت شيئا سمعته منه بعد.
وروى هذا الحديث احمد ومسلم والنسائي وغيرهم من طرق. وقد فهم أبو هريرة من
الحديث عموم السلب المطلق وصدق عليه ذلك، وان كان لفظ الحديث يحتمل
تقييد العموم بما يقوله صلى الله عليه وسلم مدة بسط الرداء. وسند ذكر بعض ما قاله
الائمة النقاد في حفظ أبي هريرة، ولم يرو عنه في الصحيح انه نسي شيئا حدث به
الا حديث « لا عدوى » فانه أنكره بعد ان روى ما يدل على ثبوت العدوى،*)
ولعله كان من مراسيله لا من سماعه، فلا يتعارض مع قوله انه ما سمع شيئا ونسيه
أي بعد مسألة الرداء، أو كان من سماعه قبل بسط الرداء.

الشبهة الثانية

(٢) قال الطاعن: تهمة أبي هريرة بالكذب (بشهادة نفسه) : « عن أبي
الزبير قال خرج الينا أبو هريرة فضرب يده على جبهته فقال: ألا إنكم
تحدثونني أني أكذب على رسول الله انتهدوا وأضل ألا واني أشهد لسمعت رسول
الله (صاعم) يقول اذا انقطع شمع أحدهم فلا يمشي في الاخرى حتى يصلحها »
(جزء ٤ : ٤٤٠) (لا يخفى ما في هذا من الضعف)

(٣) ونقل ابن حجر عن احمد بن حنبل (جزء ٧ صفحة ٢٠٥) قوله « قيل
له ا كذبت فقال لو حدثتكم بما سمعت لرميتوني بالقشع أي الجلود » وقد أردف
هذا بشكوى أخرى وهي قوله « أ كثر علينا أبو هريرة »

(٤) نقل ابن حجر عن عائشة (جزء ٧ صفحة ٢٠٥) ما يأتي : قالت عائشة
لأبي هريرة « إنك تحدث بشيء ما سمعته » فأجابها أبو هريرة بما موّدها انها
كانت مهتمة بزيئها فلم تسمع ما سمعه هو.

(٥) عبد الله بن عمرو بن العاص جاء في كتاب أخبار مكة للازرقى صفحة ١٣٥
قوله : حدثنا أبو الوليد ... عن عبيد الله بن سعد انه دخل مع عبد الله بن عمرو
ابن العاص المسجد الحرام والكمبة محترقة حين ادبر جيش الحصين بن نمير والكمبة
تتناثر حجارتها فوقف ومعه ناس غير قليل فبكي حتى اني لا نظرت الى دموعه تحدر

كخلافي عنده... فقال يأيتها الناس والله لو أن أبا هريرة أخبركم أنكم قاتلوا ابن نبيكم بعد نبيكم ومحرقو بيت الله ربكم لقلتم ما من أحد أكذب من أبي هريرة»

(٦) عبدالله بن عمر. جاء في الترمذي جزء ١ صفحة ٢٨١ قوله : حدثنا ابن عمر... فقال ان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أمر بقتل الكلاب الا كلب صيد أو كلب ماشية. قيل له إن أبا هريرة كان يقول أو كلب زرع. فقال ان أبا هريرة له زرع « (ولا يخفى ما في هذا من التقريع اللطيف)

(٧) — عن الاصابة لابن حجر جزء ٧ صفحة ٢٠٥ . كان أبو هريرة قد روى حديثاً عن الصلاة لم يعجب مروان فسأل عبد الله بن عمر فقال عبدالله : لقد أكثر أبو هريرة ، فقالوا له أنتكر شيئاً مما يقولون ؟ فقال لا ولكن أجراً وجبنا . وبلغ ذلك أبا هريرة فقال : ما ذنبي ان كنت حفظت ونسوا ؟

ولا نظن قوله « أجراً وجبنا » من قبيل الازدراء فان ابن عمر ما كان ينسب الجبن الى نفسه . اما الجرأة التي نسبها الى ابي هريرة فعنها التهجم والتعدي . ولعل في هذا ما يميظ لنا اللثام عن مصادر الاحاديث فانه يدلنا على عظم الاستسلام الى رواية الاحاديث غير المدققين . والارجح ان عبد الله لم يكن ليجسر على مقاومة أبي هريرة وإنما جاهر برأيه بلجهة الازدراء

(٨) جاء في الاصابة لابن حجر جزء ٧ صفحة ٢٠٥ ان مروان استاء من كلمة قلما أبو هريرة فاتهمه بالاكثار من الرواية وأردف ذلك بقوله : انما قدم أبو هريرة قبل وفاة رسول الله ... يسيروا . فقال أبو هريرة : قدمت ورسول الله ... بخير وانا يومئذ قد زدت على الثلاثين فأقت حتى مات «

[ملاحظة — كان محمد في خيبر في سنة سبع هجرية أي قبل موته بنحو أربع سنوات ، فالحادثة المذكورة هنا تبين ان معاصري أبي هريرة أنفسهم كانوا يرون المدة قصيرة جداً لا تعال إكثاره من رواية الاحاديث التي كان يستشهد بها كلما شاء] اه كلام الطاعن بحروفه وإشاراته ورموزه وحذفه من الروايات وغلطه فيها وهو كثير ، ومنه قوله « أنتكر شيئاً مما يقولون » وصوابه « مما يقول » يعني أبا هريرة ، وقوله « أجراً وجبنا » وصوابه « اجترأ وجبنا » ولعل هذا الخطأ من الطبع لا من

تصريف الناقل، ولكن بعض غلطه من سوء الفهم قطعاً كقولهم بعد الحديث القى عزاء إلى أحد: وقد أردف هذا بشكوى أخرى الخ والصواب أن هذه الزيادة ليست من حديث أحد. ومنه ما فهمه من كلام ابن عمر

الجواب عن هذه الشبهة

نقول - (أولاً) ليس في هذه الروايات التي أوردناها للطاعن تصريح من أحد بأن أبا هريرة قد ثبت عليه الكذب

- وثانياً - إن التهمة لا تثبت إلا بالدليل، باتفاق الشرائع والقوانين وعرف أهل العقل والمثل من البشر أجمعين، ولم يتم أحد دليل ولا بينة على أن أبا هريرة كذب، وإنما عرض لبعض الصحابة شبهة في رواية أبي هريرة، ولو ثبتت الشبهة وظلت مجعولة وسبها خفياً لصح أن نجعل علة لعدم إلحاق روايته برتبة الصحيح احتياطاً، ولكن سبب الشبهة معروف وهو لا يقتضي سلب المدالة ولا عدم الثقة بالرواية

- وثالثاً - إن لعلة الشبهة سببين (أحدهما) خاص بكثرة الرواية وفيه ورد أكثر الروايات، وحاصلها أن مدة صحبته عليه السلام ثلث سنين وأشهر وهي لا تنفع للأحاديث الكثيرة التي كان يروها (والثاني) خاص ببعض يعون الأحاديث، وهي التي كان يعوق التكذيب بها، أو الإيذاء أو القتل إذا حدث بها؛ لأنها من أخبار الفتن التي أخبر بها النبي صلى الله عليه وسلم قبل وقوعها، وهي ما يسميه النصارى بالدنوات، ولما عرف أهل الحديث سبب الشبهة ظهر لهم أنها لا تبدل على أدنى ظن في عدالة أبي هريرة، ويبان ذلك من وجوه

أسباب كثرة حديث أبي هريرة

لكثرة حديث أبي هريرة رضي الله عنه أسباب استخرجناها من عقودها (أحدها) أنه قصد حفظ أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وضبط أحواله لأجل أن يستفيد منها ويفيد الناس، ولأجل هذا كان يلازمه ويسأله، وكان أكثر الصحابة لا يجتمعون على سؤاله إلا عند الضرورة، وقد ثبت أنهم كانوا يسرون إذا جاء بعض

الاعراب من البدو واسلموا لانهم كانوا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم . ومن الدلائل على هذا السبب ما رواه عنه البخاري قال : قلت يا رسول الله من أوسع الناس بشفاعتك؟ قال « لقد ظننت أن يسألني عن هذا الحديث أحد أولى منك لما رأيت من حرصك على الحديث » وما رواه أحمد عن أبي بن كعب : ان أبا هريرة كان جرياً على أن يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء لا يسأله عنها غيره . (ثانياً) انه كان يلزم النبي صلى الله عليه وسلم ويتبعه حتى في زيارته لتسائه وأصحابه ليستفيد منه ولو في أثناء الطريق ، فكانت السنين القليلة من صحبته له كالسنين الكثيرة من صحبة كثير من الصحابة الذين لم يكونوا يرونه صلى الله عليه وسلم الا في وقت الصلاة أو الاجتماع لمصلحة يدعوهم اليها أو حاجة يفرعون اليه فيها ، وقد صرح بذلك لمروان ، وكما سنفين ذلك في كلامنا على الشاهد السابع من شواهد الطاعن وأخرج البغوي بسند جيد - كما قال الحافظ ابن حجر - عن ابن عمر انه قال لأبي هريرة : أنت كنت ألزمتنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعلمنا بحديثه . وفي الاصابة عنه انه قال : أبو هريرة خير مني وأعلم بما يحدث ، وعن طلحة بن عبيد الله : لا أشك ان أبا هريرة سمع من رسول الله (ص) ما لم نسمع (ثالثاً) انه كان جيد الحفظ قوي الذاكرة ، وهذه مزية امتاز بها أفراد من الناس كانوا كثيرين في زمن البداوة وما يقرب منه اذ كانوا يعتمدون على حفظهم ، ومما قلله التاريخ لنا عن اليونان أن كثيرين منهم كرهوا بدعة الكتابة عند ما ابتدؤا يأخذونها وقالوا ان الانسان يتكل على ما يكتب فيضعف حفظه ، وأنا نفاخر بحفاظ أمتنا جميع الأمم وتاريخهم - كما ثبت محفوظ ، قال الامام الشافعي : أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في دهره . وقال البخاري مثل ذلك الأ أنه قال عصره بدل دهره . وأعظم من ذلك ما رواه الترمذي عن عمر (رض) انه قال لأبي هريرة : أنت كنت ألزمتنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأحفظنا لحديثه (رابعاً) بشاره النبي صلى الله عليه وسلم له بعدم النسيان كما ثبت في حديث بسط الرداء المتقدم وهو مروي من طرق متعددة في الصحاح والسنن (خامساً) دعاؤه له بذلك كما ثبت في حديث زيد بن ثابت عالم الصحابة

الكبير (رض) عند النسائي . وهو ان رجلا جاء الى زيد بن ثابت فسأله فقال له زيد: عليك بأبي هريرة فاني بينما أنا وأبو هريرة وفلان في المسجد ندعو الله ونذكره اذ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جلس الينا فقال « عودوا للذي كنتم فيه » قال زيد فدعوت أنا وصاحبي فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمن على دعائنا ، ودعا أبو هريرة فقال: إني أسألك مثل ما سألت صاحبي وأسألك علما لا ينسى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « آمين » فقلنا يا رسول الله ونحن نسألك علما لا ينسى . فقال « سبقكم بها الغلام الدوسي »

(سادسها) انه تصدى للتحديث عن قصد لانه كان يحفظ الحديث لاجل ان ينشره ، واكثر الصحابة كانوا ينشرون الحديث عند الحاجة الى ذكره في حكم أوفى أو استدلال ، والتصدي لشيء يكون اشد تذكرا له ويذكره بمناسبة وبغير مناسبة لانه يقصد التعليم لذاته ، وهذا السبب لازم للسبب الاول من اسباب كثرة حديثه

(سابعها) انه كان يحدث بما سمعه وبما رواه عن غيره من الصحابة كما تقدم فقد ثبت عنه انه كان يتحرى رواية الحديث عن قدماء الصحابة فروى عن أبي بكر وعمر والفضل بن العباس وأبي بن كعب وأسامة بن زيد وعائشة وبصرة الغفاري أي انه صرح بالرواية عن هؤلاء ، ومن المقطوع به ان بعض أحاديثه التي يصرح فيها باسم صحابي كانت مراسيل لانها في وقائع كانت قبل اسلامه ، ومراسيل الصحابة حجة عند الجمهور ، وقد روى أيضا عن كعب الاحبار وهو من علماء يهود أسلم في أيام أبي بكر وقيل في أيام عمر ، ووثقه المحدثون ولكن روى البخاري عن معاوية انه قال فيه : ان كان لمن أصدق هؤلاء المحدثين الذين يتحدثون عن اهل الكتاب وان كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب . ولم يرو البخاري في صحيحه شيئا لكعب . وقد كان في نفسي شيء من رواية كعب قبل ان أرى ما قاله فيه معاوية ، وأعلم ان كثير من الناس يتهمون بالكذب . ثم رأيت للحافظ ابن كثير كلاما في ذلك فن تدبر هذه الاسباب لم يستغرب كثرة رواية أبي هريرة ولم ير استنكار افراد من أهل عصره لها موجبا للارتياح في عدالته وصدقه ، اذ علم أن سبب

ذلك الاستنكار ، عدم الوقوف على هذه الاسباب ،
على أن جميع ما أخرجه البخاري في صحيحه له ٤٤٦ حديثا بعضها من سماعه
وبعضها من روايته عن بعض الصحابة ، وهي لو جمعت لأمكن قراءتها في مجلس
واحد لأن أكثر الاحاديث النبوية جمل مختصرة . فهل يستكثر عاقل هذا المقدار على
مثل أبي هريرة أو من هو دونه حفظا وحرصا على تحمل الرواية وادائها فيجاري
هذا الطاعن في الشريعة على الطعن في الامام البخاري لتخريجها ؟ ؟ كيف وهذا
الطاعن لا يوثق بنقله ولا يفهمه ولا يقصده الى بيان الحقيقة بل فلم علم اليقين أنه يريد
التشكيك والطعن لان هذا هو عمله الذي يمدش له وبه ؟
سبب استنكار بعض حديث أبي هريرة

قل الطاعن في الشاهد الثاني عن ابي دزين أن أبا هريرة قال على مسمع منه
« ألا إنكم تحدثون أني أكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم » وعزى هذا الى
(جزء ٤٠ : ٤٤٠) ولم يذكر اسم الكتاب وظاهر عزوه الشاهد الذي قبله الى البخاري
انه يعني ان هذا في البخاري أيضا ، وانما نعرفه من رواية مسلم . وذكر في الشاهد الثالث
انه قال لو حدثتكم بما سمعت لم يتموني بالقشع . وصوابه : لو حدثتكم بكل ما سمعت ،
وذكر في الشاهد الخامس عن كتاب أخبار مكة للآزقي أنه قال حين رأى الكعبة محرقة
بعد انصرف جيش الحصين بن نمير : يا أيها الناس لو أن أبا هريرة أخبركم انكم قاتلوا
ابن نبيكم بعد نبيكم ومحرقو بيت ربكم — قلتم ما من أحد اكذب من ابي هريرة .
يعني لو حدثتهم قبل إحراق بني أمية للكعبة بذلك لكذبوه لان الخبر مما يستبعد
تصديقه . فلم من قوله انه كان يعلم بهذا الحدث قبل وقوعه لانه سمعه من الرسول
(ص) ودلائل هذا انه قرنه بخبر مثله في بعده عن الوقوع ولم يكن قد وقع وهو أنهم
سيقتلون ابن نبيهم يعني الحسين عليه السلام وقد وقع ذلك بعد وفاته رضي الله عنه
كان أبو هريرة يعلم ان كثيرا من الناس لا يصدقون الروايات التي تستبعد
تقولهم وقوعها ، وان كانت جائزة في نفسها ، فيتوقع أن يكذبوه اذا هو حدث بها ،
ويظنون أنه عزاها الى الرسول لاجل قبولها ، وكان يعتقد ان بني أمية يقتلونه اذا
هو حدث بكل ما سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم عن احداثهم ومفاسدهم ، وهذا

هو مراده بقوله الذي رواه عنه البخاري في صحيحه : حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائنين من العلم فأما أحدهما فبثته ، وأما الآخر فلو بثنته اقطع مني هذا العلوم . — يشير الى عنقه

قال الحافظ في الفتح : وجه العلماء الوعاء الذي لم يثبه على الأحاديث التي فيها تبين أمراء السوء وأحوالهم وزمنهم ، وقد كان أبو هريرة يكتفي عن بعضه ولا يصرح خوفا على نفسه منهم ، كقوله : أعوذ بالله من رأس الستين وإمارة الصبيان . يشير الى خلافة يزيد بن معاوية لأنها كانت سنة ستين من الهجرة واستجاب الله دعاء أبي هريرة فأت قبلها بسنة . وستأتي الإشارة الى شيء من ذلك في كتاب الغتن . اهـ وقد وفى الحافظ بوعده هذا في شرح حديث أبي هريرة في أوائل كتاب الغتن من صحيح البخاري وهو قوله لسعيد بن العاص ومروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية : سمعت الصادق المصدوق يقول «هلكة أمتي على يدي غلعة»^(١) من قريش — وفي رواية أحمد والنسائي «ان فساد أمتي على يدي غلعة سفهاء من قريش» فقال مروان : لعنة الله عليهم غلعة . فقال أبو هريرة : لو شئت ان أقول بني فلان وفلان لفعلت . أي ولم يكن مروان يعلم حين لعنهم أنهم قومه وأبناؤه ولكن أبا هريرة هو الذي يعلم ولم يصرح .

وذكر الحافظ في شرحه لهذا الحديث حديثا آخر له من المرفوع في بيان معناه أخرجه علي بن معبد وابن أبي شيبة عنه وهو « أعوذ بالله من إمارة الصبيان — قالوا وما إمارة الصبيان ؟ قال — ان أطعتموهم هلكتم في دينكم وان عصيتموهم أهلككم في دنياكم »

فتبين بهذا أن الأحاديث التي كان يتوقع أبو هريرة تكذيب بعض الناس له فيها هي ما كان من هذا النوع ، وظهر بهذا أن ما أورده الطاعن من الشواهد على اتهامه بالكذب لا يفيد شيء منه أثبات التهمة . وقد بينا آنفا أن رواية أبي

(١) هو جمع غلام ولم يقولوا غلعة مع كونه القياس استثناء عنه بعلامة كما في الفتح وفي رواية اغيلة تصغير غلعة . والغلام الصبي من حين يولد ان يحتلم قال الحافظ وقد يطلق الصبي والغلبم بالتصغير على الضيف العقل والتدبير والدين ولو كان محتما وهو المراد هنا فان الخلفاء من بني أمية لم يكن فيهم من استخلف وهو دون البلوغ وكذا من أقروه على الأعمال اهـ المراد منه

رزين عند مسلم والرواية التي عزاها الى أحمد وهي من طريق يزيد بن الأصم عن أبي هريرة ورواية عبد الله بن سعد عند الأزرقى - كما صريحة في أن أبا هريرة كان يعتقد أو يظن أن بعض الناس يكذبونه في بعض أحاديث القنن إذا هو حدث بها قبل وقوعها لغرابة موضوعها .

بقي من شواهد الطاعن أربعة (أحدها) قول عائشة له: انك لتحدث بشيء ماسمته. وقد عزا الحافظ هذا الى تخرج ابن سعد وكتابه ليس في أيدينا فلا ندرى أذكر سببه بعينه أم لا، والظاهر من جواب أبي هريرة أنها أنكرت حديثا رواه لأنها لم تسمعه هي من النبي (ص) ومثل هذا وقع لها في أحاديث غير واحد من الصحابة لهذه العلة كارتباها في حديث المعراج وفي حديث الرؤية في الآخرة وفي حديث عبد الله ابن عمرو في موت العلماء واتخاذ الرؤساء الجاهل الذين يضلون ويضلون، ففي صحيح مسلم أن عروة بن الزبير سمع هذا الحديث من عبد الله بن عمرو فأخبر به خالته عائشة فأعظمت ذلك وأنكرته وقالت له: أحدثك أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول هذا؟ على أنها هي التي أرسلته اليه ليأخذ عنه الحديث قال « قالت لي عائشة: يا ابن أخي بلغني أن عبد الله بن عمرو مارت بنا الى الحج فالتقه فسألته فانه قد حمل عن النبي صلى الله عليه وسلم علما كثيرا » ثم انها مع هذا ومع ما تعلم وتعلم كل الصحابة من ورع عبد الله وعدالته قد ارتابت في هذا الحديث وبقيت مرتابة فيه مدة حول كامل - قال عروة: فلما كان قابل (أي العام الذي بعد ذلك العام) قالت له: ان ابن عمرو قد قدم فالتقه ثم فاتحه حتى تسأله عن الحديث الذي ذكر لك في العلم قال فلقيته فسألته فذكره لي نحو ما حدثني به مرته الاولى . فلما أخبرتها بذلك قالت: ما أحسبه الا قد صدق اراه لم يزد فيه شيئا ولم ينقص . والجواب المشهور عند العلماء في مثل هذه المسألة ان من حفظ حجة على من لم يحفظ

(ثانيها) حديث عبد الله بن عمر في قتل الكلاب، نقله الطاعن عن الترمذي وهو في صحيح مسلم وسنن النسائي وابن ماجه ايضا . وقد قال العلماء ان مراد ابن عمر بقوله « ان لأبي هريرة زرا » هو أن أبا هريرة كان محتسبا الى معرفة حكم اتخاذ الكلب للزراع لان له زرا فسأل عن ذلك وحفظه وعمل به . ويؤيد هذا

وينفذ زعم الطاعن أنه يريد التقرع ما صح عن ابن عمر من تفضيل أبي هريرة على نفسه وتقدم بعض كلامه في ذلك ، ومنه الشاهد الآتي الذي عده الطاعن تكذيباً لأبي هريرة وهو عين التصديق والتعديل — وهو — :

(ثالثها) ما نقله عن الإصابة — وهو الشاهد السابع — من أن مروان سمع من أبي هريرة حديثاً لم يعجبه الخ ما تقدم ، وقد حرف الطاعن الرواية . وهذا نصها : وروينا في فوائد المزي نخرج الدارقطني من طريق عبد الواحد بن زياد عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رفعه « اذا صلى احدكم ركعتي الفجر فليضطجع على يمينه » فقال مروان : أما يكفي أحدنا ممشاه الى المسجد حتى يضطجع على عيشه ؟ قال لا . فبلغ ذلك ابن عمر فقال : أكثر أبو هريرة . فقبل لابن عمر هل تذكر شيئاً مما يقول ؟ قال لا ولكنه اجتراً وجبتنا له بحروفه (١)

وعبارة المبشر الطاعن توهم أن ما أورده هو نص ما في الإصابة ولعله يريد بقوله في الحديث « لم يعجب مروان » إيهام القارئ أن موضوع الحديث قبيح أو منكراً دليلاً . ثم انه فسر الجراءة التي وصف ابن عمر بها أبا هريرة بالتهجم والتحدى . وهذا من أكبر الجراءة على القول بغير علم فالتحدي معناه المباراة والمعارضة ولا محل له هنا ، فالطاعن أثبت بهواه معنى غير صحيح ، ونفي معنى صحيحاً ، وهو وصف ابن عمر نفسه بالجبن ، والمراد به كما تقدم في بيان السبب الاول من أسباب كثرة حديث أبي هريرة انه كان جريئاً على سؤال النبي صلى الله عليه وسلم وكان أكثر الصحابة يهابون سؤاله فلا يكادون يسألونه الا لضرورة * فهذا معنى قول ابن عمر اجتراً وجبتنا . وهو قد صرح هنا بأنه لا ينكر شيئاً من قول أبي هريرة . ولكن القسيس المبشر يريد أن يقتعنا مع هذا التصريح بأنه أنكر كلامه وكذبه !! وقد فسر ابن الاثير « اجتراً وجبتنا » بقوله : يريد انه أقدم على الاكثار من الحديث عن النبي (ص) وجبتنا نحن عنه فكثير حديثه وقل حديثنا له

هذا وان هذا الحديث عن أبي هريرة مطعون في سنده فان راويه عبد الواحد بن زياد ليس ثقة فيما يرويه عن الاعمش عن أبي صالح كما صرح به الذهبي في

الميزان وذكر هذا الحديث من منا كبره هـ

وأما جملة التحدي التي كتبها الطاعن بغير فهم فهي مصحفة عليه من أثر في الإصابة عن عبد الله بن عمر. قال الراوي: كان ابن عمر إذا سمع أبا هريرة يتكلم قال: أنا نعرف ما تقول ولكننا نجبن ونجتري. أي نجبن عن كثرة التحديث وتجتري أنت عليه. فيكون هذا بمعنى رواية عبد الواحد على الوجه الذي فسرها به ابن الأثير. ولكن كلمة تجتري صحفت في طبعة الهند للإصابة هكذا «نجتري» ولعل الطاعن رآها في طبعة مصر مصحفة أيضا بفعل من التحدي أو ما يقرب منه، وأنى له أن يعرف الأصل؟

وهذا يثبت قولنا أن هذا الطاعن يكتب ما لا يفهم وأنه لا ثقة بنقله ولا بفهمه. ومن الغريب أنه ترحى أن يكون هذا التفسير الباطل لتلك الكلمة المحرفة من تلك الرواية المنكرة أصلا للطعن في جميع الأحاديث لا لتكذيب أبي هريرة وحده فقال «ولعل في هذا ما يمحيط لنا اللثام عن مصادر الأحاديث فإنه يدلنا على عظم الاستسلام إلى رواة الأحاديث غير المدققين، والارجح أن عبد الله لم يكن ليجسر على مقاومة أبي هريرة وإنما جاهر برأيه بلهجة الأذراء» اهـ

فليتنا المسلمون بهذا الطاعن بشر يعتمهم بمثل هذا الخطب واخلط والتحريف والدعوى المضحكة. ومن ذا الذي لا يضحك من ادعاء هذا المبشر أن عبد الله ابن عمر بن الخطاب أمير المؤمنين القرشي ما كان يجسر على تحطئة أبي هريرة الدوسي الضعيف؟

كان ينبغي لك أيها القس المحترم أن تلم قبل تصديقك لتشكيك المسلمين في دينهم، وتهجمك على الطعن بشر يعتمهم، أن تلم قليلا بتاريخهم، فالتنازى عوام نصارى بلادنا العربية يعلمون كخواصهم أن حرية النقد واستقلال الرأي عند الصحابة رضي الله عنهم قد بلغت أوج الكمال، وإن أرقى الأوربيين حرية كالانكليز لم يباهوا درجتهم في ذلك، أنهم يعلمون أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الذي كانت تحشى بأسه ملوك الأرض وتهايه الانس والجن كان يقول الكلمة على المنبر في المسجد الجامع فتخطئه بها المرأة أو الأعرجي فيمتدحها بخطئه إذا كان

مخطئا، فهل يقال في هؤلاء أن أعظمهم مكانة في العلم والشرف لا يجسر أن يصرح برأيه في مخطئة أضعفهم ؟؟ على أنه كان يكفيك أن تفهم شاهدك الآتي — وهو — (رابعها) ما نقله عن الإصابة محرفا ناقصا كالذي قبله — وهو الشاهد الثامن — ونحن نقله بنفسه ليقابله القراء بما نقله ^(١) ويروا درجة أمانته . قال الحافظ :

« وأخرج ابن سعد من طريق الوليد بن رباح : سمعت أبا هريرة يقول لمروان حين أرادوا أن يدفنوا الحسن عند جده : تدخل فيما لا يعنيك . — وكان الامير يومئذ غيره — ولكنك تريد رضا الغائب . فعضب مروان وقال ان الناس يقولون أكثر أبو هريرة الحديث وإنما قدم قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال أبو هريرة قدمت ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخير وأنا يومئذ قد زدت على الثلاثين فأقلت معه حتى مات و(كنت) أدور معه في بيوت نسائه وأخدمه وأغزو معه وأحج، فكنت أعلم الناس بحديثه، وقد والله سبقني قوم بصحبته فكانوا يعرفون أني لمي له فيسألوني عن حديثه ، منهم عمر وعثمان وعلي وطالحة والزبير ، ولا والله لا يخفى علي كل حديث كان بالمدينة ، وكل من كانت له من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة ، ومن أخرجه من المدينة أن يساكنه . قال فوالله ما زال مروان بعد ذلك كافئا عنه »

خلاصة هذه الرواية أن مروان بن الحكم غضب لانكار أبي هريرة عليه أمرا كان لاهل بيته (بني أمية) فيه سياسة — والدولة دولتهم — فلم يجد كلمة يشفي بها غيظه الا قول بعض الناس : أكثر أبو هريرة ، فلما بين له أبو هريرة سببا كثاره أذعن له ولم يعد الى مثل ذلك ، أليس من العجائب أن يعتمد هذا القس المبشر الى هذه الرواية فيحرفها ليستدل بها على كذب أبي هريرة أو تكذيب الناس له ، وما هي الاحكاية لشبهة الاكثار التي فندها أبو هريرة وأجبنا نحن عنها بما استنبطنا من مجموع الروايات المبينة لاسبابها وهي سبعة ؟

وجواب أبي هريرة يدل على جرأته وعلى سعة حرية العرب حتى في عهد معاوية أيضا ، فانه ذكر لمروان نفى النبي (ص) لوالده الحكم ، وسيأتي بيان ذلك

﴿ الجملة الرابعة من كلام الطاعن ﴾

(شبهات أخرى في أبي هريرة)

قال : « ١ جاء في مجموعة الرسائل للنزالي في كتاب المؤمل للرد إلى الأمر الأول صفحة ٣٢ قوله : « أقلد جميع الصحابة ولا أستعجز خلافتهم برأيي إلا ثلاثة نفر أنس بن مالك وأبو هريرة وسمرة بن جندب ... وأما أبو هريرة كان يروى كلما سمع من غير أن يعامل في المعنى ومن غير أن يعرف الناسخ من المنسوخ »

« انقيس كوله زير هذا القول في كتابه (الظاهرية) صفحة ٧٩ ولكن بدون إشارة إلى القيد المذكور ، فأبو حنيفة لم يرتب في وثائق أبي هريرة ولكنه ارتاب في قيمة أحاديثه باعتبارها أركاناً فشرية »

« ٢ حلقة أبي حنيفة : على أن ارتياب أبي حنيفة وأتباعه في قبول كلام أبي هريرة كان مبنياً على ارتيابهم في وثائقه . فقد نقل الحميري في كتاب الجوهان أنه وقع خلاف بين بضعة من رجال الافقاء في جامع ببغداد ، فأنكر الحنفيون الاستشهاد بأبي هريرة لاشتباهم في صدق روايته ، وكان الخليفة هارون الرشيد في جانب الفريق المرتاب » اهـ

هذا ما قاله الطاعن بنصه على ما فيه من التلط والتعريف والابهام من وجوه :
(منها) أن مجموعة الرسائل ليست للنزالي وإنما هي رسائل لكثير من قبله وبعده
(ومنها) أن كتاب المؤمل في الرد إلى الأمر الأول ليس للنزالي كما توهمه عبارته
(ومنها) أن قوله « أقلد جميع الصحابة » الخ منقول في كتاب المؤمل عن أبي حنيفة . وظاهر عبارة الطاعن أنه للنزالي لأنه هو الذي سبق ذكره في كلامه . ولهذا يتوجب من يرى لاحق كلامه وذكره فيه لاني حنيفة

(ومنها) أن الأصل (يروى كل ما سمع) لا (كلما سمع) كما حكى الطاعن والفرق بينهما معروف لكل من له إلمام بالعربية

(ومنها) أنه أورد شبهة واحدة ؛ وإنما عقد العنوان لشبهات متعددة ، ولكنه قسم هذه الشبهة إلى قسمين (أحدهما) ادعاؤه ان أبا حنيفة لا يحتاج بالأحاديث التي يرويها أبو هريرة (والثانية) ان أتباعه كذلك لا يحدسون بها

ولعلنا لو راجعنا عبارة حياة الحيوان لاستخرجنا من نقله لها بالمعنى الذي اراده اغلاطا وتحريفات اخرى ، والفرض من هذا بيان ما قلناه اولاً من انه لا يوثق بنقله ولا بفهمه ، مع القطع بأنه يقصد الطعن لتشكيك المسلمين في الاسلام لا تمحيص الحقيقة ، ولكن بعض خطئه مما لا يهتدي عاقل الى تعليقه ، كنسبه كتاب المؤمل ومجموعة الرسائل الى الغزالي ١١

أما الجواب عن هذه الشبهة فهي أن أبا حنيفة لم يظن في رواية أبي هريرة بهذه العبارة ولا بغيرها ولم يسمه بالكذب ، وهذه العبارة التي فسرهما الطاعن بهواه لا بما تدل عليه في عرف الفقهاء لا تنهض حجة له ، فالتقليد عند علماء الشرع هو العمل برأي المقلد (بفتح اللام) لا بروايته ، لا خلاف بين المذاهب في هذا . فأبو حنيفة يقول في هذه الرواية عنه انه يقدم رأي الصحابي على رأيه — أي رأيه الذي ينبطه من الكتاب أو السنة بالقياس — الا رأي هؤلاء الثلاثة ، وعلم ذلك بقوله « أما أنس فاختلط في آخر عمره وكان يقي من عقله وأنا لا أقلد عقله ، وإما أبو هريرة فكان يروي كل ما سمع من غير أن يتأمل في المعنى ومن غير أن يعرف الناسخ والمنسوخ » فقد صرح بأنه كان يروي ما سمعه وهذا ينفي اتهامه بأنه يكذب ، وصرح بأنه ما كان يقصد من الرواية استنباط الاحكام منها بالتأمل في معاني الاحاديث والبحث عن الناسخ والمنسوخ منها ليقدم الاول عند التعارض ، وحاصل ذلك انه راو غير مستنبط فيؤخذ بروايته لا برأيه وفهمه . وهذا صحيح فان ابا هريرة كان يقصد بحفظ الحديث اولاً بروايته والاكتفاء به بنفسه ، وثانياً نشر السنة وايصالها الى الناس ليبتدوا بها بحسب اجتهادهم عملاً بوصية النبي صلى الله عليه وسلم المشهورة في خطبة حجة الوداع اذ قال « ليلغ الشاهد الغائب فان الشاهد عسى أن يبلغ من هو اوعى له منه » وفي رواية « رب مبلغ اوعى من سامع » وكتاتهما في البخاري وغيره . وفي معنى هذا الحديث ما رواه الترمذي والنسائي من حديث زيد بن ثابت مرفوعاً « نضر الله امرأ سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره فرب حامل فقه الى من هو أفقه منه » ورب حامل فقه ليس بفقيه »

والرواية الاخرى عن أبي حنيفة وهي الاشهر انه قال : أقلد من كان من القضاة

المفتين من الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي والعبادة الثلاثة ولا أستجيز خلافتهم برأيي الا ثلاثة نفر . — وذكرهم — والمراد بالعبادة الثلاثة عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر . وقد ترك الطاعن نقل هذه الرواية من كتاب المؤمل ، لانها أظهر في المراد الذي يبناه ، وأبعد عن التحريف الذي ادعاه .

وما زعمه من رد الخنفية الاستشهاد بحديث أبي هريرة لاشتباههم في صدق روايته اعتمادا على حكاية محرفة نسبها الى حياة الحيوان فهو باطل ، وهذه كتب الخنفية في الحديث والنقح تكذب هذه الدعوى ، وصاحب الدار أدري . ومذهب السواد الاعظم من الفقهاء المجتهدين ان رأي الصحابة ليس بحجة في الشريعة سواء كانوا فقهاء مستنطعين أو رواة ناقلين ، وانما الحجة في الرواية اذا صحت .

خلاصة الطعن في أبي هريرة والاجوبة عنه

ينحصر طعنه في أبي هريرة في ثلاثة أشياء — ١ — استكثار بعض الصحابة لروايته ، وقد بينا أسبابها المزيلة لاستغرابها ، — ٢ — توقع أبي هريرة لتكذيب بعض الناس له اذا هو صرح بكل ما سمعه . وقد بينا ان هذا خاص بما سمعه من أخبار الفتن التي اسر اليه النبي صلى الله عليه وسلم شيئا كثيرا منها ، ومثله في ذلك حذيفه ابن اليان ، وقد ذكر كل منهما بعض ما سمع تصريحا أو تلويحاً فوقه كما قال فكان من دلائل النبوة التي لا تحتمل التأويل — ٣ — ان الخنفية لا يحتجون بروايته وإنهم يعتقدون انه كان كاذبا — وهذه دعوى باطلة تكذيبها بالالوف من كتب المذهب والملايين من أتباعها

ويعارض هذه الشبهات الباطلة إجماع أئمة الفقه ومنهم الاربعة المشهورون على الاحتجاج بما صح عندهم من أحاديث أبي هريرة المرفوعة — وكذا المرسلة عند الجمهور — وثنا كثير من الصحابة ومن بعدهم على سعة حفظه وجودة ضبطه ، وقد ذكرنا بعضها

ومن الغريب ان أبا هريرة اغضب مروان بن الحكم الاموي — الذي كان أمير المدينة ثم صار أمير المؤمنين — وعرض أمامه تعريضا يقرب من التصريح بأن عشيرته هي التي تفسد على المسلمين أمرهم ، ولم يجد مروان كلمة يقولها فيه الا حكاية

قول من قال : أ كثر أبو هريرة . ولما جبهه بتد كبره . بنفي النبي صلى الله عليه وسلم لوالده (الحكم) من المدينة لم يعد الى تلك الكلمة ولا غيرها ، ولو وجد فيه مطمئنا قصر في التشنيع عليه به

وقد ورد ان مروان امتحنه لعله يعثر عثرة يؤاخذ به . قال الحفاظ في الاصابة : وقال أبو الزبيرة كاتب مروان : أرسل مروان الى أبي هريرة فجعل يحدثه وكان اجلسني خلف السرير اكتب ما يحدث به ، حتى اذا كان في رأس الحول أرسل اليه فسأله وأمرني ان أنظر فما غير حرفاً عن حرف . اهـ

فيا ليت شعري ماذا كان يقول هذا الطاعن لو نقل أن أبا هريرة غير أو بدل أوزاد أو قص في الاحاديث التي حدث بها مروان — واذ لعاقبه مروان وشهر به حتى لا يقبل أحد حديثه — أو لو طعن في دينه وإيمانه غير مروان ؟ بل ماذا يقول هو وسائر دعاة النصرانية لو نقل ان النبي صلى الله عليه وسلم طرده كما طرد المسيح عليه السلام بطرس وسماه شيطانا وهو كبير تلاميذه ورسله ؟ ففي الفصل ١٦ من انجيل متى انه طوبه وجعله الصخرة التي يبنى عليها كنيسه وقال له (١٩) واعطيك مفاتيح ملكوت السموات فكل ما تربطه على الارض يكون مربوطا في السموات وكل ما تحله على الارض يكون محلولا في السموات (قال متى) ٢٠ حينئذ أوصى تلاميذه ان لا يقولوا لأحد انه يسوع المسيح ٢١ من ذلك الوقت ابتداء يسوع يظهر لتلاميذه انه ينبغي ان يذهب الى اورشليم ويقاتل كثيرا من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويقتل وفي اليوم الثالث يقوم ٢٢ فأخذه بطرس اليه وابندأ ينهره قائلا حاشاك يا رب

٢٢ فالتفت وقال لبطرس اذهب عني يا شيطان ، أنت معتره لي لأنك لاتهتم بما لله

لكن بما للناس)

فهذه الشهادة على بطرس وهذا اللقب كان على رواية متى بعد تلك المنحة والخصوصية التي خصه بها ، فهل نسختها أم يجوز الجمع بينهما ؟ نحن نجعل حوارني المسيح ولا نؤمن بهذه الرواية حتى نحتاج الى الجواب عنها . وفي متى (١٤ : ٣١) ان المسيح قال لبطرس أيضا « يا قليل الايمان » وفي ١٧ : ٢٠ وصف التلاميذ كلهم (المتار: ج ١) (٧) (المجلد التاسع عشر)

بعدم الإيمان وانه ليس لهم منه ولا مثل حبة خردل . ومثل هذه الشهادة متعددة في غيره من الاناجيل . حتى ان منها ما جاء بصيغة المستقبل كقوله لهم بعد ما رأوا آية إطعام خمسة آلاف من خمسة أرغفة « أنكم قد رأيتموني ولستم تؤمنون » (يوحنا ٦: ٣٦) وكما وصفهم بعدم الإيمان وصفهم بأنهم أشرار ، روى ذلك لوقا في (١١ : ١٣) من انجيله

ثم ياليت شعري لو وصف النبي صلى الله عليه وسلم أبا هريرة بمثل هذين الوصفين — أولو وصف بذلك في كتاب الله المجيد — ماذا كان يقول فيه وفي روايته هذا المبشر المحترم والقس الجدل الذي وضعته جمعيته في أشهر البلاد الاسلامية بالعلم لخصم المسلمين فيها؟ وهل يقبل منا أن نقول له لماذا تقبل رواية تلاميذ المسيح بلا سند مع وصف المسيح لهم بما ذكر وهو المعصوم من الخطأ — ولا نسمح اننا بقبول رواية أبي هريرة ولم يجرحه من دون المسيح بمثل ذلك ؟ (لارد بقية)



التعريف بكتابي

منازل السائرين ومدارج السالكين

وترجمته مؤلفهما

(بيان وجه الحاجة الى تحرير التصوف ومكانة الكتابين والشيخين منه)

علماء الاسلام أربعة أصناف : أهل الأثر والمتكلمون والصوفية والفقهاء . والتفسير مشترك بينهم ففي كل صنف منهم مفسرون . ونقول باعتبار آخر : ان علماء الاسلام صنفان علماء الأثر وغيرهم ، أو علماء المنقول وعلماء العقول ، ومن كل صنف مفسرون وفقهاء . ولا يكاد يكون الأثري متكلماً ، وقد يكون صوفياً في النادر . والأثري الفقيه اذا احتج بالقياس قائماً يحتاج بما كانت علته ثابتة في الكتاب أو السنة ثم إن علم الأثر ينقسم الى علم الرواية وعلم الدراية ولا يتم نفع أحد العلمين الا

بالآخر، فمن اتقن علم الرواية بحفظ الأثر أو الحديث وضبطه ومعرفة رواته وعمله والتمييز بين الصحيح وغيره منه ولم تكن له دراية تامة بفهمه والاستنباط كان جل النفع بعلمه لغیره ، وهو اذا خاض في معاني الحديث بغير استعداد تام لفهمه فانه ربما بضل وبُضل كثيرا ، وفي مثله ورد الحديث الصحيح « نضر الله امرأ سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه غيره ، فرب حامل فقه الى من هو أفقه منه ورب حامل فقه ليس بفقيه » رواه الترمذي والضياء من حديث زيد بن ثابت . وفي معناه حديث « نضر الله امرأ سمع منا شيئا فبلغه كما سمعه فرب مبلغ أوعى من سامع » رواه احمد والترمذي وابن حبان من حديث ابن مسعود . وأما من لم يتقن علم السنة من المتكلمين والفقهاء والصوفية فضلالهم وإضلالهم أشد

وقد وجد في كل طائفة علماء أعلام خدموا الاسلام أجل خدمة ، فصالحو المتكلمين خدموه بدفع شبهات الملاحدة وكثير من المبتدعة ، على ان بعض الشبه والبدع ما جاءت الامن علمهم المبتدع ، وانما ينتفع بعلمهم من جمع بينه وبين علم السنة . وصالحو الصوفية خدموا الاسلام ببيان حكم الشريعة وأسرارها وتربية الاخلاق والآداب ، ولكن البدع التي حدثت من قبلهم أكثر وأرسخ من سائر البدع التي حدثت في الاسلام ، وسبب ذلك الجهل بالسنة .

والفقهاء خدموا الاسلام باستنباط أحكام العبادات والحلال والحرام والاحكام المدنية والسياسية والتأديبية ، وقد جنى الجاهلون بالسنن منهم على الاسلام جناية عظيمة بما أحدثوا بأقيستهم البعيدة عن نصوص الشريعة ومقاصدها من الاحكام الكثيرة المنافية ليسر الدين ورفع الحرج منه

تفرق المسلمون بهذه العلوم الى فرق وأحزاب كثيرة كل ينتحل مذهبا ينتصر له ويدافع عنه ، فكانت جناية الخلاف على الاسلام وأهله أشد ضررا مما أخطأ به كل فريق منهم . وقد رد بعضهم على بعض ردودا كان بعدها كل منهم من التعصب أو من باب « من جهل شيئا عاده » والحق انه قلما يخلو رد طائفة على أخرى من ذلك . ومنشأ الخطأ والضرر الا بتر هو التزام مذهب والرد على مخالفه ، فان هذا هو اتباع الموى ، وأهله هم أهل الاهواء ، وان سموا أنفسهم بأفضل الاسماء

أما أهل الحق الذين لا يدخلون في عموم (الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون) فهم الذين يحملون كتاب الله تعالى وبما بينه من سنة رسوله صلى الله عليه وسلم فوق الخلاف، بل هو الحكم العدل في الخلاف، لانه تعالى أخبرنا انه أنزل الكتاب (ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه — وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم — فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه، والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم)

وأجدر هؤلاء المهديين ببيان التحقيق الذي يزيل انخلاف من كان جامعاً بين المنقول والمقول غير متعصب لمذهب من المذاهب التي تعزى الى أفراد العلماء. ولم نر في هذا الصنف أوسع علماً وأنهض حججاً وأقوى عارضة من شيخ الاسلام احمد ابن تيمية، وتلميذه الامام المحقق محمد بن أبي بكر الشهير بابن القيم أو ابن قيم الجوزية، فقد جمع الله لكل منهما من العلوم في علوم السنة حفظاً وفهما واستحضاراً واستنباطاً وبين التمكن من سائر العلوم التي دونت بالعربية ومذاهب الفرق وأدلتها، فيينا في كتبهما المنفعة ما أخطأ فيه الذين انحرفوا عن الكتاب والسنة من أهل هذه المذاهب، وقد كان ابن تيمية السابق الى تحرير تلك المسائل، وتلاه ابن القيم فكان الموضح المكل لها، والمستدرك المدرك لما فاتته منها

وأهم ما انفرد به ابن القيم فيما نعلم الاطالة بتحرير علوم الصوفية ووضع الموازين القسط امامهم وأذواقهم ومقاماتهم وأحوالهم بشرحه لكتاب [منازل السائرين] لشيخ الاسلام أبي اسماعيل الهروي

الصوفية ثلاث: صوفية الارزاق وصوفية الرسوم وصوفية الحقائق، ودرع الفريقين المتلدين يعرفها كل من له إلمام بالسنة والفقه. وإنما الصوفية صوفية الحقائق الذين خضعت لهم رؤوس الفقهاء والمتكلمين، فهم في الحقيقة علماء حكماء، ولكن ضل بما دخل في الاسلام من باب فلسفتهم الروحية، أضاعف من ضل بما دخل على المتكلمين وغيرهم من باب الفلسفة العقلية، من إلهية وطبيعية، وسبب ذلك ما بيناه آنفاً من جهل بعض شيوخهم بالسنة النبوية، فمن أصول الضلالة التي دخلت على المسلمين من باب التصوف المقلدة بين الحقيقة والشريعة، وجعل الأمر الكوفي القدري كالأمر

الشرعي في كون كل منهما يجب الرضا به والأذعان والاستسلام له ، ومن مفاسد هذا الأصل قولهم «من نظر إلى الخلق بعين الشريعة مقتهم ، ومن نظر إليهم بعين الحقيقة هذرم» ومن مفاسده الرضا بدمم مقاومة الأمراض والظلم وهضم حقوق الأفراد وحقوق الأمة . ومن مفاسده الجبر وسلب الاختيار ونهايك ما يتبعه من المفاسد والمضار . ومن أصول الضلالة التي دخلت من ذلك الباب جعل الفرق والحال من قبيل دلائل الشريعة وأصولها ، بل هو عند كثير من غلاتهم الركن الأعظم المقسم على كل ما يمارضه ، ومن فروع هذا الأصل ما ابتدعوه من الأذكار والاوراد والسماع وتمطيط القبور وجملوه من شعائر الاسلام فان محدثهم فيه انهم ذاقوا ما أثمره لهم من الحب والوجد والخشوع والبكاء والرغبة في الآخرة ، ومن أمثلهم «من ذاق حرف» وجعلوا ان مثل هذا الفرق حاصل للكفار فيما يأتونه في عبادتهم من الاغاني والانشيد وآلات العزف ، وما يشاهدونه في معابدهم ومقابرهم من الصور والتماثيل التي وضعت لحفهم من التزيين والكهنة وغيرهم من الصالحين عندهم ، فاذا كانت العبادة تشرع بالفرق ، فقد هضم حق الوحي وهضم أساس الشرع

ومن أصول تلك الضلالات دعوى ان قدين ظاهراً وباطناً مخالفاً لما بينهما الجمهور منه ، وهذه الضلالة من ابتداع زنادقة الباطنية وقد كانت سبباً لارتداد كثير من المسلمين فسكونت منهم طوائف الاسماعيلية والنصيرية والدروز والبابية البهائية والأزلية وغيرهم

ومنها أصل الأصول عند غلاتهم ، وهو ما يسيرون منه بوحدة الوجود بالمعنى الذي يمثل الكتاب المسمى (بالإنسان الكامل) وأمثاله وهذا الأصل مخالف لنصوص القرآن العريضة ، ولنصوص السنة الصحيحة ، وفيه مفاسد كثيرة جداً ، ولكن من الناس من يفهم وحدة الوجود على غير هذا الوجه .

قد افترقت كل فرقة انشقت من جماعة المسلمين وأهل كل مذهب خالفوا السنة وما جرى عليه سلفنا الصالح بفتنة أويل ما يخالف مذاهبهم وآراءهم من آيات الكتاب العزيز ومتون الأحاديث ، حتى انهم ليؤولون السنن العملية أو يمارضونها بروايت قولية شاذة أو منكرة ، وغلاة الصوفية أبرم الفرق في التأويل وأشدهم اسرافاً

فيه بعد الباطنية الذين يشبهون بهم كثيرا ، ذلك بأنهم لا يلتزمون في التأويل ما يلتزمه المتكلمون والفقهاء من عدم الخروج باللفظ عن حقيقته الا الى ضرب من ضروب المجاز أو الكناية ، بل يزيدون على ذلك باب الكشف وباب الإشارة وباب الرموز ، ولذلك نرى كلامهم ممزوجا بالآيات والاحاديث محرفة عن معانيها الصحيحة التي تدل عليها في اللغة ، ولا جله ترى كلامهم مقبولا عند الجماهير من غير تأمل ولا تفكر ، حتى ان المتكلمين والفقهاء ما عادوا ينكرون عليهم شيئا كما كان السلف ينكرون على كل من يخالف ظواهر النصوص أو يبتدع في الدين ما لم يكن في الصدر الاول

فن تدبر ما ذكرنا علم ان تحرير علم التصوف شيء لا يستطيعه الا من كان راسخا في علم الكتاب والسنة أتم الروح ، وعارفا بالتصوف معرفة علم وذوق وعمل ، وقد ادخر الله تعالى هذا للعالمين العاملين العارفين الذائقين المفسرين المحبذين — شيخ الاسلام أبي اسماعيل الهروي الانصاري ، ومحقق الاسلام ابن القيم الدمشقي — فالاول عالم أثري غلب عليه التصوف ، والثاني صوفي ذائق غلب عليه علم السنة ، جمع الاول زبدة التصوف جمعا موجزا في كتابه [منازل السائرين] وشرحه الثاني وبين ماله وما عليه في كتابه [مدارج السالكين] وهما نحن أولاء نقل من كتب العلماء ترجمة وجيزة لكل من الشيخين ، ونقفي عليها بالتعريف بكل من الكتابين :

﴿ ترجمة شيخ الاسلام الهروي ﴾

جاء في حوادث سنة ٤٨١ من كتاب (شذرات الذهب) ما نصه :
وفيهما توفي أبو اسماعيل شيخ الاسلام الانصاري الحنبلي عبد الله بن محمد بن علي الهروي الصوفي القدوة الحافظ أحد الاعلام ، توفي في ذي الحجة وله ثمانون سنة وأشهر

سمع من عبد الجبار الجراحي وأبي منصور محمد بن منصور الازدي وخلق كثير وبنيسابور من أبي سعيد الصيرفي واحمد السليطي صاحبي الاصم ، وكان قدي في أجن المبتدعة وسبقا على الجمجمة. وقد امتحن مرات. وصنف عدة مصنفات، وكان

شيخ خراسان في زمانه غير مدافع ، قاله في العبر

ومن شعره

سبحان من أجل الحسنى لطالبها حتى اذا ظهرت في عبده مدحا
ليس الكريم الذي يعطي لمدحه ان الكريم الذي يثني بما منحنا
وجاء في أول حرف العين من (الكواكب الدرية) في طبقات الصوفية للمناوي :
« عبدالله بن محمد بن علي شيخ الاسلام ابو اسماعيل الانصاري الهروي الحافظ
العالم العارف الصوفي صاحب [منازل السائرین] كان اماما في التفسير والحديث ،
حسن السيرة^(١) في التصوف والعربية والتاريخ والانساب وغير ذلك . وكان لا يخاف
في الله لومة لائم ولذلك^(٢) في هلاكه مرارا لحفظ منهم . وكان آية في التذكير
والوعظ . مات سنة احدى وثمانين وأربعمائة » اهـ

وذكره الحافظ الذهبي في كتاب العلو وجعل عنوانه « شيخ الاسلام الانصاري »
ولقبه بالامام الكبير ، على كونه لم ينقم منه سوى تأليفه اكتاب المنازل وقال فيه مانصه :
« كان ابو اسماعيل آية في التفسير ، رأسا في التذكير ، علما بالحديث وطرقه ،
بصيرا باللغة ، صاحب أحوال ومقامات ، فياليت لا ألف كتاب المنازل فيه اشياء
منافية للسلف وشمالهم ، قيل انه قد علم على تفسير (ان الذين سبقت لهم منا الحسنی)
ثلاث مئة وستين مجلسا . وقد هدد باقتل مرات ليقصر من مبالغته في إثبات
الصفات ، وليكف عن مخالفه من علماء الكلام ، فلم يرعو لتهديدهم ، ولا خاف من
وعيدهم ، ومات في سنة احدى وثمانين وأربعمائة ، وله خمس وثمانون سنة ، سمع
من عبد الجبار الجراحي وابي سعيد الصبري وطبقتهما »

﴿ ترجمة محقق الاسلام ابن القيم ﴾

قال العلامة السيد نعان خير الدين ابن الآلوسي البغدادی في كتابه (جلاء
العینین) :

العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي

(١) لعله سقط شيء من هنا (٢) وهنا كلمة ممحوة في الاصل لعلها : سمي علماء الكلام

ثم الدمشقي الفقيه الحنبلي المفسر النحوي الاصولي المتكلم الشهير بابن قيم الجوزية. قال في الشذرات: بل هو المجتهد المطلق. قال ابن رجب: ولد شيخنا سنة احدى وتسعين وستمائة ولازم الشيخ تقي الدين ابن تيمية وأخذ عنه وتفنن في كافة علوم الاسلام وكان عارفاً في التفسير لا يجارى فيه، وبأصول الدين واليه فيه المستهى، والحديث ومعانيه وفقهه ودقائق الاستنباط منه لا يماحق في ذلك، وبافقه والاصول والعربية وله فيها اليد الطولى، وبعلم الكلام والتصوف. حبس مدة لانكاره جسد الرحيل الى قبر الخليل، وكان ذا عبادة وتهجد وطول صلاة الى الغاية القصوى، ولم أشاهد مثله في عبادته وعلمه بالقرآن والحديث وحقائق الايمان، وليس هو بالمعصوم ولكن لم أر في مقامه مثله. وقد امتحن وأوذى مرات وحبس مع شيوخه شيخ الاسلام تقي الدين في المرة الاخيرة بالقامة منفرداً عنه ولم يفرج عنه الا بعد موت الشيخ، وكان في مدة حبسه مشغولاً بتلاوة القرآن والتدبر والتفكير ففتح عليه من ذلك خير كثير، وحصل له جانب عظيم من الاذوق والمراحم الصحيحة، وتسلط بسبب ذلك على الكلام في علوم أهل المعارف والخوض في غوامضهم وتصانيفه بمثلثة بذلك، وحنج مرات كثيرة وجاور بمكة، وكان أهل مكة يتعجبون من كثرة طوافه وعبادته، وسمعت عليه قصيدته النونية في السنة وأشياء من تصانيفه غيرها، وأخذ عنه العلم خلق كثير في حياة شيخه، والى أن مات وانتفوا به. قال القاضي برهان الدين الزرعي: وما تحت أديم السماء أوسع علماً منه، ودرس بالصدرية وأم الجوزية، وكتب بخطه ما لا يوصف كثرة، وصنف تصانيف كثيرة جداً في أنواع العلوم وحصل له من الكتب ما لم يحصل لغيره

فمن تصانيفه: تهذيب سنن أبي داود وايضاح مشكلاته. وسفر المعجزتين. ومراحل السائرين. والكلم الطيب. وزاد المسافرين، وزاد المعاد أربع مجلدات، وهو كتاب ابل. وكتاب نقد المنقول. وكتاب أعلام الموقعين عن رب العالمين، ثلاث مجلدات. وكتاب بدائع الفوائد مجلدان. النونية الشيرة بالشافعية الكافية. الصواعق المرسلة على الجهمية والملطلة. حادي الارواح الى بلاد الافراح. ونزهة المشاقين. وكتاب الداء والدواء. وكتاب بفتح دار السعادة بمحمد ضخم غريب

الاسلوب . واجتماع الجيوش الاسلامية . وكتاب الطرق الحكيمة . وكتاب عبادة الصائرين . وكتاب اغاثة الالهفان . كتاب الروح . وكتاب الصراط المستقيم . والفتح القديمي . والتحفة الحكيمة . والفتاوى ، وغير ذلك . توفي ثالث عشر رجب سنة احدى وخسين وسبعمائة ، ودفن بمقبرة الباب الصغير بعد ان صلي عليه بمواضع عديدة ، وكان قد رأى قبل موته شيخه تقي لدين في الزوم وسأله عن منزلته فأشار الى علوها فوق بعض الاكابر ، ثم قال له : وأنت كدت تلحق بنا ولكن أنت الآن في طبقة ابن خزيمة ، رحمهم الله تعالى . انتهى باقتصار

مكة كتاب منازل السائرين

جاء في كشف الظنون مانصه :

(منازل السائرين) أوله « الحمد لله الواحد الاحد » الخ . وهو لشيخ الاسلام عبد الله بن محمد بن (علي أبو) اسماعيل الانصاري الهروي الحنبلي الصوفي المتوفى سنة ٤٨١ إحدى وثمانين وأربعمائة . وهو كتاب في أحوال السلوك قال فيه : هذه المقامات يجمعها رتب ثلاث : الأولى اخذ المريد في السير ، الثانية دخوله في الغربة ، الثالثة حصوله على المشاهدة الجاذبة الى عين التوحيد . الغه حين سأله جماعة من الرافعين في الوقوف على منازل السائرين الى الحق من أهل هراة فأجاب ، ورتبه لهم فصولا وأبوابا ، وجعله مائة مقسومة على عشرة أقسام ، كل منها يحتوي على عشرة مقالات ، « وقد شرحه جماعة منهم الشيخ كل الدين عبد الرزاق الكاشي المتوفى سنة ٧٣٠

ثلاثين وسبعمائة لغياث الدين محمد بن رشيد الدين محمد بن محمد بن طاهر الوزير ، أوله « الحمد لله الذي خص العارفين بمعرفة ما لا يعرفه الا هو » الخ . وذكر الكاشاني ان النسخ كانت مختلفة وألفاظها متباينة حتى ساق الى القدر نسخة مقرونة على النصف موشحة بإجازة بخطه ، قل وهو كتاب فاق على كل ما صنف في هذه الطريقة وشرحه المولى شمس الدين محمد البنادكاني الطوماني المتوفى سنة ٨٩١ إحدى وتسعين وأربعمائة وهو شرح ممزوج بالفارسية سماه (تسنيم المنير) في شرح منازل السائرين وشرحه محمود بن محمد الدرگزني المتوفى سنة ٧٤٣ ثلاث وأربعين وسبعمائة سماه (تنزل السائرين) ولاحمد بن ابراهيم الواسطي المتوفى سنة ٧١١ إحدى عشرة وسبعمائة شرح نافع (المنار : ج ١) (٨) (المجلد التاسع عشر)

« ولشمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية الدمشقي المتوفى سنة ٧٥١ إحدى وخمسين وسبعمائة شرح سماء (مدارج السالكين) وهو شرح مبسوط . وعلق عليه أبو طاهر محمد بن أحمد الفيشي المتوفى سنة ٧٤٧ سبع وأربعين وسبعمائة ؛ وترجمه الشيخ مصلح الدين المعروف بابن نور الدين المتوفى سنة ٩٨١ إحدى وثمانين وتسعمائة بالتركية ؛ واختصرته الشيخة عائشة بنت يوسف الدمشقية وسمته (الاشارات الخفية في المنازل العلية) وشرحه الشيخ الامام عبد الغني التلمساني . وشرحه أيضا الشيخ الامام سليمان بن علي بن عبد الله التلمساني الصوفي المتوفى سنة ٦٩٠ تسعين وتسعمائة بأمر الشيخ الزاهد ناصر الدين أبي بكر بن فليح وهو شرح أوله « الحمد لله الذي روحنا بالحمد » الخ اهـ

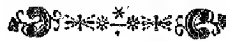
مكاتب كتاب مدارج السالكين

مصنفات ابن القيم في كتب علماء الاسلام نادرة ، وكتاب مدارج السالكين في كتب ابن القيم نادرة ، فاذا كان كل كتاب منها ممتازا بتحقيق وإحاطة في مباحث العلوم فلا يستغنى عنه بغيره في الجملة ، فكذلك مدارج أولى بأن لا يستغنى عنه بغيره في الجملة ولا في التفصيل . ذلك بأن مباحث كل كتاب من تلك الكتب قد توجد مجملة أو مفصلة في كتبه الأخرى أو كتب شيوخه وغيرها من المحققين . وأما مباحث لمدارج فما يوجد منها في تلك الكتب قليل جدا ، فهو الكتاب الذي قد انفرد بتحرير علوم الصوفية ، ووزنها بميزان الكتاب العزيز والسنة النبوية ، وما كان عليه صفوة المسلمين في الصدر الأول . قدر الله تعالى أن يجمع مباحثها له امام من أكبر أئمتهم المعتمدين في أوجز عبارة ، وألطف إشارة ، يعز على غيره الحكم لها وعليها ، بل يقل في الناس من يفهم الغايات التي ترمي إليها ، وأما أحجم غير ابن القيم من علماء السنة الاعلام عن شرح كتاب المنازل بمثل ما شرحه به ، أو إنشاء كتاب مستقل في موضوعه ، لأن الصوفي القح منهم — وهو قليل — لا يرجي منه احسن مما جاء به الهروي ، والبعيد عن التصوف منهم لا يفهم رموزهم ومقاصدهم ، ولا يدرك أحوالهم وأذواقهم ، فهو اما أن يحكم عليهم بالتضليل ، أو يعذرهم بضرب من التأويل ؛ ألم تر الى الحافظ الذهبي كيف تمنى لو لم يؤلف الانصاري كتاب المنازل ، ولو لم

يكن من أكبر علماء التفسير والحديث ، ومقاومي الجهمية وغيرهم من أهل التعطيل والتأويل ، لفضله بهذا الكتاب تفضيلا

إذا كان لكتاب المدارج عيب يوقيه من العيب فعيبه أن أكثر ما فيه من الاحاديث غير معزولة الى مواضعه من دواوين السنة ، خلافا إعادة مؤلفه وأمثاله كأن العدوى سرت الى مصنفه من كتب التصوف ، ولكن لم يصل فعلها فيه الى ايراد الاحاديث الموضوعية ، أو الاستدلال بالاحاديث المنكرة والضعيفة ، فان هذا لا يأتي من آري محقق مثل ابن القيم

وجملة ما نقول في هذا الكتاب أنه أفضل ما عرفنا وسمعنا به من كتب التصوف والاخلاق الدينية ، وقد فند ما ذكرنا وما لم نذكر من دخائل كتب التصوف وبدعها فهو غاية الغايات في هذا الباب ، والله أعلم بالصواب . والحمد لله الذي وفقنا لطبعه ونشره ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه



أعظم معركة بحرية بين أعظم أساطيل العالم

نشرت الحكومة الانكليزية في ٣ يونيو ١٩١٦ بلاغا رسميا في مصر هذا نصه :
كما نشر في المقطم وغيره :

أعلنت وزارة البحرية البريطانية أنه بعد ظهر يوم الاربعاء في ٣١ مايو حاول الاسطول الالماني الاكبر أن يخترق نطاق الحصار البحري الذي ضربناه على المانيا لجاء من جهة بحركات قاصدة دخول البحر الشمال وكان هذا الاسطول مؤلفا من
أساطيل الدردنوطات والطرادات الكبرى والطرادات والمدمرات الخ

فانبرى له أسطول من الطرادات البريطانية الكبرى تعززه الطرادات والمدمرات واحتدم القتال بين الفريقين وأسفرت المعركة عن خسارة عظيمة من الجانبين

وبعد مدة وجيزة وصل أسطول الدردنوطات البريطانية الى مكان المعركة فبكف العدو عن القتال وعادت بوارجه قاصدة الموانئ الالمانية

وقد اغرقت البوارج الالمانية التالية وهي

بارجة دردنوط من طرز « كبرز » نسفت نسفا و بارجة أخرى من الطرز عينه أغرقت بنار المدافع

أما الطرادات الألمانية الثلاثة الكبرى التي قاتلت في المعركة (وينبنا الطراد العظيم لتزوف والطراد العظيم درفلنجر على ما يظن) فقد نسفت واحد منها وعطل الثاني ووقف عن الحركة ورؤي الثالث مصابا بعطل كبير

ورؤي طراد ألماني من الطرادات الخفيفة وهو يفرق ، ومما يجدر ذكره أن الألمان اعترفوا بضياح ثلاثة من طراداتهم الخفيفة وهي فرونلوب وفسبادن وبومون وغرقت ست مدمرات ألمانية وفتحت غواصة ألمانية فأغرقت

هذه الخسارة التي أرسل القائد العام للأسطول البريطني خبرها كما رؤيت ولكن ثلاث بوارج ألمانية من البوارج الكبرى أصيبت بعطب كبير والمرجح أن العدو أصيب بخسارة أخرى لم يستطع أسطولنا رؤيتها بسبب صعوبة الرؤية من جراء الأحوال الجوية والظاهر أن المعركة دارت في آخر الامر والبوارج الألمانية تفجذ في السير وقد ساقها البريطنيون أمامهم من السكوا الى مصب نهر الااب

أما خسارة الاسطول البريطني فهي من الطرادات الكبرى « كوين ماري » و « انسفيتجايل » و « وأنفنسبل » ومن الطرادات « دقنس » و « بلاك برنس » وهذه البوارج الخمس أغرقت ، والطراد « واريور » وقد تعطل فتركناه وشأنه ، ومن المدمرات « تبراري » و « تريولنت » و « فرنشون » و « وسبرهوك » و « أردنت » وثلاث مدمرات أخرى ضاعت . ولم يفرق للبريطانيين شيء من بوارج الدردنوط ولا من الطرادات الخفيفة

وقد وقع عب القتال قبل وصول الاسطول البريطني الاكبر على قسم من أسطول الطرادات الكبرى البريطانية فقاتل هذا القسم أسطول العدو الاكبر وأصيب بالخسارة المتقدمة وهو يقاتل أسطولا يفوقه كثيرا في قوة البوارج وعددها

وقد شرح كل من المقطم والاهرام هذا البلاغ شرحا صرحا فيه بأن الطرادات الكبرى التي غرقت من نوع الدردنوط أيضا وقد أثرقا شرح الاهرام للخسائر وهذا نصه

خسائر الألمان

جاء في البلاغ البريطاني ان الألمان فقدوا بارجتين من طراز « كيزر »^(١) احدهما نسفت نسفاً والاخرى اغرت بنار المدافع

ومحمول كل بارجة من هذه البوارج ٢٤٧٠٠ طن وهي من بوارج الدردنوط الألمانية وسلاحها ١٠ مدافع قطر ١٢ بوصة و ١٤ مدفعا قطر ٦ بوصات و ١٢ مدفعا قل ٢٤ رطلا و ٤ ثقل ٢٤ رطلا وهي لقاذوة الطائرات وفيها ٥ انايب للطوربيد (الواحدة ٢٠ بوصة) مغمورة بالمياه ٤ منها في جانبها وواحدة في المؤخرة

وقد بنيت بوارج الدردنوط الألمانية التي من طراز « كيزر » (لقب الامبراطور) سنة ١٩١٢ — ١٩١٣ وعددها خمس وهي « كيزر » و « فردريك درجروس » و « كيزرين » و « برنس رجنر لويتبولد » و « كوينج البرت » فاذا كانت اثنتان قد دمرتاهما جاء في البلاغ ان يكون الباقي عند الألمان من هذا الطراز ثلاث

وليس عند الألمان أكبر من هذه البوارج سوى ثلاث محمول الواحدة منها ٢٨ ألف طن وهي « أرزاس فردريك الثالث » و « أرزاس ورث » و « T » وأربع محمول الواحدة ٢٥ ألف طن وهي « أرزاس براندنبرج » و « كوينج » و « جروس كورفرست » و « مرجراف »

وأما الطرادات الألمانية التي يقول البلاغ ان منها لتزوف ودرفلنجر فهي من طرادات القتال الكبرى وليس لدى ألمانية منها سوى ثلاثة وهي « درفلنجر » و « لتزوف » و « أرزاس هرتا » ومحمولها ٢٨ ألف طن وسلاحها ٨ مدافع قطر ١٢ بوصة و ١٢ مدفعا قطر ٦ بوصات و ١٢ مدفعا ثقل ٢٤ رطلا و ٥ انايب للطوربيد (٢٢ بوصة) مغمورة بالمياه أربعة منها في الجوانب وواحدة في المؤخرة

أما الطرادات الثلاث التي يعترف الألمان بضياعها فهي

١ — بومرن ومحمولها ١٢٢٠٠ طن وسلاحها ٤ مدافع قطر ١١ بوصة و ١٤ مدفعا قطر ٦ ر٧ بوصة و ٢٠ مدفعا ثقل ٢٤ رطلا و ٤ ثقل رطل واحد (أي ثقل

(١) المنار : تعريب كيزر قيصر ، والألمان يطلقون لقب قيصر على عاملهم كالروس

مقدونها (وأربع مدافع رشاشة و ٦ أنابيب للطوربيد مغمورة بالمياه في جوانبها وفي المقدمة والمؤخرة . وللامان من هذا الطراز أربع بوارج أخرى وهي « دنشلد » و « هنوفر » و « شلسويج هولستين » و « شلسين »

٢ — فرونلوب وهو طراز صغير محموله ٢٧١٤ طنا وسلاحه ١٠ مدافع قطر ٤ بوصات و ١٠ مدافع ثقل رطل و ٤ مدافع رشاشة وأنبوبان للطوربيد مغموران تحت الماء .

٣ — « وستفالن » وهي دردنوط كبيرة ومن طراز « نساو » ومحمولها ١٨٠٠ طن وسلاحها ١٢ مدفعاً قطر ١١ بوصة و ١٢ قطر ٦ بوصات و ١٦ ثقل ٢٤ رطلا و ٦ أنابيب للطوربيد في المقدمة والمؤخرة والجانبين مغمورة تحت الماء . ولا لمانيا من هذه الطراز أربع بوارج فقط وهي [وستفالن . نساو . وبوزن . وريتلاند]

وخسر الالمان عدا ما تقدم ست مدمرات لم تذكر أسماؤها
هذه خسارة الاسطول الالماني ولا نستطيع تقدير خسارة الانفس لعدم التحقق من عدد البوارج والطرادات التي اغرقت تماماً بمن فيها على انا اذا سلمنا بأنه لم يفرق سوى بومرن وفرونلوب ووستفالن وهي الثلاث التي اعترف الالمان انفسهم بضياعها فلا تقل خسارتهم في الرجال عن الف رجل في وستفالن و ٨٠٠ في بومرن و ٢٥٠ في فرونلوب (أي ٢٠٥٠)

خسارة البريطانيين

أما خسارة الاسطول البريطاني فاذا بحثنا فيها فإما ندكر أمورا صحيحة اعتمادا على البلاغ الذي لدينا فلا وجه للحدس والتخمين ولا للظن والشك وهذا بيان الخسائر على ما جاء في البلاغ وقد ذكرنا سلاحها منذ يومين فلانمود الى ذكره اليوم

محمولها	سرعتها	عدد
طن	عقدة	رجالها
كوبن ماري ٢٨٠٠٠	٢٨	١٠٠٠

محمولها	سرعتها	عدد
طن	عقدة	رجالها
انديفانجيل ١٨٧٥٠	٢٥	٧٩٠
انفنسيل ١٧٢٥٠	٢٦	٧٨٠
دقنس ١٤٦٠٠	٢٣٦٥	٨٥٠
بلاك برنس ١٣٥٥٠	٣٢٦٥	٧٠٤
ورور ١٣٥٥٠	٢٢٦٩	٧٠٤

٤٨٢٨

والبارجة كوين ماري هي من احدث الدردنوطات الكبرى . ولا يوجد أكبر منها في الاسطول البريطاني من حيث المحمول سوى ثلاث قطع وهي البارجة «ثيجر» ومحمولها ٢٨ النطن والبارجة « وورسبيت » والبارجة « فليانت » والبارجة « كوين البراث » ومحمول كل منهما ٢٧٥٠٠ طن على ان « كوين ماري » تمتاز عن الثلاث بوارج الاخيرة بسرعتها فهي تجتاز ٢٨ عقدة في الساعة بينما « كوين البراث » و « وورسبيت » و « فليانت » سرعة الواحدة منها لا تزيد على ٢٥ عقدة مثل « كوين ماري » وقد كانت البارجة « كوين ماري » من فرة الطرادات الكبرى في الاسطول الاكبر

ويظهر ان لعب القتال في هذه المعركة وقع على الاسطول البريطاني الذي كان في البحر الابيض المتوسط وهو الآن في البحر الشمالي فان الطرادات [انديفانجيل] و [انفنسيل] و [دقنس] و [بلاك برنس] و [وورور] جميعها كانت من هذا الاسطول ولضباط هذه البوارج اصدقاء عديدون في الاسكندرية و بور سعيد والسويس وغيرها من موانئ البحر المتوسط سيحزنون لما أصابهم وبأسفون أشد الاسف لفقدهم . وقد ظل (بلاك برنس) مدة طويلة في مياه البحر الاحمر وخليج السويس بعد شوب هذه الحرب واسر جملة بواخر من بواخر الاعداء في أوائلها أما المدمرات الانكليزية التي غرقت وهي [فرتشوت] و [سباروهوك] و [اردنت] و [تيراري] فهذه جميعها من المدمرات الاوقيانوسية وقد بنيت عام

١٩١٣ وطول الواحدة منها ٢٦٠ قدما ومجولها ٩٣٥ طنا وسرعته ٣١٧ عقدة في الساعة وسلاحها ٣ مدافع قطر ٤ بوصات وأنبوبان للطوربيد وعدد رجال الواحدة منها مئة رجل

واعل الثلاث المدمرات الأخرى التي ضاعت ولم يذكّر اسمها في البلاغ من نوعها أيضاً، فيكون خسارة البريطانيين من الرجال في المدمرات نحو ١٧٠٠ هـ شرح الأهرام [المنار] ظاهر البلاغ الرسمي أن خسارة الأسطول الانكليزي أكبر من خسارة الأسطول الألماني . وقد ورد في البرقيات أن الألمان تبجحوا واقتخروا بهذه المعركة وخطب قيصرهم خطبة قال فيها الآن ألقينا الرعب في أعماق قلوب أعدائنا . ثم وردت برقيات أخرى بأن خسارة الألمان كانت أعظم مما ورد في البلاغ الانكليزي وفي بلاغاتهم الرسمية . وقد قال ناظر البحرية البريطانية إنه جازم بأن خسارة العدو لم تكن أقل من خسارتهم وأن لم يسهل بيان ذلك بالتفصيل . وصرح هو وغيره بما لا غراء فيه وهو أن الأسطول البريطاني لا يزال صاحب السلطان الأعلى على البحار

المنار

الدعوة إلى انتقاد

حرت عادتنا بأن ندعو قراء المنار في أول كل سنة إلى انتقاد ما يروونه منتقداً فيه بالشروط التي كررنا بيانها ، ونعني بقراء المنار هنا كل من أطلع عليه وقرأ شيئاً فيه لا المشتركين خاصة ، ونعد بأن نشر كل ما يكتب إلينا في ذلك بشروطه وأهم الشروط أن ينتقد القارئ للكلام ما يراه خطأً ويبين ذلك بالدليل من غير استطراد ولا تطويل

حجم المنار في هذه السنة

ذكرنا في الجزء الماضي أن قلة الورق اضطررتنا إلى أن نجعل كل جزء من أجزاء هذه السنة ثمانية كراريس (ملازم) وأننا إذا ظفرنا في أثناء السنة بورق كاف نجعل السنة اثني عشر شهراً فيكون حجم مجلد هذه السنة من سني الحرب كمجلد التي قبلها

مباحث هذا الجزء

ضمان هذا الجزء عما وعدنا به فيما قبله من كفاية مقالة في حال المسلمين الاجتماعية وحال أغنيائهم وسائر أصنافهم في التعاون على الأعمال النافعة ، وسننشر المقالة إن شاء الله في الجزئين الثاني والثالث

أوفى خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب
بؤنى الحكمة من بناء ومن يؤن الحكمة قد

المجلة

١٣١٥

أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب
فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتنبون أحسنه

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى وه مناراء كنار الطريق

مصر ١٥ رمضان ١٣٣٤ — ٢٣ السرطان (ص ١) ١٢٩٤ هـ ١٥ يوليو ١٩١٦

العصية الجنسية التركية

(وعاقبة قتل نابغي العرب بسورية)

لعلنا قد سبقنا جميع الكتاب الى بيان خطر العصية الجنسية على الدولة العثمانية في عصر الدستور فاننا أشرنا الى ذلك في أول مقالة كتبناها عند حدوث الانقلاب وعلان الدستور اذ كان جميع العثمانيين يصفقون طربا ويحسبون انهم نالوا السعادة صفوا من كل كدر، آمين من كل خطر . تلك المقالة التي جعلنا عنوانها (عيد الامة العثمانية بنعمة الدستور والحرية) ونشرناها في (ج ٦ م ١١) الذي صدر في ٢٩ جمادى الآخرة سنة ١٣٢٦ (٢٨ يوليو و ١٥ تموز) أي بعد اعلان الدستور بأربعة أيام . وقد جاء فيها بعد بيان مزايا هذه النعمة ما نصه :

« ان امامنا عقبات كثيرة (منها) ما يتوقع من مقاومة بعض الحكام الظالمين للحرية الجميلة التي يرقص لها طلاب الدستور طربا ، ويهمون بها شغفا (ومنها) ما هو أقرب الى الوقوع — كالنزاع بين الاحرار المستقلين ، وبين المتعصبين والمقلدين ،

(ومنها) مسألة الجنسية العثمانية ، وما يقف في طريقها من جنسيات الشعوب التي يتألف منها جسم الدولة العلية ، فمن المطالب بال نظر في ذلك ؟ »

ثم أنشأنا بعد شهر مقالة أخرى نشرناها في (ج ٧ م ١١) أوضحنا فيها خطر اختلاف الاجناس وشدة الحاجة الى تكوين جنسية عثمانية تتحد فيها جميع الاجناس والمثل ، وبيننا ان الواجب على أحرار الترك وعقلائهم ان يبدؤا بالدعوة الى ترك العصية الجنسية (اللغوية) ولا سيما زعماء جمعية الاتحاد والترقي منهم . لان دعوتهم هي التي يرجى ان تسمع ويستجاب لها . ثم كررنا الكتابة في ذلك كثيرا

وقد رأى الاتحاديون عقب الانقلاب باظهار الرغبة في الوحدة العثمانية وكراهة العصية الجنسية فحمدنا ذلك لهم كتابة وخطابة . ولكنهم ماعتموا ان نزعوا ثوب الرياء الشفاف بعد ان استقرت سلطتهم ، فنبذوا الجنسية العثمانية وراء ظهورهم ، ونهضوا بالجنسية التركية بفلسو واسراف وعجلة خارجة عن طور العقل . فنصحنهم أولا بالكتابة وبيننا لهم أن تحويل العربي عن عربية والأباني عن ألبانيته والارمني عن أرمنيته والرومي عن روميته مما يستحيل في هذا العصر ، وانه لو كان ممكنا لعذرناهم في محاولة تبريك جميع الشعوب العثمانية سياسة لادينا

ثم قصدت الى الاستانة للسعي الى منع التفريق بين العرب والترك وتأسيس مدرسة الدعوة والارشاد فيها ، ونشرت في جرائدها مقالات (العرب والترك) المعروفة تقراء المنار فجعلتها تميدا للسعي في الوفاق ومنع سريان التفريق الجنسي ، اذ بينت فيها ضرورة اتحاد هذين العنصرين مع محافظتهما على لغتهما ، وانه يجب أن يكونا كعنصري الهواء أو الماء في تكوينهما حقيقة واحدة — اعني الجنسية السياسية العثمانية — وبينت فيها أسباب الخلاف ومثارها في الاستانة وما أخطأت به وزارات الدولة وجرائد العاصمة وجمعياتها في ذلك فتمم العرب منها . فكان اول من شكر لي هذا السعي واهتم به ووعد ببذل نفوذه لتلافي الخلاف حسين حلمي باشا الصدر الاعظم في ذلك العهد ، وكان من سوء الحظ ان اجل صدارته لم يطل ، فصرت أراجع في هذه المسألة طلعت بك ناظر الداخلية الذي كانت — ولا تزال — ازمة الحكومة يسده فكان يعدني بتخصيص وقت للبحث معي في هذه المسألة

وانقضت السنة التي قضيتها في الآستانة ولم يبق بوعده ، على انه وفي لي بعدة جلسات في داره وفي الباب العالي للنظر في المسألة الاخرى — أي مشروع العلم والارشاد ، ولكن لم يكن لذلك ثمرة

وقد علمت في اواخر ايامي في الآستانة ان الاتحاديين قد صمموا على حل مسألة الجنسيات بالقوة القاهرة وانهم بدأوا بالتنكيل بالارنؤط وسيتلوم الارمن والعرب والاكراد . وقد كان هذا احد الباعثين لي على تلك الحملات الشديدة التي حتمت على جمعية الاتحاد والترقي في المارء والباعث الثاني هو الدين ولا بحث فيه الآن لم اكن انا الذي قاومت الجمعية بالكلام وحدي بل كانت المقاومة لهم بالقول والعمل على اشدها في الآستانة وسائر بلاد الترك حتى آلت الى تسلسل الالوف من جمعيتهم ، ثم الى قيام الاحزاب في مجلس الامة عليهم ، ثم الى تأييد الجيش لحزب الحرية والائتلاف في اسقاط وزارتهم ، ومما يجب ان يذكر انهم اعترفوا في اثناء ذلك الجهاد وبعده بأنهم كانوا يريدون تترك جميع عناصر الدولة وانهم رجعوا عن ذلك ولما عادت الوزارة اليهم باغتيال ناظم باشا ناظر الحرية في الباب العالي والقبض على كامل باشا الصدر الاعظم فيه هالكا الامر وخفنا من وقوع الفوضى في الآستانة والدولة في حال حرب مع البلقان غلبت فيه على أمرها ، ولكن وزارة كامل باشا لم يكن لها حزب يؤيدها ، اذ كان حزب الحرية والائتلاف غير متفق معها ، ثم عقدت الوزارة الاتحادية الصلح وأنشأت تعقد مع الدول الكبرى الاتفاق لتلوا الاتفاق على جعل البلاد العثمانية مناطق نفوذ اقتصادي لهن ، وتقترض عشرات الملايين منهن ، وبدأت بالعراق العربي فاعترفت للانكليز فيه بمطالبهم من النفوذ والحقوق ، فانكرنا ذلك عليهم أشد الانكار ، ولم يمنهم ذلك طبعاً من الاتفاق مع فرنسا على نفوذها في سورية الخ على أننا لما رأينا البلقانيين قد انتصروا على الدولة في الحرب حتى كادوا يستولون على الآستانة علمنا ان الخطر على الدولة أقوى وأسرع مما كنا نخشى ، وان الدولة اذا كانت قد عجزت عن حفظ الروملو وهو سياج الآستانة وحصنها امام البلقان ، ومعظم قوتها الحربية هنالك وباقيها على حدود الروس ، فلا بد أن تعجز بالاولى عن الدفاع عن بلادنا العربية ذاهجت عليها دولة قوية ، اذ ليس في بلادنا حصون ولا سلاح ، وكان

هذا الامر منبها لكثير من أهل الغيرة والفهم من العرب الى ما سبقهم بعض أذكيا
 الترك الى الدعوة اليه وهو وجوب جعل ادارة الدولة من نوع اللامركزية لان ذلك
 ادعى الى عمران كل قطر واستعداده للدفاع عن نفسه عند عجز المركز العام عن الدفاع عنه
 تأسس حزب اللامركزية بمصر في أثناء حرب البلقان وسرت دعوته في المملكة
 العثمانية كلها ولم يكن للحكومة الاتحادية وجه للشكوى منه لانه حزب عثماني يحاول
 الوصول الى غايته من الطريق القانوني الذي ينتهي الى مجلس الامة ، وتأسست
 في أثناء ذلك الجمعية الاصلاحية في بيروت باذن الحكومة فشذت في موضوع ما
 طلبته من تعيين مستشارين ومراقبين للحكومة من الاجانب وأنكرنا عليها شذوذها
 في المنار ، ثم أنشئت جمعية أخرى في البصرة صارح رئيسها طالب بك القريب حكومة
 الاتحاديين بالإنكار بل بالعداء ، وقد كادت الجمعية له فحالات اغتياله فلم تظفر ، ثم
 حاسنته وكففته السعي للتوفيق بينها وبين الامير ابن سعود فبذل جهده في ذلك
 ثم تعلق رغبة كثير من أذكيا العرب بعقد مؤتمر عربي في باريس لاطهار مطالب
 العرب الاصلاحية للعالم كله ، وعهدوا بذلك الى حزب اللامركزية ففقد المؤتمر وحضره
 مندوبون من البلاد العربية والجمعات العربية واختير لرياسته السيد عبد الحميد الزهراوي
 أحد مندوبي حزب اللامركزية ، وكان المؤتمر في غاية الاعتدال في مباحثه وقراراته
 حينئذ اهتمت جمعية الاتحاد والترقي وحكومتها بأمر العرب وأوفدت مندوبا
 من زعمائها الى باريس للاتفاق مع رئيس المؤتمر على إجابة العرب الى ما يطلبونه
 من الاصلاح المقبول ، وعقدوا ذلك الاتفاق المشهور ، ثم قرر مجلس الوكلاء وصدرت
 الارادة السلطانية ببعض مواد ذلك الاتفاق مع الوعد بأن تعطى العرب حقوقا أخرى
 بالتدريج ، وكل ذلك مدون في كتاب (المؤتمر العربي الاول) ونشر في المنار وفي الجرائد
 العربية المشهورة . ولكن ما تقرر من ذلك لم يرض جمهور المطالبين بالاصلاح من
 العرب ، وقد عدّه أكثرهم خديعة مؤقتة من الاتحاديين ، وكان فريق منهم أشهرهم
 الزهراوي وعبد الكريم قاسم انخليل يرجعون اخلاص الاتحاديين وعزمهم على ارضاء
 العرب دائما . وقد كان من اظهار الاتحاديين الميل الى العرب أن صار أكبر زعمائهم
 كطامت بك يحضرون الاحتفالات التي يقبها أعضاء المنتدى الادبي في الآستانة

هذه خلاصة ما كان من أمر الخلاف والوفاق بين العرب والترك أو الاتحاديين منهم خاصة قبل هذه الحرب ، فلما وقعت الحرب بين الدول الكبرى وعلم طلاب الإصلاح من العرب أن دولتهم تريد أن تستفيد منها وتوقعوا أن تدخل فيها، كفوا جميعاً عن المطالبة بالإصلاح، وأظهروا الميل الى تأييدها في كل ما تقرره وإن لم يعتقدوا أنه الصواب، حذرا من المنازعات الداخلية ، وقد حذبنا معهم هذا بمقالة نشرناها في جريدة الاهرام التي صدرت في سادس ذي القعدة ١٣٣٢ (١٦ سبتمبر سنة ١٩١٤) أي قبل دخول الدولة في الحرب ، ثم في منار ذي الحجة أي بعد دخول الدولة في الحرب . وقد قلنا في أول تلك المقالة وهي خطاب لمسلمي سورية ما نصه: « ثم أشكر لكم ما أظهرتموه من النجدة والهمة في الاخلاص والطاعة للدولة، وبذل الانفس والاموال وشمرات لها ، والكف الموقت عن طلب الإصلاح منها » وتقديركم الحال المحاصرة قدرها ، حتى انكم ساهتم في هذا أرقى أمم الارض التي سكنت عن جميع مطالبها ومنازعاتها الداخلية » الخ

وماذا جرى بعد ذلك ؟ ولى الاتحاديون جمال باشا أحد زعمائهم منصب القيادة العامة في سورية فأظهر الميل التام الى العرب وصار يقرّب اليه أذكيا المتعلمين منهم ويحثهم على الاستمساك بعروة عربيتهم وعمانيتهم معا ، فصدقوه وازدادوا حاسة ورغبة في بذل دمائهم وأموالهم في سبيل الدولة حتى اذا مات له ما أراد من الاختيار، نزع عنه ثوب الرياء والمكر ، ولبس لهم جلد النمر ، وقتلهم تقتيلا ، ونكل بهم وبغيرهم تنكيلا جاءتنا الاخبار في العام الماضي بأن جمال باشا شق في بيروت احد عشر شابا من خيار شبان المسلمين منهم النابغة محمد الحمصاني وأخوه وعبد الكريم قاسم الخليل الذي كان رئيس المنتدى الادبي في الاسكندرية ثم اتصل بالاتحاديين وجعل جل سعيه اقناع العرب بالاخلاص لهم — فلم تصدق الخبر الا بعد ان وصل الى مصر بعض الفارين من الشنق وبعض الاسرى من الجيش واثبتوا لنا الخبر . ولكننا مع ذلك لم نكتب كلمة انكار على جمال باشا ولا على شيعته لاجل العلة التي أشرنا اليها آنفا

ثم تواترت الانباء بشنق اناس آخرين من دمشق وغيرها بتهمة السياسة وقتل آخرين بالرصاص وفي بيوت كثيرة الى الاناضول ، فثبت عندنا حينئذ ان

الاتحاديين اغتصموا فرصة الاحكام العرفية في البلاد، والقبض على الارزاق والاعناق، لاجل القضاء المبرم على النهضة العربية واكره العرب بالقوة القاهرة على ترك لغة أمتهم ودينهم، وعدم المطالبة بحق من حقوقهم. ولكن الثابت في سنن الاجتماع وتاريخ الامم ان هذه الطريقة من الاضطهاد تؤدي الى ضد مايراد منها. وقد كنا قلنا من قبل ان الاسلام قد امارت العصبية الجنسية في بلاد العرب الحضرية فلا يقدر على احيائها أحد الاحكومة الاستانة، ويمكننا ان نقول الآن انها قد كونت الجنسية العربية الجديدة وجعلتها خالدة، لانها زرعتها في البدن والضرر سقتها بالدم، وبالدم استقل من استقل من جميع الامم، وكنا نخاف منهم هذه المجلة في هذه الايام، لثلاثي منافية لمصاحبة الاسلام، إذ يخشى ان تكون هذه القسوة في اضطهاد العرب في سورية سببا لئاس الامة العربية كلها من الدولة وجزمهم بأنه يستحيل عليهم ان يحافظوا على وجودهم تحت سيادتها، وان يحمل ذلك عرب الجزيرة على الخروج عليها، خوفا ان يحل بهم شر محال بغيرهم، فان الترك يحاربون البن وعسير ونجد منذ قرون فكل حكامها الحاضرين قد قوتلوا، وأمير مكة لا ينسى لهم مافعله معه وهيب بك قبل هذه الحرب اذ حاول الفتك به وسلب امتياز الشرفاء من الحجاز وجعله كولايات الشام، ولا ظهر عليه الامير اظهرت الدولة الاستياء مما حصل ونسب الى الدفتردار. واسترضى الصدر الاعظم الشريف بالاعتراف له بجميع حقوق امراء مكة التي كانت في عهد السلطان سليم، ولكن الشريف يعرف ظواهر هذه الامور وبواطنها، بل لا يخفى على أحد من العقلاء ان الدفتردار لا يجراً على احدث أمر كبير في الحجاز بدون أمر رئيسه (الوالي) وان الوالي لا يجراً عليه بدون أمر الاستانة، وأوامر الاستانة في عهد الاتحاديين قسماً — أوامر الجمعية وهي الحاكمة، وأوامر الحكومة وهي المنفذة، على انه يقبس وفاء الحكومة بما كتبه اليه الصدر الاعظم على وفاتها العرب بالاتفاق الذي عقد مع رئيس المؤتمر العربي وما قررته في مجلس الوكلاء وصدرت به الادارة السلطانية من المطالب العربية

كان يجب على دولة الاتحاديين في هذا الوقت ان تتودد للعرب أكثر مما كانت تتودد اليهم بعد حرب البلقان، وان تم بالفعل ما بدأ به أنور باشا من استمالة

امراء الجزيرة بالكتابة . وذلك بارسال السلاح والذخيرة والضباط من العرب اليهم لاجل ان يكونوا ذخرا لها اذا استظهر الروس عليها في الاناضول ، فاذا كان مثل انكلترا وألمانيا تحسب الحساب لوصول أعدائها الى بلادها وتعد الآلات والجيوش لاجل الدفاع عنها ، أفليس الترك أجدر بذلك وهم لولا الالمان لم يستطيعوا حربا في ميدان ما من ميادين هذه القتال ، وحسبهم انهم فقدوا بحرب البلقان كل ما كان عندهم من ذخيرة وسلاح ، وهل يوجد لهم ملجأ يلجئون اليه اذا غلبوا في بلادهم الا العرب وبلاد العرب ، بل العرب وبلاد العرب هي الملجأ للاسلام . ولذلك جاء في الحديث الصحيح « اذا ذلت العرب ذل الاسلام » وأنى يبالي بالاسلام وعز الاسلام ، من يثرون في دار سلطتهم امثال كتاب [قوم جديد] و [صوك كتاب] التي يفضلون فيها زعائنهم الغاوين ، على انخلة الراشدين ، وعلى من دونهم من الاولياء الكرام ، ومن فوقهم من الانبياء حتى خاتمهم عليهم الصلاة والسلام .

وأما العرب الذين أوجد الله بهم الاسلام ، فانهم أجدر الناس بالنيرة على المسلمين ودار الاسلام ، ولولا ذلك لما سكنوا على الضيم كل هذا الزمان ، ونخشى ان يكون قد زال ما كانوا يحذرون ، ويثسوا من كل خير كانوا يرجون ، فيبدو للماثقين ما كانوا يحذرون ، كما نخشى ان تكون عاقبة ذلك اغيهم وهم لا يشعرون انما يحرص سواد المسلمين الاعظم على حياة هذه الدولة لانه بهم كل مسلم أن يكون للاسلام دولة مستقلة قوية وهي امثل دول المسلمين في ذلك ، وان كانت لا تقوم بدعوة الاسلام ولا تنجي علومه ولا تحمي شعوبه ولا أفرادهم ممن يريد بهم سوءا . ولكن لا يرضي أحدا من المسلمين ان تنجي على لغة القرآن ، وان تضطهد العرب وتظلم وقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام « اذا ذلت العرب ذل الاسلام » (رواه ابو يعلى من حديث جابر بسند صحيح) وهذا الحديث من معجزات النبي (ص) ظهرت في هذا الزمان ظهورا بينا . فان الدولة قد تعرضت لخطر الزوال وفقد الاستقلال غير مرة ، وانما كان يقيها منه تنازع أوروبا على اقتسامها ، فاذا زال التنازع بزوال التوازن عقب هذه الحرب زالت الدولة بزواله ، وأكبر المصائب على الاسلام حينئذ ان تعد بلاد العرب تابعة لها ، ومعدودة فيما يقسم بين الغالبين من ترأثها ، اذ

(المنار: ج ٢) (١١) (المجلد التاسع عشر)

يكون المسلمون حينئذ أدنى حالا من اليهود، اذ يزول استقلالهم الديني والسياسي وهم في فقر مدقع لا يستطيعون معه عملا، ولا توجد بقعة في الارض تمثل استقلال الاسلام غير بلاد العرب. ولولا جعل جزيرة العرب تحت سيادة الدولة العثمانية بعضها بالاسم وبعضها بالنمل لما تسنى لها ان تجعل نفسها دولة الخلافة ويعترف لها الناس والدول بذلك

فجملة القول أن مصلحة المسلمين عامة أن تكون بلاد العرب قوية بنفسها، غير محتاجة الى قوة من خارجها لحمايتها، (وقد بينا ذلك مرارا) ولاخطرفي ذلك على الدولة اذا كان فيها من جرائم الحياة ما يكفي لبقاء استقلالها، وانما الخطر كل الخطر في إضعاف العرب وجعل بلاد العرب عالة على غيرها، وستظهر الايام صدق هذا الكلام، ونسأله تعالى أن يكون بما فيه عز الاسلام.

(حاشية) كتبنا هذه المقالة لجزء الشهر الماضي فلم يتيسر نشرها فيه. ثم جاء اورتور بنبا اظهار أمير مكة الشريف حسين الاستقلال في الحجاز وسفصل القول فيه في الجزء التالي لهذا ان شاء الله

حكم الصيام

وجناية تاركه على أنفسهم وعلى المسلمين والاسلام

الصيام عبادة روحية جسدية، قد شرع لما فيه من المنافع الشخصية والاجتماعية، فهو يروّض الاجساد، كما تعطش الزروع وتضمر الحياض، فيقي الرطوبات والموادّ الرواسب فيها، التي تصطبب الشرايين وتعيق حركة الدم فيها، ويعيد المِعد المصابة بالتمدد الى تقلصها وتغضنها، حتى قال بعض الاطباء ان صيام شهر واحد (كمضان) يصلح ما أفسده التمدد طول العام، ويمر المرء على احتمال الجوع والعطش بالاختيار، فيسهلان عليه اذا ألجأ اليهما الاضطراب، في سفر أو سجن أو مجاعة أو قتال، ويشعر الاغنياء المترفين بحاجة الفقراء الموزين، ويساوي بينهم في هذه العبادة وآثارها كما يساوي بينهم في سائر شعائر الدين

وهو فوق ذلك المربي الاعظم للارادة ، وانما يتفاضل أعظم الرجال بما في الارادة من قوة العزيمة ، فلولاهما لما استسهل صعب ، ولا ثبت شجاع في حرب ، ولما أقدم المصلحون على تغيير المنكرات ، ولا سيما مقاومة الظلم والاستبداد ، ولما ثبت عامل على عمل حتى يتقنه ، ولما صبر ذو مصاب على مصابه حتى يأمن خطره ، ولما احتفظ أمين بالأمانة ، لا بقدر ما يخاف في الدنيا من عقوبة الخيانة ، ونهايك بأمانة الاعراض ، والمحافظة على شرف النساء

وهو فوق ذلك مراقبة لله عز وجل ، وتقرب اليه بما يرضه من تزكية النفس ، وتوجه الى الكمال الاعلى ، والحياة الروحية الفضلى ، حياة النبيين والصديقين ، بل الملائكة المقربين

ان الصائم المسلم هو الذي يحكم سلطان الارادة بقانون الايمان على هوى النفس فيمنعها من التمتع بأعظم الشهوات شأنا عندها ، فينال منه الجوع والطعام بين يديه ، ويبرح به الظم والماء البارد أمام عينيه ، ويشد شوقه الى الملامسة وزوجه وهي منه على طرف النمام وحبل الذراع ، فيعرض عن كل ذلك وينكره بوازع الايمان ، ابتغاء لمرضاة الله تعالى وتحصيلا للفوائد التي شرع لها الصيام

ألم تر أن الذي يربي ارادته ويحكمها في أشد شهواته وأقواها مدة شهر كامل في كل عام على الأقل جدير بأن لا تنازعه نفسه أكل شيء من أموال الناس بالباطل ولا العبث بشيء من أعراسهم ؟ أو ليس الذي يقدر على ترك أعظم ضروريات الحياة بما أحل الله له وقرب منه متناوله يكون أقدر على ترك ما حرم الله عليه من جنسها ومما هو أدنى منها ، وأجدر بأن يهلب هوى النفس الذي يغريه بها ؟ بل وإن من الامثال الاسلامية المشهورة في بعض الاقطار « ان الذي يزكي لا يسرق » وهذا أمر معقول كسابقه ، فان الذي يخرج المال من جيبه أو صندوقه طائعا مختارا ويؤتيه الفقراء والمساكين ويضعه في غير ذلك من المصارف الشرعية لوجه الله وابتغاء مرضاته بنفع عباده — جدير بأن لا يعصي الله تعالى بتكلف سرقة مال غيره وهو يعلم أن ذلك سبب لسخط الله تعالى ، ولو كان لا يبالي بسخط الله ولا برضوانه بل يؤثر عليه حب المال لحفظ ماله في صندوقه ولم يخرج زكاته فذلك أسهل من إحراز المال بالسرقة

عالم الله تعالى فرض الصيام علينا ، بأنه هو الذي يمدنا ويؤهلنا للتقوى ، فقال
('كتبَ عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) وإنما التقوى
ملكسة يقدر صاحبها بوازعها النفسي على اتقاء كل ما يندس نفسه ويدسها من ترك
واجب ، أو اقتراف محذور ، ولذلك قالوا انها عبارة عن القيام بالواجبات وترك
المحرمات ، وهذه الملكة كسائر الملكات ، تكتسب بالأعمال النفسية والبدنية التي
يقوى بها سلطان الارادة على نزعات الالهواء كما سبق القول . وقد فطن لهذا
بعض حكماء الغرب فقال في كتاب صنفه في (تربية الارادة) انه لا مربى للارادة
كالصيام ، ولأجل هذا شرع في جميع الاديان

ان أحق الناس بتحصيل هذه الملكة وبسائر فوائد الصيام الروحية والاجتماعية
والجسدية من جمعوها بين 'حكم الله وحكمته فيه ورعوا ذلك حق رعايته ، فلا سلام
علم وتربية ، بيا على أساس الحكمة والفلسفة ، وذلك نص قوله تعالى (كما أرسلنا
فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم
تكونوا تعلمون) وقد يستفيد كثير من الناس حكمة العبادة ويجنون عمرتها ،
وان لم يتلقوا بالتعليم أن ذلك هو المصلحة التي شرعت لاجلها ، كما يستفيد بعض
الناس من شيء يأكله أو يشربه ، فيكون من حيث لا يدري شفا من مرض ألم
به ، أو انك هم الذين أخلصوا دينهم لله فكان لهم من العلم بكل عبادة انها ترضي
الله تعالى وان تركها يؤدي الى سخطه واستحقاق عذابه

ومن الناس من يؤدي العمل تقليدا ومجارية لمن نشأ فيهم فيكون عادة له كإثبات
العادات الشخصية والاجتماعية ، لا ينوي به قربة ، ولا يشعر له بفائدة ، ولا يفكر في
حكمة الشارع فيه ، فلا يكون لصيامه أثر كبير في عباداته ولا معاملاته ولا عادته ،
قد يصوم ولا يصلي ، وقد يصلي وهو مصر على المعاصي ، فهو الذي يصدق على
صيامه ما قاله بعض الأوروبيين في تعريف الصيام ، من أنه عبارة عن تغيير مواعيد
الطعام ، بجعلها في الليل بدلا من النهار ، وإنما كمال الصيام بجعله جنسة ووقاية من
جميع الآثام ، قال صلى الله عليه وسلم « الصيام 'جنسة' فإذا كان يوم صوم أحدكم
فلا يرفث ولا يصخب فإن شاتم أحد أو قاتله فليقل اني صائم اتي صائم » رواه

الشيخان في الصحيحين وأصحاب السنن الاربعة. والرفث صريح الكلام في انواع
أوما يتحدث به الزوجان في تلك الحل، والصخب الجلبة والصياح، فذا كان مثل
هذا مما يمنع في الصيام، فما شأن اقتراف كبائر الآثام؟ على أن مثل هذا الصائم خير
من تارك الصيام ولا سيما المجاهر به، فإذا كان مثله كمن يني قصرًا ويهدم مصرًا،
فان مثل تارك الصيام من امثاله الفساق كمثل من يهدمون القصور والامصار

يتترك الصيام في هذه البلاد أناس كثيرون من طبقتين أو ثلاث طبقات،
تتفق وتختلف في بعض الاعمال والصفات: طبقة تحوت الغوغاء الارذلين، وطبقة
أسرى الشهوات المترفين، وطبقة أدعياء المدنية المقلدين، فأما أولئك التحوت السفهاء
فانهم لا يشعرون بقيمة لانفسهم يشاركون بهاسائر طبقات الامة في شعائهم الدينية،
دع ما هو أرقى من ذلك كالشعور بما يجب من شكر رب العالمين الرحمن الرحيم والتقرب
اليه والاستعداد للرضوان الاكبر في دار السكرامة عنده، وغاية ما ورثوه من تقاليد
الاديان التي كان عليها آباؤهم الاولون والآخرون تعظيم بعض المرقى ذوي الاضرحة
التي أخذت سنة الدين بتشريف بنائها، وجعلها مساجد يصلى اليها ويطاف بها،
وبناء القباب عليها — واحتفالات الموالد التي هي أعياد ومواسم يحشر الناس
اليها بجوار تلك القباب، وزيارة الجماهير للمقابر في ليالي الاعياد وجمع رجب وأيام
أخرى من السنة، يرحل فيها الى القرافات النساء والرجال والاطفال، مشاة حفاة
ركبانا على الخمر والحمال، وما في ذلك من المنكرات الكثيرة ناهية

وأما هؤلاء المترفون (فمنهم) ملاحدة المتفرنجين الذين هم شرعاً هذه الامة
من كل عدولها (ومنهم) أسرى الشهوات الذين ليس لهم من قوة الارادة ما
يقدرن به على مغالبة الهوى وعصيان داعي اللذة، أو حبس النفس على عمل شاق،
وهم أشد الناس حاجة الى الصيام، فان هذا الافراط في الترف يضعف البدن كما
يضعف النفس. واذا كثر هؤلاء في أمة فقدت الاستعداد لدفع الاعتداء عنها،
وللقيام بالاعمال المتعبة التي ترقى بها الامم واثبات عليها، وتضي عليها أن تكون مستعبدة
لغيرها، وأي عار على الفتى الجذع، أو الكهل والشيخ الذي لم يدركه الهرم، اكبر من عار

الاعتراف بعدم الطاقة على احتمال الجوع والعطش بضع عشرة ساعة يعدُّ له بعدها الشراب المبرد واللوان الطعماء الفاخرة؟ أيها الخدع الناشئ، أيها الكهل القارح، أولى لك فأولى، وغير هذا كان بك أولى، كان أدنى بك أيها الفتى أن تفخر بالتربية على صفات الرجولية، واعتماد الكشف الاختياري في المعيشة، ومنه أن لا تسرف في النعم المباح في لبالي رمضان، وأن تصوم من كل شهر عدة أيام، كان أولى بك أيها الكهل أن تكون قدوة صالحة لولدك وأولاد المسلمين، في المحافظة على شعائر الدين، وعلى الآداب والأعمال، التي يبلغون بها درجة السكّان، وأهمها ركوب الصعب، واكتساب ملكة الصبر، وتوطين النفس على مصارعة الحوادث، ومقارعة الكوارث، ألا وإن الصيام جد الصيام أول مقدماتها، وأيسر وسائلها

وأما أدياء المدينة المقلدون فهم الذين يفترون جهرا ليقول فيهم غير المسلمين والمنافقون من المسلمين أنهم «متمدنون» وهذه الطبقة أخس الطبقات فلا ينتحل لها عذر ولا يوجه اليها برهان.

عذر الملحد المارق عند نفسه في ترك الصيام أنه فقد الباعث الديني، ولم يرجح عنده باعث تهذيبي، وعذر المترف الشهواني عند نفسه، عجزه عن كبح جماح لذاته، لتحكم الهوى فيها، وضعف الوازع الديني عنها، والجهول السافل من نحوت الناس له عذر هذين الفريقين وعذر آخر وراءهما — وهو أنه لا يخطر في باله ولا يصل علمه إلى ما يعلمه كثير من أفرادها من معنى كون الصيام ركنا للدين الذي ينسب إليه، وشعارا للامة التي هو منها، وإن العاقل الذي يرى لنفسه قيمة في الوجود يرى شرفه بشرفها، وذله بما انتهأ، وأنه مطالب ديناً وعقلاً بحقوق لها عليه، وإن دين الامة من مقومات وجودها، فمن فاته الايمان الباعث على اقامة أركانه لاجل سعادة الآخرة، لم يسقط عنه احترام شعائره التي هي أقوى روابط الامة؟ فبهذا العلم يؤاخذ ويطلب كل من أوتي نصيباً منه، وترتفع المؤاخذة عن كان نصيبه منه الجهل المطلق حتى ان نفسه لا تتوجه الى طلبه، ومنهم من يعتذر بأن الصيام يضره وإن كانوا أصحاء الاجسام، بترك ما اعتادوا من النظام في مواعيد الطعام، والصواب ان ما يتوهمون من الضرر في ذلك هو عين النفع، لان التزام تلك العادات أضعف أبدانهم

وأففسهم ، حتى صار تغييرها يؤلمهم أو يضرهم ، وإنما هذا الالم والضرر عرضان لمرض الترف ، والصيام علاج له لا « مضاعفة »

إذا صح أن يكون في الاحاد عذر للملحد ، وفي ضعف الارادة عذر للمترف ، وفي تغيير العادة ايلام للمبتهف ، فيا ليت شهري يم يعذر نفسه أو يعتذر عنها من يجاهر منهم بالفطر ؟ المجاهرة بالذنب شر من ارتكاب الذنب ، لأن ارتكابه سرا يجعل ضرره قاصرا على من اقترفه ، وأما المجاهرة به فضررها يتعدى المذنب الى غيره . لأنه يكون قدوة سيئة لمن كان مستعدا لاقتراف ذلك الذنب تجرته على اقترافه . ولأن في الجهر به إذا كان من الشعائر المالية — كالصيام — احتقارا للملة والامة التي ينسب المفطر اليها ، واضافا اربطة قوية من الروابط التي تمتاز بها الامة على غيرها ها هنا يضحك القارئ من هؤلاء الملحدين ، لا تضحكوا الا على أنفسكم بل ابكوا عليها ان كنتم تقولون : يقولون ان الملحد ليس من أهل الملة ولان أفراد الامة فيرمى بهذا اللوم ويطالب بالاعتذار عن عمل لا يراه واجبا عليه ، وانه يعد الجهر بالفطر في رمضان من الشجاعة الادبية والاسرار به من الضعف والنفاق . وقول : كيف يصدق هذا الكلام على ملاحدة بلادنا واكلهم مناقون يدعون الاسلام ويلتزمون من احكامه وشعائره وعادات أهله ما لا ينافي أهواءهم ، ولا يعارض شهواتهم ، كالأحكام والشعائر وكذا الماديات المتعلقة بالزواج والموت والاعیاد ، ويخضعون لشريعته في أحكام الزواج والارث ، فاذا ادعى أحد منهم الشجاعة المعنوية بهتك شعار الصيام ، فقل له كذبت في دعواك ، فان كنت شجاعا فصرح على رؤس الاشهاد بالردة عن الاسلام وارك كل ما هو اسلامي ، ولا تنزوج نساء المسلمين ولا تأكل تراثهم ، ولا تتول الأعمال والوظائف الخاصة بهم بدعوى أنك منهم . وأما اخفاء معصية الافطار فليست مع صحة العقيدة من النفاق ، بل من اخفاء العيوب والوراث قد يقول بعضهم ان الاسلام جنسية اجتماعية كجنسية اللغة وجنسية النسب ، وأن العقائد الدينية والعبادات البدنية من الشؤون الشخصية التي يجب ان يكون الناس أحرارا فيها ، ولا ينبغي ان يتوقف عليها تحقق الجنسية بعد ان ينالها صاحبها بالوراثاة أو بتسمية نفسه مسلما

ونحن نقول أن هذا الكلام مغالطة بديهية البطلان فإن الاسلام في الحقيقة دين وهو جنسية لمن يدينون الله به ولو في الظاهر كاقامة أركانه من صلاة وصيام وزكاة وحج وتحليل حلالة وتحريم حرامه ، فهو من حيث هو دين لا تحقق له الا بصحة العقيدة وما يتبعها من الاعمال ، ومن حيث هو جنسية يتحقق بالتزام شعائره وأحكامه الظاهرة الا ما يقع من الاختلال بها شذوذا كما كان المنافقون يعملون في الصدر الاول . فمن لا يؤمن بما جاء رسوله ولا يقيم شيئا من أركانه فلا حظ له من جنسيته ، فكيف اذا كان مع هذا مجاهرا بهدم هذه الاركان بلا خوف من الله ولا احترام لاهل هذه الجنسية .

على أن كل منتم الى جنس يجب عليه ان يمدح جميع من يشاركونه فيها اخوانا له وان يحترم كل ما يشترك فيه معهم من مقومات الجنسية ومشخصاتها ، والا كان عاقلا لها ، مستحقا للطرد والابعاد عنها ، بدلا من مشاركة أهلها في منافعها الصورية والمعنوية ، وهؤلاء المجاهرون بالفطر في رمضان لا يشعرون بمعنى الاخوة الاسلامية العامة ، ولا يقومون بشيء من حقوقها ، كما انهم لا يحترمون الشعائر والاعمال التي لا تعرف الجنسية الاسلامية الا بها .

الحق أقول : ان لبعض الذين يفطرون في رمضان عذرا طبعيا ، ولا يحمد عذر طبعي الا ان يكون شرعيا ، (كعذر المريض والمسافر والمأجور عن الصيام لهم مثلا) ولكن لا عذر لاحد في الجهر بالافطار ، لانه اختصار للاسلام وإهانة لاهله ، لا تصدق اختيارا الا من عدوله ولهم ، أو ممن لا شعور له بمعنى الامة والملة وشرفها كععض الكناسين والزبالين — لا كلهم — وهم يوجد من أمثالهم في المتعدين المنفرنجين الذين يظنون انهم ممتازون في الامة بارتقايتهم في الشؤون الاجتماعية . وانهم يشعرون من ذلك بما لا يشعر به الجمهور ، وان الخير للامة ان تكون مثلهم في ترك أركان الدين وامتنان شعائره والاهتمام بالتمتع بالشهوات ، وحسبهم شرفا وارتقا ما يتوهمون من عدد غير المسلمين لهم من « المتدنيين » أو « المتنورين » ! وياشقاء أمة يكتر فيها أمثال هؤلاء المفتونين ، فانها لا ترتقي بهم الا الى أسفل سافلين

حال المسلمين الاجتماعية

ومطامير الأغنياء وسائر الطبقات منها^(١)

١

الانسان عالم اجتماعي لا يصل فرد من أفراد ولا شعب من شعوبه الى كماله المقدر له الا بالاعمال الاجتماعية التي يتعاون عليها أفراد العشيرة وأهل البلد والوطن وسائر الناس ، وعلى قدر هذا التعاون يكون اقرب من اكمال الاجتماعي والبعد عنه ، فالام بالافراد والافراد بالام ، فهناك للامة التي تنسجم بسعي أفرادها غارب العز والسيادة، وتنسجم ربح القوة والسعادة، ود يابح الرجل الذي ليس أمة «^(٢) وما كل جمع كبير يستحق أن يسمى أمة ، لولا سعة المجاز في الكلام ، كقولنا في صور الناس وتماثيلهم هذا فلان وهذا فلان

المستعملون جمع كبير يطلق عليه اسم « الامة الاسلامية » بحسب صورته أو باعتبار ما كان عليه وان كان لا يقوم بالاعمال الاجتماعية التي تتحقق بها مقومات الام ومشتخصاتها ، وتحفظ بها مصالحها ومنافعها ، والمنار مقالات كثيرة في بيان هذا الموضوع يطلب أقدمها عهدا من المجلد الاول منه. ومن أشهرها مقالة في المجلد التاسع عنونها (حال المسلمين في العالمين ، ودعوة العلماء الى نصيحة السلاطين) كان لها تأثير في الشرق والغرب ، وترجمها بالتركية أحسد فضلاء الآستان وطبعها في رسالة مستقلة باللغتين

وقد نطلق على المسلمين اسم الامة باعتبار ما نرجو أن توؤل اليه حالهم، فباعتبار ان ذلك الاستعمال من مجاز الكون ينشأ غير مرة في تلك المقالات أن الاصلاح الاسلامي ينحصر في كلمة « تكوين الامة » اذ لا أمة في الحقيقة ، وباعتبار أن ذلك الاستعمال من مجاز الأوّل يتسع بحال الاطلاق . وكثيرا ما بيننا الكلام على تحقيق الرجاء ، وصرحنا بأن الامة قد ولدت ولادة جديدة ، وأنها الآن في سن الطفولة ، وان ما تصدى له من الاعمال الاجتماعية انما كان صغيرا وعرضة للفشل في الاكبر لانه من

(١) هذه المقالة الموعود بها (٢) هذه الكلمة لتبيننا الاستاد الامام

قبييل أعمال الاطفال ، وقد شرحنا هذا الموضوع في مقالات نشرت في المجلد الثاني وغيره (٥) وذكرنا في المجلد الرابع أمثلة لطفولية الامة ، وقد حدث بعد ذلك ما هو أعظم منها ، وناهيك بسقوط جريدة اللواء العربية وأختيها الفرنسية والانكليزية ، وموت مصطفى كامل باشا مؤسسين بأموال الامراء والاغنياء غارقا في الدين ، وبيع أثاثه ورياشه بالمراد ، ثم سقط جريدة المؤيد وموت صاحبها غارقا في الدين أيضا ، ثم سقط (الجريدة) وهي جريدة حزب كبير من الاغنياء

فهذه أكبر الجرائد التي أسسها المسلمون في مصر ، وكان لكل منها شركة وحزب ورأس مال موثق من ألوف الجنيهات وأنصار من أغنياء الامة وأصحاب الاقلام فيها ، وقد بينا وجه العبرة في شأن هذه الجرائد بعد موت الاولى وتبريح الداء بالآخرين في ترجمة الشيخ علي يوسف من المجلد السابع عشر (ص ٦٩) وما لي لا أذكر وأذكر في هذا المقام تلك الفاتحة الوجيزة للمنار التي كانت أول ما كتب منه ، ونحمد الله تعالى أنها كانت صورة مصغرة له ، قد ارتسمنا مارسمناه له فيها فلم نخرج عنه ، وقد أشرنا فيها الى سوء حال المسلمين ورغبة سوادهم الاعظم عن ما تقصد اليه بانشاء المنار من الجد والاجتهاد ، والى وجود أفراد تلبت أنفسهم لاصلاح الخلل ، وتوجهت همهم لمداداة العمل ، والى ان الغرض من انشاء المنار ان يكون لسان حال هؤلاء وحادي ركبهم في سبيل التجديد المطلوب . ثم ظهر لنا ان رجاءنا في هذه الفئة كان أكبر منها في نفسها

تيسر لنا بهذا المنار أن نختبر حال المسلمين اختبارا لا يكاد يتيسر بوسيلة أخرى ، وقد كان هذا الاختبار الطويل والعلم التفصيلي مؤيدا لما كنا عليه قبلها من الوقوف بين الخوف والرجاء وترجيح الامل على اليأس ترجيحا يبعث على الجهاد والثبات على العمل ، وهو ما صرحنا به في فاتحة المنار في العدد الاول للسنة الاولى كان موضوع ذلك الامل الاول من أيقظتهم حوادث الزمان ، وأثرت في قلوبهم آثار حكيم مصر وحكيم الافغان ، ومن على مشربهما من دعة الاصلاح ،

(*) اراجع مقالة (طفولية الامة وما فيها من الحيرة والغمة) في ص ٧٣٧ م ٢ ومقالة (الحيرة والغمة ومناعتها في الامة) في ص ٧٥٣ م ٢

ثم زاد عدد هؤلاء الحيين للإصلاح بتأثير المنار ، ومنهم صاحب الرسالة التي نشرناها في آخر الجزء الماضي فاستبعت كتابة هذا المقال ، فهو قد اشترك في المنار منذ أنشئ وكان تلميذا في المدارس ، وقد اشرب قلبه حب الإصلاح ، فهو فيه على علم ووجدان وإخلاص ، ولكنه على علمه وسعة اختباره لما في هذا البلاد من الفسق وفساد الاخلاق ، أقوى منارءاء في مسلميها وفي غيرهم ، واننا نخشى ان يضعف ويضمحل هذا الرجاء أو يزول ويحل محله اليأس اذا رأى أن رسالته لم تؤثر ، ودعوته لقومه لم تجب ، فأحببنا أن نذكره بما أشرنا اليه آنفا مما نشرنا في خوالي السنين ، ونؤيده بما في معناه من بيان حقيقة حال المسلمين ، لعله يذهب بغرور المبالغ في التفاؤل ، ويمسك رفق الرجاء على المهوي الى اليأس ، وينفخ نسمة الرجاء في اليأس ، فنقول :

ان في المسلمين كثيرا من بقايا الفضائل الموروثة ، التي هي تعد من دلائل الحياة الاجتماعية ، وكثيرا من الرذائل والأمراض الروحية الموروثة والحادثة التي هي سبب ماحل بدولهم وأمهم من الرزايا التي يئن منها كل من شعر بها بقدر شعوره ، وقد استيقظ في بعضهم هذا الشعور منذ مئة سنة أو أكثر ، وتصدى بعض حكاهم وبعض أفرادهم الى إصلاح ما فسد ، وتجديد ما اخلواق وبناء ما انهدم ، كما بينا ذلك في فاتحة المجلد السابع عشر ، وانما لم يفلح أحد منهم لان الحكام القادين على تنفيذ الإصلاح لا يعرفون طريقه ، والأفراد الذين يعرفون كنه الإصلاح لا يقدررون على تنفيذه

إنما تنهض الأمة بالإصلاح اذا وجد الاستعداد في الجمهور ، ووجد الزعيم القادر على استخدام ذلك الاستعداد ، ويمكن بيان هذا الاستعداد العظيم بكلمة واحدة من اصطلاح كتاب الجرائد وغيرهم من المعاصرين وهي (التضحية) وما التضحية الا بذل الاموال والانفس في سبيل المصالح العامة وهو ما يعبر عنه القرآن بكلمة الجهاد ما قام أمر اجتماعي عظيم كالدين والدولة الا يبذل المال والنفس فمن لم يبذل في سبيل دينه أو دولته ووطنه ما يحتاجان اليه من مال أو نفس فلا دين له ولا دولة ولا وطن ، ولذلك جعز الله تعالى هذا الجهاد آية الايمان مثل قوله (٢٩ : ١٥) انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل

الله أولئك هم الصادقون)

نحن لسنا بصدد إصلاح محتاج فيه الى بذل النفس ، والتعرض لإرابة الدم ، وإنما الإصلاح الذي أسس له المنار ثم مدرسة الدعوة والارشاد اصلاح علمي تهندي يقوم بالمال ، وإنما أنشأنا هذه المقالة لبيان حال من دعاهم ذلك الخالص الغيور في رسالته الى النروض بمشروع الدعوة والارشاد ومساعدة المنار

الا وان الاغنياء أول من يخطر بالبال ، في كل مقام يذكر فيه بذل المال ، وان أكثر اغنياء بلادنا بل أمثنا كلها أغنياء سفهاء الاحلام ، مسرفون في الفسق ، بخلاء حتى بما وجب من الحق ، أشعة على الخير ، لا يكاد يخرج المال من أيديهم الا على مائدة قمار ، أو في حانة خمار ، أو لبغني وقواد ، أو رشوة لحاكم شرير ، أو تزلفا الى سلطان أو أمير أو مدير ، فأكثر ما بذله أغنيائنا في هذا العصر للجمعيات الخيرية أو المدارس أو جمعية الهلال الاحمر أو جمعية الصليب الاحمر فهو رياء ، وتزلف للحكام والامراء ، وهذا مما يعلمه الكاتب وغير الكاتب علما ضروريا أو كالضروري .

وأما غير افساق المرائين من الاغنياء فهم كسائر الناس ، والناس فيما نحن بصده فريقيان : فريق لا يرجي منه خير للاسلام بل يتحشى شره ، وفريق قلما يرجي الخير من غيره . فأما الفريق الاول فثلاثة أصناف : ملاحدة المتفرجين ، ومناققو المعممين ، وتحت الفقراء الجاهلين ، الذين لا يكادون يفقهون حديثا ، ولا يعقلون للامة والملة معنى ، وقدينا في فاتحة هذه السنة من الجزء الاول ان من أولئك الملاحدة والمناققين من تصدى لقامة مدرسة الدعوة والارشاد ، بغت سبوم السعاية لمنع إعانة وزارة الاوقاف وغير الاوقاف ، كاسى أمثالهم وأقنابلهم من قبل في الجمعية الخيرية الاسلامية ، حتى زعموا أنها تدمي السودان بالمال لقتال مصر والدولة البريطانية وأما الفريق الثاني وهو لوسط في شؤونه العقلية أو النفسية ، أو شؤونه الاجتماعية أو المعاشية . فيتألف من أصناف يقل فيها الغنى الموسع ، كما يقل فيها الفقر المدقع ، والاعنياء منه ثلاثة أصناف :

صنف تربي تربية اسلامية بحسب ما عليه جمهور المسلمين في القرون الاخيرة من مزج السنن بالبدع ، والخرافات بالحقائق ، فهم لا يفتقرون من بذل المال في سبيل

البر الابناء مسجد ولوفي مكان تزيد فيه المساجد على حاجة المصلين ، (وإنما يكون هذا من الخير إذا لم بين المسجد على قبر أحد من الصالحين ، والا كان صاحبه معلوما على لسان خاتم النبيين) — أو وقف أرض تنفق غلتها على تشييد القبور والبناء عليها أو حولها وما يكون من المواسم عندها في الاعياد وجمع رجب ، وكل ذلك من المعاصي وبدع الضلالة المنكرة التي لا يجوز الوقف عليها وان تضمنت إطعام بعض الفقراء الطعام المبتدع لاجلها ، فهذا الصنف قلما يرجى منه الآن فائدة للأعمال الاصلاحية كشرع الدعوة والارشاد

وصنف آخر تربى أفراده على التفرنج ولكن لم يكونوا كجماء المتفرجين الذين لاحظ لهم من حياتهم التقليد الافرنجى في عاداتهم الخاصة بالزينة والطعام والشراب والتمتع باللذة واللغو واللعب كترية السكابل والسير بها والركوب معاً بل أودع في نفوسهم الميل الى الاقتداء بهم في بذل المال للمنافع العامة ، لا رياء للجمهور ، ولا ترلفاً لحاكم أو أمير ، بل لان ذلك عندهم من اللذات النفسية ، أو الشرف والكمال الانساني ، وبهذا ارتفعوا عن جمهور الاغنياء الاغبياء السفهاء ، وأمل هذه البلاد لا تخلو من افراد منهم ، ومن عساه يوجد منهم فقد يبذل المال للمساعدة على تعليم الموسيقى والتصوير أو الالعب الرياضية ، وقلما يحفل بالإصلاح الديني العلمي الا ان كان له نزعة دينية أو تهذيبية ، وأنى لجماعة الدعوة والارشاد بالاهتداء الى مثل هذا واقناعه بأن مقصدها الاول من مدرستها بث المرشدين في أنحاء البلاد لتعليم العوام ما يحرهم عن المعاصي والمنكرات ، ويزكيهم من أدران البدع والخرافات ، حتى تستفيد المدرسة من مساعدته ؟

وصنف ثالث هم الوسط الصحيح ، هم الذين أوتوا نصيباً من التربية الدينية والعلم الاسلامي الصحيح ، ونصيباً من حال هذا العصر وما يحتاج اليه المسلمون فيه من الاصلاح ، والغنى في هذا الصنف أندر منه في سائر الاصناف ، والرجاء في مثله لمساعدة الدعوة والارشاد ، أقوى وأشد منه في سائر الناس ، الا أن ينل به على دينه وعقله البخل الفاحش والشح المطاع ، وإيثار وعد الشيطان بالقر على وعد الله بالمغفرة والاخلاف ، وإذا كان الصنفان المذكوران قبل هذا — وهما كالطوفين له — مما يصعب

اقتاع افرادها بوجوب المساعدة على الاصلاح الديني العلمي فهذا الصنف لا يحتاج الى اقتناع ، ولا يخفى عليه وجود ما يوجد منه في البلاد ،

ومن اغنياء ، هذا الصنف من غلب عليهم الترف ودب الى دينهم الوهن ، فضغفت غيرتهم على اسلامهم الديني ، دون اسلامهم الاجتماعي والسياسي ، فهم يودون اصلاح حال المسلمين ، ويعتقدون أن ذلك لا يرجى الا من طريق الدين ، وإنما يودون أن ينهض بالاصلاح غيرهم ، ولا تسمو بهم الهمة الى المساعدة عليه باموالهم ولا بانفسهم

تلك اصناف الاغنياء ، الذين يصح أن يتعلق بهم الرجاء ، بما في انفسهم من هدي الدين أو علو الهمة ، أو العناية بأمر الامة ، وقد علم أن من يوجد في هذه البلاد منهم قليل ، وإن الرجاء في هذا القليل ضعيف .

فلم يبق من فريق المعتدلين الذين يرجى رفدهم الا المستوردون الذين لا يقدرّون على مساعدة الاصلاح الا بما يوفرون من كسبهم بالاقتصاد في النفقة الثلاثة بامثالهم ، كصاحب الرسالة التي دعنا الى كتابة هذا المقال ، ولا غناء في مساعدة هذا الصنف الا اذا كثّر أفراد الباذلين منه ، وفاقا للقاعدة المقررة : [القليل من الكثير كثير] وما أظن أن الظفر بهذا الكثير عندنا ميسور ،

فعلم مما شرحناه أن من يرجى منهم بذل شيء من فضول أموالهم في سبيل الاصلاح الديني والاجتماعي قليلون ، وإن ما يرجى بذله من هؤلاء القليلين في بلادنا قليل لاغناء فيه ، لأن أكثر الانفس أحضرت الشح ، واستحوذ عليها الصغار والذل ، وكذبت وعد الله بالاخلاق على المنفق ، وصدقت وعد الشيطان له بالفقر . ثم إن بذل المال الكثير في هذه السبيل إنما يصدر عن عرفان ووجدان — عرفان بالمصلحة فيه وشدة الحاجة اليها ، ووجدان إيمان راسخ تنال به سعادة الدنيا والآخرة ، أو وجدان شرف باذخ تنال به سعادة الاولى فقط ، على أن باعث الشرف وباعث الايمان ، قد يتلاقيان ويتصالحان ، وأتني أوضح هذا المقام بأمثال ، أشير بها الى أعظم من رجوت هنا من الرجال

كان أرحي أغنياء مصر عندي لمشروع الدعوة والارشاد ثلاثة أصرح باسم

واحد منهم وهو رياض باشا تغمده الله برحمته، ذلك الرجل الذي انفرد في كبراء مصر وأغنيائها بأنه لم يكن يخيب فيه رجاء ولا يفوته مساعدة عمل من أعمال الخير، ولو عرف كنه مشروع الدعوة والارشاد لما اكتفى بالتبرع له بمئة جنيه، وإنما عرف منه انه مدرسة خيرية، ففجحه بمثل ما نفح به مدرسة محمد علي الصناعية، وهي المدرسة التي تولى رياسة جمع الاعانات لها، على ان الخديو وارث ملك محمد علي التي أنشئت المدرسة احياء لاسمه وتذكارا لمرور مئة سنة على ملكه لم ينفحها بأكثر من ذلك. فهذا عذر رياض باشا في عدم صدق رجائي كله في مساعدته لهذا العمل وأما اللذان لا أصرح باسمهما فقد كان رجائنا في أحدهما اكبر من رجائنا في رياض باشا، وهو أوسع منه ثروة وفهم من كنه المشروع ما لم يفهمه، بل قال فيه كلاما يؤثر ويدون له، (منه) انه طالما فكر فيه، وتعجب من احجام المسلمين عن القيام به الى اليوم، وانه يود لو يكون عضوا عاملا فيه، وإنما بمنعه من وضع يده في أيدي أعضاء ادارته عدم ثقته بثباتهم، اللهم الا واحدا منهم، وعلم ذلك بأن أهل بلادنا هذه يقولون ولا يفعلون، ويبدون بالأعمال ولا يثبتون، (ومنه) أن هذا العمل سيلقى صعوبات، وتوضع في طريقه العقبات، وانه لا يقول هذا تثبيطا (أي) بل تنبيها، ولا تنصلا من المساعدة فانه سيساعد بالمال، ثم انه اكده هذا الوعد غير مرة لنا، وذكره لغيرنا. وقد كان آخر عهدنا بالسعي لاستنجاه شهر رجب الماضي وأما الثالث فهو غني معروف بالعلم والفضل والتدين، وقد كان منانا أحد أصدقائه بأنه سيتبرع للمدرسة بمئة جنيه غير ما يفرضه على نفسه من الاشتراك السنوي، وذكر لنا صديق آخر له عزمه على المساعدة من غير تحديد. وقد بلغنا ان ما يجب عليه من زكاة النقد كل سنة أضاع ما يملكه صاحب الرسالة التي تتكلم في موضوعها وقد ذكرناه في هذا العام بشدة حاجة المدرسة الى ما تنتظر من مساعدته لاقطاع اعانة الاوقاف عنها، ونفاد ما قد جمع لها، فاعتذر بما يعتذر به أكثر الناس في هذا العهد، وهو العسرة التي جاءت بها هذه الحرب

فاذا كان وعد أرجى من نرجو من أغنى أغنيائنا، واشترك من يشترك في مثل هذا المشروع من أفضل فضلائنا لا يوثق بهما ولا يتكل عليهما في استنجاه دار

لمدرسة خيرية ، قبل يظن (م . ن) صاحب تلك الرسالة أن ما جاء به من النصيحة والتذكير بيسطان الايدي المغلوله ، وينبهاً^(١) الانفس المنفسوله^(٢) ، فتدقق الدنانير على مدرسة الدعوة والارشاد اليوم كما تدققت على جمعة الصليب الاحمر بالامس ، وعلى جمعة الهلال الاحمر من قبل ؟ ان كان يظن ذلك فما نحن بظانن ، ولا نحن من فضل الله وحياة المسلمين بيائسين . ولكننا بعد طول الاختبار لانتم بوعده واعد ، ولا بثبات متبرع ولا واهب ، وان كان هذا أو ذاك ، ممن اشتهروا بالسخاء ، فان أكثر أصحاب هذه المظاهر ، مصداق لقول الشاعر

يهلي ويمنع لا بخلا ولا كرما لكنها خطرات من وساوسه

كلا انه لا يرجى في هذا القطر جمع مال كثير بالتبرع يكون رأس مال لمدرسة كدرستنا أو مدرسة دونها الا بنفوذ الامراء والحكام ، وقد كان بعض هذا ممكنا لنا من قبل ولم نطرق باب ، وأما اليوم فلا يرجى كله ولا بعضه ، فأما سبب بذل المال تقر بالى الامراء والحكام فعرف ، وأما إمساكه عن المصالح العامة فسيه ضعف الايمان ، وضعف وجدان الشرف وحب الكمال . والحرمان مما يولدان من المقاصد العالية والآمال العظيمة ، وليس في تربية الامة ما يحيج ذلك في نابتها هذا وانما بعد هذا البيان نقول لصاحب تلك الرسالة وغيره من أهل الغيرة ان هذا المشروع لا يرجى أن ينفذ بحسب نظامه المعروف الا اذا نجحنا فيما سعينا اليه في الآستانة ثم في مصر من تقرير اعانة له كبيرة ثابتة من وزارة الاوقاف فبهذا يستقر ويوثق بثباته واستمراره ويشتهر نفعه في الامصار والاقطار ، ويرجى بعد ذلك أن يتبرع له ويقف عليه العقار والاراضي كثير من أهل الخير ، ولا سيما بعد أن يتخرج في مدرسته من يحسنون القيام بما فرضه الله تعالى على المسلمين بقوله : (ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) فاذا ظفرنا باعانة ثابتة من وزارة الاوقاف فذاك ، والا جعلناه المدرسة خارجية ، وأنفقنا عليها ما آتانا الله من كسب ومساعدة أهل المروءة والاخلاص مهتدين بقوله تعالى (لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله ، لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها ، سيجعل الله بعد عسر يسرا)

(١) للتبنيه هنا معنيان أحدهما جعل الخادم نبيه الثان وتانيهما إيقاظ النافق

(٢) المنفسول الضعيف الخامل الذي لا مروءة له

السنة وصحتها والشرعية ومئاتها

رد على دعاة النصرانية بمصر

٢

﴿ تمة واستدراك — استنكار المتأخرين لبعض متون أبي هريرة ﴾

قد علم مما تقدم أن أبا هريرة رضي الله تعالى عنه راوية ثقة عدل وأنه من نوابغ البشر في الحفظ والضبط والمحافظة وقوة الذاكرة) وعلم أيضا أنه انفرد بأحاديث كثيرة كان بعضها موضع الانكار أو مظنة لغرابة موضوعها كأحاديث الفتن وإخبار النبي صلى الله عليه وسلم ببعض المغيبات التي تقع بعده ؛ ويزاد على ذلك أن بعض تلك المتون غريب في نفسه، ولو انفرد بمثله غير صحابي لعد من الطل التي تثبت بها في روايته، كما هو المعلوم عند نقاد الحديث أهل الجرح والتعديل ، ولذلك نرى الناس ما زالوا يتكلمون في بعض روايات أبي هريرة كما رأى القراء في [دروس سنن الكائنات] للدكتور محمد توفيق صديقي ، وأول كلمة طرقت سمعي في ذلك كانت من تلميذ مسلم في مدرسة غير إسلامية ببلاد الشام ، وكان ذلك في أوائل العهد بطليي للعالم . ومن عرف ترجمة أبي هريرة معرفة تامة يجزم بعدالته وبرأته من الكذب على أحد من الناس ، بله الكذب على رسول الله (ص) الذي روى هو وغيره عنه أنه قال « من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » وقد صرحوا بأن هذا الحديث متواتر

ولعل قراء المنار يتذكرون ما علقته على كلام محمد توفيق صديقي في حديث الذباب — وتطرقه فيه إلى الارتياح في رواية أبي هريرة — إذ بينت بالإيجاز أنه لا مجال للطعن في أبي هريرة نفسه وأن حديث الذباب وأمثاله مما يستبعد أن يكون مسموعا من النبي (ص) لا يظهر علة نقلها عن أبي هريرة الا اذا أحصيت تلك (المنار: ج ٢) (١٣) (المجلد التاسع عشر)

٩٨ حال الأحاديث الغريبة والموقوف الذي له حكم المرفوع [المنار: ج ٢ م ١٩]

الروايات ولا سيما ما انفرد به أبو هريرة منها ، ودقق النظر في أسانيدها ومثونها ، وما يمكن طروءه من الاحتمالات فيها ، وامهات هذه الاحتمالات أربعة :
(أحدها) أن يكون في رجال السند الى أبي هريرة من هو مجروح وان صحح
(ثانيها) أن يكون ذلك الحديث أو الأثر مرويا عنه باللفظ وقد وقع الغلط من
أحد الرواة في فهمه فقلقه كما فهمه

(ثالثها) أن يكون ما روي حديثا رأيا لأبي هريرة أو غيره ممن روى عنه وعنده
بعض الرواة حديثا لا جتهاده بأن مثله لا يقال بالرأي ، فما قاله العلماء من أن قول
الصحابي اذا كان لا يقال مثله بالرأي له حكم المرفوع الى النبي (ص) لا يصح على
إطلاقه ، والناس يتفاوتون في فهم ذلك ، فما يعمده بعضهم منه لا يعمده الآخرون ،
(رابعها) ان يكون رواه عن أهل الكتاب بالسماع من أسلم منهم ككعب
الاحبار أو رآه في كتبهم وهو مما لا مجال للرأي فيه فيعمده من قبيل المرفوع من
يأخذ ذلك القول قاعدة عامة ، وقد ثبت ان أبا هريرة روى عن كعب الاحبار
وأن معاوية قال في كعب الاحبار انهم كانوا يبايرون (أي يختبرون) عليه الكذب وقد
تقدم ذلك في هذا المقال نقلا عن البخاري ، واتي كنت أسبى الظن في روايات
كعب الاحبار قبل أن أرى مارواه البخاري عن معاوية فيه ، وكذا وهب بن منبه .
ثم اني بعد كتابة ما تقدم وقيل طبعه رأيت في تفسير سورة النمل من تفسير
الحافظ ابن كثير بعد ذكر هذه روايات عن الصحابة في قصة ملكة سبا مع سليمان
عليه السلام ما نصه :

« والا قرب في مثل هذه السياقات أنها متلفاة عن أهل الكتاب مما وجد في
صحفهم كروايات كعب ووهب ساجداهما الله تعالى فيما نقلاه الى هذه الامة من أخبار بني
اسرائيل من الاوابد والغرائب والعجائب مما كان وما لم يكن وما حرف وبدل ونسخ ،
وقد أغنانا الله عن ذلك بما هو أصح منه وأنفع وأوضح وأبلغ والله الحمد والمثنة » اهـ
فجملة القول في هذه الاحاديث المشككة اذا كانت مرفوعة الى النبي (ص)
أو موقوفة على أحد رواة الصحابة (رض) أبي هريرة أو غيره ان يدقق النظر في
أسانيدها أولا فإذا كان في الاحتجاج ببعض رجالها مقال كفيينا أمرها وكذا اذا

كان فيها انقطاع أو ارسال، والا نظرنا في غير ذلك من الوجوه التي يكون بها المخرج كقلم الرواة بسبب النقل بالمعنى أو غيره من الاسباب ، وأدهى الدواهي أن يكون الحديث مأخوذاً عن بعض أهل الكتاب بالقبول ولم يمز اليه ، ولا يفرنك قولهم ان مراسيل الصحابة حجة وان الموقوف الذي لا مجال للرأي فيه له حكم المرفوع ، فاذا ثبت ان أباه ريرة مثلاً كان يروي عن كعب الاحبار وأن الكثير من أحاديثه مراسيل فالواجب أن يتروى في كل غريب لم يصح فيه بالسماع من النبي (ص) فاذا كان من الاسرائيليات أو ما في معناها احتمل ان يكون قد رواه عن كعب وكان هذا الاحتمال علة مانعة من ترجيح اسناد كلام الى النبي (ص) بوقع في الاشكال .

لا ينسج هذا الموضع لتحرير هذا البحث بالتفصيل ولكننا نذكر أهل العلم بحديث يرون فيه أكبر عبرة في هذا المقام وهو حديث الجساسة الذي حدث به تميم الداري رسول الله (ص) واخرجه مسلم في صحيحه مرفوعاً من طرق يخالف بعضها بعضها في منته ، فهذا الخلاف في المتن علة من بعض رواة الصحيح ، ولا يظهر حمله على تعدد القصة ، ثم ان رواية الرسول (ص) له عن تميم الداري إن سلم سندها من العلال هل تجعل الحديث ملحقاً بما حدث به النبي (ص) من تلقاء نفسه فيجزم بصدق اصله ، قياساً على اجازته (ص) اوتقريده للعمل اذ يدل حله وجوازه الظاهر لنا ان هذا القياس لا محل له هنا ، والنبي (ص) ما كان يعلم الغيب فهو كسائر البشر يحمل كلام الناس على الصدق اذا لم تحف به شبهة ، وكثيراً ما صدق المنافقين والكفار في احاديثهم ، وحديث المرينين واصحاب بئر معونة بما يدل على ذلك ، وانما كان يعرف كذب بعض الكاذبين بالوحي او ببعض طرق الاختيار او اخبار الثقات ونحو ذلك من طرق العلم البشري ، وانما يمتاز الانبياء على غيرهم بالوحي ، والعصمة من الكذب وما كان الوحي ينزل الا في امر الدين وما يتعلق بدعوته وحفظه وحفظ من جاء به ، وتصدق الكاذب ليس كذباً . وحسبك ان تتأمل في هذا الباب عتاب الله لرسوله إذ أذن لبعض المعتدين من المنافقين في التخلف عن غزوة تبوك وما علله به ، وهو قوله (عفا الله عنك لم اذن لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين)

واذا جاز على الانبياء المرسلين ان يصدقوا الكاذب فيما لا يخل بأمر الدين ولا

يترتب عليه حكم شرعي ولا شيء ، ينافي منصب الرسالة ، أفلا يجوز على من دونهم أن يصدقوا الكاذب في أي خبر لا تقوم القرينة على كذبه فيه ؟ ومن صدق شيئاً يجوز أن يحدث به من غير عزو إلى من سمعه منه . ولكن هذا كان قليلاً في المصدر الأول من الإسلام ، فقد ظل المسلمون عدة قرون ينقلون كل شيء بالرواية وإن كان بيت شعر أو كلمة مجنون

﴿ تنبيه ٢٢٠ ﴾

إن الأحاديث المشكلة الصحيحة الإسناد قليلة فما رواه أبو هريرة منها قليل من قليل ، وما انفرد به منه أقل ذلك القليل ، ولا يتوقف على شيء منها إثبات أصل من أصول الدين ، والحمد لله رب العالمين

﴿ المجلة الخامسة الخامسة لكلام الطاعن ﴾

﴿ استنتاجه من جملة دعاويه أن الشريعة لا قيمة لها في نفسها ولا في روايتها ﴾ قال بعد سرد ما تقدم عن الشبهات على رواية أبي هريرة ما نصه :

هذا هو الرجل الذي وضع مع ابن عباس أساس الشريعة . ولكن ما هي قيمتها ؟ إن السؤال مهم جداً ، ويطلب الجواب عليه من الثلاث مئة مليون - في الموجودين في العالم . اه بحروفه اشتملت هذه الخامسة على دعوى باطلة ، واستفهام إنكاري تهكمي ، ووجه هذا السؤال فيها إلى ثلاث مئة مليون سني^(١) أي إلى كل فرد من أفراد أهل السنة الذين يسكنون في جميع الاقطار ، ويتكلمون بعشرات من اللغات ، ولماذا ؟ لأن السؤال مهم جداً في نظر القسيس المبشر المتصدي هو وجمعيته لتنصير كل هؤلاء المسلمين بعد عجزهم عن هذا السؤال المهم جداً !! مخ بخ

الجواب عن الدعوى

هذه الدعوى ظاهرة البطلان عند المسلمين وعند من له أدنى إلمام بشريعتهم

(١) قد اشتهر منذ عشرات من السنين أن المسلمين ثلاث مئة مليون وأول أوربي اشتهر عنه هذا القول عامل ألمانية غليوم الثاني ، والظاهر أن أهل السنة وحدهم صاروا يبلغون هذا العدد كما قالت مجلة الشرق والغرب ، وتم عشرات الملايين من الشيعة وغيرهم

وأنهم من النصارى وغيرهم ، سواء أراد بأساس الشريعة أصول أدلتها التي تستلزم منها - وهو الأقرب - أو أصول مقاصدها وهي العقائد والاحكام والآداب ، ونستغني عن بيان ذلك بما قلناه في مسألة أركان الشريعة الذي فندنا به القضية الثالثة من قضايا الجلة الأولى من مقاله (راجع ص ٢٨ ج ١) ثم نقول :

إن أبا هريرة وابن عباس ما وضعوا أساس الشريعة ولا أركانها ، ولا أصولها ولا فروعها ، وإنما روينا لنا كثيرهما من الصحابة الكرام الكثير الطيب من سنة الرسول ، وهي ثابتة الاسس والاصول

وقد بينا أن البخاري خرج لأبي هريرة ٤٤٦ حديثاً في صحيحه ، ونقول هنا انه خرج فيه لابن عباس ٢١٧ حديثاً . وهذا القدر من روايتهما للاصول الموصولة من الاحاديث لم ينفرد به وإنما شاركهما في رواية الكثير من غيرهما ، ولو أحصينا ما انفرد بروايته أبو هريرة وحده من احاديث الاحكام الشرعية لرأيناه قليلاً جداً ، وعلمنا انه لو لم يروه لما نقصت كتب الاحكام شيئاً كثيراً ، وإن ما عسى أن تنقصه يمكن أن يعرف حكمه من قواعد الشريعة الثابتة وأصولها القطعية ، كقاعدة رفع الحرج والعسر ، وثبات اليسر وترجيحه ، وقاعدة كون الاصل براءة الذمة ، وكون الاصل في كل الخبايا والمضرات الحرمه ، وفي كل الطيبات الحل ، وكون الضرورات تبيح المحظورات ، وغير ذلك مما لا مجال لتفصيله في هذا الرد

﴿ قيمة الشريعة الاسلامية ﴾

الجواب عن الاستفهام التهمي

لا أرى شياً لسؤال القس الطاعن عن قيمة الشريعة الاسلامية الا السؤال عن الشمس ما فائدتها للدينا ؟ وعن العافية ما فائدتها للناس ؟ وعن الماء والهوا - ما فائدتهما للنبات والحيوان ؟ سواء كان السؤال سؤال انكار وتهمك أو سؤال استفهام ، وإننا نجيب عن هذا السؤال بجواب مجمل وجيز ، لان التفصيل لا يأتي الا بتصنيف كتاب كبير ، فنقول :

(١) ان هذه الشريعة هي الشريعة الوحيدة التي ثبتت نبوة من جاء بها

١٠٤ قيمة الشريعة الاسلامية. ثبوت نبوة رسولها بالعلم [المنار : ج ٢ م ١٩]

بالبرهان العقلي العلمي الثابت الدائم، وملخصه أنه رجل أمي نشأ بين قوم أميين بلغ الكهولة ولم يقرأ كتاباً ، ولم يكتب سطراً ولا حرفاً ، ولا قال شعراً ولا ارتجل خطبة ، ولا رأس قبيلة ولا ساس قرية ، ولا انتحل كهانة ولا عرافة ، ولا عرف شيئاً من شرائع الأمم وأديانها - ثم قام في سن الكهولة بدعوى النبوة ، وأيد دعواه بكتاب اشتمل على اخبار الغيب الماضية والمستقبله ، وسنن الله في الدين والمدنية ، وعلى أصح علوم العقائد الالهية ، المؤيدة بالبراهين العقلية والعلمية ، وأصلح علوم الاخلاق والفضائل النفسية ، والعبادات الجامعة بين المنافع الروحية والجسدية ، وأعدل قواعد الشرائع السياسية والمدنية الخ ثم انه اجتث بهداية هذا الكتاب جرائم الوثنية ، وطهر الأمم من الخرافات التقليدية واخلاق الجاهلية ، فكان للناس بذلك دين كامل وشريعة عادلة وأمة مؤلفة من جميع الشعوب والقبائل ، ودولة احيت الحضارة وامتدت من المشرق الى المغرب في جيل واحد

فكان مثل محمد النبي الامي صلى الله عليه وسلم كمثل رجل جاء بلدا مصابا بالابوثة المحتاجة والامراض المعضلة ، وادعى انه طبيب وايد دعواه بكتاب في الطب والعلاج طهر به ذلك البلد كلها من الامراض والابوثة ، فأصبح أهله متمتعين بكل الصحة والعافية

فكما يجوز كل عاقل بأنه يستحيل على غير الكامل في علم الطب أن يؤلف كتابا في الطب يزيل بالعمل به الابوثة ويشفي المرضى — كذلك يستحيل بالاولى أن يقدر رجل أمي على الاتيان بأخبار الغيب وعلوم الدين والشرائع والآداب فيصلح بها أديان أمم كثيرة وآدابها وأخلاقها وأحكامها وسياستها ، الا أن يكون نبيا مؤيدا بوحى الله وعنايته العليا ، بل يستحيل صدور مثل هذه العلوم والأعمال من واحد أو من جماعة تعلموا جميع علوم البشر وعلوم الأديان في أعلى مدارس هذا العصر الجامعة . دع إعجاز القرآن ببلاغته وأسلوبه وسائر معجزات النبي صلى الله عليه وسلم (٢) ان هذه الشريعة هي الشريعة الوحيدة الجامعة بين هداية الدين الالهى

الحق ، وبين ثمرات عقول العلماء المجتهدين ، الواقفين على مصالح البشر وما يقوم به العدل بينهم ، وما سواها فاما ديني محض لا مجال فيه لعقل ولا رأي ، واما

- وضعي ناقص لا يحترم في السر كما يحترم في الجهر
- (٣) ان هذه الشريعة هي الشريعة الوحيدة التي تواتر كتابها وتواتر حقيقتها ، ورويت سنتها رواية متصلة الاسناد ، ودون تاريخ روايتها تدوينها مبني على ركني النقد والتصحيح ، الذي يميز به بين الصحيح وغير الصحيح ،
- (٤) ان هذه الشريعة هي الشريعة الوحيدة التي حررت البشر وأعتقتهم من رق رؤساء الدين ، الذي أرقه الغابرين ، فلم تجعل لأحد سيطرة روحية على أحد ، فليس فيها كنية ولا قسيسون يمتازون بمناصبهم الدينية على غيرهم ، أو تتوقف إقامة شيء من أمر الدين عليهم ، وإنما خوطب البشر بها على سواء ، فهم يتفاضلون فيها بعلومهم وأعمالهم الكسبية ، لا بمناصبهم الموروثة ولا أنسابهم الشريفة ،
- (٥) ان هذه الشريعة هي الشريعة الوحيدة التي أعتقت البشر من رق الملوك المستبدين الذين انتحلوا لأنفسهم حق الحكم بمحض الهوى والارادة ، وحق وضع الشرائع والقوانين بالذات أو بالنيابة ، وحق الامتياز في الحقوق الشرعية على غيرهم من أفراد الامة ، فجعلت أمر الامة شوري بين أهل الحل والعقد ، من أهل العلم والرأي ، الذين يولون عليها من يرونه أصلح لتنفيذ شريعتها ، ولم تجعل للاختلاف أو السلاطين ، امتيازاً على أحد من الفقراء والصعاليك ، لا في حكم من الاحكام المدنية ، ولا في عقوبة من العقوبات الجزائية ، وقد وافقتنا بعض الامم في بعض هذه الاصول أو اقتبستها منها ، بعد أن ترك المتغلبون على المسلمين اقامتها ، ولكن لم يبلغ احد شأوها الى هذا اليوم ، وإنما صار بعضهم أقرب اليها ، ممن يسمون أنفسهم أهلها .
- (٦) هذه الشريعة هي الشريعة الوحيدة التي ساوت بين أهلها المؤمنين بها ، وبين الكافرين بها إذا تماكروا اليها ، سواء كانوا من أهل ذمتها ، أو من الاجانب المعاهدين لحكومتها ، أو الحريين الداخلين في أمان احد من أهلها ، فلا فرق في احكامها القضائية بين أبناء الرسول وامراء المؤمنين ، وبين أضعف أهل الكتاب أو الوثنيين ، ونحن نرى أرقى الافرنج وأشهرهم بالعدل يميزون أنفسهم على غيرهم ، فلا يرون المصري والهندي مساويا للانكليزي ، ولا الاسيوي مساويا للامريكي
- (٧) ان هذه الشريعة هي الشريعة الوحيدة التي رفعت شأن النساء وأعطتهن

حقوق الاستقلال التام في التصرف بأموالهن ، وساوت بينهن وبين أزواجهن في جميع الحقوق المعروف ، الا رياسة المنزل وزعامة الاسرة ، وان كلمة وجيزة من كلمات القرآن الحكيم في ذلك لا تبلغ من كثير من الاسفار التي ألفت في المطالبة بحقوق النساء أو ما يسمونه تحرير المرأة ، الا وهي قوله عز وجل

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ جَالٌ عَلَيْهِمْ دَرَجَةٌ ﴾

وهذه الدرجة التي أعطيت للرجل بحق — وهي رياسة البيت — لانه أقدر على الكسب والحماية ، والمطاب بجميع النقطة ، تشبه الرياسة العامة فيما شرع فيها من الشورى كما يدل عليه قوله عز وجل في مسألة ارضاع الولد وفطامه (فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا) وقد اهتدى كثير من الامم ببعض هدي هذه الشريعة في هذه المزية ولم يبلغ أحد منها شأوها ، ولكن أهلها قصرُوا في إقامتها ، حتى صاروا حجة عليها عند من يحبها

(٨) هذه الشريعة هي الشريعة الوحيدة التي وضعت للحرب نظاما حرم فيه العدوان والتخريب . وقتل من لا يقاتل من النساء والشيوخ والاطفال والمنقطعين للعبادة ، فجعلتها ضرورة تقتدر بقدرها ، وأمرت بالجنوح لاسلم أن جنح العدو لها ، وقد بين المنار فضلها في ذلك على قوانين أوربة وفضل أهلها في حروبهم على الاوربيين في مقالة نشرت في مجلد السنة الماضية . وقد انصفنا أحد حكماء الافرنج بقوله « ما عرف التاريخ فاتحا أعدل ولا أرحم من العرب »

فأين منها شريعة التوراة التي بين أيدي اليهود والنصارى وهي التي أوجبت في الفصل العشرين من سفر تثنية الاشتراع استعباد جميع أفراد الشعب المسالم الذي يختار الصلح على الحرب ، وقتل جميع ذكور الشعب الذي يحارب عند الظفر به وجعل جميع نساؤه وأطفاله وما يملكه غنائم — هذا اذا كان من المدن البعيدة جدا عن شعب التوراة التي لا يسهل عليه سكنها ؛ وأما الشعوب القريبة التي يسهل عليه امتلاك بلادهم فهذا نصها فيهم « ١٦ » وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب المالك نصيبك فلا تستبق منها نسمة ما »

(٩) هذه هي الشريعة الوحيدة التي فرضت على الاغنياء نصيبا معلوما مما يزيد من أموالهم عن نفقاتهم بصرف لإعانة الفقراء والمساكين العاجزين عن كسب يكفيهم، وساعدة الغارمين على ما يجهلون من الغرامات للإصلاح بين الناس، ولإبناء السبيل الذين يسبحون في الأرض فتتدف نفقاتهم قبل عودتهم إلى أوطانهم، وبغير ذلك من المصالح العمة، ولو أقام المسلمون في هذا العصر هذا لركن كما كان يقيمها سلفهم الصالح لما وجد فيهم فقير مهين، ولكانت حالهم الاجتماعية أفضل من حال أرقى الأمم، ولتكان السائحون منهم لاكتشاف مجاهل الأرض وخزيرتها والاعتبار بأحوال الأمم فيها أكثر من سائح غيرهم من الأمم، إذ حشهم الله في كتابه العزيز على السياحة النافعة بمثل قوله في سورة الحج (أفلم يسبروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها) وقوله في سورة المؤمن (أفلم يسبروا في الأرض فيظنوا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) وقوله في سورة آل عمران (قد خلت من قبلك سنن فسيروا في الأرض فانظروا) الح

(١٠) إن هذه الشريعة هي خاتمة الشرائع الإلهية، وحكمة ذلك أن الله تعالى قد اكمل بها الدين الحق، فجعلها جامعة بين مصالح الروح والجسد، ومنح الأمة حق الاجتهاد واستنباط الاحكام، بما وهب لها من فضيلة الاستقلال، بعد أن أعدها لذلك بسنة الارتقاء، وبهذين كانت موافقة لمصالح البشر في كل زمان ومكان، خلافا لما يجنيه عليها الصديق الجاهل، وما يتجنه عليها العدو العاقل، وقد بيناه هذه المسألة في التفسير وفتاوى المنار ومقالاته مرارا، كقالات المصلح والمقلد، والفتاوى الباريزية، وتفسير (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) وتفسير (اليوم أكملت لكم دينكم) وتفسير (لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم) وطالما فندنا شبهات المنكرين لذلك

فهذه بعض مميزات هذه الشريعة التي يعرف قيمتها المنصفون من غير أهلها. فان أمكن لهذا المجادل فيها أن يشكك أهلها فيها بما راعه من ترتيب بعض الناس في رواية أبي هريرة رضي الله عنه أو بغير ذلك من الدعاوي (ولن يمكن) فلا يخفى من ذلك إلا انصراف ثلاث مئة مليون سنني ربما يتبعهم زهاء ثلاثين مليوناً من الشيعة (المنار: ج ٢) (١٤) (المجلد التاسع عشر)

وسائر الطوائف الاسلامية عن الايمان بأن المسيح عليه السلام رسول الله المصوم وكتلته التي ألقاها الى مريم الطاهرة البتول، الى مثل اعتماد ملاحدة الاوربيين من الانكليز وغيرهم كمؤلف كتاب (نشوء فكرة الله) ومؤلف كتاب (اضرار تعليم التوراة والانجيل) وغيرهم من الماديين الذين يطعنون فيه وفي أمه الطاهرة ، ويزعمون ان آداب انجيله مفسدة للبشر لانها تعلم الناس الدل بالخضوع لكل سلطة وإن كانت أجنبية جائرة ، وإدارة الخلقين لكل من يريد صفعها ، وتدفعهم الى الفقر بتحريم الادخار والاهتمام بالمستقبل وحرمان الاغنياء من ملكوت السماء .. (مت ١٩: ٢٣)

لو كان الشك في الشريعة الاسلامية يفضي الى تنصر الشاك فيها حتماً لكان للطاعن المشكك فيها — وهو داعية لدينه — عذر ظاهر في التشكيك ، ولكن لا تلازم بين الامرين ، بل علمنا بالتجارب والاختبار أن اكثر الذين يبرقون من الاسلام يكونون ملاحدة معطلين ، وأن الافراد القلائل من المسلمين الذين دخلوا في النصرانية لا يكاد يوجد واحد منهم كان مسلماً حقاً ثم صار نصرانياً ظاهراً وباطناً ، بل هم في الغالب من العوام الفقراء الكسالى الذين يظهرون النصرانية للبشرين لاجل أن يطعموهم ، وهم على جهلهم بحقيقة الاسلام لا يفضل أحد منهم تقاليد النصرانية على ما عرف من تقاليد قومه ، وقلاً يفتح لاحد منهم باب الرزق عند المسلمين الا ويفرّ اليه مفضلاً له على الارتزاق بالتفاق ، وطالما سعوا الى ذلك وطرقوا له الابواب وكلما فتح لاحد منهم باب من باب وأتاب ، فأين هؤلاء الغوغاء ممن يدخلون في الاسلام من كبراء الانكليز وفضلائهم وغيرهم من نصارى الغرب والشرق كالورد هدي

قال حكيمنا السيد جمال الدين الافغاني : ان المسلم لا يمكن أن يصير مسيحياً — وعمل ذلك بقوله — لان الاسلام مسيحية وزيادة ، أي يتضمن الايمان بالمسيح (ص) وبما جاء به بالاجمال ، والايمان بمحمد (ص) وبما جاء به بالتفصيل . وعلمناه نحن بأن دين الله واحد في أصوله من التوحيد والاخلاص والفضيلة ، الا أنه سار كسائر الشؤون المتعلقة بالبشر على سنة النشوء والارتقاء فكان كماله في آخره (اليوم أكلت لكم دينكم وأعمت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً) فالمسلم

لينظر الى ملة كل من نوح و ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام كما ينظر الانكليزي الى القوانين التي كان عليها قومه في القرن السادس عشر والسابع عشر — الى القرن العشرين ، ولكنه لا يتروك ما ارتقى اليه من القوانين المناسبة لحال زمنه هذا الى ما ارتقى عنه من قوانين القرون الخالية ، ولا يعد نفسه بما ارتقى اليه قد خرج عن كونه انكليزيا . وكذلك المسلم يؤمن بجميع الانبياء وبحقيقة أديانهم وشرائعهم ومناسبتها لازمانهم وبأن الشريعة المحمدية كانت هي الخاتمة المكممة للمكاملة الناسخة ، والمسلمون يعظمون جميع الرسل (لا يفرق بين أحد من رسله) ولكنهم يتبعون الاخير منهم

واننا نرى المبشرين يحاولون اقناع المسلمين بدلالة القرآن على تفضيل عيسى على محمد عليهما الصلاة والسلام ، ولو تم لهم هذا لما أفادهم شيئا ، فان المسلمين لا يفرقون بين الرسل من حيث انهم رسل ، وانما فضل الله بعضهم على بعض بكثرة المزايا ودرجة انتفاع البشر برسالتهم ، وقد فضلكم خاتمهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم بعموم بعثته وإكمال الدين المطلق بما جاء به وكثرة من اهتدى به ، ونعتقد أن عيسى لم يبعث الا الى خراف إسرائيل الصالحة كما قال عن نفسه (مت ١٥: ٢٤) ولو فرضنا ان عيسى أفضل بما امتاز به في خلقه وخصائصه لما كان ذلك موجبا لترك الثابت عندنا من شريعة محمد صلى (ص) العامة المكاملة الخاتمة الناسخة لما قبلها الى ما لم يثبت عندنا من شريعته الخاصة المنسوخة ، وعلماء الاصول منا يفضلون ابراهيم على موسى وعيسى (ص) ولكنهم لا يقولون انه كان يجب على بني إسرائيل ترك شريعة التوراة الى ما خالفها من شريعته كما أن من يفضل محمد علي باشا الكبير على أحفاده بخصائصه الفطرية لا يرى ذلك موجبا لترك قوانينهم الى قوانينه ، على أن القاعدة عندنا أنه قد يوجد في المفضل من المزايا ما لا يوجد في المفاضل كما يفضل بعض أحفاد محمد علي جدهم بالعلم وبعض الاخلاق والاعمال

الحق أقول لكم أيها المبشرون المحترمون ان مجادلاتكم وطريقتكم في دعوة المسلمين الى دينكم قد جاءت الى اليوم بضد ما تريدون وتريد جميعا ، فهي تزيد المسلمين استمساكا بدينهم وبعيدا عن دينكم ، وأكبر ضررها الديني في

المسلمين أنها حملت كثيرا منهم على ضد ما يجب عليهم شرعا من -سيدنا عيسى وأمه وحواريه واثناء عليهم بما أثنى الله تعالى ورسوله (ص) فإن كثيرا من العوام صاروا يمتقدون مما يسمعون منكم ويقرءون أو يقرأ عليهم من كلامكم ضد ما يقرره الاسلام من كون الرسل اخوة يجب الايمان بهم وحبهم جميعا ، بل أرى هذا التأثير قد دب الى خواص المتعلمين على الطريقة الافرنجية حتى المشهورين منهم بالتساهل الديني

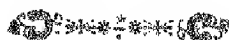
ومن العجيب ان واحدا من كبار هؤلاء علما ورتبة صرح أمامي بأنكم بغضتم اليه المسيح ... قللت له لا ينبغي لمثل سماعتك ان يستعمل مع وجدانه الى هذا الحد ، ولا يخفى عنك ان بغض المسيح عليه السلام كفر ، فقال ان هذا قد ثبت في نفسه ولا يستطيع دفعه

أيها المبشرون المحترمون انكم تريدون تشكيك الناس في الشريعة الاسلامية بالظن في عدالة أبي هريرة ، وقد علمتم ان الظن في أبي هريرة لو كان صادقا ماحط من قدر هذه الشريعة شيئا فكيف وهو باطل ، ولو لم يخلق أبو هريرة لما قصت الشريعة شيئا ، ولكن كثيرا من المسلمين المتعلمين على المنهج الافرنجي يرون ان أكبر الشبهات على الاسلام ، ما أثنى القرآن والرسول (ص) به على المسيح وأمه عليهما السلام ، حتى انني قلت منذ سنين ان أقوى الحجج للمسيح شهادة القرآن له ، وأقوى الشبهات على القرآن شهادته للمسيح ، فهل رأيتم قول القرآن فيه (انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه) قليلا حتى طمعتم باقناع المسلمين بأن يقولوا كلمة أكبر من ذلك ، ورأيتم قوله فيه (وأيدناه بروح القدس) قليلا أيضا فطمعتم بأن تقولوا فيه كما تقولون وان لم نقل ذلك ولم يقم عليه برهان مبين أيها المبشرون الغيورون انكم تعلمون أن اشتغال الناس بالفلسفة المادية والمدنية المادية قد فتن كثيرا من المسلمين بملاحدة الاوربيين الماديين الذين مرقوا من النصرانية وطمعوا فيها أشد العلم لان تنالهم الاناجيل أشد التعاليم وأقساها على الماديين اذ هي روحانية محضة ، وأما الاسلام فهو دين وسط ، جامع بين حقوق الروح وحقوق الجسد ، فلا تؤثر فيه دعوة النصرانية لانه كاتهم مسيحية وزيادة

وأما يخشى على الجاهلين بحقيقته من تيار المادية، وحرية الشهوة الحيوانية، فدارسكم
الافرنجية الدينية منها وغير الدينية، هي التي تكفل لكم التشكيك في الاسلام،
لا الطعن في أبي هريرة ولا ابن عباس، فتمالوا تعاون على مجاهدة هذه سمائم
المادية، التي كانت آقما شديدة على الاسلامية ولكنها على التصراية أشد، ودليل
ذلك انها لم تمنع كثيرا من المتعلمين الباحثين من ترك النصراية الى الاسلام،
وان الملاحدة منا أقل من الملاحدة منكم

ما رأيت كلاما لاحد من الاوربيين المستشرقين في الاسلام والمسلمين بني
على الخبرة والمعرفة ككلام الدكتور سنوك الهولندي، وقد بين في خطبته التي ألقاها
فند سنين في مدرسة كليغورنية الجامعة في الولايات المتحدة أن القضاء على
الاسلام الديني بالتبشير المسيحي محال، وان المسلمين لن يكونوا نصارى أبدا، وان
طريقة اللاتين في بث التعليم المادي في المسلمين، افعل في زلزال الاسلام من طريقة
البروتستانت في بث دعوة الدين، واعتبروا مع هذا ما ترونه من تفضيل أكثر
المسلمين للانكليز والامريكان على اللاتين

انا لا أخاف على المسلمين من مجلاتكم ولا من كتبكم ورسائلكم، وأما أخاف
على المسلمين من الفلسفة المادية والمدنية الشهوانية، ومن مناقبتهم وعباد الشهوات
منهم، فهم الذين يحنون على دينهم وديانهم، وأما أوصيكم بأن تتجنبوا فيما تقولون في
مجامعكم التبشيرية، وما تطعون في رسائلكم وصحفكم الدورية، كل ما يثير العصبية،
ويغضب المودة الوطنية، (٥ : ٥٢ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا، ولو شاء
الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم، فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم
فإنبئكم فيما كنتم فيه تختلفون ١٧٥ : ٨٤ قل كل يعمل على شاكته فربكم أعلم بمن
هو الهدى سبيلا)



المجمع اللغوي المأمول

دعوة الى هذه الامة وخطوة جديدة على ذكرى بلوغ المتقطف سن الاربعين من حياته المديدة

طالما تشوقت انفس أهل العلم والادب من المشتغلين بالتصنيف والانشاء والترجمة لسان العرب الى انشاء مجمع لغوي للتعاون على خدمة اللغة العربية بالطرق التي تقتضيها حال هذا العصر . وطالما تحدثوا بهذا في انديتهم وسماهم . وكثير ما هموا ولم يفعلوا ، وما اقدموا ثم احجموا ، وما بدأوا ثم لم يثبتوا . وقد كان عدم تيسر المكان اللائق بهذا العمل من الموانع العائقة لكثير من الذين تمنوه وتحدثوا بشأنه عن مواصلة المذاكرة فيه ومعاودة الاجتماع لاجله . فلما انشأ الاساتذة المتخرجون من مدرسة دار العلوم ناديتهم منذ سنين قليلة فعاينت آمال كثير من الناس بهم ، وكان اختيار حفتي بك ناصف رئيسا لناديتهم ، مقويا للرجاء فيهم ، ثم ماعثم هذا النادي ان خبت ناره ، واطفئت انواره ، ولكن بعد ترك حفتي بك لادارته ، ومناذرتة مدينة القاهرة مرتقيا في منصبه

لاح لنا امس بارق أمل جديد ، عسى أن نصل في نوره الى ما نريد ، فيكون ذلك من بركات المتقطف المفيد

صدر الجزء الاول من مجلة المتقطف في مثل هذا اليوم - أول مايو - (١) من سنة ١٨٧٦ قتم له امس أربعون سنة . وقد كان مما يخطر ببال كثير من أهل العلم وانصار النهضة العربية ان يجعلوا هذا اليوم عيداً للمتقطف يحتفلون به الاحتفال اللائق بمجدهم للعلوم والفنون بهذه اللغة الشريفة التي لا حياة لنا الا ببجائتها العلمية والفنية ولكن الحرب الاوربية العامة جعلت العالم كله في مأتم ولا تكون المآتم اعياداً

وقد كان في مقدمة الذين شعروا بوجوب الاحتفال بالمتقطف صديقنا الاديوب الخطيب الشهير اسماعيل بك عاصم الخامي وقد رأى ان ما يمنع من اقامة الاحتفالات

(١) كتبت هذه المقالة في أول شهر مايو الموافق ٢٨ جادى الآخرة ونشرت في المتقطف وله كتبته ، ثم في المتقطف ولاجله أنشئت ، وكان المنار موقوفاً لعدم الورق ولم يتيسر نشرها في الجزء الماضي منه

العامة، لا يمنع من اجتماع خاص لتهنئة خاصة، فأعد أس في داره الزاهية مأدبة لصاحبي
المقطف دعا إليها صاحب الدولة رئيس الوزارة حسين رشدي باشا وصاحب المعالي
عدي باشا يكن وزير المعارف وصاحب الفضيلة الشيخ محمد نجيب مفتي الديار المصرية
وصاحبي السعادة يحيى باشا إبراهيم رئيس الاستئناف الاهلي واحمد زكي باشا كاتب
سر مجلس النظار وحضرة صاحب العزة احمد بك لطفي السيد مدير دار الكتب
السلطانية^(١) وبعض اصحاب المجالات العربية المشهورة

انظم عقد هذه الجماعة عشاء في تلك الدار، المتألقة بالانوار فكانت ساحراً
علمياً من أرقى السمار، افتتحها حضرة صاحب الدعوة بهذه الايات

يابدوراً قد تجلى في سما العليا سناكم
جاءت الافلاك داري حين حياها فداكم
فاقبلوا مني دعاء اسعد الله مساكم

وبعد مسامرات كان جلها في مناقب العرب وما سبق لهم من ترقية العلوم
والفنون تحلقوا حول تلك المائدة، فأصابوا مما طيف عليهم به من أولائها الفاخرة، ثم
نهض الداعي الوفي الكريم فألقى خطبة فنية في الثناء على المقطف المفيد، وعلى
مفتيه الفيلسوفين الكبيرين الدكتور يعقوب معروف والدكتور فارس نمر، بين فيها
خدمته الجليلة للعلم والعربية وذكر انه انشئ في بيروت ثم جذبه مصر اليها، وذكر
مقالته نشرت في الجزء الاول كانتا كالمرآة التي تجلى فيها كماله - مقالة في عمل الزجاج
ومقالة في القمر وتشكله منذ يبدو هلالا الى ان يكون بدرًا كاملاً (قال) وكذلك
كان المقطف فانه كالزجاج في صفاته وبهائه، وهو كالقمر بدأ هلالا ثم صار بدرًا كاملاً
واسأل الله حفظه من المحاق

ثم ذكر بدء معرفته لمثني المقطف من زهاء ثلاثين سنة وذكر من فضلهما
وأخلاقهما ماهو معروف، وأشار في خطابه الى ما سبق من احتفاله المشكور ببلوغ مجلة
المنار عشر سنين، وذكر المنار في سياق الاستدراك على وصف المقطف بالسبق في

(٢) انما ذكرنا الاتباع الرسمية لهؤلاء الكبراء مخالفين لسنة المنار لان المقالة كتبت
للمقطف كما تقدم

خدمة العلوم. ثم قام كاتب هذه السطور فاستأذن الوزير الأكبر بالقاء كلمة في الموضوع هذه خلاصتها :

ورد في الحديث الشريف « من لم يشكر الناس لم يشكر الله » وقد رأيت صديقنا الفاضل اسماعيل بك عاصم استدرك على وصفه المتقطف بأنه المجلة العربية الوحيدة التي قامت بما قامت به من خدمة العلم فذكر المار وقرنه بالمتقطف وقال ان المقتطف فضيلة السبق ، وذكر اني اعترف له بذلك ، كما اعترف لابن معط ابن مالك ، اذ قل في فاتحة الالفية :

وهو بسبق حائز تفضيلا مستوجب ثنائي الجيلا

نعم ان اعترف للمقتطف بالسبق والتبريز في العلم ، وأزيد على ذلك الاعتراف بأنني قد استفدت من المتقطف من أول عهدي بطلب العلم ولا أزال استفيد منه . انني لما دخلت المدرسة الوطنية في طرابلس الشام وذلك أول عهدي بطلب العلم رأيت أستاذنا الشهير الشيخ حسيناً الجسر مشتركاً في المتقطف ومواظباً على قراءته . فكانت تلك أول معرفتي بالمتقطف وصرت استميره بعد ذلك وقرأه ، فاستفدت من مباحثه فوائد عقلية وصحية واجتماعية ، ولا أزال اعتمد على ما يكتبه في معرفة أطوار التجدد العالمي المعصري

ان المتقطف في نظري مدرسة جامعة سيارة يستفيد منها العالم العربي في كل بلد يقرأ فيه . فان الذين يتعاملون بمبادئ العلوم المصرية باللغة العربية ، يحتاجون الى الوقوف على ما يتجدد فيها بالبلاد الغربية . ولا سبيل الى هذا الا بالاطلاع على الكتب والمجلات الاوربية التي تصدر في كل عام وهذا لا يتيسر الا لبعض الاغنياء المثقفين لبعض لغات العلوم الاوربية — فالمتقطف يلخص لنا في كل شهر ما لا يستغني عنه قراء العربية

من حق المتقطف على الامة العربية ان تحتفل به في الوقت المناسب ونرجو ان يكون ذلك على رأس الحسين من حياته النافعة

احتفل فريق من المصنفين ببلوغ مطبعة المعارف سن العشرين في خدمة الصناعة واتقانها فاذا جرينا على سنتهم كان علينا ان نقيم للمقتطف عشرينات من

الاحتفالات . كان على مروجي الصناعة ان يقيموا لامتقطف مثل هذا الاحتفال لان له مطبعة أخرجت للناس من المطبوعات النافعة ما لم يخرجها غيرها فحسب ، بل لان للصناعة باباً في المتقطف فهو مرشد الى ترقيةها بجميع فروعها . وكان على المجتهدين في ترقية الزراعة ان يقيموا له احتفالاً آخر لان للزراعة باباً فيه . مثل باب الصناعة ، ومثل هذا يقال في كل علم وفن ، ولكن صديقنا اسماعيل بك عاصم جمع لنا في هذه الليلة صورة مجلدة لما يجب على الامة مفصلاً

ان أكبر مقربة للمتقطف ومنشئيه انهما حجة اللغة العربية على من يتوهمون أنها لا تنفع لجميع العلوم المصرية ولا يسهل تعليمها بها . فهذان العالمان الكيران تعلموا العلوم باللغة العربية واشتملا بالكتابة والتأليف فيها مدة اربعين سنة فأقادا العلم ما لم يفده أحد من المتعلمين منا باللغات الاجنبية

هنا ملخص ما قلته . ثم أتى أحمد زكي باشا خطبة نفيسة في فضل المتقطف ومنشئيه في خدمة العلم باللغة العربية افتتحها بما هو معروف في الفقه الاسلامي من تقسيم الواجب الى فرض عين وهو ما يطلب من كل فرد من الافراد كالصلاة والصيام ، وفرض كفاية وهو ما اذا قام به بعض الافراد سقط الطاب عن الباقيين (كالقنون والصناعات التي لا يستغني الناس عنها في معاشهم) . وقال ان صاحبي المتقطف هما اللذان قاما بفرض الكفاية من خدمة العلوم والفنون (١) . ثم ذكر أول عهده بالمتقطف وانه أرسل اليه سوئالاً الى بيروت ثم عهده بروية منشئيه وما يحمد من صحبته لهما

وقام أيضا الشاب التعجب اميل أفندي زيدان صاحب مجلة الهلال الفراء فأثنى على المتقطف وذكر انه تلميذ تلاميذ منشئيه العلامةين وذكر ان والده وهو استاذة الأول كان تلميذها وكذلك كان اساتذته في المدرسة السككية من تلاميذها ثم قام صاحب مجلة المفتاح الفراء توفيق أفندي عزوز فخطب خطبة اثنى فيها على امتقطف بما هو أهله وذكر استفادته منه كغيره وقال ان منشئيه العلامةين

(١) ان ما يجب على المسلمين وجوباً كفايياً لا يسقط عنهم بقيام غير المسلمين به بل يأثمون بتركه وان كان من الواجبات المباشرة كالطلب والصناعات

الفاضلين قد افادوا بأخلاقهم كما افادوا بمجتمعاتهم فمما باتفاقهما وتسكافلهما واخائهما اقدوة
صالحة لهذه الامة التي تشكو من التفرق والاختلاف وقلة الثبات ما هو أعظم طائق
لها عن القيام بالأعمال النافعة

وبعد ذلك قام السلامة الدكتور فارس نمر فألقى خطاباً يليقاً قال في فاتحته إنه
بلسانه ولسان شريكه واخيه الدكتور صروف يشكر أولاً لسعادة اسماعيل بك عاصم
عنايته بهذه الدعوة ويعتب عليه انه جعلها بصورة احتفال ومما قاله :

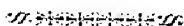
« ان حضرة رب هذه المولمة شرف ادارتنا منذ بضعة أيام وهنأنا بمرور أربعين
عاماً على مجتمعتنا المتقطف ودعانا الى تناول الطعام مع جماعة من علماء مصر وأرباب
المجلات العربية الذين دعاهم احتفالاً بذلك فأبنا لحضرته ان الوقت لا يصلح
للاحتفالات ولا خدمتنا نستحق هذه العناية ولكن ابت مكارمه ومكارمكم أيها
السادة الا ان نخصونا بالنصيب الاوفر من محاسن هذه الليلة وان نتحفوننا بهذا
الدمج الذي لا نستحقه فلحضرة صديقنا الفاضل صديق العلم والادب رب هذه
الدار والبلدة الوزير الكبير رئيس الوزراء ولعمالي وزير المعارف والفضيلة مفتي الديار
المصرية وسعادة رئيس الاستئناف الاهلي وسعادة سكرتير مجلس النظائر وسائر
الذين تكرموا بالثناء على المتقطف وذكره بالخير ولبوا هذه الدعوة اكراماً له جزيل
الشكر من هذين الماجزين

ثم قال : « ان المتقطف وان كان قد انشأ في القطر السوري فقد كان ممظم
انتشاره في القطر المصري وقد لقي من أعظم مصر أعظم عضد وأرحب صدر حتى
ان وزير مصر الشهر المحرم رياض باشا كان يكتبه منذ بدء انشائه ولما نقلناه من
سورية الى مصر رحب به رحمه الله كما رحب به الوزير الكبير شريف باشا والعالم
المرحوم شفيق بك منصور وغيرهم من أعظم مصر وأكبر علمائها . والامل وطيد ان
خدمة المتقطف على ما بها من الضعف تجد من تأييدكم أيها السادة ما يقويها ويزيدها
اضافاً مضاعفة بموازنة سائر المجالات والمجرائد العربية في عصر مولانا السلطان
المعظم الذي حق لنا ان نباهي به سلاطين الشرق والغرب ممأً على حبه للعلم واكرامه
للعلماء ورغبته في اعلاء منار الادب وعيونه على نشر المعارف وجوده في سبيل التربية

أدامه الله للامة العربية فخراً وأدامكم للغة العربية ذخراً
ثم دارت بعد ذلك المذاكرة في مسائل علمية وافوية أفضت الى الكلام في
شدة الحاجة الى انشاء مجمع لغوي في مصر فقال احمد لطفي بك السيد مدير دار
الكتب السلطانية ان احمد زكي باشا كان قد اقترح عليّ ان اخصص مكاناً من
دار الكتب لذلك . واني اجبت الى ذلك فلديّ الآن في المكتبة مكان لائق
كانت الجرائد ذكرت اننا قرشناه واعدناه لرغبات المطالعة من السيدات وليس
هنا سيدات يفشين دار الكتب للمطالعة فعدلن مكاناً

فسر جميع الحاضرين بهذا وقابلوه بالثناء ورأوا ان قد زالت به عقبة من عقبات
الشروع في تأسيس المجمع اللغوي الذي بينا مكاتبه من النفوس في أول هذه انقطة
وزادهم سروراً ما رأوه من ارتياح الوزير الاكبر ووزير المعارف للشروع في تأسيس
المجمع اللغوي بدار الكتب السلطانية . وأرجو ان نبشر قراء العربية في مقال آخر
بتأسيس هذا المجمع بالفعل

وقد امتد هذا السمر المفيد الى منتصف الليل فانصرف السامرون مثنين على
رب المنزل اطيب الثناء



جمال باشا السفاك

كان جمال باشا من آحاد الضباط الكثيرين المنتمين الى جمعية الاتحاد والترقي
فلم يلبث ان ترقى فوق الهام والروس الى مقام الزعماء على حين قد تدهور أمير
الالاي صادق بك عن منصة الزعامة العليا لها وسقط كثير من الضباط وغيرهم من
مكاناتهم العالية . وانما ترقى جمال بك ببراعته وجروته على سفك دماء خصوم الجمعية،
فهو الذي دبر مكيدة المذبحة الاولى في أدنه اذ كان واليا لها بعد الدستور، وهو
الذي قتل اجلم الغفير من كبراء الآستانة المخالفين للجمعية عقب اغتيال محمود
شوكت باشا ، ولاجل هذا اختارته الجمعية لقيادة فيلق سورية بعد الحرب على كونه
لا يزال ناظراً للبحرية ، وما سمعنا في أخبار دولة من الدول أن أحد وزرائها يعطى

وظيفة دون الوزارة في بلاد بعيدة عن العاصمة فيكون فيها عدة سنين في أشد أوقات الحاجة إلى قيامه بشؤونها ونهايك بوزيري الحربية والبحرية في وقت الحرب ، ولكن زعماء الجمعية يأخذون المناصب العليا بعلومهم في الجمعية لا بخدمتهم للدارة نعم ان الجمعية اختارت جمال باشا لأجل ان يتم تنفيذ ما توعدت به سورية من بضع سنين في جريدتها طنين وعبرت عنه (بالدش البارد) وإنما كانت مذبة الكرك وتعذيب العرب برضخ رؤسهم بالصخور هي الرشة الاولى من هذا (الدش) واننا — على علمنا بهذا الانذار وبما هو أشد منه وأوضح وعلى ذكرنا بعض تلك النذر في مقالات (العرب والترك) وغيرها في المنار — قد ارتبنا في أول خبر بلغنا عن شق جمال باشا لبعض زائعي المسلمين في بيروت . ولا يزال أكثر المصريين يكذبون أخبار التقتيل والنفي التي تكررت بل تواترت . وقد ظفرت جريدة المقطم ببيان لجمال باشا نفسه نشرت في اليوم السابع من شهرنا هذا يصرح فيه بعمله ويحتج له . وهذا ما نشرته :

(بيان من جمال باشا)

نشر جمال باشا القائد الألماني في سورية البيان التالي بإمضائه في ٥ رجب سنة ١٣٣٤ الموافق ٧ مايو سنة ١٩١٦ وهذا هو نصه العربي كما نشر بمجروفه — :
ما جرى التماس على بعض الأشخاص المنسبين الى الحزب المنشكل في مصر والممالك العثمانية تحت تسمية عنوان « حزب اللامركزية » والذين حوكموا في ديوان الحرب العربي بعاليه كنت كتبت في البيان الذي نشرته في أوائل اغسطس سنة ١٣٣١ ان التحقيقات جارية بصورة دقيقة بحق اعوانهم الاشرار الذين لم يكن قبض عليهم قبلا

ان الوثائق السياسية التي عثرنا عليها واعتراف عبد الغني العريسي صاحب الميزد الذي ألقى القبض عليه أخيراً بعد ان ذكرنا في البيان قراره واعتراف سيف الدين الخطيب عضو محكمة بداية حيفا السابق ورفيق رزق سالم ضابط الاحتياط ورفقائهم الآخرين قد نور المسألة من جميع اطرافها وسبق الى ديوان حرب عاليه الأشخاص الذين ظهر ان لهم علاقة في هذه المسألة بدرجات متفاوتة مع من تبين

ان لم دخلا في المساعي الخائنة بتنفيذهم ترتيبات الجمعية وتشبثاتها وأعمالها. وفي ختام التحقيقات والمحاكمات التي أجراها الديوان العرفي في غالبه صدرت الاحكام المقضاة بحق المظنون فيهم من الموقوفين والفارين كل على حسب اشتراكه في ترتيبات هذه الجمعية التي غايتها ومقصدها سلخ سورية وفلسطين والعراق عن راية السلطنة العثمانية وجعلها امارة مستقلة. فحكم على شفيق بن احمد مؤيد العظم والامير عمر بن الامير عبد القادر. وعمر بن مصطفى حمد. ورفيق بن موسى رزق سالم. ومحمد بن حسين الشنطي. وشكري بن بدري علي العلي، وعبد النبي بن محمد العربي. وعارف بن محمد الشهابي. وتوفيق بن احمد البساط. وسيف الدين بن ابي النصر الخطيب. والشيخ احمد بن حسين طيارة. وعبد الوهاب ابن احمد الانكليزي، وسعيد بن فاضل عقل. وبترو باولي. وجرجي بن موسى الحداد. وسليم ابن محمد سعيد الجزائري. وعلي بن محمد حاجي عمر. وورشدي بن احمد الشمعة. وامين لطفي بن محمد حافظ. وجلال ابن سليم البخاري. بالاعدام ثبوت اشتراكهم في هذه التشبثات بالدرجة الاولى وبصورة فعلية. وعلى من تبين دخوله في الدسيسة بصورة فرعية، سالم بن مصطفى مظلوم بالاعتقال بالقلعة خمس سنين وتوفيق بن محمد الناطور ويوسف بن نجيب سليمان بعشر سنين، وحسين بن خليل حيدر بخمس عشرة سنة، وعلي رياض ابن رضا الصلح بنفي مؤبد. وعلى الامير طاهر بن احمد الجزائري بعشر سنين في انكريلك. وعلى الذين مع كونهم لم يفهموا المقصد والتبثت الحقيقي وثبت وجود مساع لهم مع هذه الجمعية بصورة محسوسة اما بسائق الجهل أو التصلف وأن لم يوجد عليهم وثائق تنور وجدان الهيئة المحاكمة وثبتت مجرميتهم واشتراكهم وهم رضا الصلح وأسعد حيدر باعادتهما الى منفاهما. وأعطى القرار بمنع محاكمة وبراءة كل من محمد أفندي كامل الهاشم، ابراهيم القاسم. سامي العظم. الشيخ جمال الدين الخطيب. عبد الحميد معلم الرسم. محيي الدين فريجه. البيطار حسين صبري. ورشدي الغزي. عاصم بيسو الغزي. عزت الاعظمي، مصطفى الكيلاني. وعبد الرحيم حنون، الدقنور حسام الدين. نجيب شمبر. الشيخ فتح الله. الدقنور أحمد قدري سليم الطيارة. جميل الحسيني. المفتي سعيد أفندي الهاني. سليم الشمعة.

سلم البخاري . فائز الحوري . رشيد الحشيمي . عمر الاناسي . البكباشي على رضا .
الدقور أمين قازماء سعيد عدوه . الدقور عبد الحفيظ اليوزباشي جميل . فريد
باشا اليافي . عثمان العظيم

ومن الذين صدر بحتمهم حكم الاعدام وهم شفيق المؤيد . الامير عمر . شكري
المسلي . عبد الوهاب الانكليزي . رشدي الشمعة . رفيق رزق . ملوم ، جرى اعدامهم
هذا الصباح في الشام . والآخرون جرى اعدامهم في بيروت ، وسائر المجرمين صار
سوقهم الى مفاهم وجبوسهم وعلى هذه الصورة تقرر اذا في سورية وفلسطين السكون
والامن المحتاج اليهما الى الابد

وها أنا ذا انشر الآن من الوثائق المهمة التي كانت اساساً لهذه التحقيقات
ما يكشف الغطاء عن حزب اللامركزية الحقيقي وينشر كتاب حاو جميع الوثائق
على تحدة مع اعترافات المجرمين المهمة وتاريخ صغير لهذه المسألة

ومن ايمان النظر في هذه الوثائق يفهم أولاً : ان هؤلاء الاشخاص قد ضحوا
بلا تردد جميع ما لديهم من المتدسات الدينية والوطنية لقاء منافعهم الشخصية والمادية .
ان هؤلاء الاشخاص قد اشركوا مساعيهم ونفوذهم وقدرتهم اعداء الدولة وسعوا في
اعداد الطاعة في الداخل تجاه تجاوزات الاعداء في الخارج

ومما هو جدير بالتقدير ان ادارة هذه التثنيات لم تتسع بالنظر لما خيل عليه
العنصر العربي النجيب من الصداقة والطاعة والصلابة الدينية المارية عن شوائب
الظنون والشكوك بأسرها بل حصرت بين بعض اشخاص مسلمين ومسيحيين
لا أهمية لهم ولا يكاد يتجاوز عددهم المائتين من المحكوم عليهم حديثاً وقد تأجأوا رغياً
و بناء على الصلاحية التي تخولني اياها المادة الثانية من القانون المؤرخ في ١٤
مايو سنة ١٣٣١ المتضمن التدابير التي ينبغي للجهة العسكرية التوصل بها في وقت
الغبر العام ضد الخارجين على الحكومة واجراً آتتها فاني ساع في ابعاد اولئك الاشخاص
الذين يتخذون حقوق الدولة ومقدساتها ملعبة في سبيل منافعهم الشخصية مع من
لهم علاقة معهم من اسرهم وعائلاتهم من قريب أو بعيد الى بعض ولايات
الاناضول . وقد اتخذت الاسباب الكافلة لإعاشة هذه العائلات ورعايتهم في

الحال التي يتفون اليها تحت عناية الحكومة السنية وعاطفتها، وسيعطون هناك أراضي وأملاكاً قيمتها تعادل أملاكهم وأراضيهم التي يملكونها في سورية . واني أوصي جميع الاهلين في سورية وفلسطين بالسكينة والطمأنينة . على انه من الآن فصاعداً لم يبق محل لاجراء التعقيبات والابعاد الى الولايات العثمانية في حق احد مطلقاً ما لم تظهر وثائق قوية تدل على خيائته
قومندان الفيلق الرابع وناظر البحرية
أحمد جمال

[المنار] كل ما احتج به جمال باشا لسفك الدماء واجلائه الناس عن أوطانهم بأباطيل . وقد قتل بعد من ذكرهم هنا عدداً ليس بقليل ، منهم السيد عبدالحيد الزهراوي الشهير ، وأول أباطيله تسمية القتل برأيه وأني دواءه العرفي قصاصاً ! وإنما القصاص في شرع الله أن يقتل الجاني بمن قتله بغير حق . ومنه في اللغة يدل على المساواة والمناطة .

ثم انه يقول ان النعمة الموجبة للقتل والنفي هي الاشتراك في جريمة غارتها جمل العراق وسورية وفلسطين مملكة مستقلة بعد سلبها من ولاية الدولة ، ونحن نعتقد بطلان هذه التهمة بأدلة كثيرة (منها) أن الحرب الذي نجده أصلاً تهمة التي رى بها هؤلاء الناس له برنامج معروف مطبوع ينطق بكذب تلك التهمة (ومنها) أن هؤلاء الذين اعترفوا بالبشا يقتلهم في هذا البيان لا يوجد فيهم الا واحد أو اثنان من الداخلين في هذا الحرب (ومنها) اننا نعلم بأختبارنا لبعضهم والاعتبار من تتق به الآخرين انهم لا يجمعهم رأي ولا مودة ولا سكنى ولا معرفة فكيف يتفقون مع ذلك على أمر عظيم كالذي اتهموا به ؟ وإنما الجرم الأكبر الذي يجمعهم وبه استحقوا العقاب هو أنهم من أذكيا العرب الذين يقولون بوجود محافطة قوتهم على انفسهم وأن يكون لهم حظ من مشاركة الحكومة في ادارة بلادهم ، وإن لبعضهم ذنوباً سابقة لا يفرها الاتحاديون كاهانة شقيق بك طالمت بك ، والسعي لدمقرض أوردية للاتحاديين عشرات من الملايين ، يضيعونها وتبقى البلاد رهينة بها لعدائين ، وتوثيق أعضاء المتدنى الادبي في الاستانة عرى الاخاء بين طلبة العرب في مدارس الحكومة فيها ، واهانتهم لصاحب جريدة اقدم التركية في نشر تلك المقالة التي قال فيها كانتهم ان الطريقة المثلى للتبكيين بحرب الجزيرة اغراء بعضهم بقتال بعض بالمال « لان العرب تبسج كل شيء بالمال حتى العرض والاموس »

ثم انه يعرج بأنهم أخذوا بالظن فلم تثبت عليهم تلك التهمة باليقين ، ولو ثبتت لما جاز قتل أحد منهم بها شرعاً ولا قانوناً لانها عبارة عن رأي سياسي لم يدع قتلهم انهم شرعوا في تقييده بالخروج على الدولة في أثناء الفجر العام الذي حكمهم بقانونه . وكيف يقول أن يقوم نفر قليل هؤلاء بالخروج على الدولة والسواد الأعظم من قوتهم يخالفهم فيه باعتراف جمال باشا نفسه والدولة تحكمهم بلا هم بالاحكام العرفية القاسية وجميع شبان الامة وكهولها جنود مسلحون بين يديها ؟ وبأيت شمري ما تلك المنافع المادية الحسنة التي ضحى أولئك الأذكيا الفضلاء دنسهم ووطنهم لاجلها ؟ ان كانت ما ذكره من غاية جميعهم الزعومة ، فذلك غاية سياسية عالية لامادية خسية ، وان كانت غيرها فلا هي ؟

باب المراسلة والمناظرة

الكتب المعزوة الى غير مصنفها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد فكثيرا ما طبعت كتب ونسبت الى أكار علماء الاسلام - وهم برآء منها - إما غلطاً وإما قصداً لتكون نافقة في البيع أو لإدخال أشياء في دن الاسلام ليست منه ، ولا يكون لقاتلها من ثقة المسلمين به ما يؤهل قبول قوله عندهم ، فيختبئ وراء اسم أحد الأئمة المقبولين عند المسلمين ، وينحله كتابه ، وذلك لما ضاق بلزادة الامر وحصرت أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في دواوين معروفة ، ويزن فيها الصحيح من غيره ، فلم يتمكنوا من وضع الاحاديث عليه كما كانوا يفعلون في أول الاسلام قبل تدوين الحديث ، ومفسدة هذه الكتب ظاهرة للعيان

رأيت كل هذا فعمت بحول الله تعالى وقوته على بيان الاغلاط الواقعة في نسبة بعض الكتب المطبوعة الى غير أهلها نصيحة للمسلمين ، وتزكية لأئمة الدين ، وخدمة للتأريخ ، فكلما عثرت بشيء منها نشرته في مجلة المنار الغراء

ثم اني لا أقصد ببياني هذا طعنا في أحد من طابعي هذه الكتب فلا يخرجهم ذلك فانما قصدي بها وجه الله تعالى والله الموفق لا هادي الا هو

(١) من الكتب الدخيلة الموضوعة قصدا كتاب يسمى (سر العالمين) (١) ألفه أحد الزنادقة من الفرقة الباطنية ، ونحله حجة الاسلام أباً حامد الغزالي رضي الله عنه ، وأدخل فيه كثيراً من عقائد الباطنية التي كان الغزالي أشد أعدائها ، ومن أكثر العلماء رداً على معتقديها ، وأدخل فيه كثيراً من علوم السحر ، ثم أراد أن

بحق نسبة الكتاب الى الغزالي فصار دائما يحيل في بعض المسائل على كتب الغزالي كالأحياء والرد على الباطنية وغيرهما، ويقول «فما كتبناه في كتاب كذا» أو نحوه، ويذكر كتابا من تصانيف الغزالي، ولكن الله سبحانه وتعالى أراد أن يفضحه ويبين كذبه كرامة للغزالي وغيره على حجة الاسلام فانه قال في صحيفة (٨٣) من الطبعة المصرية «أشدني المعري لنفسه وأنا شاب» الخ وهذا كذب فاضح، فان أبا العلاء المعري مات سنة تسع وأربعين وأربعمائة، أي قبل أن يولد الغزالي بستة أو سنتين، فانه ولد سنة خمسين وقيل سنة إحدى وخمسين وأربعمائة فليحذر الناس من اللثة بهذا الكتاب وأمثاله فهي مفسدة للدين، وليتق الله طبعوها ولا يفرروا بعامة المسلمين، وليتحرر أحدهم صحة نسبة الكتاب الى المنسوب اليه

(٢) ومن الكتب المنسوبة قصدا للتفاد كتاب يسمى (كتاب الفوائد المشوق الى علوم القرآن وعلم البيان) ^(١) نسب الى الامام الجليل شمس الدين ابن القيم رضي الله عنه، وهو كتاب لا بأس به فيه فوائد أدبية، وكتب بلاغية، فصيح العبارة، ويظهر أن مؤلفه كان من الكتاب المنشئين، لا العلماء المحققين — أمثال إمامنا ابن القيم — فان له في بعض المسائل تحقيقات واختيارات سخيفة لا يقو لها من شام للعلم بارقة

لوم يكن لشمس الدين ابن القيم بين أيدينا كتب غيره هذا لقلنا كاتب يتسخر ويظن أنه محقق، وأحق يشكك ويظن أنه عاقل، ولكن كتب ابن القيم تنادي بقوة نظره، ودقة بحثه، وكثرة علمه، وبعد غوره، والله دره من امام جليل، وحاش لله أن يقول في اعجاز القرآن كما قال مؤلف هذا الكتاب فانه قل في صحيفة (٢٥٥) بعد أن حكى الاقول في وجه الاعجاز ما نصه: «قال المصنف عفا الله عنه: والاقرب من هذه الاقاويل الى الصواب قول من قال ان اعجازه بحر اسسته من التبديل والتغيير والتصحيح والتحريف والزيادة والنقصان، فانه ليس عليه ايراد ولا مطعن» هذا اختياره وحكاية مثل هذا تفني عن رده وضرب الامثال على بطلانه ^(٢)

(١) طبع أيضا في مصر سنة ١٣٢٧ (٢) المنار: مائة حفظ القرآن من التفجير لم يظهر الا بمرور

الزمن، فلا يتجدد الذي (س) بها الرب

وأغرب من هذا القول قوله في الصحيفة نفسها بعد أسطر : « وقال قوم اعجازه من جهة أن التحدي وقع بالكلام القديم الذي وصفة قائمة بالذات وأن العرب اذا تحدوا بالتماس معارضتهم له ولا تيان بمثله أو يمثل بمضه كلفوا ما لا يطاق ومن هذه الجهة وقع عجزهم وهذا القول أيضا حسن » هذا كلامه بنصه واني أترك للقارئ فهم معنى التحدي بالصفة القديمة فذلك مما يقتصر عني عن دركه

وقد اتصل بي أن النسخة الخطية التي طبع منها هذا الكتاب كانت نسبتة فيها الى ابن القيم مكتوبة عليها بخط جديد غير خط الاصل فقبل لطابعه لا تنسبه لابن القيم فلعل كتب هذه لم يتحرر النسبة خصوصا وان الكتاب غير معروف في كتب ابن القيم ، فأبى ونسبه اليه ، فحسننا الله ونعم الوكيل

(٣) وما يلحق بهذا وان لم يكن منه تماماً ما وقع في مختصر البخاري لازيدي المسمى « التجريد الصريح لاحاديث الجامع الصحيح » فقد كتب على طرته في النسخ المطبوعة بالمطبعة الاميرية والمطبوعة بالخيرية والمطبوعة بالمطبعة الميمنية مانصه « للحسين بن المبارك الزبيدي » وهذا غلط فان مؤلفه هو أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشرجي الزبيدي المتوفى سنة ٨٩٣ هجرية . وأما الحسين بن المبارك الزبيدي فشيخ ذكره المؤلف نفسه في خطبة كتابه في اسناده الى البخاري ، وبين المؤلف وبينه ثلاثة شيوخ . والريب أن كاتب الحواشي التي بهامش النسخة الاميرية ذكر في أول صحيفة منها اسم المؤلف على الصواب ، فلا أدري كيف كتب هذا وغفل عما في طرة الكتاب . وأما المطبعتان الاخيرتان فتبعتا المطبعة الاميرية من غير تحرر ولا نظر . وحصل مثل هذا في نسخة شرح الشرقاوي عليه الذي طبع بالمطبعة الميمنية فانهم طبعوا بهامشه المتن ونسبوه في طرته الى الحسين بن المبارك الزبيدي مع أن الشارح في أول الخطبة ذكر اسم المؤلف على الصواب انتهى

كتبه

ابو الاشبال

عفا الله عنه

دعوة اللجنة التحضيرية

﴿ لمشروع جمعية آداب اللغة العربية بلندن ﴾

تشرف اللجنة التحضيرية لمشروع « جمعية آداب اللغة العربية » بلندن بتوجيه نظرکم الى منافع هذا العمل المسطورة باليجاز في (ذيل) هذا الكتاب آملا من غیرتکم التعضيد المادي والادي قدر جهدکم حتی اذا اجتمعت الاعانات الضامنة للنجاح منکم ومن أمثالکم أبرز للمشروع الى حيز الوجود في القريب العاجل تحت رعاية « الجمعية الملوكة الأسیویة » التي هي من أعظم الهيئات العلمية الباحثة في آداب الشرق . ولا يخفى على حضرتکم المظهر الجليل والفائدة الکبری من تحقیق هذه الامنية في أكبر عواصم العالم . وقد لاحظنا أن للمعضدين ميولا مختلفة ما بين عامل أدبي أو علمي أو وطني أو ديني ، فلعلکم مدفوعون بعامل أو أكثر من هذه العوامل لخدمة آداب الألسنة الفصيحة العربية ، والسعي في نشرها بواسطة هذه الجمعية الدولية التي تعمل اللجنة على تأسيسها وتوطيد دعائمها .

هذا ولو أن الظروف الحاضرة الاستثنائية ربما عدت غير ملائمة، إلا أن فلاح مثل هذا العمل كما تبين لنا بعد درسه يستدعي بذل مجهولات كثيرة تستغرق زمنا غير وجيز فمن الصواب اذن عدم التأجيل . فنبذا لوظفرتنا بمؤازرتکم لنا ، فجلائل الاعمال انما تقوم بمساعي الجماعة وتساند الافراد ما

رئيس اللجنة التحضيرية
د. س. م. مهليوش
كاتب سر اللجنة
احمد زكي أبو شادي

﴿ مقاصد الجمعية ﴾

- (١) أن تخدم آداب اللغة العربية بجميع الوسائل التي تسمح بها مالية الجمعية
- (٢) أن تشجع تعلم العربية السليمة في بريطانيا العظمى وأن تنمي في أعضائها الجمعية ملكة الترجمة من وإلى العربية وسواها من اللغات حبا في الفائدة العامة .
- (٣) أن تكون واسطة تعارف بين الناطقين بالضاد في بريطانيا العظمى والمستعمرین بها ، وكذلك بينهم وبين علماء العربية في جميع أقطارها وبين المستعمرین في الممالك الاخرى لتبادل المنفعة الادبية . اهـ

مصائبنا بالزهرراوي والكيلاني

فجعتنا الجرائد المصرية في يوم واحد بنعي الصديقين الوفيين المصلحين السيدين الجليلين عبد الحيد الزهرراوي شهيد بني الاتحاديين ، ومحمد وجيه الكيلاني شيخ اسلام القيليين . جاءتنا بذلك في أثر تلك الانباء التي شقت المرأى ، واستغدت الدموع من الحاجر ، أنباء تقتيل جمال باشا لصفوة أبناء سورية وأركان النهضة الاجتماعية فيها ، فالآن الآن قد صار القواد في غشاء من نبال ، فاذا اصابته سهام أخرى تكسرت النصال على النصال

خسرت أمة الاسلام وديار الشام وحزب الاصلاح بالزهرراوي والكيلاني رجلين من أفضل رجال العصر عقلا وذكاء وأخلاقا وعلما وأدبا واهتماما بالمصالح العامة ، وتقديما لها على المصالح الخاصة ، وبهذه المزايا تنهض الامم ، وبفقدائها تسقط في مهوي العدم نبت كل منهما في بيت من أكرم بيوتات القطر السوري شرفا وسؤدا وعلما ومجدا ، وترى كل منهما في نشأته الاولى تربية علمية دينية ، وأوتي نصيبا من العلوم والفنون المصرية ، واختبر حال الزمان وأهله ، وعرف شدة حاجة بلاده الى التأليف بين المختلفين فيها بالاديان والمذاهب والآراء والمشارب ، فكانا ركنين من أركان الوفاق ، وعاملين من أنفع عوامل الاصلاح ،

فهذا ما اتفق معناه في هذان الصديقان الكريمان ، وأما ما اختلفت فيه نشأتهما وسيرتهما فهو ان السيد الزهرراوي قد تفرس بالسياسة في حداثته فغلبته على الاشتغال بشيورها بما كان مستعدا له كالتوسع والتصنيف في الفلسفة وعلوم الاخلاق والاجتماع ، فكان أفضل ما يرجى نفعه فيه ما وصل اليه من انتخاب أهل بلاده إياه نائباً عنهم في مجلس المبعوثين ، ولا أقول ثم تعيين الحكومة إياه عضواً في مجلس الاعيان ، لان هذا قد كان بسبب جمال الاتحاديين بمجالس الامة بقسميه آلة لجعل ما يقرره جمعيتهم قوانين نافذة ، وأعمالا منسوبة الى الامة ، وكان الغرض منه خديعته وخديعة العرب به ، الى أن تسترح الفرصة لتنفيذ ما قرره الجمعية من قبل من التشكيل

بالعرب والفتك بزعمائهم كما أشرنا اليه في موضع آخر وسنعود الى بيانه
وأما السيد الكيلاني فقد تخرج بالاعمال الادارية الشرعية فكان من موظفي
مشيخة الاسلام في الآستانة ، وبهذا وما سبق من مزاياء كان أفضل من يختار لما
اختبره من جعله شيخا للاسلام في جزائر الفيلبين ، وكان يتقي شر السياسة بالمداواة
حتى أنه لما عرج على مصر في ذهابه الى الفيلبين تجاهل معرفة المنار وصاحبه ، وهو
على مذهبه الاصلاحى ومشربه ، لانه كان يرجو المساعدة من الخديو وحكومته ،
وكان الخديو مغاضبا لصاحب المنار من بضع سنين . وقد اخبرني بعد ذلك انه كان
يفضل طلب المنار من حديثنا السيد محمد بن عقيل المقيم في سنغافوره على طلبه من
مصر ، وانه قد تجدده له من الحاجة اليه في منصبه الجديد ما لم يكن يعطيه من قبل .
وسنعود الى الكلام في سيرة هذين الصديقين ان شاء الله .



مسألة الأزياء والعادات

من مشخصات الامم

زي الامة من مشخصاتها ينبغي لها أن نحافظ عليه ونحترمه ونحتقر من يحتقره كما
تحتقر العلم الذي هو شارة حكومتها ، فالعلم لا يحتقر لشكله ولا لونه أو ألوانه ، وليس من
العقل ولا من الحكمة أن تزدحم الاشلام أو تمدح اشكلها أو ألوانها ، وكذلك أزياء الامم
من حيث هي أزيائها ، ولكن بين الزي والعلم فرقا واحدا وهو أن الزي يتصدبه من
المنفعة ما لا يقصد بالعلم ، فاذا اشترك مع العلم في أن كلا منهما مشخص للامة مهما
يكن شكله ولونه وصفته فانهما يفرقان في أن بعض الأزياء لا ينبغي بما يقصد بها من
وقاية الجسم من أذى الحر أو البرد أو سهولة القيام بالاعمال العسكرية والصناعية
والزراعية .

ومن الناس من يرجع في اختيار الأزياء الى مراعاة الذوق والجمال ، ولكن
هذا ليس له قاعدة ثابتة ، وإنما يستحسن جماهير الرجال في كل أمة ما تخاره كبراؤها
وحكامها ، وإنما يبنى بالذوق والجمال في الزي النساء وهن في كل أمة يستعدين

زيا جديدا ييطلن به ما كان قبله مستحسنا ، ولا يرجع ذلك الى فضيلة في زي اليوم على زي أمس تثبت بدليل علمي أو عقلي . وانما فائدة الجديد لمن جذب الانظار الى السابقات اليه ، وفائدته المالية لتجار الانسجة وصناعة الخياطة لانهن ، ويقابل ربح هؤلاء من الأزياء خسارة المسرفات فيها ، فكم من بيوت خربت بمثل هذا الاسراف من أكبر جنائيات الافراد على أمتهم أن يحترق أحد منهم زيا ، ويستبدل به زي أمة أخرى تقليدا وتفضيلا لها ، فاذا كان بعض أزيائها ضارا بها ، فالواجب في استبدال غيره به أن يكون برأي أهل الحل والعقد فيها ، الذين يرعون في التغيير المنفعة دون التقليد الذي يثبت في الأمة الشهور بمهاتها وتفضيل غيرها عليها . وقد وفينا هذا الموضوع حقه من البيان في المنار وقبل المنار في كتابنا (الحكمة الشرعية) الذي كتبناه في عهد طلب العلم ، واقتبسنا منه نبذا في المنار اذ طرقتا باب هذا البحث مرارا .

ولست أبحث الآن في أزيائنا هل يحسن تغيير شيء منها وكيف ينبغي أن يكون التغيير ، وانما أريد أن أقول ان بعض الافرنج ينغرون من أزياء الشرقيين ويكرهون أن يأكل في مطاعمهم الخاصة بهم وبالاغنياء المتفرجين منا من لا يلتزم عاداتهم وآدابهم في الطعام ، ومنهم من يرى ان كل من لا يلبس الزي الافرنجي لا ينبغي أن يأكل في تلك المطاعم ، ولم في ذلك أعذار ومبار ، وقد روت جريدة (وادي النيل) الاسكندرية أن اثنين من المعممين دخلا مطعا افرنجيا فطردا منه لانهما معلمان ، وقالت في لومهما انه لا يبعد ان يكونا ذهبا منه الى آخر مثله لعله يقلبها . وأشارت أيضا الى انتقاد صاحب المطعم الافرنجي . أما نحن فانا نخص باللوم فريقين من أمتنا : فريق الذين يتصدون لمواكلة الافرنج في مطاعمهم ، وهم لا يلتزمون آدابهم وعاداتهم . ومنهم من لا يلتزم الآداب الاسلامية التي هي أرق الآداب ، وفريق المتفرجين الذين يحترقون زي أمتهم وعاداتها وآدابها ، ويستبدلون بها غيرها تقليدا للاغنياء وتفضيلا لهم على أنفسهم ، ويكونون آلة لاضاف مشخصات أمتهم ومقوماتها وهم لا يشعرون ما وراء ذلك كما يشعرون به غيرهم . ومن أراد أن يعرف رأي الافرنج في ذلك فليقرأ خطبة الدكتور سنوك المستشرق الهولندي في

الاسلام ومستقبله التي ألقاها في جامعة كولومبيا من الولايات المتحدة ، وقد نشرنا ترجمتها في المجلد السابع عشر من المنار مع تعليق طويل عليها (١) ومن أراد أن يعرف قيمة هؤلاء المتفكرين في نفس الافرنج فيقرأ ما كتبه في شأنهم لورد كرومر في كتابه (مصر الحديثة)

من أهان أمته باحتقار شيء من مقوماتها أو شخصياتها بازاء احترام ما يقابل ذلك من أمة أخرى فقد احتقر نفسه أشد الاحتقار ، وما قيمة الرجل الذي ليس له أمة محترمة في نفسه ، ومن ذا الذي يكرم من يحقر نفسه باحتقار أمته * ومن لم يكرم نفسه لم يكرم *

إذا ما أهان امرؤ نفسه فلا أكرم الله من يكرمه

يجب على كل من أوتي نصيباً من الفهم أو حظاً من الشرف أن يقاوم جهد طاقته كل ما فيه احتقاراً لأمته مهما يكن رأي المحتقر وقصده ، ومن ذلك أن لا يأكل أحد من المصريين في مطعم يهين أصحابه مصرياً زيه أو عاداته أو غير ذلك ، ولا أن يشترروا شيئاً من تاجر يهين مصرياً ، ويجب على أمثال هؤلاء أن يبذلوا جهدهم لمنع الإهانة عن أمتهم وإغاثتها عن معاملة كل من يقصر في احترامها ، وإنما يتيسر هذا بتعاقد الاندية والجمعيات الادبية والشركات التجارية

كانت شركات البواخر الافرنجية في الخط الذي بين الهند وخليج فارس وشط العرب تهتقر المسافرين فيها من العرب والفرس ولا تسمح لهم بالأكل على مائدة الدرجة الاولى فلما أنشأت تجار العرب في يومجي شركة البواخر العربية زال ذلك الاحتقار وبطلت تلك المعاملة

وافترق لي منذ بضع عشرة سنة أفني دخلت مطعماً سوريا في القاهرة وقت العشاء وجلست الى مائدة من موائده فطلب رجل انكليزي أن أترك تلك المائدة لانه يجلس اليها للطعام ولا يحب أن يأكل مع شيخ أزهرى ، فلم أبال بطابه ، فطلب من صاحب المطعم ذلك فاعتذر انيه بأنه لا يمكنه ذلك . وقد سألت عن اسم الرجل وعمله وذكرت ذلك لصديقي مستر منشل أنس الذي كان وكيلاً لنفارة المالية

وقتئذ فاستاء من ذلك وكتب كتابا الى رئيس ذلك الرجل في مصلحة السكة الحديدية كلفه فيه ان يارزه الاعتذار الي، واخذت الكتاب بنفسه وعدت راضيا بما كرما ولا تخفى على عاقل أن ما نحتاج الى اقتباسه من علوم أوربة وفنونها وصناعاتها لا يقدر هذا التفرنج الذي نذمه ولا يأتي من طريقه بل ينافيه، لان التفرنج تقليد في الاربعاء والمعادن يحدث اتفرق في الامة وانحلال روابطها، واقتباس العلم النافع والعمل الرافع يجب ان يكون بطريق الاستقلال لا التقليد، وان تراعى فيه حاجة الامة في العمل ويقصد به ترقية ثروتها وعزة دولتها، ولم ترهؤلاء المتفرنجين من الترك والمصريين ساروا على ذلك الدرب ووصلوا الى هذه الغاية، بل هم الذين نسفوا ثروة بلادهم وقطعوا روابطها حتى وصلت الى ما هي عليه، وليس في بلادهم شيء من العمران إلا وقد كان يعمل الاجانب ومعظم فائدتهم لهم، وانما سار على ذلك شعب اليابان الذي شرع في اقتباس الفنون الأوربية بعد الترك والمصريين مناه فكان طلاب العلوم منهم في أوربة يتلقون العلوم العملية، اذ يتلقى الطلاب من العلوم النظرية والسياسية، وكانوا مثال الجد والعمل والاقتصاد، اذ كان أكثر طلابنا مظهر الفسق والسرف والفساد واليك من المبرة هذا المثال : كان بعض الأوربيين والأوربيات مع بعض اليابانيين في بلاد اليابان فخلع ياباني نعله في المجلس، فأنكر عليه ذلك بعض الأوربيين لان خلع النعال أو الجلوس بغير نعلين مستهجن في عاداتهم ولا سيما حيث يوجد النساء. فقال الياباني : انا ياباني لا أوربي وهذه البلاد يابانية لا أوربية فبأي حق تطالبوننا باتباع عاداتكم في بلادنا والواجب عكسه؟ أو قال كلاما بهذا المعنى. فهذه هي الوطنية لا ما يتشدد به المتفرنجون الذين لا يعقلون عاقبة ما يأتون وما يدعون قلنا ان اقتباس الفنون النافعة من الغربيين — وكذا ما يستلزمه من اعترافنا بجهلنا وبحاجتنا الى علمهم — لا يعد احتقارا للامة بل اصلاحا، ونقول أيضا اننا في حاجة الى الإصلاح في كثير من المعاداة الضارة، وأن ذلك لا يعد احتقارا للامة وطالما كتبنا في ذلك. ومن أبواب المنار الواسعة باب (البدع والخرافات والتقاليد والمعادات) وانما الواجب أن نعتمد في هذا الإصلاح على شريعتنا وهي أكمل الشرائع وآداب ديننا وهي أكمل الآداب

المسحاة

١٣١٥

وَأُولَئِكَ هُمُ أُولُو الْأَلْبَابِ
فَيَقْتَبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ وَأُولَئِكَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ
فَيَقْتَبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ وَأُولَئِكَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ

يُقَرَّبُونَ إِلَى اللَّهِ وَالَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ
فَيَقْتَبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ وَأُولَئِكَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ
فَيَقْتَبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ وَأُولَئِكَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ

﴿قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالسَّلَامُ : إِنَّ لِلْإِسْلَامِ صَوِي وَ « مَنَارًا » كَذَا الطَّرِيقُ﴾

مصر: سلخ شوال ١٣٣٤ - ٦ النذبة (ص ٣) ١٢٩٤ هـ ش ٢٩ أغسطس ١٩١٦

آراء الخواص في المسألة العربية

(واستقلال الشريف في الحجاز)

في ليالي رمضان وأيام عيد الفطر نيسر لي أن أعرف من آراء أهل العلم والرأي
بمصر في المسألة العربية واستقلال الشريف أمير مكة في الحجاز ما لم يكن يقتصر
في وقت آخر من السنة ، لكثرة التزاور في هذه الليالي والأيام ، وتوسع الناس فيها
بالكلام كنفسهم بانظام ، وقد جرت فيها بيننا وبين كثير من أساتذة الأزهر
والمدارس العليا وكبار القضاة والمحامين والأطباء وغيرهم من أهل الرأي مذاكرات

ومحاورات طويلة في هذه المسألة جديرة بأن تنشر وتدون لأنها ربما كانت أهم مسائلنا الحاضرة ، ووقائع تاريخنا التي نحفظها لأحقابنا الآتية ، فראينا أن نشر في المناظر أطول محاورة منها وأجملها للمقاصد ، ثم تلخص في الخاتمة صفوة الآراء كلها ، وبذلك تم الفائدة من تلك الأحاديث بغير تكرار ولا عبث وهذه المحاورة كانت يفتاوي بين أستاذ معروف بأعذار الفكر واستقلال الرأي ، وقد وقفت في اليوم الثاني بعد عيد الفطر ، وهامى ذى - ونعبر عن الأستاذ بحرف ذ وعن نفسه بحرف ب :-
ذ - ما رأى الأستاذ في استقلال الشريف أمه مكة بالحجاز ، فاني رأيت كثيراً من إخواننا ومعارفنا لا يعد ذلك أمراً ذا بال ، ومنهم من لم يصدق أخبار البطريرك ، حتى أن أخانا الشيخ أ. قال لي في إحدى ليالي رمضان عقب نشر البلاغ الرسمي عن استقلال الشريف إنه لا يعرف أحداً صدق هذا الخبر من قبل ، وإنه هو لم يصدقه أيضاً إلا بعد نشر البلاغ الرسمي ، وإن من الناس من لا يصدق البلاغ الرسمي نفسه ! وما أظن أن الأستاذ على رأي هؤلاء ، ولا أنك تقول إن هذا الأمر ليس بندي بال

ذ - صدقت ، أن هذا الأمر ذو بال ، وأنه قد شغل مني البال وهيج الباليل -
وانني مخالف لمؤلاء الناس الذين أصبحوا لا يهتمون بشيء من الأشياء ، ولا يصدقون من الانتباء إلا ما يلد لهم ، ولا يقبلون من الآراء إلا ما يوافق أسوأهم ، ولذلك راج بينهم رأي قلوه بالقبول ، وهو أن الشريف لم يعلن الاستقلال إلا لضرورة اقتضت البلاد من المجاعة التي أوقتها فيها الحصار البحري أو كاد ، فقد امتنع بذلك وصول الانوات إليها من مصر والسودان والهند وجل قوتها من هذه البلاد ، حتى قيل أن أردب القمع صار في مكة ببضعة جنهات ، فمذر الشريف في اظهار دعوى الاستقلال جلي ظاهر ، وهو لا يزال مخلصاً للحكومة التركية في الباطن وليس له غرض في ايجاد حكومة عربية ، ولا طمع في خلافة قرشية ، ولولا ذلك لتأثله الدولة هذا هو الرأي الراجح في البلد

أما أنا فلا أجزم بقبول هذا الرأي ولا برده ، وإن كان مقولاً في نفسه ، لا في أصله أنه قد وجد في ظلم السياسة مسألة تسمى المسألة العربية ، ولكن لم أتف على

١٤٦ هل يمكن أن يكون الحجاز موطن ملك مستقل (المنار: ج ٣ ص ١٩)

كنها ومبلغ قوتها ، ولا على مكانها من الشريف ومكان الشريف منها ، وأعلم أيضاً أن الحجاز ليس فيه الاستعداد المطلوب لإنشاء دولة ، ولا القوة التي يقوِّف عليها استقلال الخلافة ، وحيوة أهل موقوفة على الدولة التي تملك التصرف في البحار والدولة ذات السيادة على بلاد الشام ، فإذا منع هذه القوات من هنا وهناك مات أهل جوعاً ، ثم إن المشهور أن أمراء جزيرة العرب وزعماءها متحاسدون متباغضون « بأهمهم بينهم شديد » ولولا سيطرة الدولة العثمانية عليهم لأفنى بعضهم بعضاً . والشريف - إذا كان يأمن بطش الدولة الآن فهو لا يجهل أنها إذا بقي لها استقلالها بعد هذه الحرب أمكنها الانتقام منه وإزالة إمارة الحجاز وجعله ولاية عثمانية محضة . وإذا زال استقلالها وفرضنا أنه أمن على استقلاله من صاحب عسيرة وصاحب نجد فإنه ليس بالذي يكون الملك المستقل الذي يطلبه العرب ، ولا بالذي يجمد الخلافة الإسلامية التي يحرص على استقلالها جميع مسلمي الأرض ، لأن الاستقلال بأمر الملك والخلافة يقوِّف على الثروة والقوة وأين هما من الحجاز وأين الحجاز منها ؟ فلهذه الأفكار تراني مضطرباً في هذه المسألة ، وأنا أعلم أن عند (السيد) من أخبار هذه المسألة والاختبار فيها ما ليس عندي ولا عند أحد من المصريين ، فهو أعلم مناقشون جزيرة العرب وشؤون أمراءها ، وأعلم مناقضوا الحركة العربية وباطنها وأحوال أهاليها وجميعياتها . كأنه أوسع منا علماً بأحوال الدولة الدلية وأوسع اختباراً لها وأكثر تفهماً لها فيجود من أخبارها ، يمتدح له بهذا من يقرأ بروية وامعان ما يكتبه في هذه المسائل في مجملته ، وانني أود أن أقف على ما عنده في مسألة الحجاز من رأي ورواية بالتفصيل ، وقد تعرضت لهذا غير مرة فلم تكن حالة المجلس أو الوقت ، يسمح للسيد بالافاضة في ذلك ؛ فعمسى أن نسق هذه الآن ما فاتنا من قبل .

د - لم أنس أن باب الحديث في هذه المسألة قد فتح بيننا مرتين قبل هذه المرة ، فكان الكلام فيها وجيزاً لظهور وقته ، على أن الحديث شجون ، والإنسان يندكر في وقت ما ينساه في آخر ، فإذا ذكره مجدته تذكرك ، وانني لا أجهل على الاستاذ بما عندي في هذه المسألة من رأي أو خبر أرى فيها فائدة له ، فإذا حدثته بشيء لم يره كافها فله أن يستزيدني من الحديث بالسؤال عما يريد منه ، ولا بأس

بإعادة عيى مما كنا ألمنا به من قبل ؛ وايدأ بيهان ما عندى فى مسألة استقلال الشريف فأقول :

ان الشريف لم يدع ملكا ولا خلافة فلا كلام لنا فى ذلك وما ذكرته لى من رأى الذى دار بين كثير من المصريين فى سبب استقلاله فى الحجاز وتلقوه بالقبول قد سمعته من غيرك أيضاً . وهو رأى كما قلت مفعول ، وعذر الشريف فيه مقبول ، ولا سيما ان كان الاستقلال صورياً كما تظنون ، فانه مسؤول عند الله وعند الناس من إلقاء سكان خرم الله تعالى وحرّم رسوله ﷺ من الملاك ، وإزالة الموانع التى تمتع أكثر المسلمين من الحج إلى بيت الله الحرام ، ولا سبيل إلى هذا وذلك إلا بإزالة الحصر البحرى عن ثغور الحجاز ، الذى كان سببه وجود الجنود التركية فيها ، فان دولة انكسرت كانت صرحت باستثناء سواحل الحجاز من الحصر البحرى التى ضربت ، على جميع السواحل العثمانية ؛ وصححت بنقل الاقوات من الهند وغيرها إلى تلك البلاد المقدسة . ثم انها لما هلت بإرسال أنور باشا لكثير من الجنود التركية إلى الحجاز منعت إرسال الاقوات اليه لان الجنود يستفهمون منها ، وقد كان من المستغرب تمويلها لبعض بلاد أهدائها ولكن تمويلها لجهوشها غير مفعول ، وإنما المفعول ضده ، ولولا احترامها للبلاد المقدسة لضربت سواحلها بمدافع أسطولها وجمعاتها من مواد الحرب أيضاً ، ولكن إزالة الشريف أمهم مكملة لسبب الذى أوجب الحصر ، ومنع القوت والحج ، مناواة للدولة التركية أو الاتحادية لانه قصد لقتال جنودها ، ورفع سعادتها عن البلاد التى هو أمرها ، فالشريف قد اضطر إلى الاستقلال بالامر فى الحجاز ونبت سيادة هذه الحكومة الاتحادية ظهرياً ونحن نخالف من يرى من المصريين ان هذا الاستقلال صورى وان كان بالتواطؤ بينه وبين الدولة ، ومن يرى أنه لا يزال مخلصاً لهذه الحكومة وأنها هى راضية من فعله وحاذرة له فيه ، لأننا نعلم أن إزالة منع القوت ومنع الحج ليس هو الباعث على هذا الاستقلال ولكنه من لوازمه ، وهناك بواعث وأسباب أخرى له سنلم بها فى حديث ذ . اذاً لا ذالم فخر والدولة جيشاً لقتاله ؟ ولماذا حاصر هو الجيش التركى حصاراً ولم يعاجزه القتال ؟

د — أما الشريف فيمنعه دينه من الاقدام على سفك الدم في أرض الحرمين الشريفين من غير ضرورة ملجئة لا مندوحة عنها، وأما الدولة فالمنع لها من إرسال جيش جديد لقتاله إما المعجز وإما العقل، أما المعجز فهو الآن معه بهود، لأن جنود الدولة مغفرون في عدة مهادين من أوربة وعدة مهادين في الاناضول وإيران وال عراق وسورية وسيناء فهي لا تستغنى عن جيش كهو يصلح ما عطل من سكة حديد الحجاز ويبقى قسم منه في مواضع متفرقة من الطريق لحمايتها، ويسير قسم منه لانتفاضة حامية المدينة ثم الزحف منها إلى مكة مع حفظ طرق مواصلاته من مركز نمويته وإمداده في الشام إلى مكة. وأما العقل فيقتضى عدم التصدي لقتال الشريف الآن حتى في حال القدرة وانتفاء المعجز، لأن قتاله يضيف الدولة في الميادين الأخرى، وربما يستتبع خروج حرب الجزيرة كلام أو جلوم عليها، فينتسح الطرق على الرافق، والسكوت عنه لا يضر الدولة الآن، فإن انتهت الحرب بظفرها مع أخطائها أمكنها أن تنصرف في الحجاز بما تشاء، وإن انكسرت مع أخطائها فلا معنى لاهتمامها بأمر استقلال الحجاز، إذ يفرق المنتصرون حينئذ شغل وحدها، ويخشى أن يزيلوا ما كان من استقلالها، بل لا محذور أن يقتضى كل مسلم من ترك الدولة كبريائها أن تسلم بلاد الحجاز وسائر بلاد العرب من الوقوع تحت تصرف الحلفاء المنتصرين في هذه الحالة، ولولا أن الدولة في أيدي الاتحاديين لرجحنا أن العقل يمنحها من قتال الشريف، إن لم يمنحها المعجز، وأما الاتحاديون فقد جعلوا من أصول سياستهم إضعاف العرب حتى لا يكون لهم حقوق مع الدولة إن بقيت، ولا استعداد للاستقلال بأنفسهم إن سقطت، ولسان حالهم مع العرب في هذه الحالة يقول:

اقتلوني ومالكاً واقتلوا مالكاً معي

وقد جمع من أفواههم كثير من طلاب الإصلاح من العرب ما يدل على مثل هذا من مقاصدهم عند ما كانوا يتكلمون معهم في حقوق العرب في الدولة، وفي أحوال أخرى، ألا ترى أنهم اتخذوا حالة الحرب ذريعة لتضييق مصدهم في العرب، فكان المقول أن ينشئوا العرب الولايات صدق وعودهم بالإصلاح وبفوا لهم بهودهم التي عقدوها مع السعود الزهراوى عقب عقد المؤتمر العربى، وينشئوهم على ذلك من

الاصلاحات الداخلية ما يملكون به قلوبهم كما ملكوا أبدانهم وأموالهم فاسقموا
في هذه الحرب كما شأوا ، وفي أمثالنا العربية « عند الشدائد تنهب الاتحاد »
راكن امثالنا لا تصدق على طباعهم وأخلاقهم ، بل تضادها وتناقضها ، فالكشف
كانت عندهم مظهرة للاتحاد في أقبح مظاهرها وأشنع مناظرها ، فبعد أن جندوا
جميع شبان سورية والعراق وفرنهم في الميادين البعيدة عن بلادهم كالردنيل
والبلقان والآناضول - وبعد أن صادروا الاموال والثروات في تلك البلاد ، طفقوا
بقتلون أولى السلم والعرفان وكبار الضباط وسائر أرباب العقول والافكار في كل
من القطرين (السوري والعراقي) وينفون الكبراء والاغنياء ، ويستولون على
ديارهم وأموالهم .

وبعد أن رأوا مآربهم هذا قد تحقق بنير معارضة ولا مقاومة ولوا وجوههم
شطر الحجاز ، لا لاجل الصلاة إلى المسجد الحرام ، ولا لاجل الطواف بين الركن
والمقام ، فانهم لم يكونوا من الطائفتين ولا المصلين ، ولكن ليفعلوا في الحجاز ما فعلوا
في العراق والشام ، حتى إذا تم لهم هذا الارب ، أجهزوا على بنية جزيرة العرب
ذ - إني أعلم أن السوء الاعتقاد في دين هؤلاء الاتحاديين وفي
سياستهم ، وقد قرأت كل ما كتبه في السنين الخالية عنهم ، ولكنني رأيت قد سكت
عن ذلك الطعن الشديد فيهم بعد حرب البلقان ، ثم تدمت عطفه عليهم من بعض
ما كتبه قبيل دخولهم هذه الحرب وفي أمثالها ، وكنت أظن أنه كجهمور المصريين
لم يصدق أخبار المقطم والاهرام ، عن فظائع جمال باشا في بلاد الشام ، حتى قرأت
المقالة التي نشرتموها في الشهر الماضي فعلمت أنكم مصدقون لتلك الاخبار ،
وتصدقون أن يكون لها تأثير سيء في الحجاز وسائر جزيرة العرب

د - نعم انني تركت تلك الحملات على الاتحاديين بعد حرب البلقان وفي
أثناء هذه الحرب لان الحملة عليهم تعد حملة على الدولة ولا ينبغي ذلك في أثناء الحرب
وإن كان بنية صالحة وبقصد اصلاح كما بينت ذلك في المقالة التي فصحت بها
بمثل هذا المسعى سورية قبيل دخول الدولة في الحرب ، ثم انني صدقت ما أتوه من
الفضيل بالارب في الشام ، لانه ثبت عندي بالتواتر فككتبت تلك المقالة وأطلعت عليها

بعض إخواننا قبل أن نحيثنا البرقيات بنياً استغلال الشريف وإن نشرت به ذلك ، ثم علمت بعد نشرها أن أنور باشا مازار سورية والحجاز في أوائل هذا العام إلا ليتولى بنفسه إرسال الجند والسلاح إلى الحجاز لتقضاء على سلطة الشرفاء فيه . وإن قول أنه جاء بصنيعه جميعته الشريف على حميد من الاستانة إلى الشام أو المدينة ليجعله خلفاً لشريف حسين أو أميراً للحجاز في المدينة . فإذا صح هذا انظر فالغرض الصحيح منه أن يضربوا الحديد بالحديد لما في ذلك من المفاسد السكثيرة التي يطلبونها ، فإذا أمكن لشريف حميد وأخيه الشريف جعفر أن يؤثروا ببعض عرب الحجاز على الشريف حسين بمال الدولة الذي يؤيدان به نفوذها سهل على قائد الجنود التركية بعد اضطرار عرب الحجاز أن يستبد بالنفوذ في الحجاز من غير خسارة تذكره ولا صيت قبيح ينشر ، ثم انهم بعد الفتح بالشريف حسين وأولاده يفكون بالشريفين حميد وجعفر ، كما فتكوا بصديق الشريف حميد (عبدالكريم) قاسم الخليل والسهم الزهراوي) إذ تولا وساطة هذا الشريف لما أمكن لعبدالكريم أن يفتح الزهراوى بالمجىء من باريس إلى الاستانة بعد أن أئذر المرة بعد المرة بأن في ذهابه إليها خطر أعلى حمايته ، ولم يكن الشريف ضامناً له الأمن على حياته فقط بل كان ضامناً له الإصلاح الذي وعد به الانحاديون وأكثر مما وعدوا ، وقد رغب إلى هو وعبدالكريم أن أكعب إلى الشريف حميد كتائب شكر لحسن سمعه في هذه السبيل

إننى على ما أعلم من سوء نية الانحاديين وخبث ما أضرموه للعرب قد كنت أحسنت الظن بأنور باشا عند ما جاءنا المقطم بخبر زيارته لسورية والمدينة المنورة ، ولعل الأسماء قد تذكر أنني قلت له حينئذ : إن أنور باشا ما جاء سورية وفلسطين والمدينة إلا لصلح ما أقسده جمال باشا حتى لا يصل سوء تأثيره إلى جزيرة العرب ، وليستعين بعرب الحجاز وغيرهم على هذه الحرب ، فإن أنور باشا هو الذى تولى في أول هذه الأزمة استئالة عرب الجزيرة بما كعبه إلى أسرائهم وزعمائهم من المكثوبات العربية ، المزينة بالآيات القرآنية والاحاديث النبوية ، وقد اطلعت على صور بعض هذه المكثوبات العاتقة والخاصة ، ومنها الكهاب الذى حمله رسول خاص إلى عدوهم الذى لم يمتز فواله بصفة رسمية قط - أعني السيد الادريسي - وهو يعظمه فيه ويحمله

ويظهر الثقة به ، ثم هلمت في هذه الأيام أنه كان طلب من الشريف أمير مكة المكرمة
فجدة عربية لمساعدة حملة سيناء على مصر ، وإن الشريف أرسل الحملة إلى المدينة
المنورة وهي التي تمسرها الآن ، فإن الشريف لما رأى الجنود التركية ترسل إلى
الحجاز بمشركات الألوف وتوزع في منبها وثغورها وهو يعلم كما نعلم وتعلم الدولة
أن الحجاز ليس عليه أدنى خوف من الدول الأوروبية ، فلم يبق لأرسال الجنود إليه
سبب يقتل - والدولة في أشد الحاجة إلى الجنود - إلا التفتك به وبهربه والفتك
بشر فائه انما لم يبرأ من جمعة الأنجاد والترقي الذي يعرفه الشريف كما نعرفه ،
وقد كانوا حاولوا البدء بالشريف قبل هذه الحرب إذ أراضوا الضابط وهيب بك
أحد ضلائهم المحمدين خفية إلى الحجاز ، وبعد وصوله إلى مكة أظهر التقليد الرسمي
الذي منه بولاية الحجاز وقيادة حاميتها ، وكان من أمر خذلان عسكريه في العجروش
بقال الحرب ومحاولة الفتك بالشريف ما هو مشهور ، فلما فحوت الحملة الحجازية
التي ألفت استجابة لطلب أنور باشا لقتال مع جنوده في سيناء إلى حملة تمحاصر جنوده
في المدينة المنورة وتقاتلهم إذا قاتلوا

ف - إذا كان الشريف عالما من قبل بما تضرره جمعية الأنجاد والترقي للحرب
هامة ، وله ولاهل بيته خاصة ، فلماذا كان ينصر الأنجاديين حتى أنه حارب السيد
الادويسي لأجلهم وكاد يحارب أمير نجد ابن السمود كذلك

د - لأدري متى عرف ذلك معرفة لا تحتمل التأويل ، وقد كان أولا يتأول
للأنجاديين ويرجو صلاحهم حتى كان بمض رجال النهضة العربية ينهونه بمشايخهم
وبكراهة السيد الادويسي أن يكون داسلطة في هدير ، وينقل عنه وعن أهل بيته
أنهم يقولون أنهم لا يؤيدون الأنجاديين فيما تقوم به جمعيتهم من الأعمال وإنما
يؤيدون الدولة نفسها فيما تقرر ويرون أن الاهتمام بها وإن جازت على الحرب
وغيرهم أرجح من مقارنتها ولو سراً لئلا نفرض المقاومة إلى العفرق الذي يضعهم
به الحرب مع الترك ، وإن الطريقة المثلى لتلافي ما يرى ضاراً من أعمالها انما هي
طريقة السعي لديها والاجتهاد في اقتناعها بقصر الضرر ونفع النافع ، وهذا الرأي
والملك لم يكن مرضيا عند الأحزاب السياسية العربية من كل وجه ، بل كانوا

برون انه يجب أن يكون الشريف أمير مكة مخلصاً للدولة ومؤيداً لها فيما صار في حيز الأمور التنفيذية فقط لإفقال العرب ، وأما ما لم يصل إلى حيز التنفيذ فلهي أن يكون حزبه فيه معارضاً لحزب الاتحاديين بعد ظهور عصبيتهم الجفسيه وظلمهم للعرب ، ولكن نجله مبعوث مكة المكرمة كان مع صائم مبعوثي الحجاز من الاتحاديين ، وكذلك أخوه الشريف ناصر المصطفى مجلس الاعيان من حزبهم ولم يكن كل هذا شيئاً ، ولا صد الاتحاديين من محاولة تنفيذ ما كانوا يضرون الشريف الأكبر وأهل بيته ، وإنما يكرهون هذا الشريف وأولاده لأن لهم من النفوذ في حرب الحجاز ما ليس لغيرهم من الشرفاء ، قلت آنفاً أننا لا ندري متى عرف الشريف الأكبر حقيقة حالهم وبنس من صلاحهم ، وقد ظهر لنا أنه بنس من بقاء الدولة المتأتمية أيضاً ولعله لولا هذا اليأس ما نهض بهذا الأمر

ذ - ان من الناس من يرى ان الدولة ماسلت من خطر اليأس وعظم الرجاء فيها إلا بدخولها في هذه الحرب ، إذ صارت به ركنا من أركان أحد الحائزين المظومين الذين تتألف منها الدول الأوروبية الكبرى ومشايخاتها من الدول الصغرى ، وقد نقل إلينا المقطع ان من شروط محاليتها الألمانية ان لا تقبل هذه صالحة إلا بشرط حفظ استقلالها ، والصلح لا بد فيه من رضا الفريقين وإن كان أحدهما مغلوباً ، واستقلال الدولة العلية مضمون على كل حال ، فكيف بمقل أن يياس منه الشريف وهو من أركان الدولة الذين هم أعلم منا بحالها وبشروط محاليتها التي منها ما ذكر

د - إذا كان في الناس من يرى ان استقلال الدولة مضمون وان غلبت مع أخلاقها في هذه الحرب ، وكان أحداؤهم المقررين لشرط الصلح ، هن في الناس من يرى ان هذا الاستقلال قد زال بالفعل ، وان انتصر الالمان مع أخلاقهم وتحكموا في شروط الصلح ، أما بقاء استقلال الدولة بعد انكسارها وانكسار أخلاقها فهو معقول ، وأما الرأي الذي يقابله في الفرابية وهو زوال استقلالها في حال انتصارها وانتصارهم فلا صحابه وجه جدير بالعمل ، وهو أن الدولة قد غرقت في بحر الجحيم من الدينون وخسرت أكثر الشبان الماملين في المملكة ، وأفقرت الأمة كلها بمصادرة أموالها واستنزافها بأسماء متعددة ، وكان شجر ميزانيتها قبل حرب البلقان وهذه

لحرب الشان أقترنا وأقترنا أمتها يسد بافتراض الملايين في كل عام ؛ وقد زادت ديونها الآن زيادة كبيرة حتى صار ربح الديون يستغرق معظم الميزانية التي لا بد أن تنفد مما كانت تقصداً فاحشاً ، ومن البديهي أنها لا تجد بعد الحرب من يقرضها كما كانت تجد قبلها ؛ وليس أمامها من الأمم الغنية إلا الأمم الألمانية وقد ذهبت قروض الحرب لدولها ودول أحلافها بمعظم ثروتها ، فلن تقرض دولة وصلت مالهاتها إلى حد الإفلاس ماثل به شئها إلا إذا جعلت مالية الدولة وجميع موارد الثروة في المملكة تحت تصرف دولتها يديرها رجال الألمان الماليون والفنيون — فإذا تدبرنا هذا ، علمنا أيضاً أن الدولة قد جعلت حريتها وبحريتها في أيدي الألمان وجعلت تلم لغتهم إجبارياً في جميع مدارس السلطنة الألمانية وغيرها ، وتذكرنا أن الألمان يملكون عشرين كيلومتر على جانبي سكة حديد بغداد في خط يمتد من ضفاف البصرة إلى بغداد ، فأى استقلال يكون للدولة بعد قبض الألمان على إدارة المالية والحربية ، والعماد والمناجم مع امتلاك هذه الأراضي الواسعة التي تضاهي مساحة مملكتهم ؟

كان لبعض الألمان المقيمين في بلجيكا قبل الحرب ملب أو ملاعب لكرة الملب فيها أهل البيت والعيال ، فلما اقتحم الجند الألمان بلاد البلجيكي المضنون استقلالها منهم ومن سائر الدول الكبرى ظهر أن ملب الكرة إنما بنى بطريقة فنية هندسية لتكون مركزاً للمدافع الفخمة المكموم خبرها عن غير أركان الحرب من الألمان ، وأن المسافة بين الملب وبين الحصون البلجيكية هي مسافة مرمى تلك المدافع التي دمرت تلك الحصون . فإذا كنا قد استفدنا من عبر هذه الحرب أن ملب الكرة ليمال الألمان في زمن السلم كان خطراً على الدولة التي ملك الألمان في بلادها ذلك الملب مع أن دولته ضامنة لاستقلالها ، فهل تصور أن تسلم من انخطر دولة ملك الألمان التصرف في جميع قواتها المالية والحربية والمالية والفنية ، وعلكون في قلب مملكتها تلك الألوف من الأموال التي هي محل العمران المنتظر فيها ؟

ولدينا هبة أكبر من هذه الهبة وأظهر وهي ما قبله المينا المتعطف في جزء صاوس من هذه السنة من مقالة في كونس ورك (الأميرة الانسكايزيه) (قنوات الملك الانسكايزيه وأمبراطور الألمان) قالت فيها هي الملك إدوارد ما نصه :

« وزارني مرة قبل وفاته بثلاثة أشهر لتناول الشاي عندي؛ وتكلم من الإدارة الألمانية فقال « لو كانت بلادنا تدار كما تدار ألمانياه لاستفدنا فائدة كبيرة وباجتبا لو حكمتنا الألمان المدة الكافية لاصلاح إدارتنا» قال ذلك وصمت قليلا ثم قال وهو يضعك « ولكن المصيبة أنهم إذا أتوا ليعكفونا تعذر علينا التخلص منهم» وهذا آخر حديث جرى لي معه لاني لم أره بعد ذلك» اه واستقلت الامهه بهذا الحديث على أن الملك لم يكن يضر العداء لألمانية . وإثبات هذه القضية هو الذي كسبت لاجله المقالة

فاذا كان هذا الملك السياسي العظيم يقول إن دولته التي هي أعز الدول وأعظمها دهاء وتديراً يقتدر عليها التخلص من الألمان إذا دخلوا عاصمتها لتنظيم الإدارة وهي في جزيرة يحميها أقوى أسطول عرفته البحار منذ خلقها الله تعالى ، فهل يقيم سر للدولة الألمانية الضعيفة التخلص منهم بعد ما ذكرنا من تعمرهم المنتظر بعد الحرب إن كان لهم الظفر ، وما تصرفهم فيها الآن بقليل ؟

هذا وإن همة الحرب الحقيقية هي الغنائم الاستعماري ولم يبق في البلاد القابلة للاستعمار ما يشبع مطامع ألمانها ويتسع مجاه لشعبها الكثر ، وفنونها وصناعاتها إلا البلاد الألمانية ، وقد كانت دول التحالف تعارض في استعمارها الإقتصادي مع إبقاء للدولة الصغافيه على استقلالها السياسي الصوري ، فاذا انتصرت في هذه الحرب لم يبق لها معارض من الترك ولا من الأوربيين .

د - والله ان هذا الكلام معقول في نفسه ، ولكن لا يعقل أن يجبهه الاتحاديون فكيف رضوا إذا بمؤالة الألمان ؟ أيعقل أن يكون في يد أناس ملك عظيم فيبدلوا دماغهم وأموالهم لاجل إضاخته ؟

د - لو كان رجال البيت السلطاني وكبراء علماء الدولة وسروانها من قدماء الوزراء والاهيان هم الذين قرروا بالتشاور بينهم القتال مع ألمانياه ونحكيهما في الدولة لكان هذا السؤال أكثر انجهاً ، والجواب عنه متسراً ولا أقول متعذراً . أما وزعماء الاتحاديين هم القائمون بذلك وهم أوشاب لا تعرف لئيد الاسرائيلي الاصل منهم أنساب وصلوا إلى ما وصلوا اليه من الاستبداد بهذا الملك بمساعدة اليهود

البرمانيين - فاجواب سهل ولاناس فيهم رأين يؤخذ من كل منها جواب

سبب تسليم الاتحاديين الدولة للامان

(الرأى الأول) رأى صمغ كشمير من خصومهم، وهو انهم جماعة من طلاب المال والثروة عليهم أعلم البشر بطرق تصفيلها - وهم اليهود - كيف يكونون من أغنى أهل مصر بسلب نزوة هذه الدولة ثم يبيعونها لدولة الألمان الغنية، ويستشهد أصحاب هذا الرأى على صحته بأنهم لو كانوا يريدون بقاء الدولة وتميزها لبدوا عليهم فيها بوضع مالهنا على أساس ثابت يكفريه الدخل ويقن الخرج، ولو أرادوا ذلك لسكانوا أقدر الناس عليه بمساعدة أسانذتهم وأخوانهم من اليهود والاصليين والدونمة (الذين منهم جاويد بك الذى جعله ناظر المالية وفوضوا اليه عقد القروض) ولستكنهم اغتصموا فرصة ماسمحه (حركة الارتجاج) فمزلوا السلطان عبد الحميد ونهبوا من أمواله وجواهره ونحفه ما تقدر قيمته بالملايين الكثيرة، وقد حدثني الثقات من أهل الآستانة انهم كانوا يدخلون قصر (بلدز) فيملأون جيوسهم من تحفه المرصعة بالجواهر حتى ان بعض ضباطهم رؤى بعد امتلاء جيوبه يضع اللعب والمسدسات المرصعة وأمثالها في حذاءه الطويل (جزمة السوارى) ثم اغتصموا فرصة وصول جيش البلغار إلى شطاهجه فسلطوا ما هو أعظم من ذلك من جواهر ملوك آل عثمان ونحفهم المحفوظة في قصر قسطنطين إذ زعموا انهم انما يريدون اخراجها من مأمنها وارسلها إلى الاناضول للابدخل البلغار الآستانة فيقتنوها، وقد عقدوا القروض بعشرات الملايين ولهم من كل قرض سمسة مشهور أصرها وكثر الكلام في الاسعانة فيها، ثم إن ما يصل إلى الخزينة منها بقصرون فيه بضروب من العصرف منها النفقات السرية التى لا تذكر فى الميزانية وأعظمها ما يخصص للهرطقة والذخاوية، وهم يشترون السلاح والذخائر والخياب والاحذية للعسكر بشمن ويتمدون فى دفاتر الخريفة بشمن آخر فيربحون من ذلك مبالغ كبيرة، وبالدليل على هذا أنهم أنفقوا فى نظارة الخريفة خمسين مليوناً من الجنيهات قبل حرب البلقان ثم كان أهم أسباب انكسار جيش الدولة فى البلقان قلة الذخائر وقلة الطعام وسائر ما يقوقف عليه القتال وقد أذكرتنا مساورتهم للأمة فى هذا لايلهم بما كانوا

بصادرون به الاغتياؤه منه صار أمر الدولة في أيديهم — إذ كانوا يهددون كل
 غنى بالانتقام منه لانه من الحزب الحميدى الاربعى إلا أن يقتدى نفسه بما يناسب
 مقدار ثروته ، فأخذوا من على رضا باشا الذى كان ناظر الحربية فى العهد الحميدى
 مئى ألف ليرة ومن زهدى باشا ٣٠ أو ٤٠ ألف ليرة وعلى ذلك فقس ، ثم اتهم
 فوضوا على كل من دخل جمعيتهم دفع اثنين فى المئة من جميع دخله وذلك فوق
 ما فرضه الله من الزكاة على الاغتياؤه فيما فضل عن نفقاتهم وبلغ النصاب وحال هاتيه
 الحلول ، فم ان الاولف من الذين انتسبوا إلى الجمعية كانوا يكتمون عنهم ما يمكن
 كتمانهم من دخلهم ، وبما لا يمكن كتمان شئ منه روائب موظفى الحكومة وقد دخل
 كلهم أو جلهم فى الجمعية ، وقد باعوا البوسنة والمرك وطرابلس الغرب بمدة ملايين
 فالذين يرفون سهرتهم هذه بالفصل يمتقدون أن زعماء الجمعية لا هم لهم
 من حمايتهم إلا جمع الثروة وهم لا يضمنون بقاء الدولة لهم ولذريتهم من بعدهم
 فلذلك باعوها للألمان بهذه الصفة التى استعملوا فيها جميع قوى الدولة فى قتال
 أعدائهم ، وستكون كذلك فى أبدى الألمان ان انصرفوا يستعملون نفوذ الاتحاديين
 وقوتهم على السلطان ودولته فى السبقار المملكة المنافية ويؤيدون الاتحاديين على
 خصومهم السياسيين من الترك والعرب إلى أن تنشب برائتهم فى كل شئ ويستغنون
 عن الاستفادة من اسم الدولة ونفوذها الدينى ويأمنون ممارسة الدول فهصرحون
 بإزالة هذا الاستقلال المصورى الخادع

(الرأى الثانى) رأى أعداء الاتحاديين — وهو مبنى على رواية لا يكاد
 يمر فيها إلا قليل منهم . سنذكرها فى بيان هذا الرأى — وهو أنهم لم يذهبوا المملكة
 بيها ولم يفرطوا بشئ من حقوقها ، وكل ما أخذوه من الاموال للجمعية قصدا به ان
 تكون الجمعية غنية لتتمكن بقوة الثروة من الفوز على خصومها من رجال العهد القديم
 المحافظين على العقائد المعهقة المنافية لما يريدون من التجديد المدنى للدولة والامة ،
 وخصومها من الاحزاب السياسية الخالفة لها فى مذهبها السياسى والاجتماعى كترك
 العناصر وفهر ذلك ، وأما ما أعطى لبعض زعماء الجمعية كالدكتور ناظم وأحمد رضا
 فهو قسيس من طائفة رافى سهل الجمع ، وما هذا ذلك كسيرة القروض والامتيازات

فوق قانوني. ولما رأوا أن الدولة ضعيفة فقيرة لا يرجى أن تنهض بنفسها، والأمة التركية جاهلة متعصبة للتدبير ولا سيما إذا كان من أمر الدين فلا يرجى أن يكون نهوض الدولة من قبلها، ولا يمكن ترقيتها هي أيضاً من قبل الدولة والدولة كلها على هذه الحالة - لما رأوا أن الدولة والأمة كما ذكر جزموا بأن العلاج الوحيد للدولة التركية والأمة التركية هو أن تعولي دولة أوربية قوية تنظم الدولة وترقية الأمة وجمالها كاللدل الأوربية والأمم الأوربية من كل وجه، ولم يجدوا دولة من الدول العظمى ترضى بأن تقوم بهذه الخطة للترك إلا ألمانيا - وهي أرقاها من حيث القوة العسكرية - فما زالوا يخطبون ودها حتى عقدوا معها اتفاقاً سرياً قبل هذه الحرب بسنتين على تكوين دولة تركية جديدة على طراز الحكومات الجرمانية تكون نائمة للانحدار الجرمانى في السياسة الخارجية والحروب وغيرها مما لم نعلم تفصيله، وإنما نعلم منه بالأجمال أن الترك يكونون من الألمان بمنزلة أبناء عمهم المجر من النسبة، ولذلك تكثر جرائمهم من المقاتلة بين الترك والمجر وتبادل ما تقدم أولئك وأخرهم ومن أصل واحد.

ومن المعلوم بالبداهة أن مثل هذا الاتفاق لا يمكن تنفيذه بصفة رسمية إلا إذا صديق عليه مجلس الأمة من المبعوثين والأعيان، وإن الاتحاديين ما كانوا يعجزون على عرضه على المجلس خوفاً من انتفاض أكثر أفراد حزبهم عليهم وانضمامهم إلى الأحزاب المعارضة وبذلك يقضى عليهم قضاء لا مرد له، فكانوا يجهدون السبل إلى جعل مثل هذا رسمياً بأعمال كثيرة لا تتم عادة إلا في سنين كثيرة، لأن السواد الأعظم من الأمة يراه خطراً بل قضاء على استقلال الدولة وعلى دين الأمة، وقد كان المعارضون في المجلس أقوى، ومعظم الأمة على مذهبهم ولذلك استعطاوا الاتحاديين وانزعوا منهم السلطة، ولكن حزب الحرية والائتلاف الذي انفرجها لم يقول أمراً ولا يفسره أن يكفل وزارتي الشيوخ مختار باشا وكامل باشا، ولذلك نيسر الاتحاديين بقوة ثروتهم وتكاثفهم ومساهمة اليهود وألمانهم لم أن يعودوا إلى انتزاع السلطة من وزارة كامل؛ ومن الغريب أن أنكلتره وروسه وغرفه المعارضات لسياسة ألمانهم في الدولة لم ينصرون إلا لحزب المعارضة للاتحاديين ولا وزارتي مختار

١٥٨ طلب جمل الترك من الألمان كالجور من النمسة (المنار : ج ٣٣ : ١٩)

بأشواً وكامل باشا فكان هذا ضمفاً منهن من حيث هو رجحان للسياسة الألمانية في الدولة ، وقد كان المليونون الى تفضيل مودة انكاثره ومن عساه يكون معها من الدول على مودة المانية وأحلافها أكثر عدداً وأرسخ في الدولة قدما ، ولكنهم خذلوا يفضّل الدول التي يملكون اليها للدولة في حرب البلقان .

وهكلام في إيضاح هذا الرأي : تفصيل المسائل التي تتعلق به بطول فنكتفي منه بما لا يخرج به من موضوعنا ، وخلصه أن الاتحاديين متفقون مع الألمان من قبل هذه الحرب بسنين على وضع زمام الدولة بأيديهم ليرغوها ببارهم وفنونهم العسكرية وغيرها فكانت هذه الحرب وسيلة لتنفيذ ذلك الاتفاق السري الذي كان يظن أنه لا يمكن تنفيذه إلا بعد تمهيد السنين العاوال . كما قلنا آنفاً . واني قد سمعت خبر هذا الاتفاق السري في الآستانة إذ كنت فيها سنة ١٣٢٨ من يظن اطلاعهم على مثل ذلك وهم قليل ، والمخاضون منهم للاتحاديين كانوا يظنون أن تنفيذه مستحيل ولهذا كنت جازماً عند وقوع الحرب بأن الدولة ستدخل فيها قطعاً إذ كان سفير الانكاز في الآستانة ورجال حكومته في لندن يظنون أن بين زعماء الاتحاديين خلافاً في ذلك وان بعضهم يميل اليهم والى أحلافهم — كما علمنا ذلك من الكتاب الأبيض بعده فكان خداعهم للأحلاف في هذه الحال وخداعهم لفرنسة قبله إذ أقرضهم عشرات الملايين مما يفتخرون به وما هم في هذا الفخر بملوئين

مكان زعماء الاتحاديين من الدين

ذ — يظهر أن زعماء الاتحاديين قد أوتوا حقاً عظيماً من الذكاء فكيف خفي عنهم ما قررت من الخطر على للدولة في تسليم أزمة أمورها للألمان ، وكيف خفي عنهم الفرق بين الترك والجور حتى طنوا أنهم يمكن أن يكونوا من الألمان بمنزلة الجور من النمسة ؟ ألم يعلموا أن الجور يشاركون النموسيين بأعظم المقومات الاجتماعية وهو الدين فلا يمكن أن يصحكون الترك المتصهين في الاسلام الذين تمثل دولتهم الخلافة الاسلاميه متجهدين بالألمان المتصهين في دينهم المتجهدين في تنصير المسلمين في مستعمراتهم الافريقية ومنع انتشار الاسلام فيها كما علم ذلك من الاوراق التي اكتشفها الانكاز هذا العام في نواصي الحكام الألمان بذلك : وقد قدكرت بها كلاماً لقيصر الألمان في هذا

المعنى نشرته الجرائد منذ سنين أظن أنه في الحث على اتفاق مبشرى الألمان
والبروتستانت مع الكاثوليك على تنصير المسلمين (١)

د - اعلم أيها الاستاذ أن زعماء الاتحاديين الذين كلامنا فيهم ملاحدة
لا يدينون دين الإسلام ولا غيره ، وهذا ثابت من أقوالهم وأفعالهم يعرفه جماهير
العلماء والكبراء في الآستانة وغيرها وجميع السياسيين في أوربة ، وهم يطمنون خروج
الشعب التركي من الإسلام ولولا التدريج الممكن إلى الوثنية بشرط أن يبقى تركها ،
لأنهم يظنون أن الإسلام هو الأمة المانعة من مساوانه للشعب المجري وغيره
من الشعوب الأوروبية . ويشاركهم في هذا الرأي غيرهم من ملاحدة الترك .
ولما كنت في الآستانة نشرت جريدة (إقدام) الشهيرة - وكانت معارضة
للإتحاديين - مقالة في المقابلة بين الترك والمجر ، وتساوات عن سبب ما بينهما
من الفرق في العلم والمدينة مع الاتفاق في النسب ، ورغبت الترك في التشبه بالمجر
وساؤك طريقة بهم والاتحاد بهم .. وقد رغبت يومئذ إلى السيد الزهراوي رحمه
الله تعالى في كتابة ردعائها يقال فيه إن أعظم الفروق بينهما الدين واللغة فهل تنصح
لترك بأن يتكروها معا ليكونوا كالمجر في كل شيء أو يتكروا الدين الإسلامي أو

(١) المنار : اننا نشرنا في ص ٧٢٠ م ٧ أنه كتب إلينا من بعض المقسمات
الألمانية أن ألمانيه تكره الناس هنالك على التنصير وتقرى المداوة بين العرب
المهاجرين إلى تلك المستعمرة وبين الأهالي لأن العرب أشد تمسكا بالإسلام وجنبا
إليه ، وجعلنا هذا العمل مرشدا إلى تفضيل انكثرة على ألمانية . ثم نشرنا في ص
٧٩٩ منه أنه كتب إلينا من دار السلام أن حكومتها الألمانية هدت مسجدين
للمسلمين وتضطهد العرب وتمنعهم من ركوب السيارات الحسنة . ومن الغريب أن
وكالة ألمانية سياسية بمصر بلغتنا بعد نشر ما ذكر ببضعة أشهر أنها كتبت إلى
دار السلام تسأل حكومتها عن حقيقة ما عجزت إليها وأنها أجابت بأن منع العرب من ركوب
المركبات لأصل له ، وأن هدم المسجد كان يطلب المسلمين لبعده عن بيوتهم ، وأن
الحكومة بدلتهم به مكانا آخر قريبا وأعطتهم مالا وافرا . ولكنهم لم تكذب خبر
التنصير بالأكراه الذي نشر في جزئه آخر .

اللغة التركية لاجل ذلك ؟ فقال ان الحكومة لاترضى بنشر مثل هذا . وكان الاتحاديون ينقرون الى الاوربيين بالاتحاد ويمكشفتهم باعتقادهم أن البقاء على الاسلام مانع من ترقى الترك . واجتهدوا فى استماله نصارى السوريين اليهم بهذا وبايعاهم أن العرب المسلمين لن يقفوا معهم لتعصيم الدينى

أمام مذهب الاتحاديين السياسى فهو انشاء دولة تركية محضة معقدة بالعصاف الجزمائى ، وان الترك لا يمكن أن يندفعوا فى الجerman بسبب هذا الاتحاد بحيث يفنون فيهم لأن المحافظة على اللغة التركية تمنع من فناء الشعب التركى المؤلف من عشرات الملايين فى الشعب الألمانى أو غيره

فـ أين عشرات الملايين من الترك والمشهور انهم لا يكادون يبلغون فى الدولة ستة ملايين ؟

د - انهم يمدون مسلحي القوقاس وتركستان منهم ويظنون انهم سيأخذون هذه البلاد بقوة ألمانية ، وأنهم لا بد أن يكرهوا جميع الشعوب الألمانية على ترك لغاتهم إلى اللغة التركية حتى العرب وبذلك يكون لهم امبراطورية كبيرة منظمة على النمط الألمانى ، ومن أمانتهم فى هذا الخيال أن يملكوا مع الألمان الشرق كله أو العالم كله ، وأما الخلافة الاسلامية فيستخدون نفوذها الدينى فى سياسهم وحروبهم إلى أن يتم لهم إفناء الأمة العربية وتكثير النابذة التركية التى برزوها على الاتحاد ونحريف الاسلام عن أصله بجعل القرآن تركياً وتفسيره بمثل ما رأيناه فى كتاب (قوم جديد) وغيره من كتبهم ، ويستغنوا عن نخادة المسلمين والاستفادة منهم باسم الخلافة والاسلام ، فبند ذلك يبدونها بنذ النواة ، ويحملون يوم إلغائها عهداً من الأعياد ، فحاجتهم إليها مؤقتة كحاجة أحد ظراف السوريين إلى البرنيطة فـ بعيشك فكيفنا بخبر برنيطة هذا السورى الظريف لعله يدفع حتى الرعب الذى كاد يساورنى من تصور هذا الخيال التركى الاتحادى الغريب

د - هو الدكتور . . قال انه يائس البرنيطة لأنها تزيد فى ربحه وفى احترامه كما ثبت له ذلك بالتجربة ، وإنه يعنى أن يستغنى عنها ، وقد وعد أصدقائه بأن يدعوم هندما يثبت هذه ذلك الاستغناء إلى احتفال عظيم حتى إذا ما انقضى عقد

(المناظر: ج ٣ م ١٩) دين الاتحاديين الجديد الذي يدعون الترك اليه ١٦١
اجتماعهم يوقد ناراً يحرق بها البرنيطة أمامهم ويرثيها بأحسن مما رثى به الفارايق
هماره ، ويسمى ذلك الاحتفال احتفال احراق البرنيطة
د - أود أن تجربني ببعض ما لديك من الدلائل التي لا تحتل التأويل على
كفر زعماء الاتحاد ، فإن بعض ما يبدل على ذلك قد يحتمل التأويل ، وهذه
مسألة لا يجوز الأخذ فيها إلا بالهتقين

د - إن ما عندي في ذلك كثير جداً إذا أردت بسطه ودفع ما يمكن أن
يورد عليه من الشبهات فلا يتم لي ذلك إلا بتأليف سفر ~~كبير~~ ، وإذا أردت
أن أحصى في هذا الباب جميع ما أعلم من أقوالهم وأفعالهم المنافية للدين ، وما نشره
في كتبهم الجديدة ومصحفهم من المبارات المنفرة عن الاسلام أو الدالة على مذهبهم
السياسي الذي ذكرته آنفاً - فلا بد لي من تأليف عدة أسفار ، ولا بد أن تكون
قد قرأت ما ترجمناه من كتاب (قوم جديد) في - ص ٥٣٩ - ٥٤٤ م ١٧ - سنة
١٣٣٢ من المنار ^(١) ورأيت كيف حرف فيه القرآن وجعل الصيام والصلاة والحج
والزكاة والعمل بكتب فقه الأئمة الأربعة هو دين قدماء المسلمين الذين يمبر
عنهم بكلمة (قوم عميق) وصرح بعدم جواز العمل بملك الكتب وهال ذلك
بأنها ملوثة بالنفاق والشقاق ، وبين في مقابل ذلك أركان دين (قوم جديد)
وهي العقل وكلمة الشهادة والأخلاق الحسنة والجهاد مالا وبدناً والسعي لاهداد
لوازم الحرب بالاتحاد تحت راية الخلافة الاسلامية العثمانية . وصرح بكفر جميع
المسلمين من رعيا دول النصارى والذين تحت حمايتهم ، وبأن المسلمين الحقيقيين
هم الذين حاربوا في البلقان « تحت إمرة أنور ورضا وأسمد وجاويد ورؤف
صلى الله تعالى عليهم وبقية رجال جمعية الاتحاد والترق المقدسة » ثم صرح بأن
هدد الذين يذتمون الى الجمعية في حرب البلقان لا يعاير منة ألف وهم المسلمون
الحقيقيون قال « أما الباقيون فكانوا من المرتدين المنتمين الى الائتلاف (أى
حزب الحرية والائتلاف) والبطر كخانات ، وهو يفضل أنور وطلعت وجمال وغيرهم

(١) نشر المقلم مقالة لبعض العرب العثمانيين في هذه السنة ذكر فيها بعض
الجل من هذا الكتاب فظن بعض الناس ان ذلك قول مخترع ، وقد ذكر هذا
الكتاب في الجزء الثاني من منار سنة ١٣٣٢ الذي صدر في يناير سنة ١٩١٤

١٦٢ فرض الاتحاديين من الطمن المشوه في الاسلام (المنار : ج ٣ ص ١٩)

من زعماء الجمعية على الخلفاء الراشدين وجميع الأئمة والأولياء الصالحين ، بل هو
يقدم جميع الترك القابعين لهؤلاء الزعماء بمثل ما تراه في تلك النبهة المبرجة منه
(ص ٥٤ م ١٧) فانه بعد مخاطبته للترك بأن الله قدسهم وبأن تعظيمهم لخلقاء
العرب ووضع أعمامهم في المساجد يعد إذلالاً لخلقاء الترك « الذين قدسهم الأحاديث
النبوية بزعمه ، وبعد إنكاره عليهم تعظيم الأولياء من العرب كالجيلاني والبدوي
وغشهم للترك بأنه سيخرج من العرب مهدي ، بعد تفصيل هذا وزعمه إنه يحيز للترك قال
« أما سمعتم الآية (والماديات ضيحا) فان الله قدس بهذه الآية الجيوش
التركية ، فخل هذه الجيوش هي أشرف وأقدس أضمافاً مضاعفة من شرافة وقداصة
رؤساء وأشرف الشعوب الأخرى الذين قدسونهم وتحتمونهم » اهـ وليس هناك
رؤساء شعوب كثيرة يحترمهم الترك بل رؤساء شعب واحد وهو الشعب العربي -
الذين ذكر انهم يملقون أعمامهم في المساجد هم : النبي ﷺ والخلفاء الراشدون .
الأربعة والحسن والحسين رضوان الله عليهم .

وقد جعل الاتحاديون عبيد الله افندي مؤلف هذا الكتاب مدرساً في جامع
آيا صوفية لينشر هذه الافكار في شهر رمضان وجعلوا حوله الجللاوزة والشرطة
(البوليس والعصابة) يحمونه من اعتداء المسلمين عليه ، ولسكن من يطعن في جمعيتهم
أو بمض زعمائهم فلا جزاء له إلا القتل اغتيالاً أو صبراً أو بمحاكمة قضائية أو عرفية ،
ذ - ان مؤلف هذا الكتاب مجنون أو معتوه ، ونحريفه لقرآن أشد تشويهاً
وأظهر بطلائاً من تحريف الباطنية ، فكيف يظن هو وزعماء الاتحاديين أن
مسلى الأتراك يتفقونه بالقبول فيؤثر في نفوسهم ؟

د - حقاً ان هذا الرجل يكاد يكون مجنوناً ، ويحتمل أن يكون سبب غلوه
هذا عن خبث ودهاء ، والذي يظهر لي أن لهم في مثله غرضين (أحدهما) ففتح باب
الجرأة للملاحدة الترك على التعرّج بالكفر قولاً وكتابة ليكون مجال القول عندهم
واسعاً في الطمن في النبي ﷺ وفي الخلفاء الراشدين وأئمة آل البيت النبوي
وأئمة الفقه والصوفية ، ولهم كتاب آخرون سلكوا غير هذه الطريقة في هذا
الباب كالكذور هبدالله بك جودت صاحب مجلة (اجتهاد) التركية وأحد مؤسسي

جمهورية الاتحاد والترقي الأولى فإنه يترجم بالتركية مطاعن (كابغاني) المؤرخ الايطالي في النبي ﷺ ونشر كتابه في هذه السيرة التي شوه جملها وانقص كلها بيمتقانه وسوء تأويله ، فكان له رواج وتأثير كبير عند طلبة مدرسة الطب وغيرهم في الآسفانه (والفرض الثاني) نشر ذلك بين هوام الترك الذين لا يعرفون من الاسلام إلا اسمه لملهم بأنهم يقولون كل كلام يقرأ عليهم في كتاب ، وتؤيد فيه المسائل بما يستند إلى الله ورسوله من الآيات والحاديث مما تكن حرفة ، والكلام في هذه المسألة يطول فأكتفي منه في هذا المجلس الذي طال علمك بروايتين من علماء الآسفانه وبعض القضاة الاتحاديين (الرواية الأولى) كان اجتماعيل حق المناصرة لي (رحمه الله تعالى) من أشهر علماء الترك في الآسفانه وهو الذي ترجم (الرسالة الحميدة) بالتركية ، وكان واعظا في جامع (آب صوفية) وسدر سافي دار الفنون (المدرسة الجامعة التركية) وهو الذي صلى بالسلطان محمد شام إماما لجمعة في (قصور) عند زيارته لها ، وكان استناده الاتحاديون بعد الدستور بحسبه محمدا في مجلس الاهوان وجعل ولده كاتب السر لطلعت بك ، فكان جمهور علماء الآسفانه يعرفونه بالذفاق بدعوى أنه مال إلى الاتحاديين وأنه لا ينكر عليهم فيغن الدوام أنه راض عنهم ، ولكن هذا الشيخ الكبير لما عرفني حق المعرفة ووثقني كان لا يبرح عن الاتحاديين في الحديث معي بداره إلا بقلب «الملاحدة» وقد سألني عن رأيي في فطين اغنصلي : «مسلم هو أم زنديق ملحد؟ فقلت : ما الذي أثار هذه الشبهة في نفسك حتى شككت في إيمان رجل من أهل العلم؟ فقال : يا سيدي يظن لنا أن الجمعية تنفق به ثقة تامة . فهذا العالم الجليل المحقق لهم حق الاختبار كان يعتقد أنهم لا يفتنون ثقة تامة بؤمن مسلم أما فطين اغنصلي هذا فهو من (الصفطاء) طلاب العلوم الدينية وقد عني بالعلوم الرياضية فصار متديرا للمرصد الفلكي الذي أفتش في ضواحي الآسفانه وهو ذو همه ونشاط ، وطلني فيه أنه كان يريد استخدام نفوذ الجمعية لبعض المقاصد التي يراها نافعة فيخدمها لهذا خدما نافعه ويترحم أنه قد يقوم ببعض اعوجاجها كما يعلم من الواقع التي أقصها عليك : فليت فطين اغنصلي مرة يتكلم مع (الدكتور ناظم) المرخص المشغول لجمعيه وأعظم رجالها نفوذا فيها ، فلما أقبلت عليها قال قد ذكره هذا فلان بحكم بيننا ، ثم قص علي أنه اخلف مع الدكتور في مسألة مهمة قال : الدكتور يقول إنه يستحيل علينا

الترقى المطلوب إلا إذا نبتنا كل قديم ، اتبنا خطوات فرنسا (١) في تجديد شباب الدولة والملة (أى الأمة) وأنا أقول أننا محتاجون إلى انتباس الفنون عن الاوربيين عامة لا من فرنسا خاصة لأجل ترقية صناعتنا وحريةنا وما يبتغينا ، وأما الامور المعنويه كالآداب والفضائل والشرائع فأننا نفتقدها من ديننا وما عندنا فيه أكل مما عند غيرنا وهو خير لنا ، ولكن الدكتور قال إن هذا كله قد صار رتاً بالياً لا ينفع فلايد من التجديد في كل شيء ، هذا ملخص حديثها ولا حاجة إلى بيان ما أبدت به رأى فطانت افندى بل أقول لك إننى أكرهه من ذلك اليوم ، ولكن العبرة في شك الشيخ اسماعيل حتى في عتميدته لأنه رأى أن زعماء الجمعية يتشون به وإن لم يعرف درجة هذه الثقة ، وقد هرفت رأى جمهور علماء الأستانة في اسماعيل حتى هذا ، وكذلك رأيت كثيراً من المحدثين يفتقدون أن زعماء الجمعية كلهم ملاحدة لادين لهم ، ومن هؤلاء كثيرون كانوا محافظين على الانساب إلى الجمعية يرون أن في هذا خيراً لهم أو مصلحة لادولة والأمة ، ومنهم ألوف تركوها إلى حزب الحرية والائتلاف .

(الرواية الثانية) لما جئت بيروت عاقداً من الهند إلى مصر من طريق العراق وسوريه زارنى قاض من قضاة الترك الاهليين ببغروت اسمه (شوكت بك) كان كثير الهمج بالجامعه الاسلاميه وإبهاهم مسلمى بيروت وغيرهم أن الاتحاديين يزبون بسهامتهم إلى هذه الجامعه ، وكان ذلك في عهد وزارة مخفار باشا والناس يجأهرون بلعن الاتحاديين ولا سبيل إلى استئانهم اليهم إلا بإبهاهم أنهم يخدمون الاسلام ويجهدون في جمع كلمه أهله ، فكان أول حديث شوكت بك معى - بعد مجاملة السلام - السؤال عن مسلمى الهند وإظهار الاهتمام بشأنهم . وانتقل من ذلك إلى مسألة لجامعه الاسلاميه ومايزعمه من ميل الاتحاديين إليها ، فقلت له : ان فاقده الشيء لا يعطيه ، فإذا كان الاتحاديون أنفسهم ملاحدة غير مسلمين إلا أن الاسم فقط فكيف يقومون بهذه الخدمه فى الاسلام . قال : إن الحكيم عليهم جميعهم بالالحاد فيه مبالغه وامل الملحدون منهم لا يزيدون على ثلاثين فى المئه . قلت : الظاهر أنك أسوأ ظناً منى فيهم ، فأنا أعنى بمن حكمت عليهم بالالحاد زعماءهم لاجميع من انمى إلى الجبيهه ، فان لى أصدقاء كثيرين ممن دخلوا فى هذه الجمعيه لا ريب عندى فى إسلامهم ولا فى

صلاحيهم ، منهم من تركوا بعد العلم بحقيقة حالهم ومنهم من يرى من المصلحة العامة أو اختصاصه بقاءه فيها ، وقد صرح على بذلك كثير منهم . وذكرت له اننى اخبرت اكبر أولئك الزعماء بسمى فى الاستغناء ووقفت على ما كان من اختبار أصدقائهم وغير أصدقائهم لهم ، وذكرت له رأى الزعيم الاكبر الدكتور ناظم الذى ذكرته فى الرواية الاولى قال نعم ان الزعماء لا دين لهم «دين سر» ولكن مسألة الجامعة الاسلامية تنفيذ الدولة فائدة سياسية عظيمة فهم لذلك يهتمون بأمرها ، قلت : اننى أعلم انهم يشغلون بتأسيس جامعة تركية لاسلامية عامة وقد بشوا دعاتهم لهذه الجامعة فى القوقاز وتركستان ... ولو كانوا يريدون الجامعة الاسلامية لاعتنوا بتعليم اللغة العربية ونشرها ولكنهم يجتهدون فى إيمانها وكيف يتسارع المسلمون بغير لغة يتفاهمون بها ، اننى طفت كثيراً من تلك الهند فلم أدخل بلادها إلا ووجدت فيه كثيرين يتكلمون معى بالعربية ، ولا يكاد يوجد فيها أحد يعرف التركية ، ولا توجد داهية تحفزهم لتعلمها ، وأما اللغة العربية فمما عدها قديماً العرب ، وهى زداد فى هذه الايام انتشاراً فى الهند وجاوه إلخ (خلاصة المحاوره وفصل الخطاب فيها)

د - لند طالت عليك وأخذت حظاً عظيماً من وقتك ، وقد انقضت ما كنت منك بأن هؤلاء الاتحاديين ملاحة لا يدينون بدين وأنهم مقهورون يسوق لهم الضرر أنهم يستعملون أن يهدوا بناء هذه الدولة وهذه الأمة ثم يبنونها بنساء آخر زينة لهم اليهود ووضع رسمه لهم اللسان ، وأن ذلك يتم لهم فى سنين معدودات ، ولذلك لم يسلوكوا طريقة التعرّيج التى مضت بها سنة الله فى خلق الارض والسوات ، وأحب أن تلخص لى كلامك بمحمل مختصرة

د : (١) إن الشريف أمير مكة المكرمه يعتقد أن الاتحاديين ملاحة يكبدون الدين الاسلامى على ما لهم فيه من المنافع السياسية والمالية فتلهم كمثل المتعصب فى حين اعتدله وهو يرى أنه لا بد له من تركه ويخشى أن يصير إلى عدوه فهو على انتباهه بفنائهم وبما فيه من الخطرات يضع الاقام تحتة لينصفه عند ارادة تركه

(٢) انه يعلم أيضاً أنهم أشد الناس عداوة للعرب وان بعضهم لهم أشد من يستسلم للروم والأرمن المسلمين ، أحدهما أنهم أعظم أركان الاسلام وأنصاره ،

وثانيهما أنهم أكبر الشعوب العثمانية وأكثرها هدداً ، وأنه قد وجد في بلادهم الحضارية كثير من أصحاب المعارف المصرية والأفكار النيرة وما زالت برادهم والبلاد التي هي أقرب إلى البداة ذات بأس شديد وقوة حربية لا يستهان بها . فلا يتم لهم ما يتخيّلونه من تأسيس دولة تركية لادين لها لامة تركية محضة إلا إذا أبادوا هذا الشعب العربي الكبير الناصر للإسلام ، ولذلك عقدوا النية على تنزيك بلادهم الخصبنة المتعلّمة بالقوة القاهرة وعلى اذلال أهل الجزيرة العربية الأتباء باضمافهم ونزع السلاح منهم وإلقاء العداوة بينهم ، وجعل بلادهم المقدسة تحت سلطة عسكرية اتحادية لادين لها حتى لا يستطيعوا أو يقوموا بعمل ديني ولا دنيوي

(٣) أن الشعب التركي غيور على الاسلام وشديد التعصب له وقد عرف عنه من المبالغة في التعصب ما لم يعرف مثله عن العرب ولكن خضوعه للقوة التي تسود عاصمة بلاده أنهم من خضوع سائر الشعوب العثمانية ؛ بل هو شعب لا يعمل الا بالقوة العسكرية ولا تعمل به الا القوة العسكرية ، وقد غالب حزب ملاحة الاتحاديين حزب العلماء وجميع الأحزاب اليا سمية العثمانية بقوة الجند والمال كما علم من كلامنا السابق ، فلم يعد الشريف يرجو من اسقاط قوة الاتحاديين أمداء الاسلام والعرب بقوة الأحزاب التركية . ما كان يرجوه من قبل ، فأنحصر وجوب مقاومتهم في العرب وحدهم

(٤) أن الشريف يعلم كما يعلم العارفون وكل من له إلمام بأحوال الدولة ان ملاحة

الاتحاديين قد سلبوا سلطان الدولة وخلقوها نفوذهم وجميع حقوقه حتى داهو مدون في قانونهم الاساسي ، فأصبح المسلون ينهض امام شرعي لا حقوقي مستوف للشرط الشرعية ولا متطلب يطاع لفسرورة جمع الكامة ، وانما المتصرف في الدولة جمعية الاتحاد والترقي الملحقة ، فالسلطان محمد رشاد لا نفوذ له الآن في المملكة ولا في قصره ، ويصميه أهل الآستانة (المهر دار) للجمعية ؛ أي صاحب الختم الذي وظيفته أن يخبم ما كل ما تأمر بختمه من الاوراق ، وهم لا يسمحون له بأن يخفّار رئيس السكرتار ، وأمين السر له حد نفي مجدي بك أحد سرة الآستانة الكبار عن رجل من أعضاء انبيات السلطان أنه كان يقرب السلطان في حفلة قراءة المولد النبوي الشريف في قصر (ضوله بفيجه) فرأى (الباشكاتب) قد جلس مقكئاً والسلطان منتصب بذاية الادب هي صيته

وكبر سنه فلما رآه السلطان قد انكأ قال متبرماً : إذا كان هذا ... (فسيت القبح القبيح الذي ذكره به) لا يحترمني أفلا يحترم حضرة نحر الكائنات صلى الله عليه وسلم ؟
(٥) أن الشريف يعلم أن هؤلاء اليهودين قد هرضوا استقلال الدولة للزوال ، وأن الخطر عليها في انتصار الألمان أشد من الخطر عليها في انتصار الحلفاء ، وأن الظاهر أن الحلفاء يرضون باستقلال بلاد العرب ، ويظن أيضاً أنهم يرضون بحمل الولايات التركية إمارة أو سلطنة تركية مستقلة ، فنهاية انتقامهم من هذه الدولة أن يجعلوها أجزاء بعضها مستقل بنفسه تمام الاستقلال وبمضاه مستقل تحت حماية بعض الدول ، كالولايات الأرمنية ، الظاهر أنها تكون تحت حماية روسيا ، ويقال أنهم لا بد من أخذ شيء منها لأنفسهم وتختلف الآراء في مصير الآستانه . وليس هذا من موضوع حوارنا
(٦) أن ملاحدة الاتحاديين شرعوا في تنفيذ خطتهم بإذلال العرب التي هي مقدمه أو حله لإذلال الإسلام كما ثبت في الحديث الصحيح عند أبي يعلى « إذا ذلت العرب ذل الإسلام » فبدؤوا بالعراق والشام ثم مدوا برائتهم إلى الحجاز ، واضطر الشريف إلى دفع شرهم عن العرب بمقاومتهم في الحجاز واستقلاله بالسلطة فيه من دونهم لمجموع ما تقدم من الأسباب .

د - يظهر مما قرأته أنه لا يعد مقاومته للاتحاديين خروجاً على السلطان ولا هداه للدولة نفسها لأنه يرى أنهم جانون على الدولة والسلطان قبل جنايتهم على العرب في الحجاز وغيره
د - نعم هذا هو الظاهر بل المتيقن ، ومن وقف على الحقائق يرى أن الشريف قام بأعظم خدمه للإسلام والمسلمين ، وذلك أنه لما رأى الخطر قد أحاط بالدولة كما هو واضح مما شرحناه كان من الضروري أن يخاف وقوع القضاء بها فجأة فيكون حرم الله وحرم رسوله وسياجها من جزيرة العرب بما يقطع سقوطها ، وتزول السلطة الإسلامية عنها وعن غيرها مدة فترة السقوط أو مدة أطول منها يكون الحرمان وغيرهما فيها من قبيل التراث الذي يحكم فيه الفاتحون بما يشاؤون . فهو باستقلاله هذا قد جعل الحجاز تحت سلطة إسلامية خالصة ، وبوشك أن يكون هذا مقدمه لدولة عربية إسلامية كبيرة ، وما ذكره الأستاذ في أوائل حديثه من تعادى

أسماء جزيرة العرب وكونه يحول دون تأسيس دولة عربية عزيزة فهدم مسلم ، فالموادة بين أسماء الجزيرة وزعمائها لم تكن منذ قرون كتمهة خهماً منها الآن ، فلم يبق بين أحد منهم شيء من ذلك العداء إلا ما بين امام البن والسعيد الادريسي ويرجى أن يقدر للشريف على تلافى ذلك وعقد اتفاق بين الجميع على قاعدة (الامر كزبه) وصفوة القول إن استقلاله هذا لا ضرر فيه على الدولة العثمانية ولا على الأمة التركية ، وإنما هو كبح لجراح هذه الجبهة الباغية على الاسلام والدولة والعرب ، فان سقطت الدولة فى هذه الحرب لم يكن استقلال أمير الحجاز أحد أسباب سقوطها وإن سلمت من الحرب ومن هؤلاء الملاحدة رعات دولة اسلامية قوية لم يكن ما تقدم من استقلال الشريف مانعاً من العودة إلى الوفاق والاعتصام ، هذا ماخص ما عدى فى هذه المسألة ، فإذا كان لديك أسئلة أخرى فلنكن فى زيارة أخرى .

انتهت المحاوره مع الاستاذ بما ذكرنا من الاقناع وكذلك المحاورات الأخرى فى الجملة خلاصة ما رتقنا عليه من الآراء فى المسألة العربية واستقلال الشريف الأكبر أن المسلمين هنا لا يرتاحون إلى هذا الاستقلال إلا إذا أسكن أن يستدع تأسيس دولة عربية قوية مسقطه تمام الاستقلال لانفوذها فى الدولة 'جسمية يصف استقلالها ، ولكن منهم من يشك فى امكان ذلك ومنهم من يشك فى سهولة حصوله دون امكانه ، ولكل منهم دلائل نظريه لا يتسع هذا الجزء لبحثها ان كان من الممكن نشرها ثم ان كل فرد من تكلمنا معهم أنصف الشريف فى استحسان وقوعه بهذا الاستقلال عند عدم منع الضرر عن أهل الحرمين وغيرهم من العرب عملاً بما ثبت عندنا من ربه نعمة الاتحاديين ببحث كان استقلاله غير مضعف لدوله إلا بقدر ما يحجب عليها الاتحاديون إذا أرادوا الاستمرار على قتالهم بجهوشها المنظمه وتيسر لهم ذلك ، فعلى الشريف يصدق عليه أنه إما ان يمنع فضاءها ما أو خاصاً بالحجاز وإما أن لا يضر ، ولا يوجد عائق منكر من هذا أو يذمه ، وكل مسلم عرف كنه سياسة الاتحاديين فى الاسلام صار عدواً لهم ، وأقدم أعدائهم فى هذا علماء الأسقافه والمتدينون فيها وفى سائر بلاد الترك سواء كان مسلمو العرب إلا متأخرين عنهم فى ذلك . وكل عربى مصرى أو غير مصرى عرفت كنه سياستهم فى العرب صار عدواً لهم ، وأقدم من عرف ذلك السورون المسلمون ثم غيرهم

منهم ومن العرب ، ولو كان المصريون يصدقون أخبار المقطم والأهرام عن فظائهم
فى سوريه لأجمعوا على ذلك ، وقد انفتحت لهم أبواب أخرى للاقتناع . وما قلت
لأحد منهم ان ما أتاه جمال باشا من التفتول والفصليب والقنرب من الوطن ثبت
عندى من طريق الأسرى العثمانيين ومن طريق أمريكا وأوربه ، ثم من طريق
الجهاز إلا قبلوه مذعنين ، ولعنوا جميع الأنحاديين ، وسيأتى يوم يصدق فيه ،
الجميع هذه الاخبار ولعله ليس ببعيد .

السيد عبد الحميد الزهراوى

كان الشهيد السعيد نابغة من نوابغ السوريين ، لا يكاد يأت به فى مجموعة
من إياه قرين ، ما عرفت بلاده كنهه ، ولا قدرته قدره ، على أن لم تقصر فى تعليمه
وتكريمه ، وفى الاحتفال له والحقاوة به أيام سفره وأيام قدومه ، ذا عرف الجمهور
منه فى أواخر سنى حياته كما كان يعرف الآحاد ، انه أحد أشراف البلاد المصرية
نظمته الأمة بكفاءة واستعداد ، من معرفة المصاحبة وفصاحة اللسان ، وروية الحجة
وجرأة الجنان ، وما كان لعقل الجمهور أن يدرك كنهه المزاي والفضائل التى بها كان
الزهراوى فى حقيقة جوهره من الحكمة الربانية ، والفلاسة الاجتماعية ، وإن
تفتت عليه الأيام بالانقظام فى سلك السياسيين ، تلك الفضائل التى عرفها له كل
من عرفه من العقلاء المنصفين ، وهى استقلال الرأى وصدق القول وقوة الإرادة
والإخلاص فى العمل وإيثار الحق على الهوى ، وتوجيه الهم والهمة إلى المصالح
العامة ، وترجيحها عند التعارض على المنافع الخاصة ، بل لم نعلم عنه انه اشغل فى
طور من أطوار حياته لمناصبه الخاصة ، وإنما نعلم عنه انه بدأ حياته العملية منذ
بلوغ الرشيد بأثناء (جريدة المنير) السرية التى كان يطلبها فى حصص بمطبعة الجلالتين
ويوزعها فى البلاد السورية سرراً لنظمته جبهة الأنحاد والترقى الأولى والسسمى معها
لاقتاد الدولة من الإدارة الحمديه المستبدية ، فعلق بالسياسة من ذلك الحين وظل
مشتغلاً بها طول حياته

كان يفتنا وبين هذا الصديق العزيز تشابه فى النشأة والتربية ، ومشاكله فى

الاستعداد والفريضة ، وتقارب الفكر والرأى ، تعارفنا به بالمكاتبة قبل اللقاء ، ثم كان بعد اللقاء كالخبة والوداد ، لم يزد بالمعاشرة إلا أماناً ورسوخاً ، كان كل منا مهوياً إلى الاشتغال بالاصلاح الدينى والاجتماعى وعلاقة ذلك بالسياسة لا تخفى ، ولكن تيسر لكل منا من أمر الاشتغال بالسياسة أو الاصلاح ما لم يتيسر للآخر ، إذ كانت هجرتنا إلى مصر وهجرته إلى الآستانه

وفى سنة ١٣١٥ التى أنشأنا فيها المنار كان هو محرراً فى إدارة جريدة (معلومات) المربية فى الآستانه ، وكان مايكعبه فيها موافقاً لمشرب المنار ، ووقع بيننا ما يشبه المناقشة فى المسائل الاصلاحية (راجع ص ٩٥٠ من الطبعة الثانية لمجلد المنار الاول) ثم فنته أفكاره من الآستانه إلى وطنه ، وفى سنة ١٣١٩ كتب وهو فى دمشق الشام تحت المراقبة الساسية رسائله الاصلاحية الثلاث (الفقه والتصوف) التى نشرناؤها ولها فى المجلد الرابع من المنار ثم قرطنافيه المجموع لما طبع على حديثه فى مصر ، وقد كانت هذه الرسائل أشد ما كنا نكتبه فى موضوعها نقداً على سعة الحربه هنا وشدة الضنط هناك ، فهاجت عليه حملة المأثم فى دمشق ، وأشد ما أنكروا عليه فيها القول بالاجتهاد وبطلان التقليد ، فبهجوا عليه الحكومه فاعتقلوه فى الشام ثم أرسلوا إلى الآستانه ، ولم يكن سبب ذلك "تشديد عليه ، والاغضاء عن انهموا بالقول بالاجتهاد وابطال التقليد منه غيرة من الحكومه على الفقهاء والصوفيه ان يوجه اليهما انتقاد ، ولا مجرد الارضاء امصبية الحشويه الجاهلدين فى الشام ، وإنما سببه الباطل انه كان نشر فى المقطم مقالة فى اختلافه بامضاء (ع . ز) وهو إمضاؤه الرمزى لكل ما كان يشره بمصر ، وقد رجعت تلك المقالة معه عند القبض عليه وحاول تمزيقها . وقد أشار الاستاذ الامام إلى هذه الواقعة فى فصل (الاسلام اليوم) من كتاب (الاسلام والنصرانية) وإننا نذكر عبارته هنا لما فيها من تأييد هذا الصديق الشهيد وهى :

ألم يسمع بأن رجلاً فى بلاد اسلاميه غير البلاد المصريه كتب مقالاً فى الاجتماع والتقليد وذهب فيه إلى ما ذهب إليه أمم المسلمين كافة ، ومقالاً بين فيه رأيه فى مذهب الصوفيه وقال انه ليس مما انتفع به الاسلام بل قد يكون ماززى به ، أو ما يقرب من هذا ، وهو قول قال به جمهور أهل السنه من قبله ، فلما طبع مقاله فى مصر تحت اسم

هاج عليه حملة المأمم ، وسكنة الآتواب المباع ، وقالوا إنه مرق من الدين ، أو جاء بالافك المبين ، ثم رفع أمره إلى الوالي قبض عليه وأناه في السجن ، فرفع شكواه إلى عاصمة الملك وسأل السلطان أن يأمر بنقله إلى العاصمة ليثبت براءته مما اعتقل عليه بين يدي هادل لايجور ، ومبين على الحق لايجوف ، إلى آخر ما يقال في الشكوى ، فأجوب طلبه لكن لم ينفعه ذلك كله ، فقد صدر الأمر هناك أيضاً بسجنه ، ولم ينف عنه إلا بعد شهر ، مع أنه لم يقل إلا ما يتفق مع أصول الدين ، ولا ينكره الناري . والكاتب ، ولا الآكل والشارب ، اه أرسل الرجل إلى الاستانة فاعتقلته السلطة الحميدية هناك أشهراً ، بعد جعله تحت مراقبة الجواسيس زمناً ثم أرسل إلى بلده (حصص) ليكون مقبلاً فيها تحت المراقبة لا يرحلها (ويسمى مثله في عرف الدولة الرسمي «مأموراًمة») فبقى فيها إلى أن فرّ إلى مصر سنة ١٣٢٤ وبقى فيها يشتغل بالتحرير في المؤيد ثم في الجريدة إلى أن أعان الدستور سنة ١٣٢٧ فناد إلى سوريه فانتخب مبعوثاً عن لواء حماه وكان من أمره في المجلس وبدء ما كان .

لو كان الزهراوي من طلاب المنافع الشخصية لأمكنه أن ينال منها في عهد عبد الحميد ما نال من كانوا دونه من أرباب الأفكار وحلة الاقلام الذين استسلموا السلطان عبد الحميد وأعوانه وغروهم بالأموال والرتب وأوسمة الشرف ، ولم يكن جهاده القانوني للاستبداد الذي انقلب إليه جمعية الاتحاد والترقي بعد الدستور بأضعف من جهاده للاستبداد الحميدي مع الجمعية في إبان صلاحها ومع غير الجمعية أيضاً ، نصرها في الأيام الأولى من عهد الدستور كأنصرها قبله ، وجاهدتها بعد أن صار أمر الدولة كله في يدها ، ولو كان من طلاب المنافع الشخصية لنال بمسايرة الجمعية منها ما كان يعلم أنه لا ينال بمعارضتها ، وما كنت أرى - وأنا في الاستانة - أحداً من الماوضين للجمعية يرى قوتها فوق ما كانت عليه إلا الزهراوي ، كان من أشدهم معارضة لحزب الجمعية في المجلس وفي جريدة الحضارة التي أسسها الأسفاية ، على كونه من أشدهم انتفاعاً بقوة الخصم وبمنا عن الضرر بما كان يروى عن ضعفه ، فجدة القول فيه أنه بدأ حياته بخدمة الامم والدولة وثبت على ذلك طول حياته ، وإن جلي عمله كان مع جملة الاتحاد والترقي ، فهو بعد تلك المعارضة في زمن المبعوثية

اعتقد أن الدولة صارت جند الجمعية ؛ وأنة لا يوجد في الأمة حزب برحى أن ينتزها منها ، فلم يبق من طريق خدمة الدولة والأمة إلا طريقها ، وهذا الاعتقاد هو الذى جعله على قبول منصب الاعيان أخيراً كما سنبينه بالبرهان ، وكان جزاؤه من الجمعية التى أفنى حياته فى خدمتها أن عقلة ذر قتلة ، وأبقت جثته مصاوبة فى الشام ١٢ ساعة ، ليمل كل هربى براها أو يسمع خبرها كيف تكون عاقبة العربى العالم المنكرو والخطوب المؤثر ، والكاتب المحرر ، عند هؤلاء القوم الذين جعلوا من أصول سياستهم نحو العربيه من صوريه والمراق ، وحم البداوة على عرب الجزيرة وإيقاع الشقاق الدائم بينهم الى أن يبد بهم مضمنا

كان قبول السيد الزهرراوى لمنصب الاعيان من الحكومة الاتحادية شهراً استيلاء جمهور طلاب الإصلاح ومحبي الإصلاح للأمة العربية العثمانية وسبباً لسوء الظن فيه ، وكثير القول بأنه يتحول من سيرته الى كالمعلم طوله عمره فأثر منفعة الشخصية على مصلحة أمته العربية ، فتعول ذلك الجمهور الذى كان ينوء به ويصفق له الى الخوض فيه ولو كان عقل الجمهور يدرك كنه تلك الفضائل التى وصفناه بها بحق لما صدق أن مثله يتحول بعد سن الحنين من عمره الى ضد ما ثبت عليه من أول نشأته ، وما الذنب على العامة فى ذلك وإنما الذنب ذنب خواص الأذكاء والمتعلمين الذين ساروا الى الخوض فيه ففبعثهم الصامه ، وكان يجب عليهم التروى والتنبيه فى أمر هذا الحدث الجديد ألهذا العامل المسقط هذر فيه واجتهاد أم لا ؟ ثم التنبيه والتروى فى الظن بمثل هذا الرجل منهم إن ثبت لهم أنه مجرم سياسى متعمد ، لا يجتهد مصيب أو مخطئ ، فإنه أول نتائج الظن فى مثله — وقل ان يوجد مثله فى طهارة سيرته الشخصية والسياسية هى زوال ثقة الأمة من زعمائها بقواس أنزه الصادقين على أنفس المنافقين ، وما أولئك الطاعنون إلا حاسد ينم من الزهرراوى ما يشقى مثله لنفسه ، أو نفى ساء ظنه لسوء نيته وفطنه أو غيوره شهيدته المصغيه ، قليل الرويه ، يبادر الى ارضاء حمية ، ولا يحسب حساباً لعاقبة قوله وعمله لم يكن الزهرراوى من أهل الأهواء الذين يحصلون مصلحة الأمة والدولة بما

للأغراض، وعرضة للمواطف والاحقاد، بل كان يجب العمل المبني على التواضع
المقبولة والرفاقب المأبولة، فلما رأى أن الاتحاديين يحاولون إصابة أغراضهم الضارة
بالأمة العربية وبوحدة عناصر الدولة - بقوة مجلس المبعوثين أحب أن يحاربهم
بسلحهم فتكلم من المؤسسين للحزب الحر المستقل ثم لحزب الحريه والائتلاف الذي
تكون من هذا الحزب الذي أكثر أفرادهم من العرب، ومن حزب الاهالي الذي أكثر
أفراده من الترك، وكان زهراوي وكهل الرئيس في هذا الحزب، وقد ظفر هذا
الحزب بالاتحاديين ف جذب اليه الجمل الغفير من مفكرهم وضباطهم، ثم أسقطوا وزارتهم
واستبدل بها وزارة مختار باشا التي لم تكن هي ولا وزارة كامل باشا التي جاءت بعدها
ائتلافية ولا اتحادية، وإنما كانت على كراهتهما لسيرة الاتحاديين، غير متصحين
بمعرفة الائتلافيين، ولا واقفين لهم في كل شيء، ولذلك سهل على الاتحاديين
استقاط وزارة كامل باشا، وقد أخطأ الائتلافيون بعدم جعل الوزارة من حزبهم

وقعت حرب البلقان في أيام وزارة مختار باشا ف كسرت الدولة فيها وألقت
وزارة كامل باشا العبدارك أمر الدولة بالصليح، وفي أثناء ذلك جاء الزهراوي مصر قاصداً
الذهاب الى الأستانة لقرب موعد فتح مجلس المبعوثين وقد أقنعناه بأن لا يعدجل
السفر لما يمشي من وقوع العن بالآستانة وقد وقع ما كنا نوقعه بهجوم الاتحاديين على
الباب العالي وقتلهم ناظر الحريه فيه واستقاطهم وزارة كامل باشا والقبض على أزمة
الحكومة، ولكن صاحبنا كان يصبر على السفر، يظن ظناً كاذباً أو كان يسميه يقهنا
بأن الاتحاديين لا يثبتون أسبوعاً حتى تسقطهم الأمة وتستبدلهم بهم غيرهم، ما أقنعناه بأن
يصبر حتى تصدق الأيام ظنه أو تكذبه، وما أقنعنا إلا بإدلال الصداقة على أنه كان
يرجع عن رأيه إلى رأي صديقه هذا كما نص على ذلك في كتابه الآتي، وإنما صرحت
بهذا لأنه من مقدمات الحجة التي أذكرها بعد نشر ذلك الكتاب.

وفي أثناء حرب البلقان تأسس حزب اللامركزية بمصر ولم يدخل هو في
الحزب، لأنه لم يكن ينوي الإقامة بمصر، وإنما رشحه الحزب لرياسة المؤتمر العربي
لمكانته الطيبة والاجتماعية، وموافقته للحزب في مقاصده الإصلاحية - فانتخب
رئيساً في باريس، وعقد معه الاتحاديون ذلك الاجتماع المشهور

كان فى مدة إقامته فى باريس أيام المؤتمر وبعدها يكاتب حزب اللاصكرزية
ويعمل برأيه ، ولم يسافر إلى الآستانة إلا بعد إذنه ، فقد استشار الحزب فغيره
بين مصر والآستانة ، وكان هو يرجح الثانية والحزب يرجح الأولى ، وكان يكتب
من الآستانة إلى رئيس الحزب كل ما يدور هناك فى مسألة إعطاء العرب حقوقهم
من الإصلاح والوظائف ، ويكتب إلى صديقه (كاتب هذا) مثل ذلك ، وما وراء
ذلك ما كان يكرهه من البعض أو من كل أحد كما يعلم من كتابه المطول الآتى .
كان من فضائل الزهراوى الشخصية التى تعد هيباً فى السياسيين أنه لم يكن
نيتة وصفاء سريره يبالغ فى حسن الظن بكل أحد يظهر له إرادة الخير والحق ،
فلما قال له الانحاديون أنهم يمتدحون بما كان من خطاهم فى تنفير العرب منهم وفى
محاولتهم قترك جميع العناصر الثمانية وأنهم يرغبون فى إصلاح ما أفسدوا فى ذلك
لتوقف تهديد قوة الدولة عليه - صدقهم فى ذلك لأنه مقول عنده ، وعده توجبهم
منصب الاعيان إليه على ما كان من شدة معارضته لهم بهائياً على صدقهم ، وصار يرى
أنه ينبغي لطلاب الإصلاح المخلصين أن يمدوا أيديهم إليهم ويساعدوهم على الإصلاح ،
وأنهم إذا أحجموا حل محله المناقون وطلاب المنافع ، وكان محققاً مع صاحبه
عبد الكريم الخليل على ذهاب صاحب المنار ورفيق بك العظم إلى الآستانة لهذا
الفرض . أما أنا فكان يغلب على ظنى أن جملة من الاعيان أحولة يريدون بها
اصطياد المخلصين من طلاب الإصلاح فى خارج المملكة ليهتكوا بهم بعد جلبهم
إليهم جملة واحدة ، وأن وجوده وحده هناك واق له ، وفيه فوائد منها أنه تجربة
للانحاديين وحجة عليهم

قبل منصب الاعيان بتلك النية الصالحة من غير مشاورة للحزب ولا لأحد
من أصدقائه ، وإنما أخبرنا بما كان وبنية فيه ، فلما على تعمله ، ولما سكن الحزب
أجاز عمله ، واتفق الرأى على أن يعض فى هذه التجربة ، وأن لا ينضم إليه أحد
من المتبعين خارج المملكة ، وكان أول ما كتبه إلى ذلك قوله من كتاب مؤرخ
فى ٦ صفر سنة ١٣٢٢ (٦ يناير سنة ١٩١٤) ما نصه :

وأخوكم مبن بمون الله وعنايته عضواً لمجلس الاعيان فبشرونى بأنكم راضون

من قبولي بها ، والله يشهد إنني إنما قبلت لاتمام العمل وتسلمون قلة الرجال عندنا يا أخي ، بمتراض بعض المسجلين فالأمر في هذا متروك لحكمتكم وهدمتكم . بل أرى ان تقديم شكر الصدارة يكون مؤيداً لاتمام العمل ، ومن الله سبحانه التوفيق »

وقد كتب الى الحزب بنحو هذا فأجيب طلبه لان فرض الحزب الاصلاح لا المشاغبة ولا عداوة الدولة ، ولكن لم يكن يحسن الظن بالاتحاديين أحد وقد دار بيننا وبين هذا الصديق في هذه المسألة وما يتعلق بها مكاتبات ومقابلات لم تخل من هذه المناضبات ، واني انشر الآن منها كتاباً مطولاً كتبه في ١٦ صفر سنة ١٣٣٢ وكتب في أعلاه « مكتوم كله من كل أحد » وهذا نصه بعد العنوان

﴿ كتاب سرى من السيد الزهراوي ﴾

سهي الاخ الرشيد الولي الحليم الحميد

نحية من الله ومن أخيك ولا برحت المكرات نحييتك لقد عظيم شوقي أيتها الاخ ومضت الايام وأنا أمني النفس بقرب التلاقي وما زلت راجياً ذلك

يظهر يا عزيزي أن هتيك على تأخري هنا عظيم عرفت هذا من كتابك الى الاخ الأستاذ . . . ويظهر أن قطمك السكتاب عنى عمد ، استغبطت هذا من طول مدة القطع ، وقد حملت هذا على كثرة عمالك التي أهرقها ، ثم تذكرت ما أهد من وفرة نشاطك والحمد لله ، وأن كثرة عمالك مع تلك الوفرة من النشاط لا تقف في سبيل ما تهزم عليه ، فاستنتجت من هذا القياس - سبحانه الله على رأيي - ابن حزم - أنك تمتدت عدم الزم في السكتابة أو هزمت على عدم السكتابة وقد ظهرت هنا شائمة أن اللامركزيين في مصر مشتمون من بقائي هنا ، وأنهم قطعوا علاقتهم بي ومكاتبهم لي ، أنا لم أصدق هذه الشائمة وإنما خشيت أن يكون بعض الجوالين هناك يصرح نمة مثل هذه التصريحات وكنت أخشى أن يكون . . . مثلاً قد شاهد شيئاً من تأففكم لتأخري فبني على مشاهدته كلاماً كتبه الى بعض معارفه هنا فشطرت ههنا وخس

هذه كلها ظنون واستغفر الله تعالى منها ، وأرجوكم مسامحتي عليها ، ومن الشرح يظهر لكم سر تقديمها بين يدي هذه التفاصيل المهمة التي جاء أوانها :

كنت قد فصلت لكم إذ جئت باريس كيف وجدت أمر مؤسسى فكرة المؤتمر فرضى وكيف تعبنا فى ستر الأمر وإيجاد المؤتمر مرونا بتوفيق من الله تعالى فوق الغامول، وبعد انقضاء المؤتمر تفرق الجمع الذى لفق تليفقا، ثم بعد قليل نفذ صبر البهية توين فذهبوا إلى بلادهم عن طريق استانبول، وبقيت يا عزيزى وحدى أمثل الفكرة، وبقي خليل زينية وأيوب ثابت وهما لم يشرنا من مشرب الجامعة العربية ولا قطرة واحدة، حتى ولا من الجامعة السورية، وإنما هما بهروت وحدها لا شريك لها ولكن لأنهما متعلمان سائرانى وسابرتهما ونوادينا جيداً حتى سفرى؛ ولم يكن مثل هذا النواد ولا ربه بينهما وبين رفقتهم البيروتيين المسلمين

لو عجبت تلك الأيام ورجعت على الفور إلى مصر لبعثت المسألة مقطوعة ببراء، إذاً بكثر استهزاء الأفراد والجماعات والأقوام بأشخاصنا وبجباةنا وقومنا، لكن الله سبحانه سلم من هذا، وأقدرنى على الصبر هناك ممثلاً لفكرة مدة خمسة أشهر - وما هى بالقليلة ولا بالكثيرة - وذهمت المدة كانت، وقفت فيها على كثير، وعظم فيها اختبارى لأوروبا، وما أحوجتنا إلى مثل هذا الاختبار - جئت بعد ذلك إلى استانبول لأرى ما يجد فيها لأن المعرفة بالتقديم لا تنفى، والمعرفة عن بعد كثير من مآخذها فهو صحيح، وما أضر العلم المبني على مأخذ غير صحيح

بعد وصولى بتأجيل عرفت كثرة من الأحوال الحاضرة هنا، وبعد مدة أخرى عرفت أكثر وكدت أظننى الكيفية وأحطت كل الأحاطة ولكن الآن تبين لى أنه لولا الصبر والثبات لكان مكنى الفاطر سبحانه منهما رجعت بمعرفة غير كافية ولذلك أصبحت لأجسر أن أقول تمت إحاطتى وإنما أقول أصبحت يجرى لى أن أفصل وأشرح بشئ من العلمائنه، وأن تأخير هذا التفصيل والشرح كان أنفع وجاء اليوم فى وقته.

الشرح هنا يتعلق بثلاثة مواضع (أو موضوعات) (١) أوروبا والثمانية (٢) الاتحاديون وغيرهم (٣) رجال الإصلاح الحقيقى وأبناء العرب هنا وفى الجهات الأخرى. وانى أبدأ لكم بالأول فنقص البحث فيه وأشفع بالثانى وأخرت الثالث لطوله وطولته اتوقف التمام وكثير من أعمالنا على الأحاطة بهذه الحقائق المشروحة فهو (أوروبا والثمانية) لقد كشفت أوروبا آخر سقار من ستر السياسة فى المسألة

العثمانية وقررت التداخل فى سائر شئونها وإنما لايزالون مختلفين بعض الاختلاف فى كيفية هذا التداخل وكيمته وصورة توزيعه فيما بينهم ؛ وليس فى أوروبا اليوم موضوع مقدم على هذا الموضوع ، ولا يمتضى ثلاثة أشهر حتى يتمخض القيايى فقلد ذلك الشكل الجديد الذى يفتقون عليه ، والذى أظنه ان الدولة ستبقى بعد ذلك وتعيش أحسن مما كانت عاثة لأن بعض التداخل طب واست مقالياً إذا ذهبت إلى أن الموت أقرب إليها مع هدم التداخل البقية منه مع شيء من ذلك ، قلنا إذا قلنا بدمم التداخل البقية فحينئذ نخلق كل واحدة سبباً لانشاب الحرب عليها فتؤخذ بذا السككة دفعة واحدة .

الاتحاديون وغيرهم : الاتحاديون معروفون فمن غيرهم ؟ لا يوجد الآن حزب سياسى آخر إلا أن يكون خفياً ولم أشم شيئاً من هذا ، وحينئذ لنجد مقابل الاتحاديين إلا جماعات الأجناس كجماعات الروم وجماعات الأرمن وجماعات العرب

فمرف أن الروم جماعات وللارمن جماعات فهل للعرب مثل هذا ؟ هم ننظر : أولاً - الروم كلهم جماعة واحدة برأسهم البطررك ولكيلا يستبد ربطوه بمجلسين روحانى وجسمانى ، وهكذا الأرمن ، أما العرب فليس لهم مثل ذلك وثانها الروم والأرمن لهم جماعات سياسية منظمة مرتبة غنية وليس للعرب مثل ذلك ، اللهم إلا جماعتنا فى مصر وجماعتنا فى بيروت ، إذن غير الاتحاديين هم الروم والأرمن وجماعتنا فى مصر وجماعتنا فى بيروت .

فالاتحاديون هم أولياء الامر مباشرة وهم اليوم يتسلحون بمزائم شديدة ماضية وناوون نية قاطعة أن يجددوا شباب الدولة بقدر ما تسمح الظروف ، ويشبهون أن يخلص اليهم العرب ويساعدوهم فضلاً عن فى هذا السبيل ، ويمترفون بخصمهم الماضية وينوون أن لايمودوا إلى مثلها بقدر الامكان ، أنا مؤمن بنيتهم وأتوالمهم هذه كل الايمان لأدلة كثيرة ظهرت لى ، والسكنى صرغاب من جهة قلوبهم لتطبيق العمل على النية ، وعلى كل حال أرى أن عدم تركهم وحدهم خير من تركهم ، ويرجى به أن تقوى قلوبهم ، فان شتم أن نخطئون بمحسين الظن إلى هذه الدرجة - كما أشرتم إلى ذلك فى كتاب ... فاني لا أخطئكم بالعطفة لأنى أجل رأيكم أكثر

من رأيي ، وإنما أرجو أن يكون في خطأي شيء من البركة ، أرجو ذلك من مصداق قوله سبحانه « فمسي أن تكرر هو أحياناً ويحمل الله فيه خيراً كثيراً » . هذا وصف الاتحاديين بما هم عليه اليوم . أما الروم فقد قبلوا في المملكة وقصارهم أن يحافظوا على ما بيدهم من امتيازات البطركية وحق المبعوثية وسبق اللتفات إليهم ، وأما الأرمين فهم اليوم ألبس رومية وسيتهم لهم في المبعوثية حظ قريب بما يأملون ، وأما نحن مشر العرب فإن أفعالنا الآن يعتبر بمثل جماعتنا وقد فصلت ما تم على يدي في الكتاب الذي أرسلته إلى الأخ الرقيق في البريد الماضي وهنا سأزيد

(٢) رجال الإصلاح الحقيقي وأبناء العرب هنا وفي الجهات الأخرى :

ما أظنكم - استغفر الله - ما تعتقد أنكم في حاجة إلى بيان أن رجال الإصلاح الحقيقيين غير كثيرين ، وما أعتقد أنكم تعرفون منهم أكثر من ثلاثة أربعة ، أعني رجال الإصلاح الحقيقيين من جهة موضوع الإصلاح بين صدق النظر وصدق العمل ، من كثرة مجاريهم ومرت رويتهم وسمعت عزيمتهم وشهد ماضيهم ، من كثرة اختلافهم في المصالح العقبية ، ووقوفهم على متباين النزعات ، وصبرهم على متقوع العقبات ، من أنه ترجمت روحهم بحسب النظام الذي يحبه الله وكره الفساد الذي يكرهه الله ، وامتزجت سيرتهم بأخبار مما مع الجهاد الإصلاحي . من اشترت أفكارهم فهم معنى الرابطة وأفقدتهم بحبتها وتشققها ، فنحن لقلّة هؤلاء واقعون أمام حاجتين عظيمين - الحاجة إلى تكثيرهم ، والحاجة إلى اشتغال هؤلاء مع من ليس من جنسهم وطبيعتهم . ثم نحن مع قلةهم وضعوية اشتغالهم مع غيرهم أمام مشكلتين عظيمين ، الأولى السبات الذي الأمة فيه والثاني الجشع الذي أوروبا فيه . أتدرك تفصيل هذا الأجل الحسنتكم وحسبناهي في كل موضوع ، وأخذ الآن بحكاية حال أبناء العرب هنا لأنكم علقتم الأمل مراراً على صنف منهم هنا

العرب هنا ثلاثة أصناف : متاجرون ومنتحلون ومأمورون ، فالصنف الأول لافي العير ولا في النهر من جهة الحياة والإصلاح ، ثم هو في غاية القلة ، والصنف الثاني أولاد في ناشئة العمر لا يلقون للسياسة ولا تليق لهم ، والصنف الثالث أربعة

أقسام الضباط والمأمورون المنصوبون فى بعض الوظائف والمأمورون المتقاعدون المقيمون هنا والمأمورون المعزولون الذين جاءوا لينصبوا :

فأما الضباط فلا تجربة لهم فى هذه المسالك البتة والاولى عدم دخولهم فيها فان هذه التجربة القليلة التى ساقصها الان زهدت فى كل سياسة يشترك فيها الضباط منا: ذلك أن ... نأقم اليوم على الحكومة فيشتمى لاجل هذا عزيمة الدولة ونسفيها نسفا، وهو لاجل ذلك نأقم على ائتلافنا مع الحكومة ومضادة لانه على زعمه يؤخر حركات العرب، ولا أدري ما هي حركات العرب وأين تسير وأين ترمى وهذا يجتهد أن يجمع حوله بعض أولئك الاولاد وينفهم منا ومن صنيعنا ولكن لا ينجح بحوله تعالى، ومن جهة أخرى هو يحافظ على ظاهر الصداقة بيننا، وقد أردت اختباره فوجدته ينجح إلى مصالحه أولياء الأمور وحينئذ يرضى من كل شئ، فانظروا به زى إلى الذين يمدون أنفسهم فى مصاف رجالنا .

أما المأمورون المتقاعدون فنلهم كمثل العجائز لا يرضيهن شئ ولا يستطعن عمل شئ .. وأما المأمورون المنصوبون فلا هم لهم الا حفظ المنصب

وأما طلاب المأموريات فجميع مساكين لا يفهمون من الاصلاح الا المأمورية، إن جاءت فقد جاء الاصلاح وإن لم تجيء فقد منع الاصلاح ومن هذا التفصيل يظهر لك أن العاصمة فى حالتها الحاضرة ليس فيها أبناء عرب تستطيع جهاتنا أن تعتمد على أحد منهم، أو أن تعمل صلة ورا بطة مع أحد منهم، اللهم الا أن يكون (فلان وفلان) وكل ما أخبركم منه (فلان) فهو مراب ببيعة جاءه أخوكم الظلم أن فلم يجده شيئا . وبعض أولئك الاولاد يحسدون الشاب عبد الكريم وبعض لم يتمكن من اناناهم أربا لا بهم أو أخيهم أو ابن مهمم مثلا، فن هنا أكرموا عليه من قيل وقال وكله هراء وهواء

وأما العرب فى الجهات الاخرى فهم أهل سورية وأهل العراق وأهل الجزيرة الخاضع فالسوريون والعراقيون حضرة قد ألغوا الذل وتعودوا الاستخذاء والاستكانة لا يفهمون ولا يريدون أن يفهموا، لا يساعدون ولا ينوون أن يساعدوا، الا يهينون ولا يروى لهم أن يوقظوا . وأما أهل الجزيرة الخاضع فهم الاهل واهم الله الخبير

١٨٠ طلب الزهراوى تمضيدها له فى امامته بالاسنانة (المنار: ج ٣٣ ١٩)

وتد سواهم ، أولئك بسبب وصل الرابطة بهم من غير أن نقطعها من الحضر على قلة
فنائهم . وقد فهمت من كقاب الأبخ (فلان) كثيرا واستنبطت كثيرا ولو كان فى وسع
البشر أن تتوزع أرواحهم على أمكنة متعددة لكانت روى أوزاعا على اليمن وههه
والخجاز ونجد وحضرموت ولكن نظرية الصوفية فى هذا الباب لا يمكن تطبيقها (١)
أظن يا عزيزى أنا لازم هناك كما تشير ولازم الى هنا فان هنا على عمل ليس
بقابل ، فاني أرجو أن يكثر وجودى هنا عدد رجالنا الذين يعتمد عليهم فازرعت
من هذا الرأى فملكهم حملان مملكان وعمل يمشى مع الزمان وأنا ملك فيه على
بمد المقر ، فالأول من المجلين تبشيري بتعارف من رضائك خاصة وهو الام ،
ورضاء الرطق عامة وهو مهم ، والثانى منهما ملك الرفاق على تقديم تآمراف للصدارة
يحبذون فيه هذا التعمين ويجمعونه دليل إقدامهم على تنفيذ الرغائب كلها بعبارة
زينة تشويقهم ، أما الثالث فهو ما بيننا من أسمى إيجاد الرجال الذين يعتمد عليهم
وتوزعهم بقدر ما يساعد للزمان والمكان لبث الاصلاح العلمى والعملى
وإن لم ترض عن هذا الرأى فاكذب الى مفصلا ومبيننا كل جهة من جهات
الموضوع ، وأنا من عهدت من يدع رأيه أخيرا الى رأى وليه . . .

هذه هى الخلاصة المفصلة وإليك خلاصة الخلاصة ، وهى أن الهأس لا يجوز
بمال من الاحوال ، ولكن الأمة فى كل أطرافها ليست بحالة يعتمد عليها فى شئ
وأنة مع هذا لا يجوز احمالها ، وكذا لا يجوز احمال من يهدم أصر الملكة وتركهم
وحدهم ، وأنه لابد لنا من رجال ههنا ، وأن أكثر ما يتصرف به الرواة من الاخبار
فهم صريح ، وإنى منتظر أصركم بسرعة ، وأن شه فى عظيم

والسلام على الاخ السيد صالح وجميع المملوف سلم الله تعالى الجميع ؟

هبة الحميد الزهراوى

(١) كنت كتبت الى الاخ الذى أشار اليه ثم اليه هو أن عرب الجزيرة هم صفوة
العرب وأعظمهم استعدادا فان كان هناك اصلاح عربى فيجب أن يكون لهم حظ منه وأن
نعنى بشأنهم أكثر من غيرهم

(المنار) من هذا الكتاب وكتب أخرى يعمها بعلوم رأى الرجل الذى يتى عليه
استشهاده ، ومنه أنه مؤمن بحسن نية الاتحاديين ، وتنبهم الاتفاق مع العرب ، وبهذا
كان يحاول إقناعنا ، ولم يكن يخفى هذا على الاتحاديين ، ولذلك نجزم بأنهم قالوه لأنه
من أنجب نجباء العرب لا لئيب آخر (والله عزيز ذو انتقام)

وإنما نشرت هذا الكتاب السرى من كتبه بنصه فلم أحذف منه إلا أسماء
الأحياء ليكون حجة على فريقين من الناس - فريق الدين قد يظنون أن
الاتحاديين ما قاتلوا مثل هذا السيد الجليل بعد أن دفعوه إلى مقام الأعيان إلا
لأنهم عرفوا أنه ذنباً كبيراً كائناً له للدولة أو للجمعية المتصرفه في الدولة . وفريق
الذين ظنوا أنه خان قومه العرب بتركه الدفاع عن حقوقهم بمنصب الأعيان الذى
رشاه به الاتحاديون ، وإنما يتم ظهور هذه الحجة ، ببيان ما كان بينى وبين هذا
الصديق الصديق من الصلة والرابطة

يرى قارىء كتابه أنه قال لى فيه من نفسه « وأنا من ههنا من يدع رأيه
أخيراً إلى رأى ولده » وقد أشرت إلى هذه الكلمة فى المقدمة التى قدمتها على هذا
الكتاب وأقول إنه يبنى بهذا اننى إذا حتمت بعد المناقشة منه فى الموضوع وجوب
ترك لمنصب الأعيان واشتغاله بعمل آخر فى غير الاسفاهة فانه يقبل ذلك .

وقد كانت طريقتنا فيما يختلف رأينا فيه أن يدلى كل منا بحجته ، فننهضت
منا حجته قبلها الآخر ، فإذا لم ترجح إحدى الحجتين وكانت المسألة مما يترتب عليها
عمل يرجع هو فى العمل إلى رأى أخيه . ويدل على مكانة هذا الاخ عنده جملة
ومناحه عنه فى هذا الامر أهم من رضا الحزب الذى كان سبب ذلك ، وهو صادق
فى قوله هذا وقوله ذلك لا ريب عندى فى صدقه ، وما قلت هذا فى بيان كلمته إلا
ليعلم المطلع عليه أن الرجل لو كان يكذب ويخدع لم يكن يكذب على ولا يخدعنى ،
ولو كان يفعل ذلك لمحاول إرضائى بأنه يمايل الاتحاديين بمثل ما يمايلوننا به من
الغلبه السياسيه ليستفيد منهم فى طور ضعفهم وحاجتهم إلى استرضاء العرب بعض
الطغوى ، وما كان يكتب إلى - وهو معتقد اننى سأخط عليه ، ومحمد ترك
الكتاب قائم - انه مؤمن بحسن نية الاتحاديين وصدقهم فى هذه المرة ، ولكنه كتب

هذا وهو يعلم أننى أعدده سداجة منه وغلوّاً فى حسن الظن
وأزبده على هذا اننى عاتبته على بعض ما جاء فى هذا الكتاب وغيره عقاباً ثمهلاً
جاءت فيه كلمة جارحة فكسبب إلى رقعة أودعها كتاباً له قال فيها مانصه :

« كلمات بيننا »

« فى كتابكم الاول كلمة لا أنتم عنكم أنها كسرت قلبي ، إذ لو كنتم هذا
لكان خيانة للاخاء النظيف الصافي ، ذلك أنكم بنيتم على نظرية إغراقى بحسن الظن
بالقوم أن هواء الاسفانه طمس على عقلى وقاى
وأخوكم بإعزى قد عرفتموه بعد أن كان عاشق فى هذا البلد سنين ، وعرفتموه

فى الاسفانه نفسها ، فلولا ذلك لرجعت الى نفسى لأرى تغافل أثر البؤس فى

« ولكن كما لم أكنتم هذه الحقيقة أتحدث أمامكم بما من الله تعالى به من حل
حديثكم للعلمة هذه على ما يشبهها من حديثكم الاسانية التى نأس بها أنفسنا بحكمكم
الذى هو أغلب وأصدق دلالة على كرم قلبكم . على اننى أؤكد بشرفكم أن انكسار
القلب الذى أشرت اليه كان آتياً ، وأعقبه تذكر حقيقةكم العالية . أما تأخير كتبنا
فقد كان عاملاً حتى شغل الوالد ، فلا نعلموه على ذلك السبب ولكن أبى كرمكم إلا
يطوب القلب فأخضكم بشكر على هذا » اهـ

فن كان بينهما مثل هذه الحرية فى الخطاب والمقاب لا يفش أحدهما الآخر
لو كان من دأبهما الفش . وأحمد الله تعالى اننى لم أبطل بهذه الرذيلة ، واننى أبرئ
منها صدق الشهد السعيد كما أبرئ نفسى .

هذا واننى لم أكف بما دار بينى وبينه قدس الله روحه من المكنيات فى هذه
المسألة بل دهوته إلى زيارتنا بمصر فأجاب ، وكنت أهدد منه مجلسين لهدنة فى
كل يوم وليلة : مجلساً قبل النوم ومجلساً فى الصباح . فرأيت بعد ذلك كله معتقداً
أن الاتحاديين هازنون على إرضاء العرب ، وأنه بحسب مسابقة العقلاء منا لهم على
ذلك ، واننا نزال بهذا من الحقوق ما لا يرجى أن تناله بالسعى مع مجاهدين

وقد وافقه على بقاءه فى منصب الاعيان والاسمرار على هذا السبب لانه إما
أن ينفع وإما أن لا يضر

المشانق في سورية — شتى الزهراوى

جاء في جريدة الإهرام تحت هذا العنوان مانصه :
نقلت المفاتيح التي يوثق بروايتها أن السيد عبد الحميد الزهراوى حوكم في دمشق أمام المجلس العسكري فحكم عليه بالموت شتقا وشتقى . ولربما خفف من لوعة الالمى عليه شتى من قندموه من عطاء الأمة السورية وأمرأه المسلمين على وجه الخصوص كالأمير عمر الجزائرى ابن الأمير عبد القادر وشفوق بك المؤيد من أكبر رجال سورية وورشدى بك ششمة من صفوة أعيانها وشكرى بك المسلى وعبد الوهاب بك ومجد المحمدى وسليم بك الجزائرى وعبد القى الرئيسى الخ ولكن الزهراوى كان يمثل طائفة خاصة وفكرة نابذة وحياة جديدة تتراوح بين طائفة علماء الدين الاسلامى وغيرها من الطوائف الراقية، والبحث فى شؤون طائفة الزهراوى فى سورية وبلاد العرب من المباحث الخطيرة الجلية التي تبين الصلة بين الماضى والحاضر والقديم والحديث ، بل تظهر التدرج الذى كان ينظر على يد أولئك الذين أزهقت الحبال أرواحهم ؛ وأودت بسلامهم وعلمهم ، وأمانت غرسهم قيل أن بنيت وبما نبت منه قبل أن يزهر ويشمر

فالمسلمون فى سوريا تأخروا عن إخوانهم النصارى واليهود والدروز فى طلب العلم . لأن القدماء من أكابرهم وأغنيائهم كانوا يعتقدون أن طلب العلم إنما يراد لطلب الرزق ، والوجيه الكبير المتوافر رزقه كان يعد من العار هلى أبناءه أن يطلبوا العلم للارتزاق . « من شق القصة » وضاعف فى ذلك أن المدارس كلها كانت فصرانية ، إما للأجانب وإما للمسيحيين الذين تأدبوا بأداب الأوربيين فخذوا حذوهم وساروا فى العلم سيرتهم . وقد لقيت هذه الفكرة تشجيعا من الحكومة بل ربما غرست الحكومة نفسها هذه الفكرة فى الصدور حتى يظل المسلمون على حالهم فلا يطالبون إصلاحا ولا يطالبون بحق ، وليس للمسيحيين وسواهم من يعملون تأثير أو نفوذ لأنهم الأقلية ، ولهذا السبب لم يتمتع أحد من أبناء مسلمى سورية بذلك الانعام الذى أنعم به إبراهيم باشا بن محمد على باشا على لبنان وسورية بأن يعلم طائفة

منهم في مدارس مصر العالية، وانحصرت تلك النعمة حتى عهد الاحتفال بأبناء
المسيحيين السوريين وحدهم

وظلت الحال على هذا المنوال ولا مدارس ولا مكاتب للسلبيين في سورية
حتى ان دخل أوقاف المدارس والمكاتب فيها كان يجبى الاسقانه إلى أن زاد
احكامك القوم بالأوربيين ورأوا بأهمهم ومسوا بأيديهم فائدة التعليم فطلبوا لا يتأهم
إثنا في مدارس الأجانب في بلادهم، وإما في مدارس الاسقانه، حتى ان بعض طلبة
العلوم الدينية سبوا إلى ذك سوام أو ماشوم في هذا السبيل ولكن على غير رغبة
الحكومة وإزادتها، فكانت تسبغ النعم على من يذم العلم وعلماء الأجانب كالشيخ
النبهاني الشهير بزم مدارس النصارى.

ومن هؤلاء الطلبة الدينيين السيد عبد الحميد الزهراوى من أشرف حصي
وسلالة بيوتها الكبيرة. بدأ علمه في بلده وأتمه في الاسقانه، وعلم هناك من
السفهاء الترك الاهتمام بالشؤون السياسية والاجتماعية، فكان أول ظهوره برسالة
ألقاها في المعتقد الديني لم نرق في عيون مشايخ الطرق، فسبوا به إلى السلطان عبد
الحميد حتى نفاه وأقصاه إلى دمشق^(١) ولكن الوسطاء توسعوا له - وكان الظلم
في ذلك العهد يدفع بالوساطة خلافا لما نراه اليوم - فتركه حراً وأطلقه من كل
يد، فعاد السيد الزهراوى إلى الاسقانه واشترك بالمظاهرة الودية التي قام بها فريق
من العلماء والكتاب أمام السفارة الانكليزية بعد انقصار الاسكناز على اليوم
في الترسفال فلم يغفر له وازفاته السلطان عبد الحميد تلك المظاهرة لالائه سبوا
انكسرا بنصرها، بل لالاهم مثلوا الامة العثمانية والشعب ولم يكن يفضيه أمر كذا
الامر، حتى أن رقباء الصحف والمطبوعات (المكتوبية) حذفوا من قوائم المسألة
كلمة (وطن) و (شعب) و (أمة) و (جمهور) الخ وما شاكل ذلك من الانقضاء،
فضهر السلطان على أولئك المتظاهرين مدة ثم فرق شملهم وأرسل كل واحد منهم
إلى جهة إلى أن تمكن السيد الزهراوى من الفرار إلى مصر كما فر قبله السيد عبد
الرحمن الكواكبي وكل حر في تلك البلاد من عربى وتركى وغيرهم

(١) «المنار» الضوابط في هذه المسألة ما بينناه في هذا الجزء

وعاز الزهر اوى وأمثاله من رجال الدين المصلحين على سواهم من المتعلمين أنهم
 خير صلة بين طوائف الشعب وفرقة فهم يحترمون التقاليد المقدسة لكل طائفة وهم في
 الوقت ذاته يؤيدون المصلحين في اصلاحهم، فقد كانت طائفة الاعماله في سورية
 تجمع المشور والنذور وترسلها الى أغاخان في الهندلان معقد هاو مذهبها يقضى عليها
 بذلك، فحدث بعد إعلان الدستور ان هذه الطائفة الصغيرة جمعت ما تبلغ قيمته نحو
 عشرة آلاف ليرة فصادرتها الحكومة ولكن السيد الزهر اوى الذي كان يومئذ من
 أعضاء مجلس النواب انتصر لتلك الطائفة وقام الحكومة وجاهد في هذا السبيل
 حتى قرر بحسب النواب أن تنفق تلك الاموال في تعليم تلك الطائفة ولا تصادر
 خزانة الحكومة كما فعلت وزارة الداخلية ولكن القرار لم يعاوزه الورق
 وكان السيد الزهر اوى يقول بأجماع الطوائف العربية بمامل الله والمنفعة
 والاصل والسلافة فأشأ جريئة الحضارة لهذا الغرض، وكان من معررى جريئته
 وزق افندي سلوم الذي شفق في دمشق وهو فقي من حصن كان قد ترهب ولكنه
 خلع ثوب الرهبنة وسار الى آثار مواطله بحجة ووجد الاثنان كلتهما في هذا السبيل
 فكانتاهما لسانين دينيين على دهوة واحدة وطنية وكان الزهر اوى ككرا أديب
 في بلاده اتحاديا مجتاهدا على مذهب الاتحاديين الاولين الذين نالوا الدستور « الاتحاد
 وفتح وفتحنا » ولكن لما ذهب أولئك الاتحاديون الأولون ومزق شملهم وخولقت
 مبادئهم ومذاهبهم اتفق مع الطوعية شكرى أفندي الذي توفي في مصر منذ همد
 قريب على تأليف حزب الاهالى، ثم ضمت الفرق كلها وألصقها حزب الاتحاد
 على قواعد ومذاهب فرقة الاتحاد وانترفي كما كانت هي عهد زمامة سباق بك
 واخوانه وأقرانه، إلى أن فشلوا في مهمتهم، فوجه نظره لشرط العرب جمعيت لا أعزب
 ولا فرق بل مطالب اصلاحية قاعدتها انتفاع البلاد بما يجي منها من الضرائب وما وفاتها
 فرأس المؤثر العربي الذي عقد في باريس - لانه لم يسمح لهم بمقدمه في بلاد
 الدولة - وهناك كتب الوثيقة المشهورة مع مندوبي الاتحاديين وعاد الى الآسنة
 مع رسول الاتحاديين عبد الكريم قاسم الخليلي الذي كان أول المنشوقين في سوريا
 والهادى الذي تلاه والشيخ أحمد طباره الذي حكم عليه بالاعدام، فبين الزهر اوى

في مجلس الألمان إلى أن شنق

وبما امتاز به هؤلاء جميعاً شدة عصبونهم العربية ، وشدة عصبونهم الجفينة
العثمانية ، حتى كان الزهراوى يقول عند ذكر مطمع دولة من الدول في أملاك
الدولة العثمانية « ان هذا ينال منا بعد أن نزهق أرواحنا » وله في ذلك مناقبات
شديدة مع أصدق أصدقائه (الصواب مع بعض معارفه لا أصدق أصدقائه)

فقال هذا لا تأييداً للشهد الزهراوى بل بياناً للحقيقة عن تلك البلاد وأهلها
ويقول زعمائها الذين ذهبوا جلة للجربة إلا أنهم طلبوا إصلاحاً بقيهم البلاد وبقاء
مطامع الطامعين في أرضهم وبلادهم ، حتى أن الشيخ أحمد طباره لما عاد من أوروبا
غير منزعج سواسية وبعد أن كان يتمتع للذكر المدينة الأوروبية أخذ يكتب ويبحث
أمنه على الانتباس من محاسنها فكان يكرر قوله : « إننا لا نقدر بلادنا ووطننا إلا
بالسهر على مناهجهم » تلك طائفة ذهبت اليوم ولكن لهذه الطائفة مذاهب ومبادئ
إذا بقي في قومها وعشيرتها من يحبها ويعمل بها قد تكون نتيجهما خيراً وإلا قد ذهبت
الرؤوس وبقي القوم كالقطيع من الأغنام بدون راع تساق فتسحق إلى حيث يراد منها
لا إلى حيث تريد لأنها بعد قطع رؤوسها باقت بلا إرادة

(المنار)

هذا ما نشر في جريدة الأهرام عند وصول نبأ شنق السيد الزهراوى إلى مصر
وفي بعضه نظر أو إيهام ، تختلف فيه الأفهام ، وقد رأينا من حق صديقنا رفيق
رزق سلام القى ذكرته الأهرام في كلامها عن السيد الزهراوى أن نقول في
نشأته كلمة وجيزة تحفظ في تاريخه ويظهر بها سبب شتمه وشنق جورج الحداد من
شبان نصارى سوريه مع من شنق من زعماء المسلمين ونايبيهم بتهمة السياسة العربية

﴿ رفيق رزق سلام المحامي ﴾

نفت هذا القتي في بيت من أكرم بيوت الروم الأرثوذكس في حصص وتلقى
التعليم الابتدائي في إحدى مدارس الطائفة فيها ، ثم أرسل إلى دير البلمند بالكورة
(لبنان) فألبس لباس خدمة الدين ودخل مدرسة الدير الدينية ولكنه لم يخلق

مستعداً الرهبانية والخدمة الكنيسية ؛ وإنما خاق كبير الاستعداد للحياة الاجتماعية السياسية ، فلم يتم مدة المدرسة بل خرج منها ودخل المدرسة الكاثوليكية الأمريكية في بيروت ، ثم سافر إلى الآستانة بعد الانقلاب العثماني فدخل أحد مدارسها الإعدادية ثم مدرسة الحقوق وقد أخذ الشهادة لدراسه فيها واختر أن يكون محامياً

كان رفيق مريداً وتلميذاً الزهراوي في أفكاره الاجتماعية ، فاشهره فلم منه وهو أنبغ رجل من أشرف بيت في حص أن في سلسلي البلاد فئة تسمى للإصلاح الوطني سمياً لاشائبة فيه للمصبيات والاحقاد الدينية ، ولما جاء الاستانة بمساعدة الزهراوي رأى جميع طلبة المدارس الرسمية العالية وكلمهم من المسلمين على هذا المشرب الذي شرب كأسه الأولى من يد الزهراوي فانظم في ذلك أعضاء المنتدى الأدبي وانعجب وكلاماً للرئيس فيه ، وكان حفظه من اللغة العربية أوفر من حفظ جهور إخوانه أعضاء المنتدى الذين لم يتعلموا شيئاً في عهد مدارس الدولة ، فكان خطيباً مفوهاً وشاعراً مؤثراً ، ورغبه السيد الزهراوي في الكتابة إنشاءً وترجمة وكان يصحح له ما ينشره في جريدة الحضارة فحذت كتابته

تمكنت الزهرة العربية من نفس هذا الشاب المذهب بما كان يبقى غرسها في نفسه مما كان يسمعه من كلام مدرسي الترك وطلابهم في مدارس العاصمة من الحث على المصيرية التركية ، وما يقولون في العرب والعربية ، وما كانوا يقرأ في جرائدهم وكتبهم ؛ وما يقف عليه من أخبار جمعياتهم ، فكان يقابل غلو متعصبى الترك بمحنة يزنخان وهلاكو خان المفسدين الذين دمروا المدنية العربية الإسلامية بنظم القاصد في مدح النبي العربي الأعظم ﷺ وإنشادها في احتفال المولد النبوي الشريف في المنتدى الأدبي ، فهذا هو السبب الحامل لجمال باشا السفاك الانحدادي على شفق رفوق رزق سلوم مع السيد الزهراوي وإخوانه وأخذائه من مصالحي العرب ، ولا نعلم له ذنباً إلا هذا ، فانه قضى حمانته السياسية كلها في الآستانة ، وكان على رأى أستاذه الزهراوي في وجوب السعي إلى ترقى العرب في حجر الدولة العثمانية . وكان جورج حداد على هذا المشرب أيضاً . ولكنه كان من أعضاء حزب اللا مركزية ، وكفى بذلك ذنباً هذب جمال باشا بقضي القتل والصلب

البلاغ الانكليزي الى سمي في شأن العرب والسلطة الاسلامية

أرسل قلم المطبوعات البلاغ الآتي الى الجرائد في القطار المصري

مصر في ٢٨ يوليو سنة ١٩١٦

نشر في لندن اليوم البلاغ التالي :

« منذ سنين والعرب المعذبون بسوء الحكم التركي ينتظرون اليوم الذي يتمكنون فيه من استرجاع حريتهم السابقة وقد قاموا في الماضي بثورات عديدة ضد الاستبداد التركي في البلاد العربية

« وقد أدى سوء تصرف الحكومة الحالية في الآستانه وخضوعها التام لسلطة الالمان الى دخول تركيا مضطرة في حرب مشؤومة أوصلت الاحوال فيها الى حد النهاية ، فرأى شريف مكة وغيره من الزعماء في البلاد العربية أن الاوان قد آن لنزع اليدين التركي عن أعناقهم والمناداة باستقلالهم

« وكانت بريطانيا العظمى تعطف دائما على العرب في أمانهم ولكن صداقتها التقليدية لتركيا اضطررتها في الماضي الى البقاء على الحياد . أما الآن وقد انضمت تركيا الى صف الدول الوسطى فقد أصبحت بريطانيا العظمى حرة في اظهار عطفها على أولئك العرب الذين انخرطوا في جانب الحلفاء ضد العدو المشترك

« على أن بريطانيا العظمى ستبقى محافظة على سياستها الثابتة في الابتعاد عن أية مداخل في الشؤون الدينية ، وعلى بذل جهدها في بقاء الاماكن المقدسة أمينة من كل طارئ خارجي

« ومن النقط التي لا تقبل التغيير والتبديل في سياسة بريطانيا العظمى

هو أن تبقى هذه الاماكن المقدسة في أيدي حكامه اسلامية مستقلة
« ولا يخفى ان احوال الحرب الحاضرة تلقى العقبان الكثيرة والاختطار في سبيل الراغبين في القيام بفريضة الحج ولكن العمل الذي قام به شريف مكة يجعل

الامل كبيراً في اتخاذ التدابير اللازمة التي تمكن الطعاج في المستقبل من زيارة الاراضي المقدسة بسلام واطمئنان، اهـ

(المنار) قد أجمعنا العاصية البريطانية هذه أصوات في المسألة العربية والبلاد الاسلامية المقدسة كان أولها برقية لروتر يؤكد فيها أن انكثرة لا تتوى أن تأخذ شيئاً من بلاد العرب ، ولا تسمح لأحد بالأعداء على شيء من البلاد الاسلامية المقدسة. ثم دار في هذا المعنى وفي مسألة الخلافة كلام كثير بين أعضاء مجلس الاعوان والنواب، ولكن لم يكن شيء من ذلك بلاغاً رسمياً في معنى قطعي يوتق بعدم الرجوع عنه كالبلاغ الذي نشرناه اليوم دون جميع ماسبقه مما هو جدير بأن يحفظ أيضاً وإن لم يبلغ درجة هذا البلاغ في الاعتبار

في هذا البلاغ نصريح قلما يصدر من دولة ، وهو قد صدر عن أحد الدول في تحرير العبارات الرسمية وجملها مقيدة لتبرها قيود قلما يستطيع الغفلت منها مع بقائها هي في عالم الاطلاق . ألا وهو النصريح بأن من أصول السياسة البريطانية التي لا تقبل التغيير والتبديل بقاء الاماكن الاسلامية المقدسة في يد حكومة إسلامية مسقطلة . ومعنى كون هذا لا يقبل التغيير والتبديل أنه متفق عليه من جميع أحزاب الامة لا أتفكر أي الحكومة الحاضرة ، أو غيرها - حزب الاحرار - وحده فيكون عرضة للرجوع عنه بتغير الوزارة أو تحويلها إلى حزب المحافظين . وبهذا التغيير يظهر غلط الذين قالوا إنه لا يوجد في السياسة شيء لا يقبل التغيير والتبديل . فهوكون هذا النص لثراً لا معنى له حتى نشر به . وقول هؤلاء حسناً أنه لا تغيير ولا تبديل إلا بتغير رأي الامة الانكليزية كلها وهي أثبتت الالم وأبطلها بطلاناً ونحوها في كل شيء .

على أن أهم ما في هذا النصريح نحوه لا نصه ، وأهني بنحوه اعتراف الدولة البريطانية باستقلال الدولة الاسلامية التي تتحول على هذه البلاد إذ نزلت سيادة الدولة العثمانية عنها بما يقتضي أن يمل بها من قدر الله تعالى ، فهو يتناول مسألة السلطة الاسلامية في هذه الحالة وهي أهم ما يهم جميع مسلمي الارض ، وسنكتب فيها مقالاً لا يبين فيه ما يسمع لنا الوقت بهواه إن شاء الله تعالى

الانتقاد على المنار

سيدى الأستاذ محرم « المنار »

اطلعت على دعوتكم الى نقد « المنار » وعلى فاتحة المجلد التاسع هشرقلم يسعنى إلا أنحرير هذا الكتاب لفصيلتكم ورائدى الاخلاص وتمضيده ما ينفع الناس .

فأما من نقد « المنار » فحسبى أن أقول إن المجلة التى كادت تملغ ربع قرن من حياتها لا بد وأن تكون قد جمت من أسباب الحياة ما فيه الكفاية وإن ما ألم بها أخيراً من العسر المالى الذى يرجع بعضه إلى أزمة الحرب ليس فحراً مجرد مرض عاوى إذا ما وجع علاجاً ناجحاً طادت إلى المجلة نضرتها السابعة ، وعندى أن هذا المرض معصور فى اضطراب إدارة المجلة وفى هدم نمشها مع الزمن بخلاف طائفتها صائف السنين ، ولبيان ذلك أقول ان إدارة المجلة على ما يظهر لى كثرة التساهل مع المشتركين فأنى لا أتذكر أنى تلقيت أخيراً من حضرة مدير « المنار » طلباً يدفع الاشتراك كما هى عادة جميع المجلات الراقية عربية كانت أم أجنبية . وقد كنت أباهى بشدة ندقيق فى حسابى ولكن شواغل الحياة متى تعددت أصابت الانسان بالنسيان وسلبه بعض نظامه مهما يكن يفظاً ، فبت ولا أدرى بماذا أدين الحكم . والنفقة التى تنفقونها فى سهول تذكر كل مشترك مرة فى السنة بموعدهم بعيد اشتراكه لا بساوى شيئاً فى جنب الفائدة المادية التى يحصلون عليها . ولولا أن هذه الطريقة الادارية ذات نتيجة محسوسة لما استمرت على انبائهم جميع الصحف المعتبرة زد على ما تقدم أن المجلة لا ترسل الى بانظام وهذا ضار بمصلحتها ، لأنى إذا كنت لا أتردد لحظة فى دفع ما تطالبون إلى دفعه حتى ولو استملت عدداً واحداً فقط منها فى السنة كلها مع معدداً على جمع بقية الأعداد منكم متى عدت الى القاهرة ، فلا شك عندى أن كثيرين غيرى يتصلون من الدفع بهذه الحجة فيكون خسارتكم حينئذ غير قليلة . هذه نقطة جوهرية يحسن بسيادتكم النظر فيها لأن نظام العمل من أقوى الدعائم لنجاحه .

مباحث المجلة فى تعريفكم ليست لأصرة على فلسفه الدين بل هى تشمل أيضاً

شؤون الاجتماع والعمران ، ولكنكم فلما تطبقون ذلك . لأنكر أنكم أحسنتم كثيراً
بنشر المقالات الصحية المفيدة التي وضعها الدكتور توفيق صدقي ، كما أن لكم
جولات رائقة في غير مباحث الدين ، ولكني لا أعرف لكم أبواباً ثابتة في كل
عدد سوى باب تفسير القرآن ، بخلاف ما أشاهده في مجلات المجلات الدينية المسيحية الراقية التي تصدر
أو «الهلل» ، وبخلاف ما أشاهده في مجلات المجلات الدينية المسيحية الراقية التي تصدر
بالإنكليزية ، حتى كأن تلك المجلات الدينية مخوض في كل علم وترى إلى تطبيق
العلم على الدين . ومثل هذا التطبيق في رأى بعض المفكرين تضليل . ولكني
لا أرى ذلك إذا كان المطلق مخلصاً في عمله ، لأن رجل الدين متى اعتقد أن العلم
هو أحد أركان الدين وجب عليه أن يجمع بينهما حتى يخلص المعتقدات الدينية من
خرافات الجاهل المدعين الذين يتاجرون باسمها أو يبنون شهرتهم بالكاذبة على
حسابها ، وقد لاحظ كثير من تلاميذكم أيضاً «المنار» بالصور حتى رسوم من توفوا
من علماء الاسلام فعد ذلك دليلاً على كره الاسلام للتصوير في العصر الحاضر أيضاً

وأما عن دار الدعوة والإرشاد التي تصدون بها تربية أساندة لتهديب العامة
ونشر المبادئ الأدبية الزافعة والقضاء على أباطيل الأولين ، فلا يجارها رجل بميد
النظر حتى ولا من أنكر ذات الخلق ، لأنني إذا قلت أن الطبقة المتعلمة من الأمة
قد تجد من تلاميذها العالي المبادئ الأدبية الكافية لصيانة أخلاقها ولو كانت غير
متدبنة بدين سماوي ، فيصعب على جداً أن أقصور جواز هذا الحكم على
عامة الناس الذين لا تثمر مبادئ الاتحاد بينهم إلا فوضى أدبية مريعة . فيجب
إذن تعصيد رؤساء الأديان الذين يسيرون بها دائماً إلى الامام وقصدم العقليم
والتربية : وإذا عد نفر من الناس أن صلاح العالم هو في القضاء على الأديان فلا
أدرى كم بعد مئات من السنين يتحقق هذا الحلم . فإذا فرضنا أن تتحققه في حكم
المستطاع — والناس كثيراً ما يخلفون حتى على البسيطات . وفي خلال كل هذا الزمن
يلبث الدين قريب الأنة من شخصيات الأمة ومظهر من مظاهرها — فخرى بكل
ذى وطنية صحيجه أن يعم النظر في هذه المسألة الحيوية .

هذا وإني لأذهب مذهب مكانتكم الفاضل في خاتمة المجلد السابق بل لا

أنتك في حسن مستقبل الشرق ؛ ولكل أمة دور من صعود وهبوط ، ولا خوف
عندي على مثل « المنار » أو « دار الدعوة والارشاد » فلا بد أن يأتي وقت
قريب يحل فيه خليفة الامام محمد عبده حبه من الانصاف على ماخدم به الأمم
الاسلاميه من الارشاد النافع حتى صارت فتاويه مرجع كل مصلح اجتماعي جري .
وبات « تفسير المنار » معدوداً أعظم تفسير للقرآن الشريف لجمعه بين علوم السلف
والخلف ، ولما تضمنه من خلاصة العلوم الحديثة التي يجب أن تكون هدى المفسر
لكتاب يمد قاتون الله الذي خلق الكون ودبره . فما العلوم الطبيعية إلا خلاصة
ما وصل اليه العقل الانساني في درس سنن الكائنات بتدقيق وأمانة . لهذا
كانت تناسر القرآن التي خطها الجاهلون بهذه العلوم أولى بالتلف منها بالصيانة ،
فأنها عار للعلم والدين معاً

فاتح لي إذاً يا سيدي الأستاذ أن أهنيكم على استقبال « المنار » لسنة
جديدة من سني حياته المباركة ، راجياً أن تكون فاتحة رقي وتواصل له ونجاح ثابت
وفسرة للفضيلة والآداب

أحمد زكي أبوشادي
(طبيب)

نادي مستشفى صاف جورج
بلندن

(المنار) نشرنا رسالتكم برمتها وان كان موضوع باب الانقذاد على المنار خاصاً
بانقذاد مسائله دون إدارته . وفشكر لكم تهنيئكم وثناءكم وكل ما كتبتم بمداد الاستقلال
والاخلاص ، ولا أنكر ما عرض من الخلل في إدارة المنار ولا سيما إهمال التحصيل ،
وأذكر من سببه خيانة بعض الوكلاء وقرى الاشراف عليها ، ونعد من تولى
أمها منذ الانقلاب الثماني الذي فصح لي أبواب الاسفار الى سوربة ثم الاسفانة
ثم الهند وعمان والعراق ، والاشتغال بمشروع الدعوة والارشاد ، وسعود إلى
الانقظام في هذا العام إن شاء الله تعالى

وأما سبب قلة تنوع موضوعات المنار كتنوع غيره من المجلات فهو أن محرره
واحد له اعمال كثيرة أخرى ومحرروها كمنهون . ولا يتسع هذا الجزء لخوض معكم
في سائر المسائل التي أود بتموها في رسالتكم المفيدة

المجلد

١٣١٥

يقضي الحكمة من بناء ومن يؤمن الحكمة قد
أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الأبواب

فمن عبدي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الأبواب

« قال عليه الصلاة والسلام : ان للإسلام صوى و «منارا» كتار الطريق »

مصر ٣٠ ذي القعدة ١٣٣٤ هـ - الميزان (خ ١) ١٢٩٥ هـ ث ٢٨ سبتمبر ١٩١٦

مناسك الحج

أحكامه وحكمه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَلَقَدْ عَلَّمْنَا عَلَى النَّاسِ حَجَّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، وَمَنْ كَفَرَ
فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ غَلِيظٌ (سورة آل عمران - ٩٦: ٣)

إِنَّ الصَّلَاةَ وَالزَّكَاةَ وَمِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ
فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا (سورة البقرة ١٥٣: ٢)

الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا
فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ. وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمَهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا
فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُوا يَا أُولِي الْأَلْبَابِ (سورة البقرة ٩٣: ٢)

أما بعد حمد الله والصلاة والسلام على خاتم رسله محمد صلى الله عليه
وسلم فيقول محمد رشيد بن علي رضا صاحب مجلة المنار: اتى في شهر ذي
القعدة سنة ١٣٣٤ عزمتم على أداء فريضة الحج في خدمة والدي، وكنت
أتمنى ذلك منذ سنين ولم يتيسر لي، لوانع بعضها من قبلها وبعضها من
قبلي، وقد خضر لي قبل السفر من مصر بثلاث ليال أن أكتب شيئاً
مختصراً في أحكام المناسك وحكمها سهل العبارة، مأخوذاً مما صح في
السنة، مع الإشارة إلى أقوى مسائل الخلاف، وأن أطبعة وأوزعه على

من أسافر بصحبته من الحجاج ، تعلما للجاهل ، وتذكيرا للغافل ، ولكن لم يتيسر لي الشروع فيه الا في منتصف النهار من اليوم الثاني والعشرين من الشهر --- وموعد السفر ٢٤ منه ---

﴿الحج والعمرة﴾

الحج أحد أركان الاسلام الخمسة ، وهو عبادة بدنية مالية ، والصلاة عبادة بدنية فقط وكذلك الصيام ، والزكاة عبادة مالية فقط ، ومعناه القصد الى بيت الله الحرام بمكة المكرمة لاداء النسك فيه وفيما جاوره من الاماكن الشريفة ، وهذا نسك من أركان وواجبات ، وسنن مندوبات ومستحبات والعمرة كالحج في أركانه وواجباته وسننه الا الوقوف بعرفة فانه ركن من الحج غير مشروع في العمرة ، وتكون في أشهره وفي غير أشهره كما سيأتي . وهي واجبة عند بعض أئمة العلم وسنة عند الآخرين ويجوز الجمع بين الحج والعمرة بأن ينويهما ويلبي الله تعالى بهما معا عند الاحرام ، ويسمى هذا [قرانا] وأن ينوي الحج وحده ويلبي به ثم يدخل عليه العمرة ، ويسمى [إفرادا] وأن ينوي العمرة وحدها أو مع الحج ثم يتحلل منها بعد أداء أركانها ، ثم يحرم بالحج بمكة ، ويسمى هذا [تمتعا] لان صاحبه يتمتع بعد التحلل من احرامه بها بما يتمتع به غير الحرم من لبس الثياب والطيب وغير ذلك من محرمات الاحرام ، وعليه فدية وهي ذبح شاة أو صيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة أيام اذا رجع من الحج أو اطعام ستة مساكين من أوسط طعامه ، ككفارة اليمين وزكاة الفطر واختلف علماء السلف والخلف في الافضل ، وأقوى الأقوال في ذلك أن التمتع أفضل مطلقا أولن لم يسق [الهدي] الى الحرم .

و [الهدى] ما يهتدى الى الحرم من الانعام ليدبح فيه تقربا الى الله تعالى، فمن سأنه من بلده أو طريقه فالأفضل له القرآن. وعلى هذا يكون التمتع هو الأفضل والايسر لامثالنا — من الحجاج المصريين وغيرهم ممن لا يسوق معه هديا — أن نحرم بالعمرة وحدها أو مع الحج ثم نأتي بأركان العمرة كما يأتي بيانه، ثم نتحلل منها فنستطيع كل ما يباح لغير المحرم، ونذبح شاة حتى اذا كان يوم [التروية] — وهو الذي قبل يوم عرفة — نحرم بالحج من مكة؛ ولأن أحرم بالحج وحده أو بالحج والعمرة معا أن يتحلل بعمرة ثم يحرم بالحج كذلك

﴿ الاحرام والتلبية ﴾

لكل قطر من الأقطار مكان يسمى [مبقات الاحرام] لا يجوز تجاوزه بغير احرام لحاج ولا لمعتمر، وفي غيرها كقاصد الحرم للتجارة خلاف، فتى بلغ المبقات أحرم عنده بأن ينوي الحج والعمرة أو أحدهما، ويلبي بما نواه بأن يقول: لبيك اللهم عمرة أو بعمرة، أو لبيك اللهم حججا، أو لبيك اللهم حجبا وعمرة، أو بحج وعمرة. وتقدم أن الأفضل لامثالنا الاحرام بالعمرة فقط. ومن أحرم احراما مطلقا قاصدا النسك الذي فرضه الله تعالى في حرمه من حيث الجملة جاهزا لهذا التفصيل صرح احرامه، وعند اداء المناسك يأتي بواحد من الثلاثة التي ذكرناها. والاحرام بالمعنى الذي ذكرناه — وهو نية النسك من حج وعمرة فرض فيهما وهو ركن عند الجمهور وشرط على الراجح عند الحنفية

ويستحب الاغتسال للاحرام ولو لحائض ونفساء، وكذلك التطيب قبله، وأن يكون بعد صلاة إما صلاة فرض وإما صلاة تطوع، وأن

يحرم في ثوبين نظيفين - وكونهما أبيضين أفضل - وفي نعلين لا يستران الكعبين ، وإن يكون أحد الثوبين أزارا يلف على النصف الاسفل من البدن والآخر رداء يوضع على العاتق ويستر النصف الاعلى منه دون الرأس فإن ستره حرام على الرجال . فلا يجوز للمحرم لبس العمامة ولا غيرها مما يوضع على الرأس ولا لبس القميص والقباء (التفطان) والبرنس والجبة والسراويل والخلف والحذاء الذي يسمى الجزمة أو الكندرة . ولا ما في معنى ذلك من الثياب المفصلة المخططة ومن لم يجد الأزار والرداء أو النعلين لبس ما وجده ؛ ففي صحيح مسلم عن ابن عباس أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو يخطب بعمرات يقول « السراويل لمن لم يجد الأزار والخفان لمن لم يجد النعلين » ولا فدية عليه عند الشافعي وأحمد لانه لبس ذلك للضرورة فإذا زالت الضرورة في أثناء النسك بأن وجد الأزار والنعلين وجب عليه تزع السراويل والخلف ونحوهما ، فإن لم ينزعهما وجبت عليه الفدية وهي شاة يذبحها . وعند أبي حنيفة ومالك تجب عليه الفدية وإن لبس ذلك للضرورة . ولا بأس بشد المنطقة أو الهميان الذي توضع فيه النقود في الوسط . ولا بأس بمقد الأزار في وسطه أيضاً وإذا كان يخاف سقوطه بغير عقد يتأكد العقد

والاصل في هذه المسألة حديث ابن عمر في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عما يلبس المحرم من الثياب فقال « لا يلبس القميص ولا العمام ولا السراويلات ولا البرانس ولا الخفاف الا أحد لا يجد نعلين فليلبس الخفين وليقطعهما أسفل الكعبين . لا تلبسوا شيئا من الثياب مسه العفران ولا الورس » هذا لفظ مسلم . وفي حديث ابن

عباس المرفوع أنه صلى الله عليه وسلم لم يشترط في ترخيصه بنفسه اثنين
لمن لم يجد التعلين قطعهما . فبعض النساء حتى هذا المأثور على حديث
ابن عمر وقل لا بد من قطعهما ، وبعضهم قال ان حديث ابن عباس ناسخ
لحديث ابن عمر لانه بعده

ولا يجب على الرجل كشف غير الرأس من بدنه ، ويجوز له أن
يستظل بالمظلة (كالشمسية) وغيرها مما لا يمس رأسه ، ولكن يستحب
له أن يعرض رأسه للشمس ما لم يتأذ بذلك ، لان النبي صلى الله عليه وسلم
وأصحابه رضي الله عنهم لم يكونوا يستظلون في الاحرام ، وقد رأى ابن
عمر رجلا ظلل عليه فقال له : ايها المحرم أضح لمن أحرمت له . أي أبرز
للشمس لاجل من أحرمت له . يقال ضحى الرجل يضحى ضحىً ، وضحا
يضحوا وضحوا وضحيا اذا برز للشمس أو أصابته الشمس .

وأما المرأة فلم ينهها النبي صلى الله عليه وسلم الا عن وضع النقاب
على الوجه ولبس القفازين في اليدين فأحرامها في وجهها ويديها . والنقاب
ما تستر به المرأة وجهها فلا يبدو منه الا محاجر العينين ومثله البرقع .
قال المناء فان سترت وجهها بشيء لا يمسه فلا بأس . وأما ستره عن
الرجال بمظلة ونحوها فلا شبهة في جوازها ، ويجب اذا خيفت الفتنة من
النظر . ومن أضره لباس الاحرام فله أن يتي الضرر ولو بتغطية الرأس
ومتى زالت الحاجة الى ذلك تركه

وأما التلبية فصيغتها المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم : « لبيك
اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ،
لا شريك لك » وكان صلى الله عليه وسلم يلبى من حين يحرم يرفع بها
(المناظر : ج ٤) (٢٨) (المجلد التاسع عشر)

صوته، فرفع الصرت سنة للرجل، فيرفع الحرم صوته بحيث لا يجهده نفسه، والمرأة ترفع صوتها بحيث تسمع نفسها وكذا جارتها ومعنى التلبية المبالغة في إجابة دعوة الداعي إلى الحج، ولا يزال العرب يجهلون من يدعوم إلى شيء بكلمة لبيك، وأول من دعا الناس بأمر الله إلى هذه العبادة إبراهيم عليه وعلى آله الصلاة والسلام. وذلك قوله تعالى له (وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق) والرجال هنا جمع راجل وهو الماشي على رجله، أي يأتوك مشاة وراكبين على الرماح الضامرة البطون التي تأتي من الفجاج والطرق البعيدة. فمعنى «ليبك اللهم» انتي أجيب الدعوة إلى هذا النسك خاضعاً لأمرك متوجهاً إليك مقبلاً لخدمتك المرة بعد المرة. والتلبية واجبة عند المالكية ومسنونة عند الجمهور

وهذه التلبية المأثورة هي العبادة القولية التي تتكرر من أول الأحرار بالنسك إلى الانتهاء منه. ويستحب تجديدها بتجدد الشؤون والأحوال كالصعود والهبوط والركوب والنزول واجتماع الناس وتلاقي الرفاق

﴿ دخول مكة والطواف ﴾

يستحب الاغتسال لدخول مكة؛ فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يفتسل له، وكان يبيت بـ [لذي طوى] وهو موضع عند الآبار التي يقال لها آبار الزاهر، فمن تيسر له المبيت فيه والاغتسال فقد أصاب السنة. والافضل دخول مكة نهراً، وإن يقصد المسجد الحرام تواء، والافضل أن يدخل من باب بني شيبه؛ وروي في حديث ضعيف أن النبي (ص) كان يقول إذا رأي البيت (أي الكعبة المعظمة) «اللهم زد هذا البيت

تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة، وزد من شرفه وكرمه ممن حجه أو اعتمره تشريفا وتعظيما وتكريما وبراً» وروى ان عمر رضي الله عنه كان اذا نظر الى البيت قال: اللهم انت السلام ومنك السلام فحينا ربنا بالسلام» واعلم أن ما يذكر في المناسك من الدعاء والثناء وما يلقيه المطوفون للحجاج قلما يصح فيه حديث مرفوع الى النبي صلى الله عليه وسلم، ومنه ما هو من أقوال الصحابة وغيرهم من سلف الامة.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يسمع أصحابه يدعون الله تعالى ويثنون عليه في النسك بما يلهمهم الله تعالى فيقرهم على ذلك. فلم من ذلك أن ما لم يصح عن النبي (ص) من ذلك لا يكلفه أحد ولا يمنع منه، ولكن لا يجعل شعارا عاما يلقيه كل الحجاج ويلتزمونه دائما بصفة خاصة، لان الشعائر لا تثبت الا بنص الشارع، والظاهر ان الشارع ترك هذا الامر للناس ليدعو كل منهم ويثني بما يلهمه الله ويخشع له قلبه. ويسن أن يصلي بعد الطواف ركعتين

والثابت ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل المسجد الحرام يبدأ بالطواف، والطواف الاول من الحاج أو المعتمر يسمى طواف القدوم وهو واجب عند المالكية وسنة عند الاثنية الثلاثة

ويراعي في الطواف شروط الصلاة كالوضوء وطهارة البدن والثياب وستر العورة لما رواه الشافعي والترمذي - واللفظ له - من حديث ابن عباس مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم «الطواف بالبيت مثل الصلاة الا انكم تتكلمون فيه فمن تكلم فيه فلا يتكلم الا بخير» ووردت آثار في النهي عن كثرة الكلام في الطواف أي وان كان بخير لم تمس اليه

الحاجة، لانه يشغل القلب عن الخشوع في هذه العبادة
ولما كانت الطهارة شرطاً لصحة الطواف امتنع الطواف على الحائض
والنفساء فهي تؤدي جميع أعمال الحج سواء فتربص به الى أن تطهر،
ويبتدىء من الحجر الاسود: يستقبله ويستلمه ويقبله ان أمكن من غير
إيذاء نفسه أو إيذاء احد بالمزاحمة والا اكتفى باستلامه بيده - أي مسحه
بها - وتقبيلها فان لم يمكن أشار اليه بيده . ثم يشرع في الطواف فيجبل
البيت عن يساره فيطوف به سبعة أشواط أي مرات . ويستلم من
الاركان الركنتين اليمانيين لانهما على قواعد إبراهيم عليه الصلاة والسلام
دون الشاميين لانهما في داخل البيت

والركنان اليمانيان هما الجنوبيان ويسمى الذي فيه الحجر الاسود منهما
[الركن الاسود] اذا ذكر وحده واذا ذكر الآخر وحده قيل الركن اليماني.
والشاميان هما الشماليان فاذا ذكر كل منهما وحده قيل [الركن الشامي] وهو
المقابل لبلاد الشام [والركن العراقي] وهو المقابل لبلاد العراق، وانما يقال
في تثنيتهما اليمانيان والشاميان من باب التعليل

هذا وإن في الحج ثلاثة أطوفة: طواف القدوم الذي ذكرناه،
وطواف الافاقة وهو ركن من أركان الحج باتفاق الائمة ووقته بعد
الوقوف بعرفة، وطواف الوداع وهو واجب عند الجمهور ومنسوب عند
الملكية. وللحاج وغيره أن يكثّر من طواف التطوّع ما استطاع

﴿ السمي بين الصفا والمروة ﴾

السمي بين الصفا والمروة ركن من أركان الحج والعمرة عند الجمهور،
وعند الحنفية واجب غير ركن، ويشترط أن يكون بعد الطواف. وعند

الملكية يجب ذلك وليس بشرط ، ويجب عند الموالاة بينه وبين الطواف، وقال الجمهور انه سنة لا واجب. ويطلق على السعي اسم الطواف والنطوف كما ثبت في القرآن والاحاديث ؛ واختار الفقهاء اسم السعي للفرقة بينه وبين الطواف بالبيت

وكيفيته أن يبدأ بالصفا فيصعد اليها ويستقبل البيت (الكعبة) فيهل ويكبر ويدعو الله تعالى ثم ينزل ويذهب الى المروة فإذا انتهى اليها توجه الى جهة السعي ليكون مستقبلاً للبيت ويدعو الله تعالى كما دعاه عند الصفا ؛ فهذه مرة ، ثم يعود الى الصفا ثم الى المروة الى أن يتم سبعة أشواط يرمل في ثلاثة منهن بين الميادين الأخضرين (وهما عمودان في جدار الحرم) والرمل سرعة في السعي ، ولا يشترط في السعي ما يشترط في الطواف من الطهارة ولكن يستحب ، ويجوز السعي راكباً ومشياً والمشى أفضل للقادر عليه .

روى مسلم وغيره من حديث جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم لما دنا من الصفا قرأ (ان الصفا والمروة من شعائر الله) وقال «أبدأ بما بدأ الله به (وفي حديثه عند النسائي «أبدؤا بما بدأ الله به») فبدأ بالصفا فرقي عليه حتى إذا رأى البيت استقبل القبلة فوحد الله وكبره وقال : « لا إله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير : لا إله الا الله وحده . أنجز وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده » ثم دعا بعد ذلك فقال مثل هذا ثلاث مرات ثم نزل الى المروة - الحديث ؛ وفيه انه فعل في المروة كما فعل في الصفا . فينبغي ان يحفظ هذا وإن يدعو الساعي بعده بما يفتح الله به عليه لنفسه وأهله واخوانه وأُمَّته

(تذيه) ان المكان الذي كان يرفى النبي صلى الله عليه وسلم اليه على الصفة قد بني عليه والصعود اليه ليس شرطا لصحة السعي فمن وصل الى أسفل البناء هنالك وسعى ولم يصعده أجزاء ذلك ولكن الافضل ان يصعده لموافقة السنة في الصعود

﴿الوقوف بعرفة﴾

يخرج الحجاج من مكة يوم التروية (وهو الذي قبل عرفة ويسميه العوام بمصر والشام [يوم العرفة] ويسمون يوم عرفة [يوم الوقفة] محرمين لان من كان متنعما يحرم في ذلك اليوم كاحرامه من الميقات، والسنة أن يحرم كل واحد من المكان الذي هو نازل فيه، وله أن يحرم من خارج مكة ان كان غير مكّي فإن المكّي انما يحرم من أهله، والسنة أن يبيتوا بنى ولا يخرجوا منها حتى تطلع الشمس كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم، وأن يسبروا منها الى [نمرة] عن طريق [ضب] من بين الطريق وهو موضع في حدود عرفة [بطن عرنة]. فيقيموا فيها الى الزوال ثم يسبروا منها الى بطن الوادي وهو الذي صلى النبي صلى الله عليه وسلم فيه الظهر والعصر قصرا وجما وخطب، فيصليها الحجاج كذلك ويخطب بهم الامام. وهناك مسجد يقال له مسجد ابراهيم بنى في أول دولة بني العباس ثم يذهبون الى عرفات والهدول عن هذه الطريق الى طريق [المأزمين] ودخول [عرقة] قبل الزوال كلاهما مخالف للسنة ولكن لا يجب به شيء، لانه ليس تركا لشيء من واجبات الاحرام.

ويقفون بعرفات الى غروب الشمس فاذا غربت خرجوا من بين العلمين او من جانبيهما. ويجتهد الحاج في الذكر والدعاء في هذه العشية فهي افضل الاوقات لها وأرجاها للمغفرة والرحمة. ولم يعين النبي صلى الله عليه وسلم لعرقة دعاء ولا ذكرا ليجتهد كل انسان في ذلك بقدر معرفته وحسب حاجته. فبيل ويكبر ويدعو ماشاء الله من الادعية الشرعية. ويسن الغسل يوم عرفة، ولا يسر الصعود الى الجبل الذي هنالك الذي يسمى جبل الرحمة -- وهو جبل إلال -- ولا دخول القبة التي فوقه التي يقال لها قبة آدم ولا الصلاة فيها. والسنة أن يفيضوا من عرفات

واجب لاركن. وبالخلق أو التقصير يكون التحلل الاول من الاحرام فيحل به للمحرم ما كان محرما عليه بالاحرام الا النساء
وبعد هذا يأتي الحاج مكة فيطوف طواف الافاضة الذي هو طواف الركن كما تقدم فاذا طاف هذا الطواف حل له كل شيء مما ذكر حتى النساء
ثم يرجع الى منى فيرمي بقية الجمرات ، والافضل ان يرميها في أيام التشريق الثلاثة وله ان يرميها في يومين لقوله تعالى (واذكروا الله في أيام معلومات فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه لمن اتقى)
ويستحب في رمي الجمار ان يكون بعد الزوال وان يبدأ بالاولى وان يكبر مع كل حصاة . ويدعو فيطيل الدعاء . واذا قال في دعائه : اللهم اجعله حججا مبرورا وسعيًا مشكورا وذنبًا مغفورا — فهو حسن

﴿ طواف الوداع ﴾

تقدم حكمه وينبغي ان يكون هذا الطواف آخر عهد حجاج الآفاق بمكة ليكون مسك الختام
انتهت الاحكام ولم نشأ نشر [حكم المناسك واسرارها] في هذا الجزء من المنار لانها منشورة في [باب الفتوى] من المجلد السادس عشر فليرجع اليها من شاء في ص ٦٧٥

دلالة تشبيه دار البعوضة والانشاء

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صديقي

١٢٣

Tuberculosis الدرن

يراد بهذا الداء تكون أجسام صغيرة في عضو أو أكثر من أعضاء الجسم^(١) ويسمى الأطباء المحدثون هذه الجسيمات بالدرنات أو الدرن^(٢) وهي تنشأ من باسيل اكتشفه العلامة الألماني كوخ سنة ١٨٨٢ ميلادية
أوصاف هذا الباسيل — هو عصيات مستقيمة أو منحنية قليلا طولها نحو ٣ ميكرونات وعرضها ٥٥٥ من الميكرن، ذات أطراف مستديرة في كل منها نقطة لامعة أو أكثر ظن سابقا أنها حبيبات للميكروب ، والحقيقة انه لا يتوالد الا بالانقسام وهو عديم الحركة ولا أهداف له (خلافا لما ذهب اليه بعض الباحثين) ويعيش في الهواء وفي غيره من الغازات بل في الفراغ ، وأحسن حرارة تناسبه ما كانت درجتها ٣٧ ستعجزاد ولكن نموه بطيء جدا

تركيب الدرن — تتكون كل درنة من خلايا تحيط بها تشبه كريات الدم البيضاء وفي داخلها خلايا تشبه خلايا البشرة وفي مركزها خلية أو أكثر كبيرة ذات نويات عديدة . وقد يوجد بين هذه الخلايا منسوج آخر دقيق جدا يولف بينها . ويوجد الميكروب بين هذه الخلايا أو فيها خصوصا حول الخلية المركزية الكبرى أوفيهما كما في درن الحيوانات . وفي بعض الاحوال تكون هذه الخلية

(١) قد يصيب أي عضو من الجسم أو أي جزء منه وتكثر اصابته للرئتين ويقل للشغاف (الغشاء المحيط بالقلب) (٢) أصل معنى الدرن في اللغة الوسخ (المنار : ج ٤) (٢٩) (المجلد التاسع عشر)

معدومة وفي البعض الآخر تكون الخلايا البشرية كذلك معدومة فتكون الدرنه من خلايا كالكريات البيضاء فقط . وقطر الدرنه الواحدة عادة مليونر واحد أو اثنان . ونشاهد الدرنات في هذا المرض بوضوح في الرئتين أو الكبد أو الكليتين

وكما كبرت الدرنه مات وسطها وذلك اما لعدم وصول أوعية الدم إليه أو لسوء الميكروب أو للسببين معاً فإذا مات الوسط صار مصفراً وقوامه كالجنين وهذا الوسط الميت يزداد اتساعاً ينما يحيط الدرنه يُغيّر على ما أحاط به من الانسجة وهلم جرا . وهذه الدرنات تنشأ بسبب تهيج العضو بالميكروب فتتكاثر الخلايا حوله باقسامها الى عدة أقسام . وتهرع اليها الكريات البيضاء لمقاتلتها فتحيط بها فيصيبها ما ذكر . وباجتماع هذه الدرنات بعضها مع بعض تتكون درنات كبرى فينشأ من ذلك أخرجه (جمع خراج) في العضو المصاب

وقد تتحول الدرنه الى مادة كلسية (جيرية) يرسوب فسفات الكالسيوم فيها على الاكثر فيموت الباسيل ويشفى العليل وهذه الدرنات تحدث تهيجا في الاعضاء وقد يكثر حولها المنسوج الليفى الضام . ويجوز أن يغير هذا المنسوج على الدرنه ويطبق عليها فتضمر وتناقص حتى نستحيل الى نقطة ليفية وبذلك يشفى الدرن أيضا

أما اذا كانت قوى المريض ضعيفة فتلتهب الانسجة حول الدرنات وتزداد حالة العليل سوءاً فوق سوء ، وفي آخر الامر تنقيح الدرنات وما حولها وبشترك مع هذا الميكروب ميكروبات أخرى فتكون أخرجه وكوف كما يحصل كثيرا في رئة المسولين

الاسباب — ميكروب هذا الداء منتشر كثيرا بين الناس وبعض الحيوانات . ولمعرفة كيفية العدوى به يجب أن نقسم البحث هنا الى مستلئين : —

(الاولى) الاستعداد الشخصي : للوراثة تأثير عظيم في العدوى بهذا الداء فانه يغلب حدوث هذا المرض في أولاد المسولين . ولا يتوهم أحد أن الذي ينتقل من الوالد الى ولده هو الميكروب بل استعداد خاص فقط اللهم الا في أحوال نادرة جداء ولذلك كثيرا ما يولد الولد في صحة لا بأس بها أو جيدة ثم يصاب بعد ذلك بالدرن

وهناك مهيئات كثيرة للعدوى تسبب نهاكة القوى فيضعف الشخص عن مقاومة الميكروب فيقهره ، وأهم هذه المهيئات (أ) الازدحام وفساد الهواء بأي سبب كان (ب) قلة الاغذية (ج) اجهاد قوى الجسم فوق طاقته بأي عمل كان ككثرة العدو أو الانهماك في الجماع أو في السهر أو جلد صعبة أو المطالعات الطويلة والمباحث العقلية العنيفة خصوصا اذا صاحبها الفقر وفساد الهواء (د) كثرة الحمل والولادة أو الارضاع (هـ) كثرة التردد الى الأماكن الرطبة المظلمة التي يندر دخول الشمس فيها (و) الحلى التيفودية (ز) الاسراف في شرب الخمر (ح) البوال السكرى (ط) الزهري اذا أهمل حتى أفسد البنية

هذه هي المهيئات العامة وهناك مهيئات أخرى خاصة بالعضو المصاب ويسمونها بالمهيئات الموضعية مثل كثرة النزلات الشعبية أو الرئوية ونهيج الرئة ببعض الغازات أو بغبار بعض المعادن وغيرها كما يحصل في المصانع

وللعمر تأثير كبير أيضا في العدوى فترى ان الدرن كثيرا ما يصيب الصغار ففي الاطفال تشاهد كثيرا إصابتهم بدرن السحايا أو البريتون أو الغدد اللمفاوية أو العظام أو المفاصل ، وفي الشبان كثيرا ما تشاهد الدرن الرئوي (وهو المسمى بالمرية السِّل أو الهلَّاس) وأما الاشخاص الذين عمرهم فوق الاربعين فقل إصابتهم بالدرن ولا ينافي ذلك أنه يصيب الشيخ أحيانا قليلة وفي تلك الحال يغلب أن تكون إصابتهم مزمنة أي ان المرض بدأ فيهم قبل الاربعين

(المسألة الثانية) مدخل الميكروب : يدخل الميكروب الجسم من طريق الجلد أو الرئتين أو القناة الهضمية

(أ) طريق الجلد وهو نادر الوقوع غير انه يشاهد أحيانا تؤلول في أيدي المشرحين لجثث المسولين ، وفي هذا التؤلؤل توجد ميكروبات الدرن وقد تنتشر منه الى الرئتين أو غيرها

وهناك درن يصيب الجلد يسميه الافرنج [لوپس Lupus] اخذا من كلمة لاتينية معناها [الذئب] لان هذا الداء يصيب كثيرا الوجه فتأكل أجزاء كثيرة منه تأكلا يشبه نهش الذئب . ولكن هذا الدرن الجلدي قل أن ينتشر

ميكروبه في الاحشاء . وهذا الطريق الجلدي غير مهم في الغالب
(ب) طريق الرئة وهو طريق مهم جدا . ولا يكفي لحصول الداء من هذا
الطريق مجرد استنشاق بعض نفس المسلول أحيانا ، ولكن يحدث المرض اذا كثر
الاختلاط بالمريض والقرب منه حتى يشنشق الانسان الهواء المشتعل على ذرات
تخرج من صدر المسلول أثناء سعاله فتنتشر في الهواء المحيط به ، أما نفسه الهادئ
فلا يوجد فيه الميكروب . واذا بصق المريض على الارض أو غيرها وجف البصاق
تطايرت منه أجزاء فيها الميكروب وتكون خطرا شديدا على مستنشقيها

ويكثر وجود الذرات التي فيها الميكروب على بعد نصف متر من فم المصاب
فاذا بعدت عنه مترا ونصف متر قل أن يصيبك منها شيء
وهناك بعض الحيوانات الداجنة التي تصاب بالدرن كالبيضاء وتكون أيضا

سببا في العدوى بهذا الداء من هذا الطريق
ومن الحيوانات الاخرى الداجنة التي تكثر اصابتها به الخيل ويقل وجوده
في السكاب والقطة

(ج) طريق القناة الهضمية وهو أهم الطرق فإن كثيرا من الحيوانات التي
تؤكل يوجد فيها هذا الداء اذ انه كثيرا ما يصيب البقر والخنازير والدجاج والارانب
وخنازير الهند ، أما المعز قل أن تصاب به وكذلك الضأن

وابن هذه الحيوانات يشتمل كثيرا على باسيل الدرن اذا أصيبت ضرعها به
ولما كانت معرفة الضرر المصابة عسيرة في أول الامر كان من الواجب اتقاء شرب
اللبن الا بعد غليه مدة خمس دقائق على الأقل . وقد يوجد الميكروب في لحم هذه
الحيوانات وأحشائها . ونظرا لانتشار الدرن في البقر يشاهد هذا الداء كثيرا في
بطون الاطفال الذين ير بون بلبنها . وقد دلت التجارب أن الحيوانات الصغيرة اذا
ابتلعت ميكروب الدرن نفذ في جدر أمعائها وأصاب غدد المساريقا فينشأ عنه
مرض هذه الغدد أو تدرن معوي أو بريوني وقد يصل بعد مضي زمن الى أجزاء
الجسم الاخرى فيصيب الغدد العنقية ويحدث داء الخنازير وقليل ما يصيب رثي
الصغار . أما الشبان فاذا نفذ الميكروب خلال أمعائهم لم يصيبها بشيء حتى يصل

إلى الرئتين فيحدث السل الرئوي . وهذا الفرق يشاهد أيضا بين الصغار والشبان إذا حقنوا بذرات من الكربون (الفحم) فتبقى في بطن الصغار وتصل إلى رئة الكبار . ومن ذلك استدلل بعض العلماء على أن الرئتين قد تصابان بالسل من طريق البطن إذا أكل الشخص لحما أو لبنا مصابا بل رجح هؤلاء العلماء أن إصابة الرئتين بالسل من هذا الطريق هي أكثر حدوثا من طريق التنفس

وفي أكثر الاحوال تكون الاصابة بالدرن موضعية في أول الامر يعني أنها تكون قاصرة على عضو واحد ومن ثم قد تنتشر تدريجيا إلى الاعضاء الأخرى إما بسير الميكروب خلال الانسجة أو بسيره في الاوعية اللمفاوية . وهناك درن عام تصاب به نخأة أعضاء كثيرة من الجسم دفعة واحدة ولكن يكثر في مثل هذا النوع أن يكون مسبوقا أيضا باصابة صغيرة موضعية كدرن الخصى مثلا أو غدد العنق أو غير ذلك

ومما سبق يعلم أن أهم أنواع الدرن اثنان — الدرن العام والدرن الرئوي :

الدرن العام أو الدخني

سمي هذا النوع بهذا الاسم لان الدرنات تكون منتشرة في جميع أجزاء الجسم تقريبا وتشبه حبات الدخن إذا نثرت فيها

الاعراض — هذه الاعراض تكون في أول الامر مبهمه فيشتكي المريض من ضعف عام وخفاة واقمءاء (فتقد شهوة الطعام) وصداع وحى وقد يوجد آثر من الزلال في البول وتسوء حال المريض شيئا فشيئا ثم تظهر أعراض أخرى تعين إصابة الرئتين ككثرة السعال والبصق أو يصاب الشخص بأعراض تعين إصابة البطن كالاسهال المتعاصي والمغص أو بأعراض أخرى تعين إصابة السحايا كالتهنجات والشلل . والمراد بذلك ان تكون أعراض انتشار الدرن في الاعضاء المذكورة أظهر من انتشارها في غيرها وان كانت كلها مصابة به

ويحصل الموت في مدة تتراوح بين ٣ أسابيع إلى ١٠ ولا يعلم باليقين أن أحدا أصيب به لما ولد وشفى منه

المعالجة — عديمة الجدوى وإنما تعالج الاعراض فقط ، ويعطى المريض السوائل الغذائية وبعض المنعشات مع بعض مركبات الايون لتسكين الألم والسعال ، ومن المنعشات النافعة جدا النواشدر ، ويجب أيضا ان تكون سكنى المريض في الاماكن التي تكون طليقة الهواء وتنخلها الشمس كثيرا

الدرن الرئوي أو السل

هذا الداء يصيب الرئتين بسبب تهييج باسمله للمنسوجات فتكون الدرنات ويلتهب ما حولها فيتصلب منسوج الرئة ثم يتفحج ويتحول الى تجاويف مملئة بمدة وصديد تسمى بالكهوف . ويكون ميكروب الدرن مصحوبا بميكروبات أخرى من الانواع البغذية غالبا اذا حدثت هذه التغيرات المذكورة أخيرا فانها تساعد في احداثها

الاعراض — سير هذا الداء مختلف فبعضه يكون سريعا والبعض الآخر يكون بطيئا فيمكث عادة من ستة أشهر الى بضعة سنين

وأهم أعراضه السعال وضيق النفس والبصق الصديدي والنفحة الزائدة والحى وزف الدم من الصدر

وتبدأ هذه الاعراض بطرق مختلفة ، ففي كثير من الاصابات تبدأ بالسعال وبصق المخاط مع الصديد زمنا ما ، وكثيرا ما يتوهم الشخص أن داءه من البرد فلا يعبأ به كثيرا في أول الامر ، وفي حالات أخرى تبدأ بالنزف الرئوي ، وفي هذه الحالات قد يكون الشخص متمتعا بالصحة فيندش بمفاجأة النزف الرئوي له بعد سعال خفيف فيخرج منه بضعة دراهم أو أوقية وقد يزيد الدم الى نصف لتر وبعد زمن تظهر باقي الاعراض ، وتدبعاودة النزف عدة مرات . وفي حالات قليلة يبدأ المرض بشكل التهاب رئوي أو التهاب بليوراوي مع انسكاب في الصدر . وهناك بعض الحالات التي تبدأ باضطراب في الجهاز الهضمي فيصاب الشخص بالاقياء مع القيء المتكرر والنفحة ثم تتم باقي الاعراض المذكورة

مضاعفات هذا الداء

الجهاز التنفسي — يصاب بالتهاب الحنجرة ، فيح صوت المريض وفي بعض

الاحوال النادرة قد يكون ذلك أول ما يلاحظ على المريض. ويصاب هذا الجهاز أيضا بالتهاب البلعوم كما سبق مع الانسكاب المصلي أو الانسكاب الصديدي أو الدموي أو تقتصر الرئة فيدخل الهواء في تجويف الصدر وبذلك يبطل تنفس الرئة المصابة الجهاز الدوري — يصاب القلب بالضعف والتدد في الاحوال المزمنة . وقد يصيب الدرن بعض شرايين الرئة فيمجرها ويحصل بسبب ذلك نزف شديد قد يكون سببا في الموت الفاجئ

الجهاز الهضمي — يصاب كما قلنا بالإقياء والغثيان والقيء وعسر الهضم والاسهال . وهو كثير الحصول في درجات المرض الاخيرة . وقد يصاب البريتون أيضا بالدرن ، وقد تصاب الكبد والطحال والكليتان والامعاء بتغير مخصوص في أنسجتها يسمى عند الاطباء [الارشاح الشمعي Waxy degeneration] ويشاهد أحيانا ناسور في الشرج بسبب هذا الداء أيضا

الجهاز العصبي — قد يصاب بدرن في السحايا وقد تصاب أعضاء أخرى بالدرن فتزيد المرض شدة فوق شدته نهاية المرض — يحصل الموت بهذا الداء بالطرائق الآتية : نهاكة القوى أو النزف أو اختراق الرئة أو التهاب السحايا أو انتقاب الامعاء أو التسمم البولي الانذار — اذا اكتشف هذا الداء في أول درجاته فقد ينجح فيه العلاج ويشفي منه المريض غير أن أثر الدرنات يبقى في الرئة . وفي بعض الاحوال يسرع الموت الى المريض في أشهر قليلة وقد يمكث المصاب به عدة سنين قد تمتد الى الخمسين

المعالجة — لا يوجد دواء لهذا الداء يحقق النفع ، وانما يتلخص العلاج في الكلمات الآتية : يوضع المريض في أصح الاحوية وأجوده وأكثرها تعرضا للشمس ، ويكثر من الراحة والنوم لتوفير قواه وكذلك يكثر من الاغذية الجيدة السهلة الهضم كاللبن والمسل والهجوم بأنواعها الى غير ذلك ، واذا اشتدت الحمى أو أصاب المريض الاسهال وجب عليه الاقتصار على الاغذية السائلة . وبالاختصار يجب اتباع جميع القوانين الصحيحة حتى تنقوى البنية فتغلب على المرض

ويعطى للمريض الادوية المقوية كزيت السمك والحديد بشرط ان لا تكون حرارة المريض مرتفعة جدا (ولزرنينج والكينين وغير ذلك ، وهناك أدوية مطهرة لمصدر يعرفها الأطباء فلا حاجة لذكرها هنا

ويجب أثناء المرض ان يبادر الطبيب بعلاج كافة الاعراض والمضاعفات بجميع الوسائل الممكنة السريعة التأثير حتى لا تنهك قوى المريض

الوقاية — تكون بما يأتي : —

(١) يتجنب المريض البصق على الارض أو في أي مكان يمكن أن يمسس منه الميكروب الى الاصحاء . ومن أحسن الوسائل أن يكافئ المريض بالبصق في مباحق خاصة (منها ما يحمل في الجيب) ويوضع فيها محلول مطهر كحامض الفينيك بنسبة ١/١٠ من الماء . واذا بصق في منديل وجب حرقه أو غليه غليا طويلا قبل أن يمسسه أحد

(٢) يجب على كل شخص أن يتقي القرب من المريض حتى لا يكون في طريق الذرات التي تتطاير منه أثناء السعال وغيره ، فلا يجوز النوم معه في الفراش أو الجلوس بالقرب منه . ويجب على المريض أن يتحاشى الزواج خدمة لنفسه حتى لا تضعف قواه ولا يأتي بنسل ضعيف وخدمة للامة بعدم عدوى النساء وعدم إيجاد ولد له يكون ضعيفا أو مصابا بالسل مثله

(٣) يجب تهوية الاماكن التي يسكنها المسالون وتعريضها لشعاع الشمس كثيرا وتنظيفها دائما بالمحاليل المطهرة وغلي كل ما فيها من أواني وملاآت وغيرها

(٤) يجب ان تتقي الامهات المسالوات ارضاع أبنائهن

(٥) يجب على الناس كافة طبخ لحوم الحيوانات طبخا جيدا وتطهير اللحم الى قطع صغيرة مع اطالة مدة الغلي حتى تصل الحرارة الى ما قد يكون في باطنها من ميكروب الداء، فقد ثبت أنه اذا زادت قطعة اللحم عن ستة أرطال فلا تكون درجة الحرارة في باطنها كافية لقتله . وكذلك يجب غلي اللبن غليا جيدا مدة خمس دقائق على الأقل . واذا علم أن حيوانا مصابا بالدرن وجب اجتنابه وتحاشي أكله أو شربه لبنه وابعاده عن الحيوانات الأخرى السليمة . وهناك طريقة تمييز الحيوانات المصابة

بالدور عن غيرها ، وذلك باستعمال (التيوبركيواين) وسيأتي الكلام على ذلك تفصيلا . وللاحظ عدم الغلو في غلي اللبن كأن يوضع في اناء مغلق وتطول مدة الغلي فانه قد ثبت أن ذلك يفسد بعض مواده الضرورية لحياة الجسم ، فاذا اقتصر الشخص على شرب مثل هذا اللبن المبالغ في تعقيمه كالأطال مثلا فقد يصاب بداء السكاح أو بالاسكر بوط ، فلذا يجب الاعتدال في تطهير اللبن

وإذا خيف على الطفل من هذين الداءين فيحسن تغذيته بلاشياء الآتية مع اللبن وهي القشدة وزيت السمك وعصير البرتقال المحلى بالسكر أو بالعسل ومرق اللحم ، وإذا كان للطفل بعض أسنان فلا بأس في إعطائه قليلا من الموز بعد عجنه ولو باليد النظيفة

(٦) يجب على كل شخص أن يتجنب كل ما ينهك القوى ويفسد الصحة كالمسكن في الأماكن الماسدة الهواء أو الأسمك في الدخول الى الأماكن المكتظة بجمهير الناس كالساح و[دور الصور المتحركة] ونحو ذلك ويتجنب السهر الطويل واجهاد الجسم أو العقل وكثرة الجماع أو جلد عميرة وادم من الخمر ، وينبغي الاكثار من الرياضات البدنية مع الاعتدال واستنشاق الأهوية القوية — كاني في الغلات والبحار — وتغاطي الأغذية الجيدة السهلة الهضم والاكثار من النوم وإتقاء شرب الدخان واستنشاق الفزات والابخرة المتصاعدة من النيران والمصانع وغيرها ، وبالجملة فالواجب التزام قواعد الصحة كافة وعدم التهاون في شيء منها .

العرب والاسلام

والترك الاتحاديون

ان قراء المنار بعد الانقلاب العثماني يعلمون أن الجرائد الاسلامية الهندية أول من رمى الاتحاديين بالتفكر والإلحاد ، وان المنار كان أول الصحف الاسلامية دفاعا عنهم ، ولما كثرت الخلاف في أمرهم رحلنا الى الآستانة بعد تمهيد مع جمعية الاتحاد والترقي المركزية للقيام بمشروع الدعوة والإرشاد في الآستانة والسعي في التوفيق (المنار : ج ٤) (٣٠) (المجلد التاسع عشر)

بين الترك والعرب وكانت نواجم الخلاف والتخاصم قد نجمت وامتدت من العاصمة الى الولايات . وقد اقيمت في الالة سنة كاملة اختبرت فيها الاتحاديين اختبارا تاما لا ازال ارى في كل سنة من الآيات ما يؤيده وقنعني بأنني قد سبقت الى إدراك ما لم يدركه كله العثمانيون ولا الاجانب

ولو كنت ممن يبيع دينه وقومه بللالم والجاه كالشيخ عبد العزيز جاويش لامكنني ان أنال في الالة من الاتحاديين أنفسهم مالا مصلح اعربي في نيل مثله . فقد مناني الاتحاديون أعظم الاماني لانهم كانوا يظنون انني مدافعت عنهم ووردت على من سبق الى رميهم بالكفر والاتحاد وفساد هذه الدولة الا لان اسلامي سياسي يدور مع المنفعة الشخصية انى دارت

وبللم قراء المنار انني قد حملت على الاتحاديين بعد عودتي من الالة حملات منكورة لم يحمل عليهم أحد بثلمها في الشدة ، كما يعلمون انني لم أكتب شيئا يذني في مصلحة لدولة العثمانية نفسها ، ولا شيئا يذني في الاخاء الديني بين العرب والترك ، فانا لم أعاد الدولة ولا الترك ببيان فضاخ الاتحاديين . بل أعقد أن كل ما كتبه كان خدمة للاسلام وللدولة ، وأن الموافقين لي عليه من علماء الترك وجمهور المدينيين فيهم أضعاف الموافقين لي عليه من العرب ، لان الذين كانوا يعرفون مقاصد الاتحاديين الاتحادية من العرب قليلين جدا واعلم لم يكتروا الا بعد أن رأى من رأى خواص العرب في سورية مصلوبين في أعظم مدنها عمراننا وسمع من سمع بأخبارهم ثم بما كان من أمرهم مع الشريف الابتر أمير مكة المكرمة

وقد كتب بعض العرب العثمانيين من اسرى الحرب وغربهم مقالات في مقاصد الاتحاديين وعداوتهم للعرب وللاسلام نشروها في المقطم والاهرام فظن كثير من المصريين انها مقالات مصنوعة افترها كتاب الجريدتين حتى ان منوسم من لم يصدق ما نقل عن كتاب [قوم جديد] وكتاب [اتحاد اسلام] وانما لم يصدق هؤلاء هذه الاخبار لانهم لا يريدون ان يصدقوا ما لا يلد لهم تصديقه . ولو كانوا ذوي غيرة على الدولة والدين وحرص على بقائهما كحرصهم على لذتهم وراحة بلهم لتحرروا وبحشوا عن أصل كل ما يقال في هذا الموضوع ليكونوا على بصيرة من أمر

اعظم الاشياء موقعا من انفسهم واهمها لديهم
كان مقصد الاتحاديين خفيا ثم عرف رويدا رويدا ، ثم اشتهر وتواترت اخباره
في جميع الامم . وانا نقول من ذلك عن جريدة الاهرام ما يأتي :

الاسلام والجامعة الطورانية

كيف يسمى الاتحاديون للملاشات الحضارة الاسلامية (*)

كتب مراسل شركة [سنترال نيوز] الخاص يقول :

في خلال بضع السنوات الاخيرة بدت في بلاد تركيا طلائع حركة جديدة
تعرف بنهضة « بني طوران » أو [الطورانية الحديثة] وغرضها هدم المدنية الاسلامية
واحياء العصبة التركية على اقتاضها والجمع بين العناصر التركية التنرية والشعوب
المتنمية اليها ومنها الامة البلغارية . أما القائلون بهذه الحركة فهم قوم مشهورون بعدائهم
للإسلام وتعصبتهم عليه ، وكثيرا ما يجاهرون بقولهم وكتاباتهم بذلك الكره بحجة أن
الاسلام يسمى لقتل العصبة القومية ويحول دون نشوء المدنية التركية ولذلك فهم
يسمون لجعل الجنسية التركية مستقلة عن الاسلام كل الاستقلال

ومما يقولونه أيضا أن الاسلام لا محل له في المدنية ولا يمكن أن يعيش طويلا
الا اذا أدخلت عليه تنبيحات عديدة تلائم المذاهب التركية القومية

ولهذه النهضة وجهتان احدها أدبية والاخرى سياسية . فغاية الوجهة الاولى
تمجيد الشعوب الطورانية ونشر تاريخها المجيد . وغاية الوجهة الثانية القضاء على
العصبة العربية . فليكن خاف هو في نظرم نموذج الملوك ورجال السياسة فكل مملكة
ينشؤونها يجب أن تقوم على المثال الذي رسمه . وأما العرب في نظرهم فهم مصيبة
على الأتراك . ولذلك يجب القضاء عليهم أو ادماجهم في العنصر التركي حتى ينسى
العالم تاريخهم وتقاليدهم . أما لغتهم فلا بد من محوها وإحلال اللغة التركية محلها في
كل صقع وناد

(*) نشرت في العدد الذي صدر من الاهرام في يوم الخميس ١٩ ذي القعدة

والغريب ان كتاب الاتراك الحاليين الذين يدعون بأنهم وطنيون بكل معنى الكلمة ينشرون اليوم المقالات الضافية ويخثون أبناء قومهم على الطواف بجميع أنحاء السلطنة للمناداة بهذه البدعة الجديدة ومن أغرب ما يروى من هذا القبيل ان أحد الاتراك طاف حديثا بسوريا وهو ينادي بهذه الضلالة

والحكومة الاتحادية تؤيد الآن جمعية « بني طوران » وتعززها بالاعانات المالية العديدة وتسمي تلك الاعانات « باعانات الملية التركية » وجميع كبار الاتحاديين أعضاء فيها وهم يمدون عن الاسلام بعد الارض عن السماء. والمسلمون ينكرونهم لما يرون منهم من الاعتقاد على حدود الشريعة الغراء

ولا يخفى ان الامان هم الذين يؤيدون الاتحاديين في هذه السياسة الخرقاء فقد ثبت لهم الآن انهم لا يستطيعون اخضاع الاسلام لسياستهم ولا هم نجحوا في اثاره المسلمين الخاضعين اقرنا وانكاثرا على هاتين الحكومتين . فانقلب زعمهم العطف على الاسلام الى كره شديد له وأخذوا يسعون ضده مستعينين على ذلك بالجامعة الطورانية الجديدة . وقد علم العالم أجمع ما كان من أمر المذشورات الالمانية التي اكتشفها الجنرال [سمطس] في موثي والتي كان غرضها سحق الاسلام في المستعمرات الالمانية، ولذلك فألمانيا هي أكبر خطر على الاسلام مع انها تنظاهر بالغيرة على المسلمين

« * »

ليس من ينكر فضل الاسلام على العالم وما كان لمدينته من الآثار المجيدة. أما الشعوب الطورانية فليس في التاريخ ما يدل على انها عملت عملا واحدا أفاد الانسانية بل بالعكس كانت جميع أعمالها تدميرا وتخريبا فالطورانيون لم يستنبطوا شيئا للمنفعة بل كانوا حينما حلوا آخر بوا معالم المدينية ومحو آثارها واستعبدوا الشعوب التي يقرونها بأساليب هي في غاية الهمجية

أما أدعاء دعاة الجامعة الطورانية بأن الاسلام قد حال دون نشوء المدينية التركية فغير صحيح . ولا يخفى ان المدينية العثمانية هي خليط من آثار المدينيات العربية والفارسية والبرنظية والشعوب الطورانية التي لم تدخل في الاسلام لا مدينية لها على الاطلاق وانما هي استمارت شيئا من نمالة الحضارة الصينية ولو ان السلطنة العثمانية قد

اعتمدت على المدينة التركية لكانت قد أصبحت في خبر كان منذ أجيال عديدة لان المدينة التركية كما قلنا هي تخريرية لا تعبيرية والشيء الوحيد الذي يفوق به الطوراني غيره هو الظلم والجور واضطهاد جميع العناصر التي لا تسبح بحمد الطورانية وتحمدها . وبسبب ذلك اعتقاده بأن جميع تلك العناصر وقفت حائلا بينه وبين تركان آذربيجان والقوقاز .

هذه رسالة شركة سنترال نيوز وقد نشرت الصحف الانكليزية كلها هذه الرسالة وبسطت فيها الكلام بسطا ضافيا

الاسلام والطورانية الحديثة

ما يفعله الاتحاديون لمقاومة الاسلام (*)

نشرنا منذ بضعة أيام فصلا عن الاسلام والطورانية الحديثة ضمناه ما نشرته الصحف الانكليزية تقالا عن شركة : « سنترال نيوز » الصحافية . وقد وقفنا الآن على مقالة ضافية في هذا الموضوع نشرتها مجلة الشرق الادنى فرأينا أن نورد خلاصتها لحضرات القراء قال الكاتب :

بدأت طلائع الطورانية الحديثة في الاستانة في عام ١٩١٣ ثم أخذت تمتد وتزداد جلاء حتى أصبحت نهضة عامة في جميع أنحاء السلطنة العثمانية . وخلاصة ما يعرف عن هذه النهضة أنها تركية محضة غرضها الاصلى الانفصال عن الاسلام ولها أغراض أخرى عديدة ينحصر أهمها في ما يأتي :

(١) جعل الجنسية التركية مستقلة عن الاسلام

(٢) ترقية الروح العسكري في الاتراك

(٣) انشاء علاقات تجارية وغيرها مع مسلمي آذربيجان وروسيا الاسيوية

وروسيا الجنوبية

(*) نشرت في العدد الذي صدر من الاهرام في يوم السبت ١٨ ذي القعدة

١٩ سبتمبر

(٤) تطهير اللغة التركية من كل ما هو عربي أو فارسي
 (٥) محو الجنسية العربية وادماجها في الجنسيات الأخرى
 ويرمي القائلون بهذه الحركة الى جعل التركي يعتقد أنه تركي قبل كل شيء
 ومسلم بعد ذلك . ويقوم بمساعدة هذه النهضة جمعية « الملة التركية » التي تؤيدها
 الحكومة الاتحادية . بالاعانات المالية . ومن مبادئ هذه النهضة تربية الاجيال
 الحاضرة والمستقبل على الروح الطوراني بانشاء مدارس طورانية بحته . وبناء عليه
 يجب التوسع في تعليم التاريخ باللغة التركية وانشاء فرقة كشافة (سكوتس) من
 الاولاد الاتراك تحت إشراف أنور باشا . وقد أنشئت الآن هذه الفرقة وشرع
 الاولاد الذين فيها يتربون تربية عسكرية توطئة لدخولهم في الجيش . أما اشارات
 الفرقة وراياتها فمأخوذة عن رموز ترجع الى ما قبل الاسلام . والاولاد الذين لهم
 أسماء عربية تستبدل أسماء تركية بحته

ولهذه النهضة وجهة لغوية أيضا ولذلك أخذ زعماءها يترجمون كثيرا من
 المؤلفات العلمية والتاريخية الى اللغة التركية البسيطة وقد كان في نيتهم أن يترجموا
 القرآن أيضا ولكن علماء الاسلام قاوموا تلك الفكرة بكل عزم وحالوا دون تنفيذها
 ويعزى نشوء هذه النهضة الى عدة أسباب نذكر منها السببين الآتيين وهما :
 (١) اللغة

لا يخفى أن أحرف اللغة التركية مأخوذة عن الأحرف العربية والاصطلاحات
 التركية ترداد كل يوم تمقدا وصعوبة في نظر الطبقة الساذجة
 (٢) كتاب المسيو [ليون كاهون] عن تاريخ الترك والمغول من أقدم الازمنة
 الى سنة ١٤٠٥ للميلاد وقد توجت الاكاديمية الفرنسية هذا الكتاب ، واتفق أن
 ناظم بك سكرتير جمعية الاتحاد والترقي العام قرأ هذا الكتاب فوضم أساسات
 النهضة الطورانية التي نحن بصددتها

ولا شك أن نهضة كهذه مما تهتم العالم الاسلامي قاطبة وتهتم أيضا انكلترا
 وفرنسا وروسيا وإيطاليا اللواتي يحكمن على الملايين من المسلمين . والذي يشجع
 الاتحاديين على ترويج هذه النهضة اعتقادهم صحة النظرية التي ابتدعها [فييري] وهي

أن الاسلام يناقض فكرة الجنسية . فالأتحاديون يقولون ان الاسلام بالاتحاد مع العوامل العربية والفارسية والرومية والبيزنطية قد جعل الاتراك « مسلمين ليعاقبين » وحال دون نشوء حضارتهم . على أن هذه الدعوى هي عكس الحقيقة تماماً فان الاتراك الذين جاءوا أصلاً من حدود الصين وانتشروا في مجاهل آسيا حتى ضفاف [الاروكسوس] لم يكن لهم دين معروف أو حضارة راقية لانهم كانوا قبائل رحل يوجرون سيوفهم لسكل من يطلب موتهم . ولم يحاول أحد من قواد الاتراك أن يخضع جميع القبائل التركية . نعم ان [جنكيز خان] كان يحلم بنشر سلطته عليها ولكنه لم يفعل . وقد اشتهر بأنه كان يقتبس عن الصين والمعجم والعربية وبيزنطة وجرمانيا كل ما كان يروقه فيها من آثار الحضارة . ولا شك أن أهم ما اقتبسه هو الاسلام فالاسلام لم يحل دون نشوء الحضارة التركية إذ لم يكن للاتراك حضارة خاصة بهم وكل ما لدى الاتراك من حضارة هو بفضل الاسلام ، ولما كانت التركي مشمورا بروح الخضوع العسكري لمن يقوده فقد جعل نفسه سيفاً في قبضة الاسلام ان العنصر الطوراني لم يشتهر بشيء من قوة الابتداع . وما تاريخه سوى تاريخ وتدمير . قبائل [بوشي] أخرجت مستعمرات بكثريا البونية . وقبائل [الهون] اجتاحت رومية الشرقية ورومية الغربية اجتياحا هجميا وقبائل [أفار] سمت لسحق الشعوب السلافية في مهدها ، و[هولاكور] ردم أقية بابل وجعل أخصب بقاع الدنيا بلادا قاحلة حتى الآن ، والعثمانيون أبادوا الحضارة البيزنطية التي ربوا عليها واكتسبوا منها شيئا من العلم والمعرفة . هذه هي القبائل الطورانية التي تباعى « باتيلا » الذي كانت تقمة الله على العالم ، وجنكيزخان الذي سمي نفسه « غضب الله تعالى » ولما شرع الالمان بحاربون البلجيك وغيرها من دول أوروبا رأوا أن يقبضوا أساليب جنكيز وأتيلا وتيمورلنك



ومما يدل على ان العقل التركي ليس عقلا مستغنياً انه لم يات بمستحدث في الاسلام . بل هو اتخذ الاسلام ودان به كما هو . ولو كان مغلقاً لممكرا لرائته بعد اتحاله الاسلامية يزيد عليه أو ينقص منه ولكنه لم يفعل شيئاً من ذلك لانه لم يخلطه عن الاختراع

امبراطورية تركية

ومما تسعى اليه نهضة الطورانية الحديثة انشاء امبراطورية حربية واسعة الارحاء تضم تحت الويتها جميع قبائل التتر والمغول الخاضعة لروسيا أو لآلية دولة اخرى. « أما الجنسية العربية فيجب ابادتها وادماجها في الجنسية التركية المحضة لأنها خطر كبير على الجنسية التركية . ومن أمثله الاتراك من هذا القبيل قولهم : وإذا لم نعامل العرب كما نريد عاملونا بما نستحق » اذلك تراهم يسعون « لتريك » العناصر العسرية بحسب الاساليب البروسية

ومما يستحق الذكر أن جلال نوري بك الكاتب التركي الشهير قال في كتاب حديث الفه ما يأتي : « أن بسلاط العرب ولا سيما اليمن والعراق يجب نحويلها الى مستعمرات تركية لنشر اللغة التركية التي يجب أن تكون لغة الدين. ومما لامندوحة لنا عنه للدفاع عن كياننا أن نحول جميع الاقطار العربية الى اقطار تركية لان الجيل العربي الحديث قد صار يشعر الآن بعصبيته وهو يهددنا بنكية عظيمة فيجب أن نحتط للامر من الآن »

وكتب أحمد شريف بك مقالة في [طين] جاء فيها ما يأتي : « لا يزال العرب يلهجون بلغتهم وهم يحولون اللغة التركية جهلا تاما كأنهم ليسوا تحت حكم الاتراك . فن واجب [لباب العالي] أن يعاملهم ينسون لغتهم ويجهروهم على تعلم لغة الامة التي تحكمهم . فإذا أهمل الباب العالي هذا الواجب كان كمن يحفر قبره بيديه لأن العرب لن ينسوا لغتهم وتاريخهم وعاداتهم . بل سيسعون لاسترجاع مجد مملكتهم واعادة ترميمها على انقاض دولة الاتراك »

وجاء في نبذة وزعها الاتراك في القوقاز . « ان العرب هم بليسة علينا مع أن حصان التركي خير من أي نبي ظهر في العالم »

هذا وقد علقت مجلة الشرق الادنى على هذه المقالة بتوجيه نظر العالم الاسلامي الى الخطر الذي يهددهم ان هم تباطأوا عن الاحتياط لدرء ذلك الخطر

منشور شريف مكة وأميرها

انشرت الجرائد المصرية اليومية في آخر الشهر الماضي منشور شريف مكة وأميرها الذي وجهه الى العالم الاسلامي ، وانه المنشور كتب بمداد الحكمة واصالة الرأي وشرف الغاية . ولخصه ان الشرفاء (أمراء مكة المكرمة) كانوا أول من اعترف بسلطة سلاطين آل عثمان الكرام لما كانت أحكام دولتهم قننا على أساس اشع الاسلام حبا في الوحدة الاسلامية وكراهة للشقاق وتفرق السكامة ، وان صاحب المنشور نفسه قد بالغ في الاستمالة بعروة الدولة حتى انه حمل مجده من العرب على العرب وقتلهم لاجل الدولة

ثم انتقل من ذلك الى سيرة فئة الاتحاديين الباغية فيبين انها قد جنت على الدين والدولة والامة فاحترفت عن صراط الشريعة وأبطلت بعض أركان الاسلام وغبرت أحكام القرآن ، وحجرت على السلطان حتى منعه من التصرف بشؤون خاصته وقصره . وتكاثرت بالامة ، فلم ترع حقوق الاسلام ولا عهود القمة ، وخصت العرب بالاضطهاد فصابت في التام كثيرا من أدل العلم والرأي والفضل ، واستحلت مصادرة الاموال واخراج النساء المحاربات والامثلة من ديارهم وأموالهم ونفتم الى بلاد الاناضول من غير ذنب وبدبر قيم شرعي . ثم ذكر تقهيمهم بالدولة في هذه الحرب وتعرضهم اياها للخطر واجنوه على البلاد بذلك ، وذكر ما حل بالحجاز من جراً ذلك وان الضيق قد بلغ بأهل الدرجة الوسطى الى بيع أثاثهم ثم بيع خشب بيوتهم حتى الابواب والسقف

ثم بين ان بلاد الحجاز اضطرت بسبب تلك الجرائم والمفاسد العامة التي احترحها لاتحاديون الى اعلان استقلالها بنفسها دونهم حرصا على دينها وعلى جنسيتها العربية لان الأمة حين يتعمدون فساد هذا الدين ومحو هذه الامة العربية من لوح الوجود . وذكر ان الجامعة التي وضعها الاتحاديون بمكة أرادت الانتقم من أهل البلاد فأنت قد انت من مدافعهم من حصن حياض على الحرم الشريف فأصابته بيت الله عز وجل وقتل كثيرا من الطائفين والمصلين فيه

قل «وحبنا برهنا على ما تكتنه صدورهم نحو الدين والعرب ومبهم للبيت العتيق الذي أضافته العزة الاحدية لذاتها السبعانية في قوله تعالى ﴿وطهر بيتي للطائفين﴾ وهي قبلة المسلمين وكعبة الموحدين بقبيلتين من قبل مدافعهم التي بحصن جباد أثناء قيام البلاد بالمطالبة باستقلالها وتمت احدهما فوق الحجر الاسود بنحو ذراع ونصف والثانية تبعد عنه بمقدار ثلاثة أذرع انتهت بذرعها أستار البيت حتى هرع الآلاف من المسلمين لاطفاء لهيبه بالضحيج والنحيب واضطروهم الحال الى فتح باب البيت والصدود الى سطحه لانه يمكن من اطفاء للهب، وما انتهى أمرهم بهذا حتى عززوا الاثنين بثلة في مقام ابراهيم، وهذا دما ما وقع منها في بقية المسجد الذي اتخذوه هدفهم الوحيد في غالب مقدراتهم بالنزال والرصاص، وما زالوا يفتنون الثلاثة والاربعة في نفس المسجد كل يوم حتى تمدر على العباد القرب من البيت، وفي هذا من الاستخفاف والازدراء بالبيت وتعظمه وحرمة ما تترك اقوال والحكم فيه أيضا لعموم المسلمين في مشارق الارض ومغاربها»

وهذا المنشور يؤيد ما شرحناه مرارا في المنار من سيرة هذه الجمية الباغية في الدولة والامة، ومن اطلع عليه من قراء المنار يجب ان يرى أكثر مسائله في المحاوره التي نشرناها في الجزء الماضي، وسبب ذلك انها حقائق يعرفها جميع خواص العثمانيين وكثير من عوامهم فكيف تخفى على أمير مكة المكرمة على مكانته في الدولة العليا من الامة والدولة، وأهل بيته منهم الاعضاء في مجلس المبعوثين كمنجله الشريف عبد الله وفي مجلس الاعيان كأخيه الشريف ناصر

وقد أعجب أهل الفضل بنزاهة المنشور ومحافظته على كرامة الدولة العثمانية وسلاطينها العظام وكرامة الشعب التركي أيضا وحصره السيئات التي يشكو منها جميع العثمانيين وكل غيور على الدولة في سيرة الاتحاديين فيها

ومن حكم لروية والانصاف في سيرة الاتحاديين يستدل من موقفه هذا المنشور لكثير من المطاعن التي قيلت فيهم على أن أخبارها قد بلغت حد التواتر بدمرة مصادرها فالشريف الأكبر لم يستمد ما ذكره في منشوره من الجرائد المصرية ولا الاوربية ولعله لم يطلع على شيء منها قبل كتابته، بل يستمد بيناته من الاقوال

والاعمال الرسمية . مثل ذلك ما ذكره من الشواهد على جنائبتهم على الدين وجبرأتهم على هدم أركانه والعربث بأحكامه . فانه ذكر منه أمر سلطتهم العسكرية بالزام جنودهم النقيمة في الحجاز وغيره من الامصار الفطر في رمضان وأمرهم قاضي مكة بعدم الاعتداد بشهادة المسلمين بعضهم على بعض الا ما كتب منها في محكمته ، وأما أخبار فتكم بأمل الفضل والنبل من مسلمي سورية تنقيلا وتصليبا ومصادرة الاموال وفي النساء والاطفال فلا شك في أخذه إياه من الجرائد السورية الرسمية وغير الرسمية وان لم يصرح بذلك . ودللي على ذلك ان أول كتاب جائي من وكيل المنار في الحجاز قد نقل فيه عن تلك الجرائد اسما من قتلوا وصلبوا في الشام من كبراء العرب ومنهم السيد الزهراوي وشفيق بك المؤيد وغيرهما

وقد تذكرت بهذا أنه لما ذكرت الجرائد المصرية أول نبأ عن صلب فضلاء العرب ببيروت وهم الاحد عشر الذين منهم التابعة محمد المحمصاني وعبد الكريم قاسم الخليل أرسل لي فؤاد الخطيب برقية من الخرطوم ذكر فيها ارتياده واستغفاهه للخبر وشكه في صحته ورغبة التي في ارسال برقية اليه ببيان رأيي فيه وقال انه لا يثق به الا اذا كنت مصدقا له . فأرسلت اليه برقية قلت فيها اتني لا أثق بشيء من ذلك . ثم جاءت جرائد أوربة لجرائد أمريكة نشرت الخبر ، وفي جرائد أمريكة العربية السورية نقل له عن جرائد سورية . ثم اتني كنت مارا مرة بنظارة الحربية فرأيت فيها رجلا قد أسره الانكليز من سينا . فسأته عن بلده وعن أخبار سورية فقال انه من القدس ، وأخبرني بخبر الذين صلبوا في بيروت ، فقلت هل تعرفهم قال لا بل أعرف بعضهم بالاسم ، قلت ممن علمت بخبر شفهم ؟ قال من جريدة القدس الرسمية . لاجل هذا قلت في المحادثة التي نشرت في الجزء الثالث ان خبر صلب من صلب في سورية قد ثبت عندي بالثواتر

لقيت أول من أمس صديقا لي من رجال القانون أعرف منه استقلال الرأي فتكلمنا في هذا الموضوع فقال انه يحب ان يجعل نفسه كقاض في هذه القضية فلا يحكم فيها . قلت بل يجب ان يعمل نفسك بمكان المورخ النصف الذي يحص الاخبار ، ثم يحزم بالنفي أو الاثبات ، فأنا لم أكن خصما للامجادين بل كنت صديقا

لهم قبل الدستور وبعده ، وكنت أول من دافع عنهم لما حلت عليهم جزائر الهند
الاسلامية ورويتهم بالكفر والاطلاق ، واسطة خليفة المسلمين السلطان عبد الحميد لاجل
ابطال الحكم الاسلامي ، ولما شاع أمر حبشهم بالدين وتقصيهم على العرب وغيرهم
تثبت في الحكم عليهم وذهبت الى الآسنة فأقلت فيها سنة كاملة معهم ساعيا في
خدمة الاسلام عامة وفي التأليف بين الترك والعرب وحلت بالاختبار الطويل ان كل
ما قيل فيهم دون الواقع كما يثبته في التار

وجلة القول ان منشور الشريف الذي كان قبل استقلاله في الحجاز أعظم
الامراء العثمانيين هو أعظم المحجج على ملاحدة الانحاديين ، كما انه تأييد من سيد
العرب لطلاب الإصلاح من العرب ، لانهم بنوا معهم على أساس المحفضة على
الدولة العثمانية ، ومن قواعدهم ان لا يكونوا سببا من أسباب ضعف الدولة ولا تخزيق
وحداثها . وقد انسلخ من الدولة عدة ممالك وولايات بسوء سياسة الانحاديين :
البوسنة وهرسك وطرابلس الغرب وألبانية وسكندونية : كريت وجزائر الارخبيل
الرومي ، - دوع ولاية البصرة . ولولايت الارمنية والافانضولية التي ذهبت في
هذه الحرب - ولم يكن العرب سببا في زول شيء منها . فلهذا أكبر حبسنا على
هؤلاء المخربين

باب الامر اسئلة والمناظرة

حال المسلمين الاجتماعية

(وفريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر)

للفاضل القيور - م . ن - صاحب الرسالة التي نشرت (في ج ١٠ م ١٨)

حضرة حاكم الاسلام السيد الامام الاستاذ السيد محمد رشيد رضا صاحب

السلام عليكم ورحمة الله . وبعد فلست صحفيا ولا من المشتغلين بالتحريير ولا بجمع وقت فراغي كتابة المقالات ، وتنسيق العبارات ، فان في أعمالي اليومية اشغالا شاغلا . فان اكتب اليكم فانما اكتب مدفوعا بهامل القيام بفريضة « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » التي عفا أمرها من بين المسلمين . اذ لولا صوت المنار الحي المرتفع الذي يدوي في الآفاق فيفتق أغشية الآذان ، ويرقق حجب القلوب ويفتح الالام ، ويوقظ النائم ، ويذهب الغافل — لولا ذلك الصوت المنعش للنفوس المحركة لهم ، لصح أن يقال ، ولا عتب في المقال : ان الامة الاسلامية شيخ بلا روح

كتبت رسالتي الماضية في موضوع الدعوة والارشاد ولم يكن لي غرض سوى العمل بهذه الفريضة واقامة الحجية امام الله تعالى على المسلمين الذين تهاونوا فيه وفي كل عمل اسلامي . وانه وان لم يكن لدي كبر أمل في أن يقدم المسلمون في الحال ، ما يحتاج اليه مشروع من المال ، فقد كان رجائي عظيما في النجاح التدريجي الذي يؤدي الى النجاح التام . ولكني ما كنت أظن أن يكون نصيب هذه الدعوة الصمت والجمود اللذان يدلان على شدة ما تعاني الامة الاسلامية من أدائها الاجتماعية .

لذلك حدثتني نفسي بعد طول الانتظار بأن أبعث اليكم بهذه الرسالة الثانية زيادة في التذكير ، وتأكيذا للإنذار والتحذير ، ولأبين ان المسلمين غير معذورين في البقاء في هذه البؤرة النقية ، وان وسائل النجاة والحياة في أيديهم والامر كله متعلق بمشيتهم . وهذه هي الرسالة :

دعوت المسلمين في رسالتي الماضية لتنفيذ مشروع الدعوة والارشاد وما كنت لأدعواهم الا الى حق وأرضحت لهم خطورة الحالة التي نحن فيها وما كان لي أن أكذب . وأفت لهم الدليل على أن المشروع كافل لاصلاح الحال ، وما كنت الا صادقا . وانتظرت ماذا يكون من أمر هؤلاء وأطلت الانتظار فألفيتهم صموا عن النداء ، واختاروا البقاء في الشقاء ، وما كنت مكرها لهم على ما ثقالت عنه نفوسهم ولا اكراه في الحق

انه ليحزني أن تحجب دعوتي وليس ذلك لأنها صادرة مني فما هي الاصدى
لاصوات صاحب المشرع ومن نصره فيه من قولي . وأما حزني وأسفي لحرمان
الامة الاسلامية من الطبر العظيم الذي كان ينتظرها ان هي اجابته ، ولكن ما حيتي
وقد دعوت ونصحت وما فرطت ، والامة أعرضت وجحدت واستكبرت . وقد
فشلت دعوة الكثيرين من أهل القسرة والاخلاص من قبل فلم يتقص إعراض
الناس عنها من قدر الحق ولا من قيمة مادعوا اليه شيئا ، اذ الحق حي بذاته لا يضره
أن يكفر الناس به كما لا يرفعهم أن يغفلوا فيه . وان في ضياع صوت أستاذنا العظيم في
فضاء غفلة هذه الامة الجذلة امهرة وذكرى للمتشائمين المتسرعين

انه يقع الانسان في الخيرة وبأخذه المعجب الخبيسة دعوة الحق بين المذممين
وفيا خيرهم وفلاحهم ونجاح دعوة الشرفيهم وفي اجابته هلاكهم وشدة وهم في أشد
ظلمهم لاهل الحق الذين يغارون على الامة ويريدون لها الرشاد ، وظلمهم لانفسهم
باتباعهم أهل الضلال الذين يسعون في الارض بالفساد . واقدود المصلحون لو
أن الامة عرفتهم فأزلتهم منزلتهم وسمنت لقولهم واقفنت أثرهم فنهضت بهم .
لا يسأل هؤلاء الامة أجرا على علمهم فالحق والعمل الصالح أعلام أن يقو ما بشي .
من حطام الدنيا . وان أخذوا أجرا في الظاهر فليس هو في الحقيقة بأجر وما هو من
قيل ثمن لشيء ، مباع ولكنه مال يسدون به عوزهم ويستمينون به على عملهم الذي يقيمون
به ظلم الامة وسعادتها . انما أجرهم على الذي فطروهم وهو وحده الذي يقر عملهم
ويكافئهم عليه في دار غير هذه الدار . أما أهل الباطل والضلال فهم يفتنون السم
في النفوس والارواح بما ينشرون من رأي ، ويدعون اليه من عمل ؛ ويسلمون أموال
الامة أجرا على هذه الضلالات ، انهم لا يرجون عند الله ثوابا ولا بعد هذه الحياة
حياة . فهم لذلك يمتثلون على جمع المال بأي وسيلة تمكنهم منه ، فهو غرضهم الذي
اليه ينتهي الامل ، والسبب الوحيد الذي يحركهم للعمل . هؤلاء هم رسل الشهوات
وأعوان الهوى وأولياء الشيطان ، وأولئك هم دعاة الفضيلة وأصدروا الحق وحزب الرحمن .
فيا ليت شعري أي الفريقين خير مقاما وأهدى سبيلا . ومن منهما أولى
بالاتباع وأقوم عملا وأحسن قيلا ؟ فياخلف خبر أمة أخرجت للناس أنسبدلون

الذي هو أدنى بالذي هو خير؟ وتندفعون الى الاوهام والضلالات مختارين
وآخذون الى الشر؟

وذكر كثير من الناس لو يعرفون سبب هذا الجفاء بين المسلمين وأهل الحق
والصلاح وهم المحبون الصادقون، وعلة هذه المودة بينهم وبين أهل الباطل والفساد
وهم الاعداء الظاهرون، فانه لابد لذلك من سبب ومتى عرف السبب زال العجب.
ليس العيب الذي تقدم ذكره هو الوحيد في المسلمين. والا فلماذا يعادي
هؤلاء المسلمون أنفسهم ويعطون على أعدائهم؟ ولم يرضون عن مصالحهم
ويسارعون الى هلاكهم؟ وما الذي حسن اليهم الباطل وبغضهم في الحق؟ وأي
شيء صوغ اليهم ارتكاب السيئات وترك الحسنات؟ ولأي سبب يصاغون الشيطان
وبغضون الرحمن؟ وما السبب الذي هبط بهذه النفس الانسانية الى درك الحيوانية؟
انه يوشك أن تكون جميع تصرفات المسلمين مخالفة للمثل والنقل وأحوالهم
مؤذلة غريبة الشكل. وانما هذه التصرفات والاحوال هي أعراض للمرض العام
الذي سكن في جسم هذه الامة فأضف قوتها الحيوية وأسدل الحجب على بصيرتها
فبحت ما ليس بالقبيح ورأت حسنا ما ليس بحسن، فرض الامة هو سبب كل
ما تنكر من مبولها وحركاتها وسكناتها، فاذا عرف المرض عرف السبب

المرض أو السبب هو كما قال السيد الامام هو ضعف استعداد الامة وحرمانها
من الزعيم. وهو قول حق لا ريب فيه، اذ لو وجد الاستعداد والزعيم معالتهضت
الامة من كبتها وحيتها حياتها الطيبة ولما رقت الشقاء وزال عنها ما نزل بها من البلاء،
ولكن الى متى نسكت على هذا الضعف قينا ولا نباشر علاج أنفسنا؟ الآن وقد
عرف كنه المرض الذي أصابنا وسبب الضعف الذي أنهلك قورانا فن السهل معرفة
علاج هذه الحالة أيضا. إنه وقد أمكن تشخيص الداء فما علينا الا أن نصف الدواء.
للعلاج نصف استعداد الامة الا في أمر واحد وهو العلاج القديم الذي
ثبت صلاحه وثباته كد نجاحه راجع في كل زمان وفي كل مكان وسار على سننه
الانبياء عليهم الصلاة والسلام في تبليغ رسالات ربهم عز وجل، وكذلك الصالحون
من بعدهم. ذلك العلاج هو اقامة فريضة « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر »

ان الناس أفلحوا وسعدوا ما عملوا بهذه الفريضة ونجاوا وشقوا ما أهملوها .
فكما أن دانا في تركها كذلك علاجنا في اقامتها . وقد جعل الله تعالى العمل بهذه
الفريضة شرطا ضروريا لصحة الايمان وتهي أعظم ما فوض العالم الحكيم على أتباع
أنبيائه عليهم السلام ، فكانت ولا تزال اقامتها عنوانا على هداية الناس وسعادتهم ،
واهمها دليلا على صلاحهم وخسرائهم واستحقاقهم للمنة « لتأمرن بالمعروف وتنبين
عن المنكر أو ليلطفن الله عليكم شراركم فيدعوا خياركم فلا يستجاب لهم » (لن
الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ، ذلك بما عصوا
وكانوا يعتدون « كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون)

تركت الامة الاسلامية العمل بفريضة « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر »
من عدة أجيال ففقدت بذلك قوتها الحقيقية التي كانت تحمي بها الاموال والأعراض
والعقول والقلوب والاخلاق والدين من فتك الشهوات وهجمات الشياطين . وماذا
يفعل الاعرن من السلاح ، في ميدان النزال والسكفاح ؟ صار أفراد المسلمين بعد
ذلك — وقد خفت صوت الامة وارفع صوت الشهوات والهوى والشيطان ،
كالعقد الذي تبعثرت حباته أو كذرات الرمال التي تتجاذبها الرياح والاهواء المختلفة
فضل الناس في الفهم والرأي والعمل ولا منكر ولا مرشد ، وانحلت الرابطة
وفترت الكلمة ، وتناكرت العقول والقلوب ، وضاعت الفضيلة ، وحلت محلها الرذيلة ،
وانقبدل الجهل بالعلم ، وأوشك أن يكون الدين المعمول به عند الجماهير الآن
مجموعة خرافات وأوهام وضلالات ، وبدع ومنكرات وتقاليده وعادات ، وبالجملة
ان الحال قد تحول الى ما يرى كل انسان ، وليس الخبر كالعيان ، تلك عاقبة الذين نسوا
حظا مما ذكروا به باهمهم هذه الفريضة فتولدت بذلك في الامة الامراض والاعمال ،
التي أضعفت اعتمادها للفهم والعمل ، فضل فيها صوت المصلح ، وخابت دعوة
الحق ، وما ربك بظلام للعبيد

وان تعجب فعجب أن يمتدروا على الإصلاح عن افهمهم ذلك الواجب
العظيم باعراض الامة عن الحق والخير وانصراف عقول أفرادها وقلوبهم الى الباطل
والشر ، ونسوا ان الامة ما سقطت في هذه الهوة السحيقة ، الا بسبب اهمال هذه

الفريضة . كما غفلوا عن كونها أُحوج الى الارشاد في هذه الحالة منها في سواها !
 ان ما وقع من الامة من التفريط في جنب الله لا ينبغي أن يُستل عنه
 سواها وان عليها ان تتحمل وحدها أثقله وتتجرع مراره (ولا زر وازرة وزر
 أخرى) . فلا يصح ان يؤدي تفريط الامة في واجبها الى تفريط المؤمن في واجب
 « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » الذي فرضه الله عليه ، ولا يسقط عنه الا بآدائه
 سواء استجاب له الناس أم لم يستجيبوا . ما كان ضعف استعداد الامة للحياة أو
 بعبارة ثلثة ضعف قوتها الحيوية الذي هو نتيجة طبيعية لما كسبت أيديها كما تقدم
 ليغير من موقف المصالح أمامها ، فهو مطالب على الدوام بأن يصدع بالحق وان كان
 غريبا عن عقول وقلوب أكثر سامعيه ، وان يقرر الحقيقة وان لم يفقهها الا نفر قليل
 منهم ، ولد عوته مع ذلك حجة على الطائع والفاسق ، وما الاخير لقلة استمداده معذور
 (كلابل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون » وقالوا قلونا غاف بل لعنهم الله بكفرهم قليلا
 ما يؤمنون » ايس عليك هدام ولكن الله يهدي من يشاء » ما على الرسول الا البلاغ)
 وقد دعا كثير من أنبياء بني اسرائيل قومهم الى الحق فكذبوهم وقتلوا . وما
 كذبوهم وما قتلوا الا لانهم لم يفتحوا دعوتهم أو لم يقولوها . وكذلك كان شأن
 الناس مع كثير من المصلحين . فما من دعوة الى حق الا وصادفت في أول أمرها
 إعراضا عظيما ومقاومة كبيرة ممن جاءتهم ، حتى قيل انه لا أمل في قبولها . ومع ذلك
 لم يكن ذلك الاعراض وذلك التكذيب وتلك الشدائد لوثر في همة أولئك الهداة
 وعزمهم ، أو ترجعهم عن قصدهم ، فمن ذا الذي يجسر ان يقول ان علمهم كان لغوا
 لان الناس لم يكونوا مستعدين له ؟ كلا بل هو كل الحق والصواب وعين ما أمر
 الله به وأوجبه عليهم وهو سبب كل ما وجد وما يوجد من خير واصلاح في العالمين
 وعلة الحركة والحياة في الناس أجمعين .

ان كل دعوة لحق نصيب الغرض سواء أجيبت في الحال أم لم تجب وسواء
 أدرك لداعي نجاح دعوته في حياته ، أم حصل النجاح بعد وفاته ، فهي محدثة أثرها
 على كل حل . فمثل الكلم الطيب والعمل الصالح وتأثيرهما في النفوس كمثل
 التفاعلات الكيميائية سواء بسواء ، فان التفاعل الكيميائي حاصل وان كان أحيانا
 (المآثر : ج ٤) (٣٢) (المجلد التاسع عشر)

يسير ببطء بما لحالة المود وطبيعتها وقوة تأثيرها بعضها في البعض الآخر . وكثيرا ما تجري الحوادث الكونية بحيث لا تدركها الابصار ولا تتناولها الحواس ، فاقامت الايام أو الشهور أو السنون أو القرون فوجيء الغافلون بالتألمج الصفرية أو الكبيرة التي نشأت عنها ، وبالجملة انه كما ان لكل حركة أثر في مجموع ما يحيط بها من الاشياء كذلك لكل كلمة طيبة أو كلمة خبيثة فعلها في ردع الناس عن الشر أو اغرائهم به . أفليس من الوجوب علينا الاكثار من الكلام الطيب دعوة للخير ومقاومة للفساد الشر التي كثرت واستفحل أمرها ؟

ان الباطل عدو الحق كما أن الحق عدو الباطل . وهذه العداوة قديمة من عهد ان عرف حق وباطل وستبقى مستمرة الى ما شاء الله تعالى . فليتنا ان نفهم هذه الحقيقة ولا يطعن أحد في التوفيق بين عدوين هما أكبر خصمين في الوجود . انه لا ضرر على الحق من هذه العداوة أو المخاصمة التي لا مفر منها ، فالباطل أضعف من ان يقف امام حق والحق أقوى من ان ينازل باطلا وما كان لباطل ان يوجد مع حق في ساحة فأين وجد حق لا يوجد باطل وان الباطل لينضال امام أشعة الحق كلما اقترب منه كما تنضال الظلمة امام الضوء . ان الحق ثابت بنفسه والباطل ساقط بذاته أو بمباراة أخرى ان حياة الحق مستقلة باستقلال الحق ولا حياة للباطل الا باستناده الى الحق فهو أشبه بالخيال منه بالحقيقة . انه لا يطلب الباطل الا الحق فالباطل قوي ما غاب عنه الحق وكما انه لا سلطان لحق على حق كذلك لا نفوذ لباطل على باطل وكما ان الباطل يذهب لتدوم الحق فانه لا يترك مكانه لباطل مثله . فيلزم مواجهة الباطل بالحق على الدوام فبوت الباطل في قرب الحق منه وحياة الحق في خفاء الباطل . ان الحق حق ولا يمكن ان يكون الاحقاء والباطل باطل ولا سبيل الى جعله حقاً ، فلا بد من الخلاف والتصادم بينهما . ولما كانت مهمة الحق انزهاق الباطل ودأب الباطل الفرار من امام الحق والانتشار في الساحات التي لا سلطان له فيها ، وجب ان يتعقب الحق الباطل أينما حل وسار ، لينه له الانتصار .

لا عيب في الحق وانما العيب فيمن يدهون اتهم أهله اذا تصروا في القيام به ونصره ، والا فقيم يخشى أهل الحق أهل الباطل وهو لاء ضمقاء بضمف ما ليسهم

من باطل ، وأولئك أقوىاء بما لديهم من الحق ؛ لا يجوز لأهل الحق أن يدعوا هؤلاء المبطلين آمنين مفرورين يزخرف الباطل مفتونين بظواهره السكاذبة حتى لا يكون ذلك اقراا منهم لباطلهم ، بل أن الواجب اطلاق بلهم وقذفهم بالحق دائما بدون رافة أيما ذهبوا أو حلوا أو وجدوا ، في غدوهم ورواحهم ، في نومهم ويقظتهم ، في أعمالهم وراحتهم ، الى أن يذهب نور الحق بظلمة الباطل ، ويعرفوا أنهم لم يكونوا الا واهمين . أن نور الحق متى ظهر للناس لا يستطيعون نكرانه وأن استطاعوا انكراهه فلا يقدرّون على المجاهرة به . وأن الاصرار على الباطل بعد أن يفضحه الحق قليل في الناس . وإنما يصرا الا كثرون منهم على ما يصرون جهلا منهم وتوهمًا أنهم على حق ، لا عذر في السكوت على الباطل فيجب أن لا يصد داعيا الى الحق صادّ مهما عظمت المهمة وبعدت الشقة . وإذا بعد الناس عن الحق أو قل عدد الراغبين فيه منهم أو فقدوا في بعض الازمنة أو الامكنة فان ذلك لا يجعل الحق غير حق ، ولا ينبغي أن يكون مانعا من الدعوة اليه اذ الباطل لا يصح أن يُرضى به على أي حال .

ان الحالة قاضية بتنبية المسلمين الى الخطر المحدق بهم ، وأن يقال لهم في وجوبهم بصوت جهوري : انكم في هوة انحطاط سحيقة تجب للمبادرة الى انقاذ أنفسكم منها . ولا يمكن أن يقال لهم غير ذلك . ينبغي أن يقال للمسلمين : « يامعشر النساء ويامعشر الرجال أنتم على باطل وضلال . وأن تقاليدكم وعاداتكم التي تدينون بها وتحرصون غاية الحرص عليها إنما هي من مخترعاتكم ومخترعات آبائكم ، وأن العقل ينكرها وشرع الله يبرأ منها . وهذه القبور وما حوت من نظام والاشجار والاحجار لا يمكن أن تتخذ وسيلة الى العالم الدائم ، ولا سببا لنفساء الحاجات أو شفاء الاسقام ، وهذه الافكار الفلسفية والنزعات المادية التي انبثت فيها سفهاء الافرنج بدعوى المدنية لم تكن الا نزغات شياطين . وهذا الفسق والفجور والعصيان من عمل الشيطان ولا يتفق مع رضاء الرحمن . وأن خطتكم التي تسرون عليها الخطّة عوجا ، وهي سبب ما نزل بكم من البلاء . فارجموا الى أصل الدين تكونوا من المهتدين » يجب أن يقال ذلك وماشاكه للمسلمين وأن يبين لهم ما يقال تقريرا للعقول والافهام . فمن قام بذلك فقد قام بواجبه وليس عليه أن يبحث في مبلغ تأثير

كلامه في نفوسهم فليس عليه هدام وانما الهدى هدى الله .
قد يفقه المسلمون القول ويدركون الغرض المقصود منه في الجملة فيعمدون أن
يفتحوا عيونهم للنظر ويتحركوا للعمل ولكن قد تغلبهم الشهوات فيعرضون ،
ويؤسوس لهم الشيطان فيتكسون ، وعن اتباع الحق يعدلون . انهم عصوا لضعف
استعدادهم ولكن ما حيلة الداعي وأمر استعدادهم بأيديهم ان شاؤا أصاحوه وان
شاؤا زادوه ضعفا ؟ وما ذنبه والمرء لا ينفعه زجر زاجر ما لم يكن له من نفسه وازع
(ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)

ان الناس مسؤولون عن ضعف استعدادهم كما أنهم مسؤولون عن ضياع كلمة
الحق بينهم. وان ضعف استعداد الامة ناشئ عما ارتكبه من السيئات، فيكفي منها
الاقلاع عنها وعمل الصالحات ليبدلها الله تعالى من فضله حسنات . ما عذر هؤلاء
المسلمين في هذا الانحطاط الذي انفردوا به وفيهم كتاب الله تعالى ، وأمامهم سنة
رسوله (ص) وبن أيديهم آثار أهل الحق ورجال الإصلاح ، وتحت أنظارهم
الأمثال الحسية على قيمة العمل وعلو الهم فيها يشاهدونه حولهم من المجبودات
العظيمة التي تقوم بها الامم العريزة القوية ؛ ان المريض وان اشتد به المرض قد
يجد الى الشفاء سبيلا باتباع أوامر الطبيب والعمل بأرشاده . فلماذا لا تطلب هذه
الامة شفاءها في القرآن الذي ما فرط الله فيه من شيء ففيه شفاء للناس ؟ ولم لا
تستوضح ما أشكل عليهما من سنة الرسول (ص) والمأثور عن السلف الصالح ؟ كل
ذلك ميسور لها سهل عليهما . بل ما الذي يمنعهما من الاصغاء لتداء أهل الحق
والاصلاح الذين يمن الله تعالى بهم على المسلمين من وقت الى آخر رحمة بهم اذا
اشدت الحاجة اليهم وزاد الكرب وضاع الالب وبلغت الروح التراقي ؟ لقد رزق الله
الامة الاسلامية من هؤلاء في أقل من نصف قرن ثلاثة أقطاب كل واحد منهم يكفي
للهبوض بالامة واسعادها لو وجدوا منها سميعا وانصرا ومطيعا . انه قضى منهم اثنان وها هو
ذا الثالث يترع بالحجة ويصدع بالحق تسعة عشر عاما قبل وزن قوله بغيرانه وعرف
له حتى الآن قدره ؟ ان صوت المنارة هو حجة الله الناطقة في الناس في هذا العصر وأنه
وان ضاع حتى الآن بين أهل هذا الزمان فإنه لا يضيع عند الله ولا في مستقبل الأزمان

افلا ينظر المسلمون الى حالتهم ويرجعون الى أنفسهم ليجدوا أنهم ضلوا ضلالا بعيدا ! وهل شيء أدل على ضعف دينهم وانحلال قوتهم من قيام قسيس في هذين اليومين يطعن في السنة وأشهر رواتها وحملتها وينشر شبهته في مجلة سيارة ويدعو الى الرد عليها ثلثمائة مليون من المسلمين ؟

فأي برهان على فقر الامة من الرجال أقوى وأظهر من سكوت علمائهم عن رد مزاعمه وإبطال شبهاته سوى رجل الإصلاح الاوحد ناصر الاسلام السيد الامام ؟ ان القسيس ما كان ليتحدى برسائله صاحب المنار فهو يعرف من هو، وكان يتمنى طبعاً لو لم يرد عليه بحرف واحد. فللامة كتابها صاحب المنار؟ وهل عدم المسلمون وهم يمدون بمئات الملايين من يستطيع ابطال الشبهة ورد الفرية سواء؟ قديكون ذلك صحيحاً وبالله اسف وقد لا يكون صحيحاً. ولكن الذي يلزم الاعتراف به هو ان الامة سكنت لمن ادعى انه هدم الاصل الثاني من اصول دينها وهو السنة النبوية وقد وقف أمامها يدعوا افرادها كافة الى الكلام، ويطلب منهم وهو فرد ضعيف الخروج جميعاً الى الميدان ! فهل نصدق بعد هذا دعاوي من تصدروا لارشاد الامة وسماؤا أنفسهم رجال الدين وأئمتهم؟ وهل يغتر الغافلون بتظاهر أهل العمائم والفرجيات من علماء هذا الزمان بالقوى والصالح والغيرة على الدين والعمل لمصلحة المسلمين؟ ألا ليت شعري بماذا يعملون سكوتهم وقد وجب النطق واستنصر الحق؟ وبأي شيء يؤولون اهمالهم فريضة « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » وهم اولى الناس باقامتها ؟ لاجواب على ذلك لان الهم مصروفة الى غير تلك السبيل، وحسبنا الله ونعم الوكيل لم تقعد الامة الاسلامية استعدادها للعمل فقداً تاماً اذ هي لاتخلو من استعداد لقبول دعوة الخير الى حدماً والآ لكانت شراً محضاً. ولا يوجد في السكون محض شر وآلا لزال على الفور. فالذي نشكوه وعناه السيد الامام هو ضعف الاستعداد لا فقده تماماً. وانما ترفض الامة الضعيفة الاستعداد دعوة الحق ولا تلبها في وقتها لقصر في النظر وقلة في الفهم، وضعف في القلب. وليست معذورة في ترك العمل لضعف استعدادها وحرمانها من الزعم أو الزعماء كما تقدم، فان ذلك الضعف وذلك الحرمان منها وهي التي والتمها كما تلد الام ولدها

ألا ان الاستعداد لا يوجد في الامة من نفسه ولا يوهب لها كى يوهب المتاع . ولكن الامة هي التي توجد به تمهيد الاسباب له كما ان وجود الزعماء تابع لحركة الحياة فيها ، فهم أبنائها وهي التي تلدهم . فالامة هي التي توجد استعدادها كما تلد زعماءها ، وقد يكون الزعيم موجودا وهي لا تراه لعله في باصرتها أو بصيرتها فإذا زالت العلة بنقوية الاستعداد للاصلاح والتوجه لطلبه وجدته بين يديها وأمام عينها فالامر كله راجع الى الامة وهي التي عليها أن تحضر الدواء وهي التي عليها أن تتعاطاه . فهي المريض ومنها الطبيب . وبعبارة ثانية ان الامة متى وجد فيها الاستعداد للحياة أوجدت طبيبا واستعدت لقبول دوائه ، فهي المطالبة بأعداد الطبيب أو الاطباء وهي المطالبة بتجهيز الدواء وباستعماله في مقاومة الداء . انما هي المطالبة وحدها باقامة فريضة « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » فان عجزت فقد عجزت عن الحياة ولا دواء ولا شفاء .

لست أعني بهذا اني شئت من حياة هذه الامة ، بل مرادي أن أقول ان حياتها لا تكون الا في العمل بهذه الفريضة التي هي العلاج الوحيد لمرضها . انه ما كان للسيد الامام وهو طبيب الامة الا وحده أن يباشر علاجها الا من هذا الطريق الطبيعي الامين ، وان يستعمل سلاحا لقطع عرق الفساد من أصوله غير ذلك السلاح الماضي . فلقد أحيا هذه الفريضة ونصرها بلسان المنار الذي أنشأه وبلسانه على منابر الخطابة وفي الجمعيات والمفلات وفي مجالسه العامة والخاصة وقد ربي المنار رجالا يحبون الاصلاح ولكنه على ارتفاع صوته وعظيم قوته المستمدة من قوة الحق لا يزال عدد من رباهم قليلا واستعدادهم ناقصا . ولا يدل ذلك على تقصير لمار بل هو علامة على استفحال الداء في جسم الامة . ولما رأى الرجل زاده الله علما وهدى أن تيار الفساد يشتد اشتدادا ، وأعوان الضلال وأولياء الشيطان يزدادون ازديادا ، أدرك أن الامر يقضي بتربية فئة من المسلمين تربية عملية أخلاقية دينية عصرية ليجمع منهم سدا امام ذلك السيل الجارف الذي ينذر بأمر خطير وشر مستطير . انه أراد بتأسيسه [جمعية الدعوة والارشاد] أن يهب الامة كفرا فمينا لانقاذ له لتأخذ منه على الدوام حاجتها من الرجال القادرين على اقامة

هذه الفريضة التي لا قول لها بدونها .

انه كان حقيقا بالمسلمين وقد أصبحوا على حافة الهاوية ان يشتروا حياتهم باحياء هذا المشروع . ان الحياة أغلا من ان تقوم بحال . قول كثير على المسلمين ان يشتروا حياتهم بفلس لو قسم على كل فرد منهم ما أصاب الفرد بارة واحدة ؟ لهم بخلاوا بهذه الدريمات ولذلك مات المشروع فمات بموته آمال عظام . انه مات صدقا ولكن ذلك لا يفرعنا فسيخلفه الله خاتما جديدا وما ذلك عليه بهزير . نعم مات المشروع بعد ان عاش أربع سنين عيشة مضطربة ، ولكنه سيمود باذن الله تعالى على أيدي أناس آخرين جديرين بأحراز غر القيام به . انه مات ولكنه في الحقيقة لم يمته ، فقد مات بشكله الذي انشئ عليه وعاد للحياة بعد تخوير في شكله الاول بقدر ما سمحت به الوسائل لصاحبه وسيبقى ما شاء الله تعالى حاكما على الامة بالضعف وللستاذ بملو الهممة والاخلاص . مات المشروع ليحيا المشروع . مات وحقيقة الامر انه حي لانه من الحق والحق لا يموت ابدا . ليكن مات في الظاهر ولكن صاحبه بفضل الله لم يمته وسيبقى بتوفيق الله تعالى بالرغم من حسد الحاسدين سيغا مسلوفا فوق رقاب المفسدين ، وجمعة لله تعالى على المجرمين ،

ليس غرضي الآن ان أعود قاعدوكم لى نصرة المشروع وقد رفضتم الدعوة من قبل وما أغتكم النذر ، وانه أدعوكم الى اقامة فريضة « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » فانظروا ماذا أنتم صانعون . اني أطالبكم باقامة هذه الفريضة التي لا مجال فيها للتأويل ، ولا للقل والقليل ، انه في اقامة هذه الفريضة علاجكم الوحيد فلا يصح ان تتوانوا في طلبه والا فقدتم حياتكم .

ان الحالة وان اشتدت وتعاظمت لا يجوز ان يأس باشتدادها المؤمنون ، فانه لا يأس من روح الله الا القوم الكافرون .

نعم أنكم قطعتم في سبيل الضلال شوطا بعيدا وسطقتم في مهواة الخيبة والخسران سقوطا شديدا ، وصرتم أحط أهل الشرق والغرب ، وضجت من أفعالكم الارض واستغاثت السماء وغضب الرب ، ولكن العلاج لا زال ممكنا وطريق السلامة أراه مفتوحا آمننا . ولا يهزركم لا السرعة في العمل ، قبل ضياع الامل . فان نار الشهوات

والهوى التي أحرقت أجسامكم وأرواحكم تكاد تأكل ما بقي من رفق فيكم ، فاحفظوا هذا الرفق وانجوا بأنفسكم والأهلكتم كما هلك من كان قبلكم وما أنتم بمميزين .
 يؤمني انه اذا دعا المسلمين داع لا يعرفون من المقصود منهم بالكلام فكل ينتحل لنفسه الاذار ويرى انه غير معني بقول ولا مكلف بعمل ! ذلك بأنه لا جماعة تجمعهم ولا مسائل ولا مسؤول ! ولكن الله يعلم ورسوله وملائكته وأهل الحق يعلمون ان لا وظائف في الاسلام ولا رسوم ، فكل مسلم مخاطب بكلمة الحق مطالب بالعمل بكتاب الله وسنة رسوله ، والامة كلها متضامنة في مسؤولية الرضاء بالحالة الحاضرة ، وعلى ذلك فأنا أوجه خطابي الى الامة جميعها ، وأعني به كل فرد من أفرادها ، واقصد بنوع خاص أهل العتل والفهم الذين لهم آذان يسمعون بها وقلوب يفقهون بها ، اني أدعو هذه الامة الى اقامة فريضة « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » وأخاطب في شخصها المسلمين كافة صغيرهم وكبيرهم مواء منهم الممم والمطربش ، الكبير والحقير ، الغني والفقير ، التاجر والصانع ، صاحب الملك والمزارع ، الخاصي والعامي ، البدوي والحضري ، العربي والمجمي ، اني اطالبكم جميعا باقامة هذه الفريضة فان أجبتكم فان الله يعدكم من لذه مغفرة وأجرا عظيما وإن يرفع عنكم هذا البلاد ، ويفيض عليكم رزقا ورحة من السماء ، وان تولوا لحسبكم ما أنتم فيه جزاء في الدنيا ، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى

أدعوك أيها المسلمون الى اقامة هذه الفريضة ولا أخبركم بين اجابة الدعوة ورفضها لانه ما كان لي أن أخبركم بين الصحة والاعتلال ، والهدى والضلال . ولكم فيما عدا ذلك أن تعدوا ومائل العمل بحسب ما يروق لكم . ولكن ذلك لا يمنني أن أكرر النصيح لكم بأن أقرب الطرق الى اقامتها على وجهها هو تنفيذ مشروع [الدعوة والارشاد] الذي دعوتكم الى تعضيده في رسائلي الماضية . فان كنتم في ريب منه فأنا بمشروع خير منه أو مثله للقيام بهذا الواجب الاكبر ، وتخليص الامة من هذا الكرب العظيم ان كنتم صادقين ، فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاعلموا أن مادعاكم اليه امامكم هو الحق المبين واتي لم أكن في تردد دعوته غير ناصح أمين .

فمرنا هذه الرسالة ومنشئ المنار قد ذهب الى اداء فريضة الحج فتوجه اليها فخر المسلمين ونحس صاحب (الانتقاد على المنار) ص ١٩٠ ج ٣

المسحاة

١٣١٥

يقول الحكمة من بناء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

فبشر صابري الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للإسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق

مصر ٢٩ ذي الحجة ١٣٣٤ — ٤ المقرب (٢) خ ١٢٩٥ هـ ٢٧ أكتوبر ١٩١٦

فوائد شتى*)

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بالحديث الصحيح

قال السندي في حواشيه على فتح القدير من كتب الحنفية: الحديث حجة في نفسه، واحتمال النسخ لا يضر فإن من سمع الحديث الصحيح فمسل به وهو منسوخ فهو معذور إلى أن يبلغه الناسخ، ولا يقال إن سمع الحديث الصحيح: لا يعمل به حتى يعرضه على رأي فلان وفلان، فإما يقال له: انظر هل هو منسوخ أم لا. أما إذا كان الحديث قد اختلف في نسخه فالعامل به في غاية العذر، فإن تطرق الاحتمال إلى خطأ المفتي أقوى من تطرق الاحتمال إلى نسخ ما سمعه من الحديث. قال ابن عبد البر: يجب على كل من بلغه شيء أن يستعمله على عمومته حتى يثبت عنده ما يخصه أو ينسخه، وأيضا فإن المنسوخ من السنة في غاية القلة حتى عنده بعضهم أحدا وعشرين حديثا، وإذا كان العامي يسوغ له الأخذ بقول المفتي بل يجب عليه مع احتمال خطأ المفتي كيف لا يسوغ له الأخذ بالحديث إذا فهم معناه وإن احتمل النسخ. ولو كانت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسوغ العمل بها بعد صحتها حتى يعمل بها فلان وفلان لكان قولهم شرطا في العمل بها وهذا من أبطال الباطل، وقد أقام الله تعالى الحجة برسوله صلى الله عليه وسلم دون آحاد الأمة ولا يعرض احتمال الخطأ لمن عمل بالحديث وأفتى به بعد فهمه إلا وأضعاف أضعافه حاصل لمن أفتى بتقليد من لا يعلم خطؤه من صوابه ويحجى عليه التناقض والاختلال ويقول القول ويرجع عنه ويحكي عنه في المسألة عدة أقوال وهذا كله فيمن له نوع أهلية أما إذا لم يكن له أهلية ففرضه ما قال الله تعالى (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) وإذا جاز اعتماد المستفتي على ما يكتبه له المفتي من كلامه أو كلام شيخه وإن علا فلان يجوز اعتماد الرجل على ما كتبه الثقات من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى بالجواز ولو قدر أنه لم يفهم

(*) من جمع الشيخ أحمد شاكر بن الشيخ محمد شاكر والمواشي والعناوين من وضع صالح رضا

[المأثور: ج ١٩٥] الفقه والاجتهاد. السؤال عما لم يقع. حديث ان الله الخ ٢٤٧

الحديث فكما لو لم يفهم الفتوى المقتضى يسأل من يعرفها فكذلك الحديث . انتهى كلام السندي مخلصا وقد أطال من هذا النفس العالي رحمه الله تعالى ورضي عنه الفقه في الدين والاجتهاد

قال الامام تقي الدين ابن دقيق العيد من أئمة الشافعية في خطبة [شرح الامام] كما نقله عنه السبكي في طبقاته في ترجمته : ان الفقه في الدين منزلة لا يخفى شرفها وعلاها ، ولا تحجب عن القول طوالها وأضواها ؛ وأرفعها بعد فهم كتاب الله المنزل ، البحث عن معاني حديث نبيه المرسل ، اذ بذلك تثبت القواعد ويستقر الاساس ، وعنه يقوم الاجماع وبصدر القياس ، لكن شرط ذلك عندنا أن يحفظ هذا النظام ، ويجعل الرأي هو المأموم والنص هو الامام ، وترد المذاهب اليه ، وترد الآراء المنشرة حتى تقف بين يديه ، واما ان يجعل الفرع أصلا ويرد النص اليه بالتكلف والتحجبل ، ويجعل على أبعد المحامل البطاقة الوهم وسعة التخيل ، ويرتكب في تقرير الآراء الصعب والذلول ، ويحتمل من التاويلات ما تنفر منه النفوس وتستنكره العقول ، فذلك عندنا من أردأ مذاهب وأوسوأ طريقة ، ولا نعتد أنه يحصل معه النصيحة للدين على الحقيقة ، وكيف يقع أمر مع رجس من منافيه ؟ وأتى يصح الوزن بميزان مال أحد الجانبين فيه ؟ ومتى ينصف حاكم ملكته غضبة صبية ، وأين يقع الحق من خاطر أخذته العزة بالحمية الخ (الفتوى في الاسلام ، ص ٤٤)

السؤال عما لم يقع

قال الحافظ البيهقي : وقد كره بعض السلف للعوام المسألة عما لم يكن ولم يعض به كتاب ولا سنة ، وكرهوا للمسؤول الاجتهاد فيه قبل ان يقع لان الاجتهاد انما أتيح للضرورة ، ولا ضرورة قبل الواقعة وقد يتغير اجتهاده عند الواقعة فلا يغنيهم ما مضى من الاجتهاد ، واحتج في ذلك بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم « من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه » انتهى (الفتوى في الاسلام ص ٤٥)

معنى حديث ان الله خلق آدم على صورته

سئل أحمد بن عطاء أبو عبد الله الروزبادي المتوفى سنة ٣٦٩ قال الحافظ ابن

عساكر وفي مروياته أجاديث وهم فيها وفراط غلطاً فاحشاً عن قول النبي صلى الله عليه وسلم « ان الله خلق آدم على صورته » فقال : ان الله جل ثناؤه خلق نطق مرتبة بعد مرتبة ونقله من حال الى حال كما قال (ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين * ثم جعلناه نطقاً في قرار مكين — الى قوله — فبارك الله أحسن الخالقين) وخلق آدم ليس على هذه الاحوال وانما خلق صورته كما هي ثم نفخ فيه من روحه فلاجله قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته اهـ (مختصر تاريخ ابن عساكر جزء ١ صحيفة ٣٩٤)

نشوء علم الفلسفة

قال الامام الذهبي في تذكرة الحفاظ في آخر الكلام على الطبقة السادسة من طبقاتهم : وكان في زمان هؤلاء خلائق من أئمة الحديث ومن أئمة المفسرين كورش واليزيدي والكسائي واسماعيل بن عبيد الله المكي القسطنطيني ، وخلق من الفقهاء كغفره العراق محمد بن الحسن وبقية مصر عبد الرحمن بن القاسم ، وخلق من مشايخ القوم كشمس الدين البجلي وصالح المري الواعظ والفضل والدولة لمرون الرشيد والبرامكة ثم بعدهم اضطربت الامور وضفت أمر الدولة بخلافه الامين رحمه الله فلما قتل واستخلف المؤمنون على رأس المائتين نجم التشيع وأبدى صفحته وبرز فجر الكلام وعربت حكمة الاوائل ومنطق اليونان وعمل رصد الكواكب ونشأ للناس علم جديد مرد مهلك لا يلائم علم النبوة ولا يوافق توحيد المؤمنين قد كانت الامة منه في عافية وقويت شوكة الرافضة والمعتزلة وحمل المؤمنون المسلمين على القول بخلق القرآن ودعاهم اليه فامتحن العلماء فلا حول ولا قوة الا بالله ؛ ان من البلاء أن تعرف ما كنت تشكر وتشكر ما كنت تعرف ، وتقدم حقول الفلاسفة ويعزل منقول اتباع الرسل ، ويمارى في القرآن ويتهم بالسنن والآثار وتقع في الحيرة ، فالفرار الفرار قبل حلول الدمار وياك ومضلات الالهواء ومجارات العقول ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم (تذكرة الحفاظ جزء ١ ص ٣٠٠)

كتاب المذهب للذهبي

وجدت بدار الكتب المصرية كتاب [المذهب] للذهبي بخطه وعلى ظهر المجلد

الاول مانصه بخطه رحمه الله تعالى " المجلد الاول من كتاب المذهب في اختصار السنن الكبير تأليف الامام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي رحمه الله تعالى اختصار كتابه محمد بن أحمد بن عثمان ابن الذهبي غفر الله له، ونصبت ذلك بخطه رضي الله عنه أيضا ما نصه

« قال ابن الذهبي : لم أختصر من أحاديث الكتاب شيئا بل اختصرت الاسانيد فان بها طال الكتاب ، وبقيت من السند ما يعرف به مخرج الحديث وما حذفته من السند الا ما قد صح الى المذكور فاما متونه فأتيت بها الا في مواضع قليلة جدا من المكرر قد أحذفها اذا قُرب الباب من الباب وآتي ببعض المتن وقد تكلمت على كثير من الاسانيد بحسب اجتهداي والله الموفق، وقد رمزت على الحديث بمن خرج من الائمة السنة [خ م د ت س ق] ولم أتم هذا فان فسح الله في الاجل طالعت عليه الاطراف لشيخنا أبي الحجاج الحافظ ان شاء الله تعالى، وهذا أمر بين هين كل من هو محدث فانه يقدر على رموز أحاديث الكتاب من الاطراف وما خرج عن الكتب الستة فقد بينت لك اسناده ومخرجه فاكشف عليه ان شئت من كتب الجرح والتعديل، فالرجال ثلاثة اما موثق مقبول واما مضعف غير حجة واما مجهول، لكن كل قسم من الثلاثة على مراتب في القوة واللين والجهالة، انتهى . والنسخة نفيسة جدا كلها بخطه خمسة مجلدات تنقص الثاني والموجود منها أربعة وفق الله لنا من يطبعه وينشره آمين

كتاب الجمع بين الصحيحين

وجدت بدار كتب رواق الاروام بالازهر جزءا من الجمع بين الصحيحين للحميدي وهو الساجس وقد أحبيت نقل خامته لما فيها من النافس قال رحمه الله تعالى : -

« تم جميع الكتاب بحمد الله وعونه ، نسأل الله تعالى أن يجعله خالصا لوجهه انه ولي التوفيق وهو على كل شيء قدير وهو حسبي ونعم الوكيل » ثم قال عقب ذلك

« وهذه الاصول اتصل بآخر ما في الصحيحين من مسند الصحابة رضي الله عنهم

وهو آخر ما قصدنا اليه من الجمع بين الصحيحين وتميز ما اتفقا عليه من المتن
 المحرجة فيهما وما انفرد به أحدهما منها مستقصى على شرطنا مرتباً على ما بدأنا به
 رتبناه مع الاختصار الممين على سرعة الحفظ والتذكارة ولم يبق للباحث المجتهد الا
 النظر فيها والتفقه في معانيها ومراعاة حفظها وإقامة الحجج بها، فالى هذا قصد المتقدمون
 من أئمة الدين في حفظ اسنادها للمتأخرين لتكون حاكمة بين المختلفين وشواهد
 صدق المتناظرين رضي الله عنهم أجمعين ووفق التابعين لهم باحسان الى يوم
 الدين . فأما اسنادنا في هذين الكتابين فقد رويانا كتاب الامام أبي عبد الله
 البخاري بالمعرب عن غير واحد من شيوخنا بأسانيد مختلفة تتصل بأبي عبد الله محمد
 ابن يوسف بن مطر الفريزي عن البخاري ثم قرأته بمكة سنة ١٢٠٠ أعزها الله على المرأة الصالحة
 كريمة بنت أحمد بن محمد بن حاتم المروزي غير مرة لعلوا اسنادها فيه كأنا قرأناه
 على أبي ذر عبد بن أحمد المروزي عن أبي الهيثم بن المكّي بن محمد بن زراع
 الكشميني عن أبي عبد الله محمد بن يوسف بن مطر بن صالح بن إشير بن
 ابراهيم الفريزي عن أبي عبد الله محمد بن اسمعيل البخاري رحمة الله عليه وأما كتاب
 الامام أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري فسمعناه بالفسطاط قراءة على الشيخ
 الصالح أبي عبد الله محمد بن الفرج بن عبد الولي الانصاري وهو روايته عن أبي العباس
 أحمد بن الحسن الحافظ الرازي سمعته منه بمكة سنة ١٢٠٠ وأربعائة قال : ثنا أبو
 أحمد محمد بن عيسى بن عمرو بن منصور الجلودي قال : أنا الفقيه أبو اسحق
 ابراهيم ابن محمد بن سفيان النيسابوري قال : سمعته من الامام أبي الحسين مسلم بن
 الحجاج النيسابوري رضي الله عنه

فصل

« وقد استشرف بعض الطالبين الى معرفة الاسباب الموجبة للاختلاف بين
 الأئمة الماضين رضي الله عنهم أجمعين مع اجماعهم على الاصل المتفق المستبين حتى
 احتجيج الى تكلف التصحيح في طلب الصحيح وقربت على هذا الطالب معرفة
 بعض العذر في اختلاف المتأخرين ابعدهم عن المشاهدة وانما تعذر عليه معرفة الوجه

في اختلاف الصحابة رضوان الله عليهم مع مشاهدتهم نزول التنزيل وأحكام الرسول صلى الله عليه وسلم وحرصهم على الحضور أدنيه والكون بين يديه والاخذ عنه والاتباس منه ، وهذا الذي وقع لهذا الطالب الباحث قد وقع لمن قبله انطوخ فيه والبحث عنه ، وخرج في هذا المعنى بعض الأئمة من علماء الامة فصلا رأينا اثباته ههنا (كذا)^(١) هذا الشبه عن هذا الطالب الباحث وعن غيره ممن يخفى ذلك عليه ويتطلع الى معرفة الوجه فيه وبهذا الفصل يتصور (كذا) لك كل^(٢) صورة وقوع ذلك منهم وكيفية اتفاقه لهم ، حتى كأنه شاهده معهم

وهذا أول الفصل المخرج في ذلك أوردناه بلفظ مصنفه رحمه الله عليه : « قال لنا الفقيه الحافظ أبو محمد بن علي بن أحمد بن سعيد البزدي الفارسي رضي الله عنه في بيان أصل الاختلاف الشرعي وأسبابه »
سبب التورن والفتيا بما يخالف القرآن أو السنة

« طلعت النفس بعد تيقنها أن الاصل المتفق عليه المرجوع اليه أصل واحد لا يختلف وهو ما جاء عن صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم اما في القرآن واما من فعله أو قوله الذي لا ينطق عن الهوى فيه لما رأت وشاهدت من اختلاف علماء الامة في ماسيله واحدة وأصله غير مختلف فبحثت عن السبب الموجب للاختلاف ولترك من ترك كثيرا مما صح من السنن فوضح لها بعد التفتيش والبحث أن كل واحد من العلماء ينسى كما ينسى البشر ، وقد يحفظ الرجل الحديث ولا يحضره ذكره حتى يفتي بخلافه وقد يعرض هذا في أي القرآن

« ألا ترى أن عمر رضي الله عنه أمر على المنبر ألا يزداد في مهور النساء على عدد ذكره ميلا الى أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يزد على ذلك العدد في مهور نسائه حتى ذكرته امرأة من جانب المسجد بقول الله عز وجل (وآتيتن احداهن قطارا) فتوكل قوله وقال : كل أحد أعلم منك حتى النساء . وفي رواية أخرى : امرأة أصابت ورجل أخطأ . علما منه رضي الله عنه بأن النبي صلى الله عليه وسلم وإن كاد لم يزد

(١) ربما سقط من الاصل كلمة هي « لازالة » أو ما في مقامها وإن « هذا » بحرف عن « هذه »

(٢) لكل كلمة « كل » زائدة من النسخ

في مهور النساء فإنه لم يجمع مما سواه والآية أعم، وكذلك أمر رضي الله عنه برجاء امرأة ولدت لستة أشهر فذكره عليّ قول الله تعالى (وحمله وفصاله ثلاثون شهرا) مع قوله تعالى (والوالدات برضعن أولادهن حولين كاملين) فرجم عن الأمر برجاءهم وهم أن يسطو بمينة بن حصن إذ جفا عليه حتى ذكره الحارث بن قيس بقول الله عز وجل (وأعرض عن الجاهلين) فأمسك عمر . وقال رضي الله عنه يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله مامات رسول الله ولا يموت حتى يكون آخرنا حتى قرئت عليه (انك ميت وانهم ميتون) فرجم عن ذلك ، وقد كان علم الآية ولكنه نسبها لعظيم الخطب الوارد عليه فهذا وجه عمدته ^(١) (كذا) الخلاف للآية أو للسنة بنسيان لا بقصد

« وقد يذكر العامل الآية أو السنة لكن يتناول فيهما تأويلا من خصوص أو نسخ أو معنى ماء ، وإن كان كل ذلك يحتاج الى دليل ولا شك أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا بالمدينة حوله عليه السلام مجتمعين ، وكانوا ذوي معاش يطلبونها وفي ضللك من القوت فمن متحرف في الاسواق ومن قائم على نخله وبحضره عليه السلام في كل وقت منهم طائفة اذا وجدوا أدنى فراغ مما هم بسبيله ، وقد نص على ذلك أبو هريرة رضي الله عنه فقال : ان اخواني من المهاجرين كانت يشغلهم الصفاق بالاسواق وان اخواني من الانصار كان يشغلهم القيام على نخلهم وكنت أمرا مسكينا أصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم على مل بطني . وقد قل عمر رضي الله عنه : ألهاني الصفق بالاسواق في حديث استئذان أبي موسى ، فكان عليه السلام يسأل عن المسئلة ويحكم بالحكم ويأمر بالشيء ويفعل الشيء فيحفظه من حضره ويغيب عن من غاب عنه فلما مات عليه السلام وولي أبو بكر رضي الله عنه كانت اذا جاءت القضية ليس عنده فيها نص سأل من بحضرته من الصحابة فيها فان وجد عندهم نصا رجح الله والا اجتهد في الحكم فيها ، ورجحه اجتاده واجتهاد غيره منهم رضي الله عنهم رجوع الى نص عام أو الى أصل الباحة متقدمة أو الى نوع من هذا يرجع الى أصل ، ولا يجوز أن يظن أحدا أن اجتهد أحد منهم هو أن يشرع شريعة

باجتهاده أو بختراع حكما لأصل له، حاشي لهم من ذلك، فلما ولي عمر رضي الله عنه فتحت
الامصار وتفرق الصحابة في الاقطار فكانت الحكومة تنزل بمكة أو بغيرها من البلاد
فان كان عند الصحابة الحاضرين لها نص حكم به والا اجتهدوا في ذلك - وقد يكون
في تلك القضية نص موجود عند صاحب آخر في بلد آخر - وقد حضر المدني ما لم
يحضر المصري وحضر المصري ما لم يحضر الكوفي وحضر الشامي ما لم يحضر
البصري وحضر البصري ما لم يحضر الكوفي وحضر الكوفي ما لم يحضر المدني

كل هذا موجود في الآثار وتقتضيه الحالة التي ذكرنا من مفيب بعضهم عن
مجاسه عليه السلام في بعض الاوقات وحضور غيره ثم مفيب الذي حضر وحضور
الذي غاب فيدري كل واحد منهم ما حضره ويفوته ما غاب عنه، وقد كان علم
التيتم عند عمار وغيره وغاب عن عمر وابن مسعود حتى قالوا : لا يثبم الجنب ولو
لم يجسد الماء شهرين ، وكان حكم المسح على الخفين عند علي وحذيفة ولم تعلمه
عائشة ولا ابن عمر ولا أبو هريرة على أنهم مدنيون، وكان توريث بنت الابن مع
البنات عند ابن مسعود وغاب عن أبي موسى ، وكان حكم الاستئذان عند أبي
موسى وأبي وغاب عن عمر ، وكان حكم الاذن للحائض في أن تنفر قبل أن
تطوف عند ابن عباس وأم سلمة ولم يعلمه عمر وزيد بن ثابت، وكان حكم تحريم
التمتع والحجر الالهية عند علي وغيره ولم يعلمه ابن عباس، وكان حكم الصرف عند
عمر وأبي سعيد وغيرهما وغاب ذلك عن طلحة وابن عباس وابن عمر ، وكذلك حكم
اجلاء أهل الذمة من بلاد العرب كان عند ابن عباس وعمر فتنسبه عمر سنين
فتركهم حتى ذكر بذلك فذكره فأجلاهم. ومثل هذا كثير. ففضي الصحابة رضي الله
عنهم على هذا

ثم خاف بعدهم التابعون الآخذون عنهم وكل طبقة من التابعين في البلاد التي
ذكرنا فانما تفقهوا مع من كان عندهم من الصحابة فكانوا لا يتعدون فتاويهم ، لا
تقليدا لهم، ولكن لانهم أخذوا ورووا عنهم، الا اليسير مما بلغهم عن غير من كان في
بلادهم من الصحابة رضي الله عنهم، كاتباع أهل المدينة في الاكثر فتاوى ابن عمر،
واتباع أهل مكة فتاوى ابن عباس، واتباع أهل الكوفة في الاكثر فتاوى ابن مسعود
(المنار : ج ٥) (٣٥) (المجلد التاسع عشر)

ثم أتى من بعد التابعين قهء الامصار كأبي حنيفة وسفيان وابن أبي ليلى بالكوفة وابن جريح بمكة ومالك وابن الماجشون بالمدينة وعثمان البتي وسوار بالبصرة والاوزاعي بالشام والليث بمصر فخرأ على تلك الطريقة من أخذ كل واحد عن التابعين من أهل بلده وتأبعوهم عن الصحابة رضوان الله عليهم في ما كان عندهم وفي اجتهدهم فيما ليس عندهم وهو موجود عند غيرهم ولا يكلف الله نفسا الا وسعها. وكل من ذكرنا مأجور على ما أصاب فيه أجر بن ومأجور فيما خفي عليه ولم يبلغه أجرا واحدا. قال الله تعالى (لا نذكركم به ومن بلغ)

وقد يبلغ الرجل من ذكرنا نصان ظاهرهما التعارض فيميل الى أحدهما بضرب من الترجيحات ويميل غيره الى النص الذي ترك الآخر بضرب من الترجيحات أيضا كما روي عن عثمان في الجمع بين الاختين: أحلتها آية وحرمتها آية. وكما مال ابن عمر الى تحريم نساء أهل الكتاب جملة بقوله تعالى (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) وقال: لا أعلم شركا أعظم من قول المرأة ان عيسى ربها. وغلب ذلك على الاباحة المنصوصة في الآية الاخرى ، ومثل هذا كثير

فعلى هذه الوجوه ترك بعض العلماء ما تركوا من الحديث ومن الآيات، وعلى هذه الوجوه خالفهم نظراؤهم فأخذ هؤلاء ما ترك أولئك وأخذ أولئك ما ترك هؤلاء ، لا قصدا الى خلاف النصوص ولا تركا لطاعتها كذا، ولكن لأحد الاعذار التي ذكرنا — إيمان نسيان واما أنها لم تبلغهم واما لتأويل ما واما لأخذ بخبر ضعيف لم يعلم الأخذ به ضعف رواته وعلمه غيره فأخذ بخبر آخر أصبح منه أو بظاهر آية وقد يشبه بعضهم في النصوص الواردة الى معنى ويلوح له حكم بدليل ما وينيب كذا وغيره . ثم كثرت الرّحل الى الآفاق وتداخل الناس واقتدبت أقوام لجمع حديث النبي صلى الله عليه وسلم وضمه وتقييده ، ووصل من البلاد البعيدة الى من لم يكن عنده وقامت الحجة على من بلغه شيء منه ، وجمعت الاحاديث المينة لصحة أحد التأويلات المتأولة في الحديث ، وعرف الصحيح من السقيم ، وزيف الاجتهاد المؤدي الى خلاف كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم والى ترك عمله ، وسقط العذر عن مخالف ما بلغه من السنن يبلغها اليه ، وقيام

الحجة بها عليه، فلم يبق الا العناد والتقليد

وعلى هذه الطريقة كان الصحابة رضوان الله عليهم وكثير من التابعين يرحلون في طلب الحديث الايام الكثيرة طالبا للسنن والتزاما لها ، وقد رحل أبو أيوب من المدينة الى مصر في طلب حديث واحد الى عتبة بن عامر، وقد رحل علقمة والاسود الى عائشة وعمر ، ورحل علقمة الى أبي الدرداء بالشام ، وكتب معاوية الى المغيرة اكتب الي بما سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومثل هذا كثير .

(قال أبو عبد الله) فقد بينا والحمد لله وجه من ترك بعض الحديث والسبب الموجب للاختلاف وشغفنا النفس مما اعترض فيها ورفعنا الاشكال عنها والله عز وجل المعين على البحث والهادي الى الرشدين

وبهذا البيان الذي كشف به هذا الامام في هذا الفصل صورة الحال في أسباب الاختلاف الواقع بين الصحابة فن دونهم صح الأئمة المتقدمين رضي الله عنهم أجمعين وجوب طلب التصحيح للنصوص الواردة في شرائع الدين، تقوم الحجة بما صح منها على المختلفين، وقد قام الكل منهم في ذلك بما قدر عليه ، وانتهت استطاعته اليه ، الى أن انفرد بالمزية في الاجتهاد والرحلة الى البلاد ، في جمع هذا النوع من الاسناد بعد التبع والانتقاد، الامامان أبو عبد الله البخاري وأبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري رضي الله عنهما، فحازا قصب السبق فيه في وقتها، ولفرط عنايتهما وبلوغهما غاية السعي والتشهير فيه قويت همهما في الاقدام على تسمية كتابيهما بالصحيح، وعلم الله عز وجل صدق نيتهما فيه ومشقة قيامهما به وحسن انتقادهما له، فبارك لهما فيه ورزقهما القبول شرقا وغربا ، وصرف القلوب الى التعويل عليهما والتفضيل لهما والاعتداء في شروط الصحيح بهما، وتلك عادة الله فيمن أحبه أن يضع له القبول في الارض كما جاء في الخبر الصادق عن المبعوث الحق صلى الله عليه وسلم، فهبتنا لهما ، ولما اهتدى في ذلك بهماهما ، والواجب علينا وعلى من فهم الاسلام ، وعرف قدر ما حفظا من الشرائع والاحكام، أن يخلص الدعاء ^(١) لهما ، واسائر الأئمة النافلين اليهما والينا قواعد هذا الدين، وشواهد احكام المسلمين. ونحن

نبتل الى الله تعالى في تعجيل الغفران لها ولهم ، وتبديد الرحمة والرضوان عليهما
وعليهم ، وأن يوتى الكل منهم في أعلى درجات الكرامات ، من غرفات الجنات ،
وأن يوفقنا أجمعين للاقتداء بهم ، والسلوك في سبيلهم ، والدعاء اليه ، والى رسوله ، والالتقاء
لحركات تنزيله ، والتقائه في دينه ، والاخلاص في عبادته ، والالتقاء اليه ، وصدق
التوكل عليه ، حتى يتوفانا مسلمين مسلمين ، غير مبدلين ولا مغيرين ، وأن يغفر لنا
ولا بائنا ولجميع المسلمين .

تم الجزء السادس وبتمامه تم الكتاب . والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا
محمد نبيه وآله وصحبه وسلامه . وافق الفراغ من نسخه لخمس ليال بقين من ذي
القعدة سنة ثلاث وعشرين وثمانية

فَتَاوَى الْمُبَشَّاتِ

فتحننا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، إذ لا يسمع الناس عامة ، ونشترط على
السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه
بالحروف او يعبر بما شاء من الألقاب ان شاء . واتنا نذكر الاسئلة بالتدرج غالبا
وربما قدمنا متأخراً لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه ، وربما أجبنا غير
مشترك لمثل هذا ، ولن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة
فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لا غفاله

(س ١ - ٧) من صاحب الامضاء بأبي زعل (من القليوبية)

استاذي الفاضل الشيخ محمد رشيد رضا

السلام عليكم ورحمة الله . أما بعد فاني أحمد إليك الله الذي لا اله الا هو وقد
علمنا وهم الناس انكم حفظكم الله خليفة الاستاذ الامام في القيام بأمر الدين انطالع
ودحض الباطل عنه ، فان العلم الدليل ، وليس العلم بالكلم الطويل ، وقد طوحتني

المقادير الى بلدة ألبن بلاد الله تربة، يسكنها قوم أحلامهم دقاق، ودينهم نفاق، يأخذون من العلم القشور، ومن الاخبار الموضوعة ومن العقائد الخرافية، فهم أشاء الرجال ولارجال، يكفرون من قال بالمعراج بالروح، ومن أنكر وجود الجنة والنار، ومن نفى رؤية الإله في الآخرة، ومن منع رجوع الشمس بعد مغيبها عند إخبار النبي صلى الله عليه وسلم بقدم العير، وعدم مجيء بيت المقدس بين يديه (ص) وعدم وجود الزناة وأسكات الربا بين مكة وبيت المقدس ورؤية النبي (ص) لهم ليلة الاسراء كل ذلك لحجج عنده من أن هذه عقائد لا تثبت الا بالقطع، وبعض هذه الاشياء لم يجد (كذا) فيه دلائل أصلا، وبعضها قام عليه دليل غير يقيني مع قيام دليل العقل على خلافه، ولما كنتم بارك الله فيكم أوقفتم أنفسكم على تحقيق مثل هذه المسائل فعا للامة وخدمة للدين وقد شاهدنا غزارة علمكم وسعة فكركم وكثرة اطلاعكم ورسوخ ملكتكم العلمية التي قل ان توجد لاحد من معاصريكم - رجوت أن تكشف لي بقيت أبدا (؟) من فطاء هذه المسائل وترجمها الى أصولها وتبرزها في صورتها الحقيقية غير مشوبة بخرافات الخرفين، بأدائها من العقل أو الكتاب أو السنة المتواترة أو المشهورة كما هو شأنكم في جميع المسائل، لازلت ينتفع به الاسلام والمسلمون

نحربا في يوم الثلاثاء ٥ شعبان سنة ١٣٣٤ هـ
 كاتبه

ولدكم محمد عليوه

[المنار] يؤخذ من هذا الكتاب بضع مسائل ينبغي بيان الحق فيها، وها نحن أولاء نتكلم عليها واضعين لكل واحدة منها عنوانا

١ - تكفير المسلم بما لم يصح عنده من مسائل الدين

قد اعتاد الناس الجراءة على التكفير بغير علم حتى ان بعض المؤلفين في الفقه توسعوا في المكفرات فزادوا الناس جرأة على تكفير من يخالف مذاهبهم وتقاليدهم وان لم تكن من الدين في شيء. وقد بينا من قبل أن الاصل في ارتداد المسلم عن دينه هو جمعه أو تكذيبه شيئا أو شكه في حقيقة شيء يعلم أن النبي (ص) جاء به من أمر الدين، اذ يكون بذلك غير مؤمن بما جاء به الرسول (ص) ولما كان الجهل في

دار الاسلام غير عذر جعل الملائكة أمور الدين قسمين [أحدهما] ما لا يضر أحد في دار الاسلام بمجهله وإن كان عاميا وهو المجمع عليه المعلوم من أمر الدين بالضرورة كفرضية الصلاة والزكاة والحج وكبحرهم الفواحش ما ظهر منها وما بطن كالتسل والزنا وشرب الخمر والسرقة والكذب والخيانة . فمن جحد من هذا القسم شيئا كفر وعد مرتدا عن دين الاسلام . وإنما يعذر بجمل بعض هذه المسائل من كان قريب عهد بالاسلام لم يمر عليه من الزمن يعد اسلامه ما يكفي لوقوفه على ذلك، ومن نشأ بعيدا عن دار الاسلام كشاهق جبل (كما يقولون)

[الثاني] ما شأنه أن لا يعرفه الا المشتغلون بسلم الدين من فروع المسائل وأصول الاحكام وأدلتها ، فيؤلاء الملائكة يؤخذون بحسب علمهم ، فمن جحد منهم شيئا من الدين يعلم أنه ثبت في كتاب الله أو سنة رسوله أو أجمع عليه الصحابة ولم يكن متأولا في جحدته كان بذلك مرتدا كما هو ظاهر

وأما من جحد أو أنكر شيئا مختلفا في أصله أو دليله أو في دلالة ذلك الدليل عليه لانه لم يصح عنده أو لما رآه أرجح منه بضرب من التأويل فلا يعد مرتدا بذلك، ولكنه اذا انتهى به التأويل الى مخالفة جماعة السلف الصالح من أهل الصدر الاول عتد مبتدعا وإن كان موحدا مقبلا لاركان الاسلام

ولم يكفر أهل السنة من أنكر خبر المراج ولا من قال إنه كان الروح فقط بل قال بذلك بعض أهل السنة ولا من قال إن الجنة والنار لم يخلقا بعد وإنما يخلقان يوم القيامة ، ولا من قال ان المؤمنين لا يرون ربهم في الجنة، فقد قال بذلك جهور من الحبشية والمعتزلة ولم يكفرهم علماء السلف به كما ترونه في أشهر كتب العقائد التي تدرس في الأزهر وغيره من المدارس الاسلامية في جميع الاقطار

وإذا كان لا يكفرون من ينكر أصل المراج الا اذا أنكر الاسماء النصوص في القرآن ولا يكفرون من ينكر رؤية الباري تعالى في الآخرة المصرح بها في الاحاديث المتفق عليها فكيف يكفرون من ينكر رجوع الشمس للنبي (ص) بعد غروبها والحديث فيه غير صحيح أو ينكر محبى بيت المقدس الى الحجاز وكون المذنبين الذين رأهم النبي (ص) يمدبون كانوا موجودين باجسادهم بين مكة وبيت

المقدس ولا نص على هذا في كتاب ولا سنة وما عهدنا احدا من علماء المسلمين يجعله من عقائد الدين ، وسرى معنى ذلك في المسائل الآتية

﴿ ٢ - المعراج روحي أم جسدي ﴾

قد فصلنا القول في مسألة المعراج في المجلد الرابع عشر من المنار فراجع في ص ٦٦٤ و ٧٣٢ منه وفيه ان عمدة من قال ان المعراج كان في المنام حديث شريك عند البخاري

﴿ ٣ - رؤية النبي (ص) بيت المقدس ﴾

ان رؤية النبي (ص) لبيت المقدس ووصفه اياه للمشركين وهو بمكة ليس معناه ان بيت المقدس انتقل الى مكة وانما معناه أنه مثل له كما مثلت له الجنة في عرض الحائط ولفظ الحديث في ذلك كما ورد في حديث جابر في الصحيحين أنه سمع رسول الله (ص) يقول « لما كذبتني قريش قتيت في الحجر فخلى الله لي بيت المقدس فطلعت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر اليه » هذا نص حديث الشيخين ومعنى جلالة أظهره ، وقال بعض العلماء : معناه كشف الحجب بيني وبينه حتى رأيته . قال الحافظ في الفتح : وقع في حديث أم هانئ عند ابن سعد « فخليل لي بيت المقدس »^(١) فطلعت أخبرهم عن آياته » فان لم يكن مغيرا من قوله « فخليل » وكان ثابتا احتمل أن يكون المراد أنه مثل قريبا منه كما قدم نظيره في حديث « أريت الجنة والنار » وتأول قوله « جيء بالمسجد »^(٢) أي جيء بمثاله — والله أعلم . ووقع في حديث شداد بن أوس ما يؤيد الاحتمال الاول ، ففيه « ثم مررت بعير قريش » — فذكر القصة — ثم أتيت أصحاحي قبل الصبح فأتاني أبو بكر فقال : أين كنت الليلة ؟ فقال « اني أتيت بيت المقدس » فقال انه مسيرة شهر فصنع لي ، قال « ففتح لي صراطا كأنني أنظر اليه لا يسألني عن شيء الا أنبأته عنه » اه المراد من عبارة الفتح . وأما لفظ حديث أم سلمة عند مسلم « فرفع الله لي بيت المقدس أنظر اليه » فيتنقض مع

(١) خيل اليه بمعنى مثل له أي رأى خياله ومثاله . وفي رواية لها عند أبي يعل وابن عساكر « فأنا جبريل فصوره له في جنبه » (٢) أي في حديث ابن عباس الذي ذكره قبل ذلك وهو عند أحمد والنسائي والبيهقي وفيه انه جيء بالمسجد حتى وضع دون دار غنم

ما تقدم بمعنى انه رفع اليه مثاله ، وقد غفل من زعم أن بيت المقدس نقل من مكانه الى مكة عما يترتب على ذلك من استحالة وجوده عند دار عقيل كما ورد في رواية ابن عباس لان وضع الجسم الكبير في المكان الصغير الذي لا يبلغ عشرة محال ، ومن كون نقله كون وجوده بمكة يستلزم أن يراه جميع الناس ولو وقع ذلك لتواتر ، ومن كون نقله يستلزم علم جميع أهله ومن حولهم به ولو وقع ذلك لتواتر نقله عنهم . وقد غفل من مال الى ترجيح ذلك اللفظ على ما هو أصح منه وأقرب الى المعقول عن كل ذلك واكتفى بأن هذا أبلغ في المعجزة وأن الله قادر عليه ، وهو لم يكن مما وقع به من التحدي ولا ترتب عليه إيمان أحد . فهل يبطل الله تعالى سنته في الكون عبثاً ؟ وهذا التوجيه يحتاج اليه في رؤية بيت المقدس من اعتماد قول الجمهور ان الاسراء فقط أو الاسراء والمعراج مما كانا في حال اليقظة بالروح والجسد كمن قال ان ذلك رؤيا منامية أو مشاهدة روحية وقعت حال اليقظة ، لان سؤال قريش النبي (ص) أن يصف لهم بيت المقدس إنما كان في اليقظة قطعاً بغير خلاف

﴿ ٤ - رؤية النبي (ص) المذنبين يعذبون ﴾

إذا كانت رؤية النبي لبيت المقدس من قبيل الكشف الذي يحصل بأدراك النفس لشيء بغير واسطة العينين أو بجعل الله تعالى مثال ذلك أمام العينين فالظاهر ان رؤية من رآهم يعذبون بذنوبهم من قبيل رؤية المثال بالاولى ، لان بيت المقدس من عالم الشهادة وعذاب المذنبين بما روي في الحديث من عالم الغيب ليس له مكان في الدنيا يشاهد بين مكة وبيت المقدس . وكل ذلك من آيات الله التي أراه إياها في ليلة الاسراء . ومن هذا القبيل رؤيته الجنة والنار وهو يخاطب كما روي في الصحيحين . وتعبيره عن ذلك في بعض الروايات بأنهما مثلاً له في الجدار . وقد وصفت الجنة في القرآن بقوله تعالى (كهرض السموات والارض) فهل تجتمع هي والنار في جدار المسجد ؟ وورد أن من أولئك المذنبين من تشاغل رؤوسهم عن أداء الصلوات — والصلوة لم تكن شرعت — فقد تمثل له (ص) عذابهم قبل وتوابعه بالنسبة الى أمته

ان رؤية البشر الروحية لبعض الموجودات الغائبة عن أبصارهم قد ثبتت بالتجارب الكثيرة في جميع الاقطار ، ومنها ما ثبت للدكتور شبلي شميل من علماء العصر الماديين ، وقد ذكرنا في بعض مجلدات المنار خبره مع المريض الذي كان يعالجه ويسمع منه الاخبار الكثيرة عما يدركه بنفسه غائبا عن حسه كالخبار عن قريب له في الاسكندرية بأنه سافر منها الى القاهرة في القطار الذي يتحرك من الاسكندرية في ساعة كذا ثم إخباره بوصوله الى محطة القاهرة وركوبه العربية منها قاصدا دار المريض ثم بوصوله الى باب الدار ، وكان الامر كما قال

وأذكر مما وقع لي من ذلك في الصغر أنني هربت مرة من الكتاب واختبأت في بستان لجدي أم والدتي وكنا نحن مصطافين في بستان لنسا يبعد عن هذا البستان مسافة زهاء أربع ساعات وكانت جدي في بستاننا فتمثلت لي خارجة منه حتى كأنني أنظر اليها متبعا خطواتها من أول الطريق الى آخره حتى إنني ناديتها عند ما وصلت الى مدخل بستانها وقبل أن تدخله ويقع بصري عليها فأجابتي وكنت أعتقد أنها تحمل الي ما يطيب لي أكله فكان كذلك . ومثل هذا كثير

ولكن ما يقع للانبياء من ذلك فوق ما يقع لبعض البشر كذلك المريض وبعض الصوفية وأكمل منه لانه يشمل عالم الغيب وما لا يصل اليه غيرهم من عالم الشهادة

❦ ٥ — رجوع الشمس بعد غروبها أو وقوفها للنبي (ص) ❦

يرى السائل تفصيل القول في هذه المسألة في ص ٧٠ من مجلد المنار التاسع وحسبك منه قولنا هنالك « ان مسألة رد الشمس له صلى الله عليه وسلم قد ورد في رواية ضعيفة من أحاديث المعراج ، وورد في رواية أقوى منها في مناقب علي كرم الله وجهه . وهذه الرواية وثقها الطحاوي في [مشكل الآثار] وتبعه القاضي عياض في الشفاء وقد تكلم فيها بعض الحفاظ بل أوردها ابن الجوزي في الموضوعات وتعبه في اللائحة » فان شئت الزيادة وما قيل في الطعن في الرواية فارجع الى المجلد التاسع أو الى الفوائد المجموعة في الاحاديث الموضوعية للامام الشوكاني

❦ ٦ — وجود الجنة والنار ❦

ظواهر نصوص الكتاب العزيز والاحاديث الصحيحة المتفق عليها تدل على (المنار : ج ٥) (٣٦) (المجلد التاسع عشر)

أن الجنة والنار داراي الجزء للابرار والفجار هما عالمان مخلوقان ، ولا نرى ما يعارض هذه الظواهر من الدلائل العقلية ولا النقلية ، فان كان لدى السائل ما يعارض ذلك فيلذكره لنا لنبين رأينا فيه

٧ - رؤية الباري سبحانه وتعالى في الآخرة ﴿

إن من أصول العقائد القطعية المعلومة من الدين بالضرورة ان نعيم الآخرة قسمان روحاني وجسماني لان البشر لا تنقلب حقيقتهم في الآخرة بل يبقون بشرا أولي أرواح وأجساد ولكن الروحانية تكون هي الغالبة على أهل الجنة ، فيكون النعيم الروحاني عندهم أعلى من النعيم الجسماني. ومن الثابت بالاختبار والتجارب أن العلماء الراسخين والحكماء الربانيين والفلاسفة الماديين^(١) والرؤساء السياسيين كلهم يفضلون اللذات العقلية الروحية والحياة المعنوية على اللذات المادية الجسدية ، فترى أحدهم يزهد في أطيب الطعام ، وكؤوس المدام ، ويتجافى جنبه عن مضجعه ، ذاهلا عن حقوق حليته ، تلذذاً بجمل مشكلات المسائل واكتشاف أسرار الكون ، أو بالنفث في عقد السياسة ، وما تقتضيه أعباء الرياسة ، ألا وإن أعلى العلوم العقلية والمعارف الروحية في هذه الدنيا هو معرفة الله سبحانه وتعالى والعلم بمظاهر أسمائه وصفاته في خلقه والوقوف على سننه وأسراره فيها ، وكشف الحجب عما أودع فيها من الجمال والجلال ، وفي النظام الذي قامت به من آيات الكمال ، التي هي مجلى صفات بارئها متعنى الجمال والجلال والكمال ، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال ،

وما زال أصحاب الهمم العالية من العلماء والحكماء يستدلون بما ظهر لهم من تلك السنن والآيات على كمال مبدعها ومبدئها ومصرفها ، وتتطلع عيون عقولهم الى كيفية صدور الوجود الممكن للحادث ، (وهو مجموع هذه العوالم العلوية والسفلية) عن الوجود الازلي الواجب ، ويهتمون بارتقاء الاسباب للوصول الى معرفة أول موجود ممكن منها وكيف ابتدأت سلسلة الاسباب بعد ذلك بتحول البسائط وتولد بعضها من بعض ، قبل وجود هذه المركبات المعروفة من السماء والارض ، طمعا في معرفة حقيقة ذلك

(١) أي وكذا الفلاسفة الماديين. وهو استعمال يمد بلبنا اذا كان لما رفع خصوصية في السياق ككون الماديين هنا مظنة لخالفه الروحانيين. ويقابل هذا الاستعمال في نصب ما هو في مقام الرفع ما نصب على الاختصاص أو المدح والذم

الوجود الاعلى ، على عجزهم عن ادراك كنه أدنى هذه الموجودات السفلى ، وقد اختلف الحكماء في امكان وصول العلم البشري الى حقيقة الوجود الاول الازلي وكيفية صدور الموجودات الممكنة عنه - فقال بعضهم بإمكان ذلك وتوقع حصوله في يوم من الايام ، وقال آخرون بأنه فوق استعداد الانام ،

والحق في ذلك ما هدانا اليه دين الله الحق ، وهو أن ادراك أبصار الخلق له سبحانه وتعالى وإحاطة علمهم به من الحال الذي لا مطمع فيه (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير * يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما) ولكن العجز عن الادراك والاحاطة ، لا يستلزم العجز عما دون ذلك من العلم والمعرفة ، التي ترتقي الى الدرجة التي عبر عنها بالتجلي والرؤية ، فان كانت ظواهر الآيات في ذلك متعارضة ، فالاحاديث والآثار الصحيحة المبينة له جليلة واضحة انما وقع المراء بين المتكلمين والمتفلسفين وبين علماء الآثار في كلمة «الرؤية» فأثبتها أهل الأمر للدلالة على ظواهر القرآن ونصوص الاحاديث عليها ، ومنعوا قياس رؤية الباري تعالى على رؤية المخلوقات ، بدعوى استلزامها التعجز والحدود وغير ذلك من صفات الاجسام ، وقالوا اننا لا نبحث في كيفية كذا اننا لا نبحث في كيفية ذاته ولا صفاته تعالى ، فاننا نجزم بأن له علما وقدرة وسمعا وبصرا ولكن علمه ليس كعلمنا ناشئ عن انطباع صورة المعلومات في النفس ، ومكتسبا لها بالحواس أو الفكر ، وكذلك قدرته وسائر صفاته ، فمنه نجمع بين الايمان بالنصوص في أسماء الله وصفاته وأفعاله وسائر شؤونه ، وبين تنزيهه عما لا يليق به من مشابهة خلقه الممنوعة بدلائل النقل والعقل ، كما قال عز وجل (ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير)

ونفاها أهل الكلام والفلسفة بناء على قياس الخالق سبحانه وتعالى على المخلوق ودعوى منافاة الرؤية للتنزيه الذي هو أصل العقيدة وركنها الركبن . ولكنهم لا يستطيعون انكار الحقيقة التي أثبتتها أهل السنة والجماعة اذا عبر عنها بغير لفظ الرؤية كأن يقال ان أعلى نعيم أهل الجنة لقاء الله تعالى بتجليه عليهم تجليا يحصل لهم به أعلى ما استعدت له أنفسهم وأرواحهم من المعرفة ، وأن أعظم عقاب لاهل النار حجيمهم عن ربهم وحرمانهم من هذا التجلي والعرافان الخاص بدار الكرامة والرضوان

فانهم لا يمتنون بتأويل مثل قوله تعالى في المتقين (تحييتهم يوم يلقونه سلام) وقوله في الكافرين (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) كما يعتنون بتأويل قوله (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) بأن النظر معناه الانتظار والرجاء ، وما رد به بعضهم على بعض في الآية يطلب من الكشف والبيضاوي وحواشيهم ما سائر كتب التفسير ومن كتب الكلام وشروح الاحاديث

وكم بين حذاق الجدال تنازع وما بين عشاق الجلال تنازع

ومن غرائب جدهم ان كلا منهم يستدل على مذهبه بطلب موسى عليه السلام رؤية ربه وقوله تعالى (لن تراني . .) الآية فأهل السنة يستدلون على جواز الرؤية بسؤال التكليم اياها وعدم انكار الباري تعالى عليه هذا السؤال كما أنكر على نوح عليه السلام سؤاله نجاته ولده الكافر بناء على أنه من أهله الذين وعده بنجاتهم — وبتعليل الرؤية على جائز وهو استقرار الجبل ، والمعتزلة يستدلون بالآية على عدم الرؤية بدم اجابة التكليم اليها وتعليلها على ما علم الله أنه لا يكون واذا كانت الآيات التي استدلت بها كل فريق ليست نصا قاطعا في مذهبه ففي الاحاديث المتفق عليها ما هو نص قاطع لا يحتمل التأويل في الرؤية وتشبيهها برؤية البدر والشمس في الجلاء والظهور وكونها لامضارة فيها ولا تضام ولا ازدحام. وفي كتاب التوحيد من صحيح البخاري احد عشر حديثا في ذلك، وجمع ابن القيم في [حادي الارواح] ما ورد في ذلك من الاحاديث فكان ثلاثين حديثا . قال الحافظ ابن حجر عند اشارته الى ذلك : وأكثرها جيد . وزاد ابن القيم ما ورد عن الصحابة والتابعين وأئمة علماء الامصار في ذلك وحملهم اياه على ظاهره مع تنزيه الله تعالى عن مشابهة المخلوقات، ولكن بعض مثبتي الرؤية من أهل السنة اختلفوا في معناها فكان بعض ما قالوه تأويلا أبعد من تأويل المنكرين

قال الحافظ في الكلام على تفسير (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) من شرح كتاب التوحيد من البخاري ما نصه: واختلف من أثبت الرؤية في معناها فقال قوم بمحصل الراي العلم بالله تعالى برؤية العين كما في غيره من المرئيات ، وهو على وفق قوله في حديث الباب « كما ترون القمر » الا أنه منزه عن الجهة والكمية وذلك

أمر زائد على العلم . وقال بعضهم ان المراد بالرؤية العلم ، وعبر عنها بعضهم بأنها حصول حالة في الانسان نسبتها الى ذاته المخصوصة نسبة الابصار الى المرئيات . وقال بعضهم : رؤية المؤمن لله نوع كشف وعلم الا أنه أتم وأوضح من العلم . وهذا أقرب الى الصواب من الاول اهـ

ثم ذكر ماتعقب به من قال ان المراد بالرؤية العلم . وإنما قال في القول الاخير انه أقرب الى الصواب لما فيه من التغويض وعدم التحديد ، وهذا المعنى هو الذي قال به الفراء وأوضحه في كتاب المحبة من الاحياء بما يعهد من قرأ الاحياء من بيانه وفصاحته هذا وان احصاء ما ورد في هذا الباب مما استدل به على الرؤية اثباتا ونفياً من الآيات والاحاديث وسرد كلام المثبتين والنفاة وبيان الراجح منه والمرجوح يستغرق عدة أجزاء من المثار ، ولن يرضى ذلك منا أكثر القراء ، وجملة القول في المسألة ان الآيات القرآنية فيها ليس فيها نص قاطع لا يحتمل التأويل ، ولكن الاحاديث الصحيحة والحسنة صريحة في ذلك لا تحتمل التأويل ، والمرفوع منها مروى عن أكثر من عشرين صحابياً دع الموقوف والآثار ، ولم يرد في معارضتها شيء أصح من حديث عائشة المتفق عليه عن مسروق قال قالت لعائشة (رض) يا أمنا هل رأى محمد (ص) ربه ليلة المعراج ؟ فقالت : لقد فقت شعري مما قلت ! أين أنت من « ثلاث من حدثكن فقد كذب » من حدثك أن محمداً (ص) رأى ربه فقد كذب ، وفي رواية « فقد أعظم على الله الفرية » ثم قرأت (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير » وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحياً أو من وراء حجاب) ومن حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب ، ثم قرأت (وما تدري نفس ماذا تكسب غداً) ومن حدثك أنه كتب (أي أن النبي (ص) كتب شيئاً من الدين) فقد كذب ، ثم قرأت (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك) — الآية — ولكن رأى جبريل في صورته مرتين . اهـ

وقد ذكر النووي في شرح مسلم ان عائشة لم تنف وقوع الرؤية بحديث مرفوع ولو كان معها لذكرته وإنما اعتمدت الاستنباط على ما ذكرته من ظاهر الآية وقد خالفها غيرها من الصحابة الخ وذكر الحافظ في المتح انه قال ذلك تبعا لابن خزيمة

ذاهلا عما ورد في صحيح مسلم الذي شرحه ، وذكر أن في حديث مسروق عنده زيادة عماد كرهانه من لفظ البخاري وهي : — قال مسروق وكنت متكئا فجلست وقلت ألم يقل الله (ولقد رآه نزلة أخرى) فقالت أنا أول هذه الأمة سأل رسول الله (ص) عن ذلك فقال « إنما هو جبريل » الخ

فلم من هذا ان عائشة تنفي دلالة سورة النجم على رؤية النبي (ص) لربه بالحديث المرفوع وتنفي جواز الرؤية مطلقا أو في هذه الحياة الدنيا بالاستدلال بقوله تعالى (لا تدركه الابصار) وقوله (وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب) ويمارض هذا الاستدلال انه ليس نصا في النفي حتى يرجح على الاحاديث الصريحة في الرؤية وقد قال بها بعض علماء الصحابة . وقال بعض العلماء ان عائشة ليست أعلم عندنا من ابن عباس الذي أثبت الرؤية للنبي ليلة المعراج ، وفي هذا القول بحث فان ابن عباس استنبط اثبات الرؤية في الدين من الآيات وقد انفرد بذلك دون سائر الصحابة . وأما من روي عنهم إثبات الرؤية في الآخرة فليس فيهم أحد يقال انه أعلم من عائشة الا والدها الصديق وعلي المرتضى وزيد بن ثابت وقد يذكر في طبقتها منهم السبادة . ولكن الحديث عن أبي بكر وزيد بن ثابت في هذا الباب ضعيف وعن علي موضوع حتي ان ماروي عنها نفسها فيه أقوى سنداً . ويقول النفاة لو رأى النبي (ص) ربه ليلة المعراج لما خفي بأذلك عن عائشة مع ما علم من حرصها على العلم ، وسؤالها إياه عن آية النجم ؟ وقد يقول النفاة أيضا : لو كانت الرؤية في الآخرة عقيدة يطالب المسلمون بالإيمان بها لما جهلتها عائشة . ولكن هذا القول لا ينهض لمعارضة إثبات المثبتين لها بالاحاديث الصريحة ، وإنما قصاره أن يعد دليلا على أن المسألة من أمور الآخرة التي كان يذكرها النبي (ص) أحيانا لبعض الخواص اذ لا يفسر العامة جهلها ، فلم يقصد أن تكون عقيدة يدعى إليها مع التوحيد .

وأحسن ما يجاب به عن استنباط عائشة وأقوامه عند المثبتين أن يقال أنها ربه نفي الرؤية في الدنيا كما قال بذلك الجمهور ولا تقاس شؤون البشر في الآخرة على شؤونهم في الدنيا لان ذلك العالم سننا ونواميس تخالف سنن هذا العالم ونواميسه حتي في الأمور المادية كالأكل والشرب والمأكل والمشرب . فإما الجنة غير آسن فلا يتغير كماء الدنيا بما

بمخالطه أو يجاوره في مقره أو جواره، وخبرها ليس فيها غول يقتال العقل ولا يصد هون عنها ولا ينفون، ولبنها لا يعتره فساد ولا تخالطه (ميكروبات) أمراض ، وكذلك فاكهتها وغراتها هي على كونها أعلى وأشهى مما في الدنيا لا تنسد . قال ابن عباس : ليس في الدنيا شيء مما في الجنة إلا الاسماء . وكذلك أمزجة أهلها ، هي أصح وأسلم من أمزجة أهل الدنيا حتى أنهم يأكلون ويشربون فيكون هضمهم بالتبخر وورشح العرق ، ففي الحديث الصحيح أنه جُشَاء ورشح لها ريح المسك . ولا عجب في ذلك فإن علماء العصر الذين يظنون أن في كوكب المريخ أحياء عقلاء كالإنسان يجهزون بأنهم لابد أن يكونوا أكبر منا أجساما وأسرع من الخيل العادية في حركتهم العادية ، هذا وعالم المريخ لا يعرف فيه من الحياة الروحانية العالية مثل ما ورد في حياة الجنة ، ولكن ما ذكره علماء العصر في شأنه يقرب تصور ما ورد في صفة الآخرة من الأذهان المقيدة بالمألوفات ، فإن بعض الناس إنما ينكرون أخبار الآخرة لأنها مخالفة لما جردوا عليه من المألوفات ، ولو أنهم أخبروا بما اكتشف من أسرار الكون في هذا العصر كخواص الكهرباء والراديو قبل أن يصير مشهودا بمقتوعه لما صدقوه . قال الله عز وجل في بيان جزاء المؤمنين القائمين بأعمال الإيمان حق القيام (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أهين جزاء بما كانوا يعملون) ووضع ذلك رسوله (ص) في حديث قدسي رواه الشيخان في صحيحهما عن أبي هريرة قال (ص) « قال الله عز وجل : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » وروى أهل الكتاب مثل هذا عن سيدنا عيسى (ص) فإذا ثبت لنا أن كل ما في دار الكرامة أعلى وأسمى مما في الدنيا حتى الأجسام وصفات الناس وفرائضهم وأنه لا يشارك ما في الدنيا إلا بالاسم ، الذي عبر به لفرضه تقريب تلك المعاني الغيبية من الفهم ، فهل يصح بعد ذلك أن نعد إلى أعلى ما هناك من الشؤون الإلهية المعنوية فنشبهه بشؤون الدنيا فنجعل تعجيب الرب سبحانه ونعالي لاولئك العباد المكرمين الذين رقام وكلهم وأهلهم الكمال معرفته تعجيبا ومشابهة الخلق ؟ ونجعل ما يحصل لهم من ذلك التعجيب من العلم الاكل والمعرفة العليا التي تستغرق أرواحهم وجميع مشاعرهم والباطنة إدراكا لكنه عز وجل واحاطة

علم به تعالى عن ذلك ؟ ثم نمذر أنفسنا على هذا الجمل بأن ذلك قد سمي رؤية ومعانية ولا بد ان تكون الرؤية هنالك كرويتنا التي نمهدا هنا ؟

سبحان الله ! أليكون كل ما هنالك من أعيان الخلوقات وصفاتها وأحوالها مغالفا لماله اسمه منها هنا الا ما يتعلق بشأن الخالق عز وجل فهو الذي يجب ان يكون مشابها لشؤون الخلقين بعضهم مع بعض ؟ أهذا هو المذهب الذي يدعي أصحابه اتباع العقول ، ويسخرون من أهل السنة بزعمهم انهم جهدوا على بعض أحاديث الآحاد من المنقول ؟ وهم الذين قد جهدوا على مادون ذلك من الالفاظ العربية التي استعملت في صفات الباري تعالى وشؤونه وأخبار عالم الغيب فتراهم يصرفونها عن معانيها ويعطلون مدلولاتها المقصودة لتوهمهم انها لا تكون صحيحة الا اذا كانت مدلولاتها في عالم الغيب كمدلولاتها في هذا العالم من كل وجه. ثم نحكموا فأثبتوا بعض صفات الباري تعالى بدون تأويل كالعلم والقدرة والارادة وأولوا أكثرها كالكلام والرحمة والمحبة والغضب والرضا والعلو والوجه واليدين الخ وهذا عين التشبيه ، وهذا عين التعطيل — وأهل السنة يشبتون له تعالى كل ما أثبتته لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله (ص) وينزهونه فيه كله عن مشابهة خلقه ولا يرون فروقا بين العلم والرحمة والكلام فكلمها من صفات البكال الثابتة له مع التنزيه — فلمعله ليس كعلم البشر منتزعا من صور المعلومات بالحس أو الفكر — وكلامه ليس كيفية عرضية تحصل بتموج الهواء بتأثير الصوت الذي يخرج من الفم — وكذلك سائر شؤونه تعالى ، فتجلبيه خواص خلقه في دار كرامته ليس كظهور بعضهم لبعض ، وما يحصل لهم من رؤيته ومعرفته وسماع كلامه لا يشابه ما يكون من بعضهم لبعض .

واذا كنا قد عرفنا بلاشهادة في عالم الحس ان إيقاد مصباح زيت الزيتون أو زيت البترول لا يشبه إيقاد مصباح الكهرباء بوجه من الوجوه ولا يشترط في الثاني ما يشترط في الاول — ونجزم بأن هذا الفرق لا يمكن ان يتصوره من لم يعرف الكهرباء البتة — فيجب علينا ان لا نستغرب ما هو أبعد من هذا الفرق بين عالم الغيب والشهادة في اختلاف الكيفية الحقيقية واحدة كالرؤية. ومن كان له حظ من معرفة الله تعالى في الدنيا لا يحتاج الى الامثال ، وحسب المحروم منها ان ينتفع بالامثال ، (وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَالْأَشْيَاءُ

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدي

١٤

التيوبركيولين Tuberculin

زيادة الياء والنون في هذا اللفظ اللاتيني هي --- كما قلنا --- للدلالة على المادة أولاً أصل الفعل في الدرن [Tubercle] أعني أنه اسم خلاصة تستخرج من باسيل الدرن نفسه أو مما يربى فيه . فهي نوعان نوع يسمى بالتيوبركيولين العتيق والآخر بالتيوبركيولين الجديد . وأول من أدخل هذا الصنف من العلاج في الطب هو العلامة كوخ سنة ١٨٩٠ محاولاً بذلك إيجاد دواء شاف للدرن بكافة أنواعه ، ولكنه لم يتحقق غرضه إلى الآن

أما التيوبركيولين العتيق فهو عبارة عن السموم التي يفرزها ميكروب الدرن في السائل الذي يربى فيه كالمرق مع الجلسرين ، ويتحصل عليه بالتصفية خلال المرشحات لفصل الميكروب عنه فهو في الحقيقة سموم الميكروب التي تخرج من جسمه في السائل المذكور ، ويكون لونه أصفر أبيض وقوامه غليظاً . وفائدة الجلسرين حفظه من الفساد وإذا حقن هذا السائل في الشخص السليم لا يحدث منه شيء ، ولكن إذا حقن في إنسان أو حيوان مصاب بدرن في أي عضو من جسمه ارتفعت حرارته وأصابته رعدة وأحس بتوعل وآلام في مفاصله وقد يفرز زلال في بوله أو يظهر طفح على جلده ويأتيه المكان المصاب بالدرن . ونظراً لشدة هذه الأعراض لم يستحسن الأطباء معالجة الدرن بهذه الطريقة ، واقتصر بعضهم على استعمالها في معالجة الدرن الجلدي المسمى لويس (داء الذئب) لأن ما يصيب الجلد من الحقن (المنار: ج ٥) (٣٧) (المجلد التاسع عشر)

يمكن مراقبته وتلافيه . زد على ذلك ان تنبيه الجلد المريض بهذا الدواء قد يكون نافعا فيه ، ومع ذلك يأبى كثير من الاطباء استعماله حتى في هذا الدواء . فاقصرت فائدة التيوب ركيولين على استعماله في تشخيص الدرن في الانعام كالقطر فان السليم منها اذا حقن به لم يصبه شيء ، ولكن اذا حقنت البقرة المسالولة ارتفعت حرارتها أي أصابتها الحمى . واستعماله لتشخيص الدرن في الانسان لامسوغ له مع ان هناك طرقا أخرى تفضله

أما التيوب ركيولين الجديد فهو عبارة عن خلاصة تستخرج من نفس جسم الميكروبات الدرنية ، وبعبارة أخرى هو السم الكامن في أجسامها فهو غير السم الذي تفرزه في السائل الذي تربى فيه . واذا حقن هذا التيوب ركيولين الجديد أيضا في السليم لا يحدث منه شيء ، واذا حقن في المريض حدثت أعراض كالاعراض المذكورة آنفاً غير أنها لا تكون عادة مصحوبة بالانفعال الموضعي في مكان الدرن فلا يتنبه ولا ياتعب . وهو قليل الاستعمال لتشخيص مرض الانعام ، ولكن بعض الاطباء يستعملونه في معالجة الدرن الانساني وان خالفهم الآخرون في نفعه ، بل منهم من يرى ان ضرره أكبر من نفعه

واذا حقن تحت الجلد حدث منه خراج ، ولذلك اضطر بعض المصانع الى ازالة بعض المواد التي تشبه الدهن منه وهي التي يظنون انها السبب في التقيح وفي عسر امتصاصه

وهناك عدة طرائق لاستعمال التيوب ركيولين العتيق للتشخيص أشهرها أربع وهي :—

(١) الحقن تحت الجلد (٢) وضعه على الملتحمة عند الموق ويبقى الجفنان مفتوحين بضع دقائق فاذا كان في جسم الشخص أي درن احمرت ملتحمة الجفن الاسفل وكذلك اللحمة الدمية التي في الموق بعد ثلاث ساعات ويزداد الاحتقان بعد ست ساعات وترم اللحمة ويكثر الدمع وتغطي العين بيمض الافراز (الرمص) ويصل هذا الالتهاب الى أقصاه بين ٦ ساعات و١٣ ساعة ثم يأخذ في الزوال بعد يومين أو أكثر ، وهذه الطريقة ليست خالية من الخطر على العين . ومحاول التيوب ركيولين الذي

يستعمل فيها يكون بنسبة ٥ ر . في المائة من الماء المتقطر العقيم
(٣) بطريق الجلد وذلك بتلقيح الجلد كما ياتح لاجل الوقاية من الجدري
فيحصل التفاعل باحمرار الجلد وتورمه في ٢٤ ساعة ويشد بعد يومين ، وفي اليوم
الثالث يبدأ في الزوال ويتم ذلك في اليوم الرابع . وهذه الطريقة تستعمل كثيرا في
الاطفال الذين يقل عمرهم عن خمس سنوات

(٤) يعمل مرهم من التبوربركيولين مع [اللانولين Lanoline] ^(١) (دهن
يستخرج من صوف الغنم) بنسبة (١ الى ١) ويدهن به جزء من الجلد فيلتهب بعد
يوم أو اثنين وقد يظهر فيه دم أو بثرة . واعلم انه قد يتأثر الحيوان من التبوربركيولين
ويكون سليما اذا سبقت اصابته بالدرن وشفي منه . واذا حقن تحت الجلد بمقدار كبير
(١ ر .) يستتمر المكعب) ولم يحصل افعال دل على السلامة من المرض مطلقا أو على
الاقل من المرض الفعال في البقية فلا يتأني ذلك وجود مرض سابق شفي منه المحقون

الجرة الخبيثة Anthrax

يعرف هذا المرض في الحيوانات باسم (الحى الطحالية) وهو يصيب الانسان
أيضا . وينشأ من ميكروب باسيلي يوجد في العضو المصاب وفي الدم والاحشاء
والافرازات ، ولا حركة له ، وطوله يختلف من ٥ مك ^(٢) الى ٢٠ مك وقد يكون
مستقيما أو منحنيا قليلا ويتكاثر بالانقسام ويتكون في داخله أياضاحبيات، وهذه اذا
انفصلت منه استطالت ونشأ منها الباسيل ، ولكن التكاثر بهذه الطريقة الخبيثة
لا يحصل الا في خارج أجسام الحيوانات . وهذه الحبيبات تقاوم درجات كبيرة جدا
من الحرارة فلا يسهل قتلها ولو بالنار الا بعد بضع دقائق

يصيب هذا الداء الحيوانات اذا تمحت بالميكروب بالعض أو بلدغ الحشرات،
وقد تصاب أيضا به اذا أكلت من مرعى تلوث ببراز الحيوانات المريضة .
أما إصابة الانسان به فتكون امانا من الحيوانات الحية، ولذلك تصاب به لرعاة كثير،
واما من جثث الموتي بهذا الداء — وهو الأكثر — كما يحصل للقمصين (الجزارين)

(١) كلمة لاتينية معناها حرقا « دهن الصوف » (٢) مك مختصر كلمة ميكرون

والدباغين بتلقيح أجسامهم بالميكروب اذا مست شيئا من جثة الحيوان . وقد تحصل المدوى من أكل اللحم المصاب أو من مس الصوف والشعر المأخوذين من الحيوانات المريضة، وقد يصل أيضا هذا الداء بطريق التنفس بأن يستنشق ميكروبه مع التراب والغبار الذي يتطاير من البضائع الصوفية ونحوها اذا لم يطهر الصوف قبل صناعته ومن النادر ان ينتقل هذا المرض من انسان الى آخر بمجرد اللمس ، وقد شوهه المرض بين تجار الخرق البالية التي تستعمل في صناعة الورق

والحيوانات التي تصاب به هي الانسان والغنم والماعز والارانب وخنازير الهند والفيران وكذلك الخيل والخيول، أما الكلاب والقطط فلا تصاب به

الاعراض — لهذا المرض ثلاثة أشكال (١) الشكل الموضعي (٢) الشكل الداخلي الرئوي (٣) الشكل الداخلي المعدي الموي. وفي كلا الشكلين الاخيرين قد يصاب ظاهرا الجسم أيضا، وإنما نشأت هذه الاشكال المختلفة بحسب مدخل الميكروب فانه قد يدخل من الجلد أو من الرئة في الهواء المستنشق أو من الجهاز الهضمي مع الطعام أو الشراب

أما الشكل الاول فيشاهد كثيرا في الوجه أو العنق أو الايدي بعد جرح أو سحج (خدش) فبعد زمن التفرخ الذي يتراوح بين بضعة أيام وبضع ساعات يحدث أكلان وحب في المكان الملقح ، ويظهر دمل صغير يتلى بسائل رقيق ثم ينفجر ويموت قاعدة هذا الدمل فتكون سوداء اللون ويطلب ما حولها من الجلد فيحمر ويرم ويتصلب ويمتد تورمه الى [بوصة] ونصف أو بوصتين أو أكثر، ويتكون حول البقعة السوداء قفاعات صغيرة تشتمل على مصل ، وتضخم الغدد اللمفاوية القريبة وتلتهب . وقد يستمر الشخص في عمله ثلاثة أيام أو خمسة ثم يشعر بالحكة مع الضعف والانحلال ، وقد يعثره الهذيان أو العرق الغزير أو الاسهال وينتهي أمره بلوث الذي يسبقه هود شديد

أما الشكل الداخلي فتختلف أعراضه باختلاف الجهاز المصاب ، ويتقدمه اضطراب وضيق تنفس واضمحلال وآلام في الاطراف ، ثم ترتفع الحرارة فجأة مع أعراضها المعروفة . فان كانت الرئتان مصابتين اصابه ضيق شديد في التنفس مع

احساس بالاختناق ، ويزرق جسمه ، وتخور قواه ، ولكن يكون السعال خفيفا ، وإذا بصق فقد يكون البصاق ملوثا بالدم ، ثم يعترية الهذيان والغيوية فيموت . وفي بعض الحالات قد يبقى ادراك المريض الى النهاية . وإذا كان الجهاز الهضمي هو المصاب حدث في . وألم البطن واسهال وخرج بالبراز دم وقد يحصل عسري في الازدرد أو نزف من الحلقوم والغم ، وتكون الحنجرة غير عالية ، ويزرق جسم المريض أيضا ويضيق نفسه ويصاب بالضجر وقد يتخبط كالمصروع قبل الوفاة

الانذار — هو سيء جدا خصوصا في الاشكال الباطنية

المعالجة — تعالج الجيرة الظاهرية باستئصالها كلها . وكفي موضعها إما بالنار وإما بالادوية الكاوية مثل كلوريد الزنك (الخارصين) أو الفينيك التي فتتحسن حالة المريض وقد يشفى سريعا

أما الشكل الداخلي فعلاجه قليل الجدوى . ويعالج بالكينين والمنعشات والسوائل المغذية

الوقاية — تكون بالابتعاد عن المصاب وحرق أو تطهير مفرزاته وكل ما لامسه . وخصوصا صوف الاغنام وملابس المرضى ، وبقتل الحيوانات المصابة بأيسر الطرق ثم احراق جثثها أو دفنها في مكان عميق مع وضع الجير حولها . وما تجب العناية به ان لا يؤذن للعمال في مصانع الصوف أو الجلود بمس شيء منهما الا بعد تطهيره بالطرق الطبية كأن يظهر الصوف مثلا في أفران البخار وتطهر الجلود بوضعها في بعض المحاليل المطهرة التي لاتضر بها . واعلم ان كلامنا هذا في مس الجلود قبل دبحها فان الدبغ وحده كاف لتطهيرها . ويجب على الممرض ومن شاكاه تطهير يديه جيدا قبل الطعام والشراب وتنظيف الملابس قبل ذهابه الى منزله أو مخايلته الانحاء

السقاوة والسراجة Glanders

مرض عرف قديما حتى وصفه أطباء اليونان والرومان في كتبهم وهو يصيب الخيل والبغال والحمير وبعض الحيوانات الأخرى الداجنة ومنها ينتقل الى الانسان

أيضا . وسببه ميكروب مستقيم الشكل اكتشف سنة ١٨٨٢ م
يعيش هذا الميكروب في الهواء وفي غيره وطوله يختلف من ميكروبين الى خمسة
وهذا الداء قلما يصيب الانسان وأكثر من يصاب به خدمة الخيل أو
الاصطبلات . وكيفية العدوى به أن يلقح أي جزء من جلد الانسان بميكروب هذا
الداء في أثناء تنظيف الخيل المصابة أو كشط جلود الموتى منها وقد يصاب الشخص
بسبب عض حيوان له وتلقيحه بلعابه ، أو يصاب بسبب عطاس الحيوان في وجهه
فيدخل جزء من مخاط أنفه في عين الانسان أو أنفه أو فمه . وقيل إنه ينتقل أيضا
بأكل اللحوم النيئة من الحيوانات المصابة . ومن الجائز أن ينتقل هذا الداء من
شخص الى آخر

الأعراض — لهذا الداء شكلان : —

(انشكل الاول) الحاد وهو المسمى بالعربية السقاوة . يبتدى ظهور أعراضه بتوعك وصداغ وغثيان وآلام في الاطراف حتى قد يظن أن الداء هو الرئيسة [الرومازم] أو الحى التيفودية وقد يوجد ألم بالجنب وضيق في التنفس . وإذا كان الميكروب دخل من الحاد التهاب مدخله وورم وصار مؤلما حتى يشبه الجلد مريض الجفرة ثم يتقرح وتضخم الغدد اللمفاوية القريبة ، وبعد اسبوع أو أكثر يظهر طفح من دامل صغيرة حمراء تملؤها قشاعات ، وهذه تكبر حتى تصبح نفاثات كبيرة أو بثور مختلفة الحجم يسيل منها دم ومدة وصديد، وتلتهب قاعدة هذه البثور وما حولها ثم تسقط قشورها فيكون منها قروح . وقد تتكون عقد تحت الجلد تستحيل الى خراجات غالبا . وكثيرا ما تظهر هذه العقد أيضا في العضلات

وقد يصيب الداء أيضا الأغشية المخاطية وتكون أعراضه سيلان مخاط رقيق في أول الأمر ثم يغلظ وتصعبه المدة أو الدم وتكون رائحته ممتنة ، ويكون في الأغشية أيضا عقد تتفرح حتى تنقب بعض الأجزاء أو تأكل بعض العظام الرقيقة كما يحصل في داخل الأنف ، وقد تصاب أيضا اللثة أو الخنجر أو أغشية الشعب ونهير ذلك ، وتكون حرارة المريض عالية جدا مصحوبة بأعراض الحى المعتادة ، ولكن ارتفاعها قد يتذبذب ، ويفرز زلال في البول ويصاب المريض بالهذيان

والارتعاش فالقيوبة فالملوت . ومدة الداء من أسبوعين الى ثلاثة
ويكثر وجود باسيل المرض في العقد المذكورة وفي القروح وما يسيل منها ،
فأعظم الخطر منها في العدوى

(أما الشكل الثاني) فهو المزمع ويسمى بالسراجة وتكون أعراضه قاصرة على
الاصابات الموضعية على الأكثر كأن تظهر قروح أوخراجات حول المفاصل أو تلتب
مواضع مختلفة تحت الجلد أو في العضلات ، وإذا حدثت ثور كان تكونها بطيئاً . وقد
تصاب أغشية الانف الحظية . وفي بعض الحالات ينحف المريض ويبح صوته
ويصيبه السعال أو النزف الرئوي . ومدة هذا الشكل المزمع قد تكون أربعة أشهر
الانذار — غير حميد . وفي الاحوال الحادة لا ينجو الا القليل ، ويشفى نحو
نصف الحالات المزمنة

المعالجة — لا يوجد لهذا الداء دواء مقطوع بنجاحه وإنما تعالج الاعراض

كالعتاد

الرئية السيلانية أو الروماتزم السيلاني

سبق الكلام على مرض السيلان في الجزء الاول وإنما نريد أن نصف هنا
ميكروبه واعراض اصابته للمفاصل

أما ميكروبه فهو من الشكل البزري ويسمى بالافرنجية [Gonococcus]
ومعناها حرفياً في اليونانية [بزرر المتي] فهي من الاسماء التي أخطأوا في أصل وضعها .
يوجد هذا الميكروب كثيراً في إفراز الاحليل اذا كان الشخص مصاباً بالسيلان
ويشاهد على الأكثر داخل الكريات الصديدية البيضاء وهو من الميكروبات التي
تتسرع زرعها في الخارج ، ويعيش بوجود الهواء أو بغيره وفي البيئة القلوية قليلاً أو
الحضية ولكنه لا يعيش خارج الانسان الا ببعض الوسائل الصناعية السلبية الدقيقة .
ولا يصيب هذا الداء غير الانسان . ويشاهد ميكروبه في إفراز الاحليل والفرج
وقل مشاهدته في إفراز الرحم ويندرأ ولا يشاهد مطلقاً وجوده في إفراز المهبل . أما في
الذكر فيوجد أولاً في إحليله وقد يمتد منه الى الخصيتين أو المثانة أو الغدد الاربعية

(فينشأ منه الخيرجل) وفي بعض الحالات قد يصل الميكروب في الذكر والانثى الى الاعضاء الباطنية كالبيضين أو الليفورا أو البريتون أو الغشاء المبطن للقلب أو الاغشية الزلالية المبطنة للمفاصل وغير ذلك كثير واصابة المفاصل هي المقصودة بالكلام هنا

تبدأ هذه الاصابة بعد ١٤ يوما أو ٣ أو ٤ أسابيع من مبدئ ظهور سيلان الاحليل حينما يكون هذا السيلان قيحا أو حينما يكون صديدا (رقيقا) وهو الاكثر أي في زمن [النقطة العسكرية] ^(١)

الاعراض — في الحالات الحادة تصاب عدة مفاصل في أول الامر بالألم والوزم، وبعد قليل يقتصر المرض على مفصل واحد وهو المرفق في الغالب وقد يكون الركبة أو الرسغ أو غير ذلك . ويعد احمرار المفصل الى مسافة بعيدة وترم المسوجات في تلك المسافة كلها حتى قد يظن أن بها خراجا . ويتألم المريض ألما شديدا عند أقل حركة ولكن تكون الحكة غير شديدة . ويزول الانتهاب بالتدريج البطيء جدا ويترك وراءه ياسا في المفصل . وقل أن يتقيح . ومن النادر أن تصاب أغشية القلب ، وهذا الداء يصيب الذكور والاناث على حد سواء .

وهذه اصابات بهذا المرض أخف مما ذكر فيكون احمرار المفاصل فيها أقل وكذلك ورمها ، ولكن تصاب عدة مفاصل في وقت واحد خصوصا الركبتين والمرفقين والرسغين وكثيرا ما يكون هناك آلام في الصفاقات وفي الاغشية المغلة لأوتار العضلات ، وأغلب اصابة صفاق اخصى القدم . وقد تصاب أيضا الملتحمة بالانتهاب وكذلك الصلبة وغيرها . وفي تلك الحالات الخفيفة يكون زوال الانتهاب أيضا تدريجيا وقد تطول مدته الى ثلاثة أسابيع أو أكثر ويغفل عنه كذلك يدرس في المفاصل

وسبب تلك الانتهابات كلها هو وجود ميكروب السيلان في الاعضاء الملتبنة وقد تصاحبه أيضا ميكروبات الصديد وذلك اذا وجدت المدة

(١) اصطلاح يراد به السيلان المزمن كما يحصل لكثير من الجنود وهو عسير الشفاء جدا يكاد يكون متمذرا

حال المسلمين الاجتماعية

ورسلته المرفوعة ورسائل الطبقات منها^(*)

وفيه بيان حال مشركي المنار ومساعديه ورأي الاستاذ الامام والشيخ علي يوسف فيه

٢

قد فصلنا القول في المقالة الاولى في الفرض الاول الذي رمى اليه (م. ن.) في رسالته وهو اعانة جماعة الدعوة والارشاد. واما الفرض الثاني مما رمى اليه وهو مساعدة المنار فقد علم رأينا فيه بمعلقناه على رسالته ، وهو أننا لا نقبل تبرعه للمجلة ولا تبرع غيره لانفسنا ، فمساعدة المنار تنحصر في أمرين أدناها أن يؤدي كل مشترك ماعليه من قيمة الاشتراك في كل سنة ، وأعلاهما الدعوة الى الاشتراك فيه واقتناء مجلداته وأداء حقه الذي هو عبارة عن قيمة الاشتراك

وقد وجد أفراداً قاموا بما تيسر لهم من أعلى المساعدة كالناطقة الشهير السيد محمد بن يحيى بن عقيل في سنغافورة، وشهيد العربية السيد الزهراوي الشهير وصديقه الشيخ أحمد بنهان من علماء حمص وفضلائها في بلاد سورية ، والكاتب اللوذعي الهادي السبيعي في تونس ، والفاضل الغيور محمد افندي عمر في القطر المصري . وإنما ذكرت الهادي السبيعي وقد كان وكلاء المنار بالعمولة لأنه من الأفراد الذين يقل نظيرهم في علو الهمة وقوة التأثير، وإنما لم نأسف لاضطرارنا الى ترك معاملة أحد أسفنا لاضطرارنا الى ترك معاملته لتأخير المحاسبة والمكاتب عن أوقاتها زمناً طويلاً على أننا لم ننتد بعده سبيلاً الى تحصيل حقوق المنار من أكثر التونسيين ، على ما تفضل به من التبرع بتحصيلها الوجه الامثل عبد الحليم الزاوش

وأما أدنى المساعدة وهي أداء حق المنار فمن المشتركين السابقون بالوفاء وهم الذين يؤدون الاشتراك في كل عام وأفضلهم الذين يؤدونه في أوائل السنين وإن لم يطالبوا أو يذكروا ، ويليم الذين إذا ذكروا أو طولبوا أدوا ، وإن تركوا نسوا أو

(*) تابع لما نشر في الجزء الثاني من ٨٩

تناسوا ، ومنهم الذين يلوون ويمطلون ، ومنهم من لا يخرج الحق من يده الى أمثاله
في حسن التقاضي الانكدا ، وقد يكون أبسط الناس لمن يخاف أذاه أو هجومه
يدا ، وقد بينا من قبل أحسن أقطار المسلمين وأصنافهم وفاء وأشدّها مطاللا
وانما لنقاسي من مطل الناس أو هضمهم للحق ما هو أوضح برهان على
انحطاط أمتنا ، وضيف تأثير العلم الديني والديني في نفوس أفرادها ، فلا ينبغي
أن يفتر أحد بشرة أحد في علم ولا فلسفة ، ولا بظهوره في مظهر صلاح ولا عدالة
بل يجب أن يزن الجميع بميزان النقد ، فالناس — كما قال الرسول صلى الله عليه وآله
وسلم — معادن كعادن الذهب والفضة ، أي والنحاس والحديد والزنك وغير
ذلك ، فالظاهر العلمية أو العملية كالصقال قد يحمل النحاس أو الحديد المصقولين
أبهج من الذهب أو الفضة غير المصقولين ، ولكنهما اذا تركا زمنا طويلا يغير صقل
علاهما الصدا ، وأفسدهما الطبع ، ولا يضر الحجرين الكريمين ترك صقلهما ، فان
صقلا كان مزيد كمال في جمالها وبهائها . وأنشد الغزالي في الاحياء أبياتا في اختبار
مدعي الزهد والتصوف بالمال :

لا يفسرُ ذلك من المر ٠ قصص رقمه

أو إزار فوق عظم الساق منه رفعه

أره الدرهم تعرف حبه أو ورعه

فان شئت مثلا من عبر المنار ، وما اتفق لنا من مبيكات الاختبار ، فأعظم
الامثال التي يجب أن تضرب في هذا المجال رجل من الاغنياء العلماء الشرفاء ،
يشرح الكتب الشهيرة ، ويتجلى بالحجارة الكريمة ، ويركب المركبات الفاخرة ،
تجرها الخيول المطربة ، ثم هو يلوي ويسوف في اشتراك المنار عدة سنين ، ثم يقول
لو كمل التحصيل بعد المثل الطويل ، إنه لا يدفع قيمة الاشتراك لانه عالم من
علماء الدين ، فيالله العجب هل يوجد خزني آخرى من وصف العلم أو الدين بأنه
يقتضي هضم حقوق الناس وأكل أموالهم بالباطل ، أليس الجهل أفضل من مثل
هذا العلم ؟ بل واستغفر الله من الزيادة على ما قلت
هنا وان صنف العلماء المعصمين في مصر قلما يشترك أحد منهم في جريمة أو محلة

أو جمعية خيرية، ويقل فيمن يشترك في صحيفة لغرض ما أن لا يسعى في السماح له بنصف قيمة الاشتراك أو ما دون النصف، كأنهم يرون أن الصحف يجب أن تهدي إليهم، وإن لم يهدوا أصحابها بملهم ولا بجاههم، أن كان لهم علم ينفع، أوجاه يشفع، ولكن يقل فيهم أيضا من يأكل حقا ثابتا عليه لأحد ومن أغرب ما وقع لنا معهم أن واحدا منهم كان قد أحجبتنا حياؤه وتدينه، فساعدناه في مصلحة من مصالحه مساعدة ذات شأن عنده، فعرض علينا جزاءها أو مكافأة عليها عدة جنهات، فقلنا اننا لا نأخذ أجرا على المساعدة فاشترى بها مجلدات من المنار، ثم أنه تأخر عليه اشتراك عدة سنوات فلما طوالب بها في هذا العام قال إنه كان دفع الاشتراك عنها سالفا في تاريخ كذا، فقل له ان مادفته يومئذ انما كان ثمن المجلدات السابقة فقال — وبالله العجب مما قال — بل كانت تلك المجلدات هدية من صاحب المنار!! فان كان قد قال هذا القول معتقدا صحته فهل تفكر في السبب الذي حمل صاحب المنار على مساعدته مساعدة تستحق المكافأة وعلى ترك أخذ ما عرضه عليه منها ثم على اهدائه عدة مجلدات من المنار؟ لعله يتفكر فيعلم أن لأسبب يقتضي ذلك ثم ينصف من نفسه.!! على اننا مع العلم بهذا الشذوذ من هذا العالم الحبي، وذلك المؤلف الغني، نقول ان علماء الدين أمثل من علماء الدنيا وفاة، وأسهل قضاء:

ذكرت في بعض مجلدات المنار السابقة أن علماء الحقوق من القضاة والمحامين احسن وفاة من غيرهم، وإن أقل المتعلمين وفاة كتبة الدواوين، وكمن كاتب صغير، خير من قاض أو محام كبير، وانما الناس معادن، يتفاضلون بالاخلاق لا بالعلم ولا بالمناصب، أضرب لذلك مثلا قاضيا اشتهر بدقة الفهم، واستقلال الرأي، وحسن الذوق، وانتظام الفكر، وفصاحة القول، وسلسلة الانشاء، والجمع فيه بين إقناع الفاسدة وتأثير الخيال، حتى صار يعده المدنيون من رجال الاصلاح، وكان مع هذا كله يمنع ما عليه من حقوق الافراد والجمعيات عامدا متممدا: طلب الاشتراك في المنار بلسانه، ومات وعليه اشتراك عدة سنين اعياء وكيل المنار تحصيلها منه، وكان مشتركيا في الجمعية الخيرية ومن كبار أعضائها فأمر الامتاذ الامام رئيس الجمعية بحجور

اسمه من دفاترها بعد امتناعه من دفع قيمة الاشتراك عدة سنين .

وان لنا الآن عند بعض القضاة والمهامين اشتراك عدة سنين ينس جاني المنار منهم ، وطلب من الادارة قطع المنار عنهم ، وقد ساءني ذلك لان منهم من أجل نبوغه ومروءته ، وأتمس له عفدا فيما شكنا الجاني منه ، ويعز علي ان يحشر في زرة الماطلين ، أو يدون في سجل الماضين ،

وأما الماطلون من الاعنياء الذين لم يستلموا العلم الديني ولا الدنيوي فهم كثيرون ومطلهم غشيش مشوه . مثله قول غني من الفيوم عليه اشتراك بضعة عشر سنة بلجاني المنار في القاهرة : اني ابتليت بمصائب تمنني من المطالمة منها موت امرأتي ، ومجموعات سني المنار مخفوفة عندي في الفيوم فاعطني أجرة البريد لآحضرها لك !!

ولا يعني السكوت في هذا المقام عن كلمة ثناء على فضل من أنبت أرض في مصر في هذا العصر ، بل على من يندر وجود مثله في اي مصر واي عصر ، وم الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده والوزير الكبير مصطفى رياض باشا والناطقة الهام حسن باشا عاصم ، فأما الوزير فقد يفت في فاتحة المجلد الخامس عشر انه كان أول من أراد التبرع للمنار فاشترك بشهر نسخ توزع على الفقراء ثم جعلها خمس عشرة نسخة ، وقد أقرها عبده ولد محمود باشا سنة ثم قطعها ، وفضل رياض باشا على الاهرام والمؤيد والمقتطف والمعلم بما يعرفه جمهور الادباء ، وأما حسن باشا عاصم فقد كان على وقف حياته على خدمة الامة احسن الناس وفاء ، حتى انه كان يتحرى أن يكون أول من يدفع الاشتراك للجمعية الخيرية في كل عام على أنه أكثر أعضائها خدمة لها ، وكان يدفع اشتراك جميع الجرائد في أول كل عام أيضا وكان يجي في ادارة المنار في بعض السنين حاملا الدراهم بيده

وأما الاستاذ الامام رحمه الله تعالى فقد كان أحرم الناس على مساعدة المنار بكل ما تصل اليه طاقته ، وكان كثير من الناس يظن في مساعدته له الظنون البعيدة حتى ان منهم من كان يظن أنه هو الذي يكتب ويحرر أكثر ما ينشر فيه ، وقد طعن هذا ما كاشفنا به بعض القراء حين كتبنا في المجلد الرابع ان كل ما ينشر في المنار غير معزو الى أحد فهو لمنشته ، ومن الناس من لم يرجع عن هذا الظن الا بعد وفاة الاستاذ

بعد كتابة ما تقدم نظرت في مذكراتي التي كتبها قبل انشاء المنار فاذا فيها اني جئت على موعد في مساء اليوم السادس من شبان سنة ١٣١٥ فطلعت منه ان سليم افندي الانسي أخبره بأن بعض الناس جاؤا من طرابلس الشام لانشاء جريدة . وأنه أجابه بقوله : هل علموا ان الجرائد هنا قليلة ؟ وكتبت يومئذ في ذلك ما يأتي :

« فبعد ذلك كاشفته بعزمي وأخبرته انه جاءني خبر من طرابلس بأن والي بيروت بلغه اني جئت مصر لانشي جريدة أطلعن فيها بوكلاء (وزراء) الدولة . وقلت له : المقصد أعلى من الكلام في الشخصيات وان وكلاء الدولة مدحوا كثيرا ودفوا كثيرا فاذا كان من نتيجة المدح والذم ؟

« فشرح لي الاستاذ حالة الجرائد في مصر (كما فهمته وأخبرته) وقال ان المصريين أقامتهم الظروف في حالة جملة أفكارهم موجهة الى شيء واحد من الجرائد وهو أخبار الحكومة الحالية وماذا يقال عن الخديو وعن الانكيز ولا يلتفتون الى ما وراء هذا . وهذا الامر قد قامت به ثلاث جرائد المقطم والمؤيد والاهرام ...^(١) واذا كتبت في المواضيع الادبية كالترية والتعليم أو آداب اللغة لا يلتفت الى كلامك الناس فاني لا أعرف أحدا في مصر من طلبة الأزهر أو المدارس مشتغلا باللغة وآدابها الا ان يكون في الزاوية من لم يعرف . نعم ان هذا الامر مهم ومفيد لكنه لا يأتي منه ما يكفي لثقاته ولا ينبغي التعب وانفاق المال هكذا ...

(وفيها اني ذكرت له هنا ما ذكره لي صاحب الهلال من كثرة مشتركي وأنه ارتاب في ذلك وقال ان المشتركين الذين يدفعون الدراهم قليلون وما كل من يكتب اسمه في دفاتر أصحاب الصحف كذلك . ثم كتبت ما نصه) :

« ثم انتقلنا الى موضوع الامة ومرضاها وان أنفع الوسائل في معالجتها التربية والتعليم ونشر الافكار الصحيحة » فقلت هذا واحد اني لانشاء الجريدة ، واني أسمح ان انفق عليها سنة وستين من غير ان أكسب شيئا ... فقال ان كان هكذا

(١) هذا نص ما في المذكرة بحروفه ونقطه وأتمذكر انه ذكر لي مشرب هذه الجرائد فأشرت اليه بالنقط لانه لا ينسى

فهو حسن ، وهذا أشرف الاعمال وأفضلها ، وأنا اذا كنت على ثقة من مشرب
الجريدة فاني أساعدها بكل جهدي » اهـ

ولما كتبت فاتحة العدد الاول أعجبه ما بينته فيها من خطة المنار ومقاصده ولم
ينقد منها الا كلمة واحدة في حقوق « الامة على الامام » قال إن المسلمين ليس
لهم الآن إمام انما امامهم القرآن. فتركت تلك الكلمة لاجله. ولم أطلعه على شيء قبل
طبعه مما لا يتعلق بشخصه والحكاية عنه الا تلك الفاتحة. ثم كانت تزداد ثقته بالمنار
وصاحبه (ولا محل لشرح ذلك هنا) ولكنه امره نفسه ومخافته على قيمة كلامه كان
يكتفي من الترغيب في المنار غالبا بدعاه، والشهادة بفائدته ونفعه، دون التصريح بالدعوة
الى الاشتراك فيه ، وقليلا كان ذلك يجدي لبعده أكثر الناس المومنين عن الاهتمام
بأمر الإصلاح الديني والاجتماعي ، قد اشترك في المنار عند ظهوره الافراد من أصدقائه
ومريديه بتربيته، واشترك المئات من غيرهم بغير ترغيب من احد ولم يكن في ذلك
غناء ، وما زاد دخل المنار على نفقاته الا في السنة الخامسة، وقد كان لمقالاته (الاسلام
والنصرانية) تأثير في ذلك . ولم أعلم أن عشرات من المشتركين طلبوا الاشتراك
بتأثير ثائمه عليه الا في تلك السنة وكان هؤلاء المشتركون من مديرية الدقهلية
وما جاورها، سمعوا منه ذلك الترغيب في بلادهم أيام كان فيها يوزع الاغانيات على
الذين نكبوا بالحريق ، ولا أتذكر اني طلبت منه المساعدة تصريحاً ولا تأميراً
الا في أوائل تلك الايام ، فاني كتبت اليه كتاباً أشرت فيه الى الشكوى من قلة
الاقبال على المنار - وكان في النصورة - فكتب الي كتاباً قال فيه هذه الكلمة
التي كانت أحب الي من كل ما تجدد من طلب الاشتراك ، لانها بينت رأيه في
المنار كتابة وهي :

« الناس في عناية عن النافع وفي انكباب على الضار فلا تعجب اذا لم يسرعوا بالاشتراك
في المنار فان الرغبة في المنار تقوى بقوة الميل الى تغيير الحاضر بما هو أصلاح للاجل
وأعون على الخلاص من شر الغابر ، ولا يزال ذلك الميل في الاغنياء قليلاً والفقراء
لا يستطيعون الى البذل سبيلاً ، ولكن ذلك لا يضعف الامل ، في نجاح العمل »

وأذكر أيضا أن وجها من أسرة كبيرة غنية في بعض المديرية كان يعد من حزب الاستاذ طلب مني بمحضرة ارسال المنار الى بضعة عشر مشتركا من أقاربه وأصحابه على انه هو الكافل لهم ، والملتزم لتعصيل قيمة الاشتراك منهم ، فأرسلناه اليهم ، وبقي عدة سنين لا يدفع عن نفسه ولا عن أحد منهم شيئا حتى في حياة الاستاذ ، ثم بعد تكرار المطالبة وصل اليئامن ومن غيره اشتراك بعض السنين من بعضهم ، ويشنا من الآخرين فحونا أسماءهم .

وأما أصحاب النفوذ والوجاهة من أصدقائه — الذين كانوا أقدر منه على نشر المنار لو أرادوا لتصريحهم بما لا يصرح هو بمثله — فلم أعلم لأحد منهم مساعدة تذكر الا ان مصطفى بك الباجوري رحمه الله تعالى طلب المنار لجامعة في طنطا أكثرهم من أصدقائه المحامين . على أن كثيرا من جماعة الاستاذ ما كانوا يدفعون قيمة الاشتراك ولا كنا نحن نطالبهم بها لاجله ، وهو لم يأمر بارساله الى أحد بغير من الا الى اثنين من أصدقائه (أحدهما) شيخ صوفي صالح مشهور في الوجه القبلي (وثانيهما) قاض شرعي من اخوانه مريدي السيد جمال الدين في الوجه البحري ، (رحمهم الله أجمعين)

وجملة القول ان الاستاذ قدس الله روحه صرح لي بما حقيقة انه لم يعمل للمنار ما يجب عمله له ، بل قال لي مرة أو أكثر من مرة : اني لم أعمل له شيئا . أي ما يعمده هو شيئا يذكر ، ولا سيما بعد ما رأى من مقاومة أعدائه له ، وعدم قيام أصدقائه بما كان يجب من مساعدته ، على ما رأى من شدة ميله ورغبته ، وقد كان هو يقوم بموافاة رغائبهم وقضاء حوائجهم بمجرد الشعور بها ، ولا ينتظر منهم إلحاحا ولا تصريرا بطلبها ، وكان يجب ان يكون كل فرد منهم أولى بذلك منه ، لا لأن له الفضل عليهم ، والمقام الاعلى فيهم ، بل لانه أشدهم حياء وأرقهم شعورا . فلا ينبغي لمن عرف طباعه وأخلاقه العالية ان يكلفه ما لا يليق بها ، كالتصريح بطلب الشيء بلسان المقال ، مع العلم به من دلالة الحال ، على انه هو لم يكن يكلف صديقه مثل ذلك وان كان ذلك الصديق لا يستحي منه ، ولا يتقبل مثله على طباعه وأخلاقه .

من أجل هذا كانت مقاومة أعداء الاستاذ للمنار أعظم من مساعدته له ، وانما

كانوا يقاومونه لتتويجه به ، وأذاعته لملئه وفضله ، واني أذكر في هذا المقام كلاما للشيخ علي يوسف صاحب المؤيد عفا الله عنه فيه عبرة لصاحب الرسالة التي أوجبت كتابتنا لهذا المقال ، ولغيره ممن يمتدحون بوقائع الاحوال ،

قال لي الشيخ علي يوسف مرة: إنك أنت رجل غير عادي فقلد أوتيت من العلم والبصيرة ومعرفة حكم الدين واسرارها وما يحتاج اليه المسلمون من الاصلاح في هذا العصر ومن حسن البيان ما جعل بجانبك من الحاجات الضرورية التي لا غنى للمسلمين عنها اذا أرادوا أن يرتقوا في هذه الدنيا مع المحافظة على دينهم، وكان يجب أن يوجد المنار في كل بيت من بيوت المسلمين ، ومصر مستعدة لرواج هذه الافكار فيها وانت هنا غريب ليس لك اعداء ولا حساد إذ لا يدرك احد قيا مزاجها له في جاهه وصيته. الا انك التزمت في المنار اطراء الشيخ محمد عبده والتتويه به، وهو اهل لذلك الا انه غير محتاج اليه الا لا يزيد في قدره عند عارف في فضله الكثيرين ولا ينقص غيرهم من مبعضيه ، وان للشيخ اعداء كثيرين لهم نفوذ في البلاد، وانت بهذا التتويه به تجعلهم خصوما للمنار يقاومونه ويفترون الناس منه، واكثر من يسمع ذلك منهم يأخذ به بالقبول، فغير لك أن تترك هذه الخطوة وتسلط في ذكر الشيخ طر بق المؤيد بأن تبر عنه اذ لم اقتضت الحال ذكره بأحسن ما يقرن بأسماء كبار العلماء وهو لقب « فضيلة الاستاذ فلان - أو بزيادة - السلامة فلان » فهذا تأمن كيد أعداء الشيخ لك المنفذي الى حرمان أكثر المسلمين بمصر من الاستفادة من المنار

فقلت له انني أعلم قدر ما في هذا الكلام من النصيحة واني قد علمت بالاختيار ان أعداء الشيخ يصدون عن المنار وقلا يوجد من يعارضهم في ذلك . ولكن المنار أنشئ للاصلاح لا للتجارة ودعوة الاصلاح لا يرجى ان تتجيع وتبقى الا اذا كان للاصلاح زعيم يرجع اليه ويوكل عليه ، ولا أعرف أحدا في المسلمين اهلا لهذه الزعامة بعلمه وبصيرته واخلاصه وأخلاقه الا هذا الرجل ، فأنا أقصد بالتتويه به ترشيحه لزعامة الاصلاح في العالم الاسلامي كله لا في مصر فقط . وهذا الفرض ركن من أركان الاصلاح يرجع على كثرة قراء المنار في القطر المصري. فقال اذا كان الامر كذلك فأنت أدري بشأنك

هذا — وإن هذا القول من الشيخ علي يوسف قد كان قبل اشتداد غضب
الامير على الاستاذ الامام واظهاره للناس وما ترتب على ذلك من التقاطع الاخير
بين الاستاذ والشيخ علي ، ومن سعي كثير من كبار المقررين للامير للتفريق بيني
وبين الاستاذ رحمه الله تعالى ، اذ كان من كلفه في ذلك الوزير الشهير بطرس باشا
غالي ، ومن كلمني فيه قبيب الاشراف وشيخ مشايخ الطرق الشيخ توفيق البكري .
ولا حاجة الى شرح ذلك في هذا المقال

لن صاحب الرسالة (م . ن) يعلم ما لا يعلمه الا الاقلون من تاريخ المنار وما
لقي من المقاومة وكونها على قوتها لم تكن مانعة من انتشاره واحترام كبراء الامة
— حتى خصومه — له ولنشئه ، وأنه على كثرة ما كان ينتقد العلماء ويلقي عليهم من
تبعة فساد دين الامة ودنياها لم يتصد أحد منهم للرد عليه مع دعوته ايامه الى اعتقاد ما يرويه
مستقدا فيه على رأس كل عام ، ويعلم أيضا أن مقاومة الاحراء والكبراء من العلماء
وزعماء الحزب الوطني وغيرهم لم تكن صادرة من دونهم في الجاه كعمدنا قندي عمر بن
الدعوة الى الاشتراك في المنار ومن استجابة كثير من الناس له ، ذلك بأن الحرية
الشخصية قد رسخت في البلاد ، حتى صارت مستعدة لقبول كل دعوة وانتشارها
بقدر من يقتنع بفائدتها من الافراد . ولكن الدعوة لا تنجح بنشر مقالة أو مقالات
معدودة ، بل يشترط لنجاحها أن يكون لها دعاة دائبون ، وتأثير القول فيها أكبر
من تأثير الكتابة ، ولا بد من المواظبة والتكرار كما علم من سنن الله تعالى في كل دعوة
الى إصلاح أو إفساد ، فهذا هو سبب حكمنا على رسالته بأنها لا تقضي الى نيل المراد
فالاقوال والافعال العارضة الموقته ضعيفة التأثير في الامور العامة ، وإنما المدة فيها
على الدعوة الدائمة ، فقد أيد المنار أقوى من أنبت هذه الديار حجة وتأثيرا روحيا ولم
يكن نجاحه بتأييده وتنشيطه ، وخذله وثبط عنه أعظم من فيها نفوذا ولم يحجب بخذله
وتثبطه ، وقد زالت والله الحمد تلك المناهضة فلا يخشى ان يلقي الداعي بعدا ، ولا معارضة
ثم لم يعلم صاحب تلك الرسالة ان المنار ثابت بفضل الله تعالى وإن اقتطع عنه منذ
بدأت الحرب الأوروبية كل مدد كان يأتيه من البلاد الصغانية والروسية ومن المغرب
الاسلامي ، وكذا من المشرق والمغرب الا قليلا ، — وإن همت ادارته أيضا
(المنار : ج ٥) (٣٩) (المجلد التاسع عشر)

أسماء مثبات من مشتركي القطر المصري ؛ بعضهم بحق وبعضهم بغير حق بل بشهادة غير عادلة من الجلباء . — وكان هذا في فترة بضع سنين لم أنظر فيها شيئا من أمر الادارة وقد قضيت كثيرا منها في الاسفار — وان المتأخر من مال الاشتراك على الثابتين من المشتركين يزيد على ألف جنيه مصري . واني لا أعترف بأن جل التبعة في ذلك على تقصير الادارة وتركها مطالبة الكثيرين منهم لا على من طولبوا فلولا ومطلوبوا ، وانا نرجو ان توفق ادارتنا فيما شرعت فيه من الاصلاح الى اقتضاء حقوقنا بالحسنى ، قلما يوجد في مشتركي المنار من يستحل أكل ماله بالباطل وهضم حقه بغير عذر ، ولكن يثقل على بعض من عليهم اشتراك عدة سنين ان يؤدوها دفعة واحدة ، ولا يضرننا تأديتها أقساطا متعددة ، وإن منهم أفرادا يطعمون بأن ترك لهم شيئا مما عليهم برضا منا ، ومن هؤلاء من يتوسل الى ذلك بأن بعض الاجزاء لم يصل اليهم ، وحينئذ انه كان ينبغي لهم ان يطلبوها في وقتها وإذا ارسلت اليهم بغير عن حسب الشرط ، وانا نعلم بالاختبار ان كثيرا من المشتركين فضل عندهم الاجزاء أو يأخذها بعض أصدقائهم من مكاتيبهم أو بيوتهم من حيث يدرون أو من حيث لا يدرون ، أو تضعف بانتقالهم من مكان أو بلد الى غيره ، ثم يتوهمون انها لم تصل اليهم البتة وقد هزمتا على ان نبذل جهدنا في حسن الاقتضاء ، راجين من الاكثرين حسن القضاء ، وعلى ان نكتب بعد ذلك ما نرى فيه الفائدة من الاختيار ، ومنه التصريح بأسماء المحسنين والمسيئين في القضاء ، ليكونوا عبرة للمعتبر بحال المسلمين ، ونؤكد البشارة لآخينا (م. ن) الداعي الى مساعدة المنار خوفا من سقوطه بما أحدثته الحرب من الصرة ان ما على خيار المشتركين في القطر المصري وحده يزيد على ما يحتاج اليه من التمتع فلا يضره انقطاع المدد عنه من الخارج ، فاذا كان يجب زيادة انتشاره لاجل تعميم فائدته فالطريق الى ذلك هي الدعوة الى منهجه الاصلاحى ، ولكل دعوة أهل ، ولكل مجتهد نصيب ، ودعوة الاصلاح بالحق أحق أن تستجاب ، ولا سيما اذا روعيت فيها الحكمة وفصل الخطاب ، (أفن يهدي الى الحق أحق ان يتبع أم من لا يهدي الا ان يهدي ؟ فإلهم كيف نحكمون !)

رحلة الحجاز

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أحمد الله تعالى أن وقفني في هذا العام لتلبية دعوة أئينا إبراهيم ، عليه وعلى آله الصلاة والسلام ، بأداء فريضة الحج ، وإكمال المناسك بالعج والشج ، ثم أحمد عودا على بدء أن وقفتي الوفاء لوالدي بالحج معها . بعد أن حالت دونه الأقدار بالأعذار تارة من قبلي وتارة من قبلها ، بل أحمده قبل ذلك كله أن هضر من سخر من الدول لازالة ما أحدثته الحرب الاوربية العامة من موانع السفر والبحار الى الحجاز ، ولتكلف إعداد السفن لحل الحجاج ، بعد أن وفق الشريف أمير مكة للقيام بأمر استغلال العرب في تلك الاقطار ، ولعاهدة تلك الدول المتصرفه في جميع البحار ، فسبحان من سخر من شاء لما شاء بتوفيق أقدار لأقدار ، وأظهر حجه على الخلق في كل عصر من الأعصار ، من آيات يزداد بها إيمان المؤمنين ، ويحق بها القول على الجاحدين ، — والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين ، الامي الذي أرسل لتعليم الاميين والكاتبين ، العربي المبعوث لتوحيد الامم باللغة والدين ، وعلى آله وأصحابه الكرام ، الذين أخذوا عنه المناسك وأحيوا شعائر الاسلام

أما بعد فان ركوب الالوف من المسلمين لتون البحار ، وجذبهم من أقصى المغرب والمشرق لأداء فريضة الحج في هذا العام ، يصح ان يعد من تأييد الله تعالى للاسلام ومن المعجزات الدائمة لخليه ابراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام ، ومصدقاً لقديث « ان الله سيؤيد الاسلام برجال مام من أهله » وقد ورد بلفظ آخر صرحوا بصحة سنده . أوليس خذلانه — جلّت قدرته — لحكومة الاتحاديين الملحدين ، بما أقدموا عليه من التثكيل بالعرب واتتهالك حرمان الدين ، وتوقيفه — عمت رحمة — لأمر مكة ومن نعه من المسلمين ، بالخروج على البغاة المارقين ، وتسخيره — بهرت حكيمته — لدولي الفرنسيين والبريطانيين الكتائبيين ، بحمل الحجاج من الغرب والشرق الى البلد

٣٠٨ كون الحج تلبية لدعوة ابراهيم وما كان من الموانع دونه [المنار: ج ٥ م ١٩]

الامين = أليس هذا كله أقدارا تابعت ، وأسمرارا تشايحت ، فأنجلت عن استجابته سبحانه وتعالى لدعوة ابراهيم خليله ، وإحياء شريعة محمد عبده ورسوله ، بعد ما كاد يظن ان أسباب الحرب الظاهرة ، حالت دون تلك الدعوة الطاهرة ، (١٤ : ٢٩) ربنا إني أسكنت من ذُرِّيْتي بوادٍ غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي اليهم وأرزقهم من الثمرات لعلمهم يشكرون) بلى وإنما تؤيد ما روي عن ابن عباس ، من تلبية الناس لتلك الدعوة في عالم الارواح ، اذ قام عليه الصلاة والسلام بعد فراغه من بناء البيت العتيق ، مثلاً قول الله له (٢٥ : ٢٢) وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فجٍّ عميق ٢٦ ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام ، فكأوا منها وأطعموا البائس الفقير ٢٧ ثم ليقتضوا أنفسهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق) * فقد روي عنه ما معناه أن الله تعالى أمره أن ينادي بذلك وقال له عليك النداء وعلي البلاغ ، وأنه قام في مقامه (المروء الى الآن بمقام ابراهيم) وقيل في الحجر وقيل على الصفا وقيل على أبي قبيس فنادى يا أيها الناس ان الله قد اتخذ بيتا فحجوه — فاجابه كل من كتب الله له الحج الى يوم القيامة قائلين « لبيك اللهم لبيك » فان لم تكن هذه الاجابة حقيقية في عالم الارواح ، ولا عبارة عن الاجابة بالقوة ولسان الاستعداد ، فهي تمثيل لما تظهره مجاري الاقدار ، من وراء حجب الاستقبال ، فتشاهده الاجيال في كل حول من الاحوال لقد كان التزوع الى حج بيت الله الحرام ، هوى ساكن في القلب يمركه الموسم في كل عام ، وتحول موانع الاقدار دون جذبه البدن الى تلك المشاعر العظام ،

(١) التأذين والاذان بالتلبية التنداء للاعلام به . والرجال جمع راجل ومع المشاة ، والمعنى يأتوك مشاة وركبانا على كل ضامر من كل ضامر من الابل وغيرها وهو الميزول من طول السفر ، وأتين صفة لكل ضامر . واتبع الطريق والمسلك المنفرج بين الجبال ونحوها ، والسبق البعيد الدور أو المدي ، والايام المعلومات يوم النحر وأيام التفرق بسببه ، وكذا يوم عرفة في قول ، والامر بالاكل من لحوم ذبائح الهدي التي تذبح بمعنى في تلك الايام — ومنها الاضاحي في سائر البقاع — للندب عند الجمهور والوجوب عند طائفة . والتفت للناسك ، أو التحلل من الاحرام الذي يزال به الوسخ بالحق والطيب اذ أصل التفت الوسخ . والمراد بالطواف هنا طواف الاغاة الذي تم به أو كان الحج فيتم التحلل منه .

[المنار: ج ٥ م ١٩] أوهاهم المصريين في حج هذا العام قبل حصوله ٣٥٩

وأهمها ما كان أولا من عدم الامن على النفس من ظلم الحكومة الحميدية ، ثم ما هو شر منه وأذى من إلحاد الحكومة الاتحادية ، ومنها ما كلف في بعض السنين من عدم استطاعة السبيل ، أو عجز السيدة الوالدة عن الرحيل

فلما دعت الحكومة المصرية المسلمين في هذا العام الى الحج بألسنة الصحف المنشورة ، والتزمت حل من يحج الى جدة ذهابا وإيابا بأجرة قليلة ، تاركة ما كانت تتقاضاه من كل مريد للحج من التأمين المالي ، وعلمنا أن هذه الدعوة مبنية على تأمين الشريف أمير مكة للبلاذ ، وإزالة كل ما كان هنالك من أسباب العيث والفساد ، - صادفت هذه الدعوة في أنفسنا أتم الاستعداد والاستطاعة ، واتفاء جميع الموانع دون هذه الطاعة ، بل تأكدت داعية الفريضة ، بما يرجى في أثناء أدائها من واجب النصيحة ، التي تقتضي الحال الحاضرة أداءها لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ، وقد علمنا أن طريق الحج ، قد مهد لمسلمي الشرق والغرب ، الذين حالت بيننا وبينهم الحرب ، فلا سبيل للتواصل بيننا وبينهم من الطاق ولا من الباب ، ولا للتناصح بخطاب ولا كتاب ، ونحن الآن أحوج ما كنا الى التناصح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر ، والتعاون على ما يحجب من التقوى والبر ، فهل تتوانى في أداء هذه الواجبات ، وقد ابيحت لنا في أشرف الامكنة وأفضل الاوقات ، إذ تؤدى المناسك في بيت الله ومشاعره العظام متى والمزدلفة وعرفات ؟

نعم ان حكومة هذه البلاد آذنتنا بإياحة الحج في هذا العام ، فذكرتنا بإيادها به أذان ابراهيم عليه الصلاة والسلام ، فلي القلب داعي الله قبل تلبية الاسان وسعي الاقدام : « لبيك اللهم لبيك لبيك ، لاشريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لاشريك لك » فلم تكن ممن يشبههم عن هذه التلبية إرجاف المرجفين ، ولا خرس الخراصين ، ولا إفك المذاعين . الذين أذاعوا في طول البلاد وعرضها ان من يقصدون الحج في هذا الاوان ، يلقون بأيديهم الى التهلكة بما أعد لهم من مدافع الترك وطيارات الامان ، ولا قولهم إن صاحب المنار مرسل مع وفد العلماء الذين أرسلهم سلطان مصر لمبايعة شريف مكة بالخلافة ، ولا قول بعضهم إنه هو الذي يريد ذلك دون العلماء ولا قول بعضهم بالعكس ، فالفرائض والواجبات لا تترك

لتقول غوغاء الناس، ولا لاوأمام العوام ولا الخواص، وحسبي ان أعلم انني أحج
لوجه الله تعالى منقلا من مالي الذي أعتمد حله وقد ادخرته لذلك في هيمان منذسنيين،
واني ابغني زيادة الاجر عند الله تعالى بصحبة والدتي وخدمتها في هذه السبيل،
وبما أبغيه من الازدياد من العلم النافع والاختيار والاستفادة من أهل العلم والبصيرة،
وبما أنويه من النصيحة لكل من أرى الفائدة في نصحه من اخواني المسلمين في تلك
البقاع الطاهرة الشريفة، بما أرى فيه الخير والمصلحة لأمي في أمري دينها ودنياها،
لا أحابي في ذلك شريفا ولا أميرا، ولا أغش فيه سوقة ولا فقيرا، وانما الاعمال
باليات وانما لكل امرئ ما نوى. كما قال الصادق المصدوق صلى الله عليه وآله وسلم.
على ان حبل الكذب - كما تقول العامة - قصير، ولا سيما اذا كان في شيء.
كالهيج موعده قريب، ففسر الهيج في هذا العام كان أقل من خمسة أسابيع، فما
أسرع ما ظهر كذب تلك الاقاويل

لم يبق أحد في مصر الا وقد علم ان حجاج بلاده قد دخلوا المسجد الحرام
بمشيئة الله تعالى آمنين، وأدوا مناسكهم وقضوا تقفهم محققين رؤوسهم ومقصرين،
وعادوا الى أوطانهم سالمين مغبوطين، وان الشريف لم يدع أحدا من الحجاج الى
مبايعته، ولا يزال الخطباء يدعون للسلطان العثماني في بلاده، وان صاحب المنار
لم يكن بينه وبين وفد العلماء السلطاني خلاف في امر ابايعة الخنصرة بمصر ولا في غيره،
وانه عاد مع والدته الى أهله وولده وموطن عمله كسائر الحاج، اذ لم يذهب مدعوا
الى منصب قاضي القضاة ولا مشيخة الاسلام، وما هو ذا يقص خبر رحلته، على
جميع من يطلع على مجلته، بما يهد قراؤها من صدقه وصراحتة، اذ كان - ولا
يزال - يشرح ما طرأ من الفساد على الرؤساء والحكماء، وما سرى من الضلال
وانحرافات الى العوام، غير مبال بسخط الخاصة، ولا مهتم باستالة العامة، (والله يقول
الحق وهو يهدي السبيل) :

(لها بقية)

باب الشعر والادب

قال محمد توفيق علي^(١) من قصيدة له في مديحه عليه الصلاة والسلام

هل مريوم لم يلح فيه أفقه	شمس تضيئ لنا من القرآن
هل هزت الاجيال دين محمد	فرائده غير مثبتت الاركان
هل ينكر الثقلان أن نبينا	كنز العلوم وكعبة العرفان
ومثبت التوحيد في أركانها	بالمعجزات وساطع البرهان
ولربما جعل الحسام نصيره	في ردع أهل الظلم والطغيان
وأعادها نورا وكانت ظلمة	دهماء سابغة على الاكوان
لو أننا متمسكون بدينه	لم يرض منا مؤمن بهوان
ولما هز منا لو تجملت المعدا	لقتالنا واستظفروا بالجان
لكننا فشت المعاصي بيننا	وتحكمت فينا يد الشيطان
توبوا الى الله الكريم وأصلحوا	أعمالكم خافوا من النيران

وقال في أصحاب السوء

لي أصحاب اذا عاشرتهم	لا تقل ان عثروا يوما لعا ^(٢)
يا أكلون السحت فيما بينهم	ليس من جوع ولكن جشعا
يمزجون الخمر بالماء فهل	مزجوا أن شربوها أدمعا
قعبوا عن كل فخر وعلا	وسعى للعار منهم من سعى
وهم والله في أعناقهم	لا يحبون التقى الورعا

(١) هو ضابط (يوز باشي) في الجيش المصري وكان رفيقا لنا في سفر الحج وسياتي ذكره في الرحلة (٢) يقال للعاثر « لعا لك » دعاء له - أي أنعشك الله وأقامك من عثرتك . واذا دعي عليه يقال له : لا لعا لك

كم نهيناهم عن الخمر فلم يحدوا من دونها منتجما
 كم زجرناهم عن الفحش فلم يحدوا في غيره متمسا
 انهم قد ظلموا أنفسهم فاصفح اللهم عن رجسا
 ﴿وقال في ذم الخمر وضررها﴾

خذوا كأسها عني فما أنا شارب ولا أنا عن ديني وذيياري راغب
 لقد حرم الله المدام وانسي الى الله مما تستحلون تأتب
 لئن بثت جبارا على الارض قاهرا فليست لجبار السماء أحارب
 أشرب سما ناقما في زجاجة تحوم حوالي شاريه المصائب
 لئن شهبوا كاساتها بكواكب فكم أنذرتا بالنحوس الكواكب
 وان عصروها من خدود كواكب فكم من بلا يجرهن الكواكب
 ﴿وقال في تفضيل الماء على الخمر﴾

إذا طاف بالكأس الدهاق عليكم فما أنا منكم يبرأ الله منكم
 لي الماء وحدي لا أبالي بجمعكم رضىتم غضبتم ختم أو وفيتم
 فصقق أباريق المدام وهاتها زلا لا فنفسي أو شكت تنضم
 فتلك مدامي لا بنات دنائهم وذلك زجاجي لا الزجاج المقدم^(١)
 إذا رقرقت في الكاس ألفت فضة تدفق أو ذوبا من الدر يسجم
 يقطرها الدن الحلال^(٢) كأنما تتابعها عقد من الدر ينظم

(١) الاناء المقدم ما وضع على رأسه القدم وهو يفتح الفاء وكسرهما ليف
 يصفى به ما يصب منه في الاكواب. يقال قدمه بالتخفيف والتشديد وأقدمه
 (٢) الدن بالنج وعاء كبير للشراب ووصفه بالحلال باعتبار ما فيه . وتقطير الماء
 إسلته قطرة بعد قطرة ولعله أراد بالدن المقدم ما توضع عليه المصفاة (الفلتر)
 واستناد التقطير اليه مجاز

يرن رنين العود في كل قطرة
 وشتان بين الماء والحجر في فم
 فمن شاء أن يلتقي جهنم قبل أن
 تجاذب روح الشارين بنشوة
 ومن خاف ناب الافعوان ينوشه^(١)
 يمزق أستار النفوس لُعا به
 منسابع أدواء موارد ريبة
 وطاب لأصحابي من الحمرنتها
 يقولون شرب الحمربات فريضة
 فهل ترى أنا نموت بتركها
 ألم يكفكم وردا كؤوس مزاجها
 وتضييعكم عز البلاد وهدمكم
 أقامته أطراف الدوالي وصانه
 اذا مالت الدنيا به قام ركنه
 ألا أبلغوا اهرام مصر توجمي
 وقولوا للمسيس بن سبتي أفق لنا

كأن قيانا تحته تترنم
 ولكن ذاحل وهذا محرم
 يموت فقي حان المدام جهنم
 تكاد لها أحشاؤهم تنضرم
 فقي كأسها ناب خفي مسمم
 ويلطم ناب الشارين فيهم^(٢)
 تطول بها البلوي ويقذى بها القم
 وأوهمهم شيطانها فتوهوا
 علينا فلسنا ان تركناه نهضم
 فقلت لهم موتوا فلا خير فيكم
 من الذل والحمرمان صاب وعلم
 بناء حقيقا انه لا يهدم
 قرونا على الدنيا الحديد المثلم
 ينطح رُوق النجم والدهر مرغم
 وان تك لا ترني ولا تترحم
 أتركنا في ذا الشقاء وتدم^(٣)

باب المراسلة والمناظرة

﴿ جمعية آداب اللغة العربية بلندن ﴾

سيدي الاستاذ محرم « المنار »

لا أرى بداً — اذا سمحت مكارمكم — من نشر كتابي هذا في « المنار »

(١) الافعوان بالضم ذكر الافاعي وينوشه يتناوله ويأكل منه. استعمله بمعنى ينهشه (٢) يعني أن لعاب الكأس وهو الخمر يفسد الاسنان ويثقلها فعبر عن ذلك بلطم الناب وهتمة أي كسره (٣) لا ندري من أين علم الناظم أن رمسيس سعيد ناهم

(المجلد التاسع عشر)

(٤٠)

(المنار : ج ٥)

ولي من ظاهر عنايتكم بهذا المشروع شفيح بذلك ، ومن تكرار تحريري في المجالات الاخرى حذر في الركون اليكم ، فان من الضروريات في جميع الاعمال العامة الكبيرة كسب تضديد مجموع الصحافة لاصفة وقتية بل بصورة دائمة . فلا بد اذن لعلمي العائر من تكرار الاعلان عن هذا المشروع ، ومن أمثال فضيلتكم ترجى الموازنة الادبية الوجيهة فيما يذهب بضرر ويجلب فائدة للشعوب المستضفة التي تذودون عن كرامتها وتناضلون عن حقوقها .

أغراض المشروع واضحة جليلة وقد سبق لكم نشرها في « دعوة اللجنة التحضيرية » ، وكلها تدور حول نقطة جوهرية وهي خدمة اللغة العربية بجميع الوسائل الميسورة ، وتحت هذا تنطوي عدة مسائل أدبية اجتماعية وقومية حيوية لا يخطئ في تقريرها المفكر البصير .

يسأل بعض القاد: لماذا أشر كنا معنا — نحن العرب — المستشرقين في عمل كهذا جدير بنا أن نستغل به؟ وهو سؤال غريب اذ ماسمعت أن العلم مقيد بقيود الجنسية، وما من مطلع الاويقرو مؤلف « تاريخ آداب اللغة العربية » على قوله في مميزات النهضة الادبية الاخيرة منذ سنة ١٧٩٨ م الى الآن : « من العوامل الرئيسية في احياء آداب اللغة العربية في هذه النهضة اشتراك الافرنج في درسها ونشر كتبها والتنقيب عن تلك الكتب في مظاهرها . وليس اهتمام الافرنج بالآداب العربية حديثا فانه يرجع الى الاجيال الوسطى قبل نهضتهم الاخيرة لانشاء تمدنهم الحديث » فقوم هذا شأنهم وتلك آثارهم يجب أن نزلهم منزلة الاكرام ، ان لم يكن لحمة العلم والادب عامة فاحرمه لغتنا التي هي ديوان أخلاقنا وحضارتنا وأدبنا . فمن الاعتراف ونكران الجليل أن ينمى علينا هذا التصرف وأن نغالب به . ومن الفكاهة المرة أن يشترط على طالب علم افادته عن سيرة رئيس « اللجنة التحضيرية » وسيرة كل عضو من أعضائها قبل أن يتبرع بمبلغ واحد لهذا العمل « وان راق لديه كثيرا » لهذا الحد بلغ بنا التحفظ والتهيب وسوطين بعضنا ببعض الآخر؟ يكفي في الرد على مثل هذا السؤال أن يقال: ليس بين أعضاء اللجنة التحضيرية إلا من يغار على نهضة اللغة ، وكلنا طلبة علم نريد ترقية معلوماتنا ونميرن أنفسنا

على الترجمة ثم التأليف ، وتعيد أقلامنا على لغة مهذبة نقية مع تعيين الكلمات الاصطلاحية العلمية والفنية متحدّين لغة الكتابة السليمة التي هي في كل أمة لغة العامة . وبعبارة أوضح إننا من أوساط المتعلمين لا مميزة لنا غير اجتهدنا واقدامنا على أداء واجب تناساء من هم أقدر منا ، فلسنا بالفلاسفة ولا بالفنّانين ، كما لا أعرف أننا وضعنا في درجة العوام والغوّاء . ولأننا من يصطادون الاموال لنفع جيوبهم ، ولا ممن صدرت عليهم أحكام المحاكم الجنائية ولا غيرها ، فعلاّم يتخوف من يروقه العمل من التبرّع ، وكل قرش وكل جنيه يرسل باسم اللجنة يودع فوراً في « المصرف الاهلي المصري » بأنندن ؟

وأما الاستاذ مرجليوث فلعل شهادة سواي فيه أولى بالاعتبار . قال مؤسس « الهلال » وقد أوجز كثيراً كعادته : « ليس بين قراء العربية من لا يعرف الاستاذ مرجليوث لما نذكره من آثار قلّمه في خدمة اللغة العربية بالتأليف أو النشر . وقد تلقى علومه في جامعة او كسفورد وتولى تعليم اللغة العربية فيها من سنة ١٨٨٩ م ، وهو يمتاز على الخصوص بسمة معرفته في اللغة العربية وآدابها . يكتّاب أصدقاءه من العرب بأسلوب عربي خالص من شوائب العجمة . وله فضل نشر كتب عربية هامة آخرها كتاب معجم الادباء لياقوت الحوي . وقد نشر رسائل أبي العلاء مع ترجمتها الانكليزية وهو عمل لا يستطيعه الا القابض على ناصية اللغة العربية لان هذه الرسائل لا يفهمها العربي الا بمراجعة المعاجم ، ونشر آثارا عربية تاريخية وشعرية ، وقطعة بابيروس عربي كانت في مكتبة او كسفورد . وألف في مشاهد اورشليم ودمشق كتابا حافلا بالرسوم والشرح ، وله كتاب في سيرة النبي بالانكليزية . وترجم الجزء الرابع من تاريخ النّدن الاسلامي الى الانكليزي وله مقالات عديدة في المجلة الاسيوية الانكليزية وغيرها » . اهـ

وكتب الي أحد الفضلاء يسألني عن زينة العمل من الوجهة السياسية « حيث أن مركزنا السياسي الحاضر هو في نظره أهم المسائل » مع أننا أبتنا مرارا أنه ليس لهذا المشروع أي صبغة سياسية ، وما تطرقت السياسة الى عمل كهذا الا أفسدته . وإن يبدل حالتنا السياسية جمعية ولا جمعيتان ، فإن الملبل لا يبرأ بالاعلان زورا عن عافيته ، بل

بأسئصال دائه وعائه . ولكن اذا كنا ومعظم الافريقين والشرقين والعرب عامة معاديين في نظر الاوربيين بمرتبة البهام ، ألا بعد من الحكمة اذن تخفيف هذه الوطأة باظهار فضائلنا في أدوار نهضتنا العلمية والادبية وتصحيح الفاظ الفاحش الشائع عنا ، فكل هذا يمكن تحقيقه بهذا العمل الجامع أيضا لمزاياه الادبية البهجة .

لو كانت لنا في هذه الديار منزلة من الاحترام لما راجت على حسابنا رواية « قصة » التي هي كانت ظاهرا وفضيحة اجتماعية وتاريخية كبرى لنا . ولئن انتقد بشدة تمثيلها مثل القائد الانجليزي السير سمث دروين رحمة بالآداب العامة ، فلعله واهل كثيرين سواء من عالية القوم يعتقدون صحة ما تمثله تلك القصة الخيالية من السكائر آسفين على حالنا الشائنة فيا للعصائب !! واذا كانت كل من روسيا واليابان رغما عن تحالفهما مع انجلترا يقدران أن أصدق التحالف ما كان بين الشعوب بعضها مع البعض لا ما بين الحكومات فقط ، فأصبحت جريدة « الشمس » تصدر من حين الى آخر بفضل المساعدة المالية التي تنهبها كل من تينك الحكومتين ملحقات ضافية شارحة الحياة الروسية واليابانية بكل أسلوب ووسيلة جذابة للرأي العام الانجليزي ، أينى علينا نحن المرموقين بالازدراء والسخرية الذين لا تربطنا محاملة ولا جامعة حرة راقية بأوروبا - أينى علينا أقدامنا على عمل كهذا يشمل ما بين أغراضه ازالة سوء التفاهم بين الغرب والشرق أو بالاحرى بين الفرنجة والعرب ؟

يقول كولردج : « اللغة عدوة العقل الانساني الجامعة لغنائم فتوحاته السابقة وأسلحة انتصاراته المستقبلية » ويقول وليم سمث : « اللغة هي ذكرى النوع الانساني هي عصب حياة متمدن بين جميع المصورير بطها بالوجود المشترك الطويل المتري : » ويقول هير : « اللغة مقياس الفكر والخلق القومي » ويقول السير ه دافى : « ليست اللغة ناقلة الفكر فقط بل هي أيضا عدة عظيمة صالحة في التفكير . » وفي كل هذه الحكم الغالية العصائب أحسن جواب لمن تبغ بهسم المغالاة في الانتقاد الى « الجوزع » من غيرة الشبان على لغتهم ، قائلين ان اللغة وسيلة لا غاية « وحرام » أن ننسى بها هذه العناية . . . لأنكر أني اعتبر اللغة وسيلة لا غاية وان صالحت أيضا لأن تكون غاية مطلقة كفن جميل ، وما لنا من يدعو الى الكلام المتوعر المعقد الذي

يكاف الذهن المشتقة في فهمه ويحتم العقل به ، ولكن من الواجب علينا أن نصون لفتنا عن الابتذال الذي تدلّ اليه معظم المعربين ، ومن المفروض علينا أن تمشي مع الزمن في ترقية الوسيلة التي تتلقى بها العلم والأصيح العلم دائماً غريباً عنا ، ومن الحكمة أن نظهر لفتنا في مظهر عزيز لائق بها « لانها مقياس الفكر والمخلاق القومي » على حد قول هير . وفي اغراء الشبان العرب في أوروبا بالعناية بعمل أدبي علمي اجتماعي كهذا ما يصرفهم عن مضاعفات الوقت والصحة والمال ، وما يساعدهم في دراستهم وفي تهيئة أنفسهم لخدمة أمهم في الحاضر والمستقبل .

لا يكابر أحد في أن الامة اذا ترقّت نهضت معها اقتها ونالت احترام الاجني لها ، ولكن اللغة كذلك من أقوى دعائم الرقي ، ونهوضها من نتائجها كما أنه من وسائل النهوض العام للامة ، فهوض الامة ونهوض اللغة على ذلك حالتان لا تفرقان ، وأمران متساندان ونهضتان مرتبطتان .

أحمد زكي أبو شادي

نادي مستشفى سانت جورج

(طيب)

بلدن

[المنار] ان هذا المشروع جليل ونفعه للعرب ظاهر لا يماري فيه الا أصحاب الوسائل السياسية ولا يصعب إقناع المستقل منهم بالرأي والفهم بفائدته وإنما يستحيل إقناع أصحاب الأهواء بما يخالف أهواءهم

باب الاخبار والآراء

السيد محمد وجيه الكيلاني (راجع ص ١٢٤ من الجزء الثاني)

جاء في جريدة الهدى العربية التي تصدر في نيويورك ما نصه :

شيخ الاسلام بالقبليين ووفاته

عند منتصف ليل خامس مايو قضى الى رحمة مولاه في ريتشمند من أعمال ولاية فرجينيا في الولايات المتحدة السيد محمد وجيه الجيلاني شيخ الاسلام بمجزر الفيليبين وقد كان قدم هذه البلاد منذ سنة ونيف وقام أكثر هذه المدة في فيلادلفيا وتردد أحيانا على واشنطن وعلى نيويورك إلا ان صحته لم تكن حسنة فأقعدته عن

التجول كثيرا وهذا ما آخر في إتمام مساهمته

كان السيد الجيلاني عالما فقيها وملي كثير من التسهل الديني ولد في دمشق وانتقل الى الاستانة حيث اسندت اليه مراتب دينية عالية . ولما ان بعثت حكومة الولايات المتحدة بعد احتلالها الفلبين وفدا الى الاستانة للاتفاق مع سلطان تركيا على تعيين شيخ اسلام يتولى رعاية المسلمين عين السيد الجيلاني لهذه الوظيفة فذهب الى الفلبين عن طريق سوريا وبلاد العرب وبلاد المعجم والهند وكان هناك يقابل امراء وعلماء المسلمين ويستنصهم في مشروعات تهذيبية افكر به لترقية شؤون مسلمي الفلبين الادبية . والتقى في مكة بجماعة من هؤلاء المسلمين قادمين للحج فعاد وياهم وكانوا يؤدون له اكراما أشبه بالعبادة فيسجدون امامه شأن البرابرة ففهم عن ذلك ، وحين وصل الى بلادهم اخذ ينتقل من جزيرة الى أخرى في الارخبيل ويدعو قوم المورو المسلمين الى عقد الاجتماعات فيخطب فيهم حاثا على الانفلاع عما يفهمون من الجهاد الديني وهوان يحلق الواحد منهم شمر رأسه ويحمل سلاحه ويخرج بقصد الايقاع بالبيض الكفرة ولا يعود حتى يقتل عددا مفروضا أو يقتل هو وكان السيد الجيلاني مدة اقامته في تلك الجزر على تقام تام مع رجال الحكومة الاميركية الذين كانوا يرجعون اليه في كل مشاكلهم مع الوطنيين المسلمين . وساء السيد الجيلاني ما وجد ابناء دينه عليه من الهمجية فأخذ يفكر في طريقة تهذيبهم الا انه لم يوافق رجال الحكومة الامريكية هناك على انشاء مدارس عمومية للحكومة فقال ان المسلمين لا يطمعون الا اذا كان لهم مكتب . لاصق للجامع يدرسون فيه كتابهم الشريف بادى ذي بدء . ولاجل تحقيق هذه الفكرة قدم الى الولايات المتحدة وأخذ ينشر المقالات عن أحول الفلبين في بعض الصحف الامريكية وفي الوقت نفسه سعى الى تأليف جمعية تهذيبية تتولى أمر انشاء المدارس الاسلامية في الفلبين يكون مركزها الرئيسي في الولايات المتحدة وذات فرع اداري في الفلبين يتولى هو رئاسته نظرا الى انقياد المسلمين هناك اليه وتحقيقهم حسن مقاصده فلا تداخلهم رية من مساعي الاميريكيين أو عمد هؤلاء الى القيام بالمشروع مستقلين وقد كان السيد الجيلاني يتردد الى ادارة الهدي حين يزور نيويورك ففرقا عنه

ما سبق يانه من مقاصده ومساغبه ولكن وطأة المرض اشتدت عليه في الأشهر الأخيرة فلم يجتمع به أو نفر شيئا عن مشروعه. وكان من أمره أخيرا انه اضطر لأسباب صحية الى مفادرة هذه البلاد وبينما هو في الطريق اشتدت عليه علته في ريشمند فرجينا . وهناك توفي . تغمده الله بواسع رحمته اه

﴿إشراف أهل سورية على الفناء والزوال﴾

لقيت في مكة المكرمة الضابط الحر الصدوق خالد أفندي الحكيم الحصري وكان وصل اليها قبلي بأيام قلائل فارأى بدمه من بلاده بطريق البادية فسألته عما وصل اليها من مصادر متعددة من أخبار المجاعة والفناء ومصادرة السلطة العسكرية للأموال والفلاح في طول البلاد السورية الفاسطينية وعرضها وتنكيلها بالأهالي تقيلا وتضليلا ونفيا من الديار — هل هو حق كما سمعنا أم هو مبالغ فيه ؟ وذكرت له ملخص ما وصل اليها من ذلك . فقال ان ما بلغكم دون الواقع وليس الخبر كالمعاينة ، وانني أقدر انه لم يبق في البلاد من أهلها الا العشر . اه فاذا طال الامد على هذه الحال ، فسورية صائرة الى الفناء والزوال ، ولا يبعد ان ينقرض أهلها الذين فيها من الارض ، قبل انقضاء هذه الحرب . فلا شك في ان مصابها بحكومتها الطاغية الباغية أعظم من مصاب بلاد البلجيك والصرب والجبل الاسود باحتياج الجرمان لها ، وثلماعروش ملوكها . فيجب على السوريين المقيمين في مصر وأوربة وأمريكا أن يسارعوا الى البحث عن أقرب الوسائل الى إنقاذ البقية الباقية من أهل وطنهم لعلهم يهتدون اليها ويدخلونها من بابها بعد ان علموا ان دولة الانسانية (الولايات المتحدة) لم تقدر — وكذا غيرها من الدول التي على الحياد — على ما أحبت من إغاثة هذا الشعب المسكين بالقوت والعلاج ، ولا دول الحلفاء المحاربون لدولة الاتحاديين قدروا على إنقاذه بالحرب والكفاح ، فان كان في هؤلاء السوريين من ينتظر هذا الانقاذ بعد النصر انتهائي المأمول ، فليعلموا أن أمد الحرب سوف يطول ، وأن لسان حال وطنهم ينشد صاحب هذا الامل ويقول :

فلك البقا فلرب يوم أن تسلم حتى تراجعني فلا تلقاني

معي تنهيه الحرب وكيف تنهيه

قد أكثر الناس من حديث الصلح في هذه الايام وتقلت الجرائد لنا عن كثير

من قواد دول الاحلاف وساستهم أنهم يرون ان الحرب قنتهي باتنها ربيع العام القابل (١٩١٧) أو صيفه بناء على ان مدّة القوة الالمانية قد تحول الى جزر، وجزر دول الاحلاف قد تحول الى مد تدفق ثوابه ، ولا تنتهي عجائبه ،

كنت التقيت في شهر شوال الماضي بوكيل شركة روتر البرقية في القاهرة فسألني — وقد ذكرت هذه المسألة — عن رأيي فيها فقلت له اذا أصرت انككتلة على ما عزمتم عليه من قهر الالمانية وإرغامها على قبول ما تشترطه مع أحلافها للصلح، وحافظ هؤلاء الاحلاف على عهدهم بأن لا ينفرد أحد منهم بقبول الصلح، فالرأي الراجح ان هذه الحرب تستمر عدة سنين، تهد فيها قوى جميع المتقاتلين، وتخسر أوربة الملايين الكثيرة من أفلاذ كبدها، وألوف الملايين من دنائبرها، وعشرات المدن ومئات البلاد من ممالكها. فان أصغر الامم الاوربية وأضعفها تختار الغناء، على قبول الذل والقهر والاستخذاء ،

وأرى ان الاحلاف لا يمكنهم ان يتزعوا من الالمانية ما بيدها من مملكة باجيككة وولايات فرنسة الا ان تكون خرابا يبابا لاحجر فيها ولا مدر ، ولا شجر ولا بشر، وبعد ان يتفق على تخريبها الملايين من الرجال، والقناطير الملقطة من الاموال، واذا كنا نرى الحاربين يتحاربون بلا دم بأيديهم اذا اضطروا الى تركها لاعدائهم ولوموتنا كما فعلت روسيا وغيرها ، فهل ينكر على الالمان العتاة ألا يتركوا بلاد اعدائهم الاقاعا صفصفا؟ أما تقصير أجل الحرب فليس له طريق معقول عندي — اذا أصرت الحكومات على

عزمها — الا قيام الشعوب الاوربية من الفريقين على دولها . وإلزاما إياهن بصلح يعود فيه كل شيء الى أصله ولا يتضمن إذلال دولة لاخرى ، لان كل دولة وكل أمة أوربية تفضل الغناء على الذل وخدش الاستقلال التام لا الالمان وحدهم ،

هذا معنى ما قلته يومئذ ولكن قيام الشعوب على حكوماتها لا يرجي مادام كل منهم يرجو النصر التام . فصدق على الفريقين قوله تعالى (واذ يريكموه إذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقلاكم في أعينهم ليقضي الله أمرا كان مفعولا)

﴿ تأخر صدور هذا الجزء من المنار ﴾

يصدر هذا الجزء بعد يوم تاريخه بشهر وأيام بسبب غيبتنا في سفر الحج مثل هذه المدة ثم اشتغالا بقاء المهنيين أسبوعين أو أكثر وعطل حصل بالة الطبع

المعراج

١٣١٥

بؤني الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صوى و «منارا» كنار الطريق

مصر ٣٠ المحرم ١٣٣٥ — ٤ القوس (٣) ١٣٩٥ هـ ٢٦ نوفمبر ١٩١٦

فَتَاوَى الْمَسْأَلَةِ

فتحتنا هذا الباب لإجابة أسئلة المشتركين خاصة، إذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز إلى اسمه بالحروف أو يعبر بما شاء من الألقاب إن شاء. وابتدأنا نذكر الأسئلة بالتدرج غالباً وربما قدمنا متأخراً لسبب حاجة الناس إلى بيان موضوعه، وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا، ولمن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فإن لم تذكره كان لنا عذر صحيح لا غفاله

٨ - الاحتجاج بأحاديث الآحاد في العقائد

وتحقيق معنى الظن واليقين والتواتر *

قال المتكلمون إن العقائد لا تثبت بأخبار الآحاد لأن المطلوب فيها القطع، وأخبار الآحاد لا تفيد إلا الظن، وقد قال تعالى (إن الظن لا يغني من الحق شيئا) وإنما تثبت بالأحاديث المتواترة لأنها هي التي تفيد اليقين الذي هو شرط الإيمان وقد فهم كثير من الناس من هذا القول ما لم يرده المحققون من قائله فأخطأوا في فهم المراد وفي فهم كلف الظن واليقين فظنوا أن الأحاديث الصحيحة التي رواها الآحاد من الثقات العدول في صفات الباري عز وجل وفي أمور الآخرة لا يجب الإيمان بها شرعا ولا بضم المسلم تكذيبها، وإن لم يكن عنده شك في صحتها، بناء على أن أحاديث الآحاد لا تفيد في نفسها إلا الظن الذي لا يجوز الأخذ به في

(*) هذه تسمية الاجوبة عن الاسئلة المستنبطة من الكتاب الذي نشر في الجزء الذي قبل هذا

المعتقد لانه لا ينبغي من الحق شيئاً . وهذا الظن الذي فهو من عبارة المتكلمين هو الذي لا ينبغي من الحق شيئاً ، وما أظن ان مسلماً يعتد بعلمه يقول به ؛ ولعل أول من قال تلك الكلمة أراد بها ان أحاديث الأساطير لا تقوم بها الحجة في العقائد على المنكر لورودها ، وإنما تقوم بالتواتر لانه لا سبيل الى انكاره

الظن ضرب من ضروب التصديق بغير الحسني ولا الضروري من المدرجات ، فهو مما تتفاوت أفرادها بالقوة والضعف ، فمنه ما يكون يقيناً لا تردد فيه ، ومنه ما يكون راجحاً مع ملاحظة مقابل مرجوح تارة ومع عدمها تارة ، وقيل إنه يشمل المرجوح أيضاً ، فالتصديق المبني على الأدلة النظرية الذي يجوز به المستدل مع عدم ملاحظة احتمال التقيض يسمى ظناً ، ولكن ادراك الحواس لا يسمى ظناً . ولا العلم الضروري كقولنا : التقيض لا يجتمعان ولا يرتفعان . وهذا الحد الذي شرحنا به معنى الظن هو تفسير لقول الأزهري ، في التهذيب : الظن يقين وشك ، وقول ابن سيده في المحكم : هو شك ويقين الا انه ليس يقين عيان انما هو يقين تدبر : فأما يقين العيان فلا يقال فيه الا علم . هذا قول أئمة اللغة . وأما قول الفهرزبادي في القاموس - : الظن التردد الراجح بين طرفي الاعتقاد غير الجازم - فهو مأخوذ من اصطلاح علماء المعقول كالمناطقة والفلاسفة ، ومثله قول المناوي : الظن الاعتقاد الراجح مع احتمال التقيض ، ولكن الفهرزبادي لم يسمعه الا ان يزيد على تعريفه قوله : وقد يوضع موضع العلم : بمعنى أنه يستعمل في اللغة بمعنى اليقين . فان أراد انه يوضع موضع العلم حتى في الحسيات والضروريات فقله غير صحيح . واليقين العلم وازاحة الشك وتحقيق الأمر ، وهو تقيض الشك ، والعلم تقيض الجبل . قاله في لسان العرب . ثم قال - : وربما عبروا بالظن عن اليقين وباليقين عن الظن .

وقال الراغب : الظن اسم لما يحصل عن أمانة ومضى ، قويت أدت الى العلم ومضى ضعفت جداً لم يتجاوز حد لوم . ثم ذكر ان من اليقين قوله تعالى (وظن أنه الغزاق) وقوله تعالى (ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ايوم عظيم) وقوله (وظن أهلها أنهم قادرون عليها) وقوله (وظن داود أنها فتاة) وإنما يظهر هذا في اليقين اللغوي وهو الاعتقاد الجازم المبني على الامارات والاستنباط والاستصحاب دون الحس

والضرورة — لا اليقين المنطقي المبني على الضرورة أو الحس أو ما يؤدي اليهما بحيث لا يحمّل النقيض . وقد فسر الراغب اليقين بقوله : هو سكون الفهم مع ثبات الحكم ، وقال انه من صفة العلم فوق للمعرفة والدراية .

فلم من قولهم أن اليقين في الاصل هو الاعتقاد الثابت الذي لا شك فيه ولا اضطراب . وأما قولهم بالتعبير به عن الظن والعكس فليس معناه أن كل يقين ظن يقين وإنما معناه أن الظن على مراتب منها ما يرادف اليقين ومنها ما هو دونه ، فيدهما العموم والخصوص باطلاق . والمشهور في تعريف اليقين عند علماء الدين أن الاعتقاد الجازم المطابق . واشتراط المطابقة لا واقع اصطلاحيا خاص باليقين في الايمان الصحيح ، ولعل المطابقة تشترط في العلم فيسمى الجازم بغير الواقع موقفا به لا علما . اذا فقهت هذا فاعلم ان كل اعتقاد يستمد من السماع يطلق عليه في اللغة اسم الظن باعتبار مأخذ لذاته ، واسم اليقين ان جزم صاحبه به ، وكذا اسم العلم ان مدلوله حقا ، ولكن نفس السماع أي ادراك الاصوات المحقق لا يسمى ظنا بل علما . وخبر التواتر انما يفيد العلم القطعي بضرب من الاستدلال النظري ، وان اعتمدوا انه يفيد الضروري فان من شروطه أن يخبر كل واحد من المخبرين الكثيرين عن حسي ، أي عما سمعه بأذنه أو رآه بعينه مثلا ، وان يقوم الدليل أو القرائن على أنهم لم يتواطوا على الكذب ، وأن يتحقق ذلك في كل طبقة من الطبقات . وقد اختلف العلماء في العدد الذي يحصل بخبره التواتر مع توفر الشروط التي ذكروها . فاكثفى بعضهم بالاحاد كسبعة وعشرة واشترط بعضهم العشرات . ولكنهم اتفقوا على أن آيته حصول العلم الجازم بمدلول الخبر . ومثل هذا العلم كثيرا ما يحصل بخبر الواحد وان لم يكن متصفا بالصفات التي اشترطها المحدثون في راوي الحديث الصحيح كالمدالة والضبط وعدم مخالفة الثقات المشهورين فضلا عن مخالفة الامور القطعية التي عدوا مخالفتها علامة الكذب ووضع الحديث .

مثال هذا النوع من خبر الواحد الذي يحصل به الاعتقاد الجازم وان لم يكن المخبر به متصفا بمدالة رواية الحديث أكثر ما نسمعه كل يوم ممن نعاشر ونخالط من أصدقائنا ومعاملينا وأهل بيوتنا وخدمتنا من الاخبار عن أمور معيشتنا كقولهم :

حضر الطعام، وهي الحيام، وجاء للزيارة فلان. ومن هذا القبيل كل خبر لا مجال للتهمة فيه. وأما اخبارهم فيما يتهمون فيه فهي التي يُرتاب فيها، ويحتاج الى القرائن والادلة في تمييز راجحها من مرجوحها، مثال ذلك مدح النفس والدفاع عنها والطعن في الخصوم، ورواية القرائب والعجائب، فالأخبار في أمثال هذه المسائل يكثر فيها الكذب والخلط، إما بالعمد أو بعدم الضبط، أو بسوء الفهم والاستنباط، أو بضعف البيان، أو بتقليد الآباء أو الاموات، وما يتبع ذلك من الوهم، ومن خطأ الحس والرأي. فن وعي ما ذكرنا وتدبره يعلم منه ما يعلم من نفسه، اذ هو فكر في مصادر علمه، والاخبار التي يحدث بها والتي يتلقاها عن غيره، وهو أن الاصل في أخبار جميع الناس الصدق، وإن الكذب إنما يقع لاسباب عارضة، وأنه هو وسائر الناس يصدقون في كل يوم كثيراً من أخبار الآحاد حتى غير العدول تصديقاً جازماً لا يزاحمه شك ولا احتمال، ولا يخطر لهم فيها التقيض على بال، ومنها ما يجوزون باستحالة وقوع تقيضه عادة وإن جاز عقلاً، كبعض أخبار العدول الثقات الضابطين الخالية من الشبهات، ورجال الحكومة المسؤولين في الرسميات.

بل أقول ان من هذه الاخبار ما يحزم العقل بصدقه وامتناع تقيضه، وأعني بالعقل هنا العقل البشري الذي يبني حكمه على الاختبار، وزنه بميزان رعاية المصالح ودفع المضار، لا عقل واضعي المنطق والفلسفة الذي يجوز وقوع كل ما يمكن تصوره، ويحصر وقوع المحال في اجتماع التقيضين أو ارتفاعهما وما يؤدي الى مثل ذلك حتماً. وقد نجبر هؤلاء في تعريف العلم حتى قال بعضهم انه لا يمكن تعريفه، ومن أشهر أقوال مدققي متكلمي في ملكة العلم إنها صفة توجب انكشافاً لا يحتمل التقيض. فالعلم بالشيء عندهم لا يمكن تقيضه ولا الرجوع عنه، فلو كان هذا العلم شرطاً في كل مسألة من مسائل العقائد لكان الكفر بعد الايمان محالاً، ولكن قد ثبت وقوع الكفر بعد الايمان بنص القرآن، فالعلم الذي لا يحتمل التقيض ليس شرطاً لصحة الايمان، وإنما الشرط أن يكون المؤمن جازماً بما يعتقده، غير مرتاب ولا متردد، وقول الاستاذ الامام: الرجوع عن الحق بعد اليقين فيه كالتيقين في الحق كالألها قليل في الناس. — اراد به اليقين المنطقي، وأراد بالرجوع عنه انهم والجهود والمخالفة كبراً أو عناداً لا اعتقاداً فان اعتقاد

(المنار: ج ٦) (٤٤) (المجلد التاسع عشر)

تقبض المتيقن ليس في استطاعة الموقن، الا اذا اختلط عقله، واختل فهمه، وهذا قليل الوقوع كالرجوع عن الحق كبرا وعنادا بعد الاذهان له، اذا كثرت المعاندات للحق المستكبرين عنه الذين قال الله في بعضهم (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا) لم يكن ذلك المجموع منهم بعد اذعان، أو لم يكن استيقانهم على شرط علم الكلام وفلسفة اليونان واذا فكر السائل في العلوم الثقيلة وطريقة أدائها وتعليمها عند البشر من جميع الامم رأى ان أكثر أخبارها المتطوع بها يتلقاها الآحاد بعضهم عن بعض، فاذا اشترطنا فيها ذلك العلم الكلامي واليقين المنطقي، وأن لا نجد شيئا منها حقا ثابتا الا اذا تلقيناه بالتواتر اللغوي، فكيف تكون حالنا في معارفنا التاريخية، وما يبنى عليها من علومنا الاجتماعية وأعمالنا السياسية، وفي سائر العلوم التي ينقلها بعضنا عن بعض؟ بعد هذا كله أقول انه لم يعرف عن أحد من شعوب البشر مثل ما عرف عن المسلمين من العناية بتقد الاخبار النبوية وتمحيصها، وضبط متونها وحفظ أسانيدها، بل كانوا ينقلون الاخبار التاريخية والادبية والشعر والمجون بالاسانيد المتصلة، ووضعوا كتب التراجم لجميع اصناف العلماء والادباء كما وضعوها من قبل لرجال الحديث، ليسهل طريق العلم بالصحيح وما دونه من ذلك، ولكنهم دققوا في نقد رجال الحديث ما لم يدققوا في شيء آخر، فاذا كان ما صحح من الحديث عندهم متنا وسندا لا يجوز به فباذا ثق من أخبار البشر، واذا كان المسلم منا يصدقها فكيف يمكنه ان يرد مضمونها اذا كان في عقائد الدين، بناء على كلمة عرفية للمتكلمين؟

الحديث الصحيح عند المحدثين ما ثبت بنقل عدل تام الضبط متصل السند غير ممحل ولا شاذ، وينافي العدالة عندهم ثبوت الكذب وكذا الاتهام به والفسق والغفلة وكثرة الغلط والجهالة — أي كون الراوي مجهولا عند علماء الجرح والتعديل، ولولا هذا الشرط لاخترع الكذابون أسانيد كثيرة لأصل لها وخذعوا الامة بها — وكذا البدعة فمن كان مبتدعا لشيء من أمر الدين لم يكن عليه أهل الصدر الاول لا يحكم بصحة حديثه قيل مطلقا وقيل فيما يؤيد بدعته وهو المتمد، بل لابد لثبوت ذلك من روايته عن غيره. والضبط عندهم ضبط الصدر وضبط الكتاب، فالاول الخفظ عن ظهر قلب بحيث يتمكن من استحضار ما حفظه متى شاء، فان غلط أو أخطأ في الاداء لا يعد حديثه

صحيحاً . والثاني حفظ الكتاب منذ سمع فيه وصححه على من تلقاه عنه الى ان يؤدي منه ، فاذا غاب عنه غيبة أمكن أن يعرض فيها التغيير والتحريف أو الزيادة أو النقصان لا تعد روايته له ولا منه صحيحة ،

واتصال الاسناد سلامته من سقوط فيه بحيث يكون كل فرد من رواته قد سمع ذلك المروي من شيخه ، ويقابله الاقطاع ، وهو أقسام ، فالحديث (المقطوع) وهو ماسقط من سنده بعض الرواة لا يعد صحيحاً الا أنهم اختلفوا فيما سقط منه من بعد التابعي ويسمونه (المرسل) وذلك كأن يقول التابعي: قال رسول الله (ص) كذا . فالجمهور يتوقفون فيه ، وبعضهم يحتج بمراسيل من علم من حاله انه لا يروى الا عن الصحابة أو ثقات التابعين كسعيد بن المسيب ، دون من يروي عن غيرهم كالحسن البصري ومن (الاقطاع) عندهم (التذليل) وهو رواية الراوي عن فوق شيخه الذي سمع منه بلفظ يوم السماع منه ايها لا نصريحاً ، كان يقول المدلس قال فلان — أو: عن فلان . وقد اختلفوا في حديث المدلس قبل لا يقبل مطلقاً وقبل الا فيما صرح فيه بالسماع ، والجمهور على قبول حديث من لا يدلّس الا عن ثقة كابن عينة .

ولاجل هذا شدّدوا في قبول الحديث (المنعن) أي الذي يقال فيه عن فلان عن فلان . فقالوا عن المدلس غير مقبولة ، واشترط مسلم في العنونة معاصرة الراوي لمن روى عنه ، والبخاري اشترط العلم بالثقة ولم يكتف بمجرد المعاصرة . فاذا قال العدل الثقة الضابط عن فلان أو قال: قال فلان كذا — لا يعتد البخاري بروايته هذه الا اذا كان قد علم انه قد تلي ذلك الرجل واجتمع به ، ولكن مسلماً يكفي بالعلم بأنهما وجدا في عصر واحد ومن الممكن ان يكون لقيه وروى عنه .

ومن أقسام الحديث عندهم (المضطرب) وهو ما يقع في اسناده أو متنه اختلاف من الرواة بتقديم وتأخير أو زيادة ونقصان أو اختصار أو حذف أو ابدال أو براو أو من يمتن أو تصحيف في أسماء الرواة أو ألقابهم أو أنسابهم أو في ألفاظ المتن . فان أمكن الجمع وعرف الاصل والا توقف في قبول الحديث والاحتجاج به

ومنها (الشاذ) وهو ما خالف راويه فيه من هو أوثق منه فان لم يكن المخالف للثقة ثقة سمي حديثه (المردود) وان كان ثقة رجح عليه مخالفته الذي هو أوثق منه

وسمي حديثه (المحفوظ) فهو مقابل الشاذ. ومنها (المكرر) وهو ما خالف راويه الضعيف فيه من هو أضعف منه، ويقابله (المروى) وكلاهما راويه ضعيف لا يحتج بحديثه ومنها (المطل) وهو ما فيه علة خفية كوصل المتقطع ورفع الموقوف وإدخال حديث في آخر أو إدراج كلام الرواي في المتن أو الإدراج في سياق الاسناد.

ونؤشئنا أن نبين تدقيق علماء الجرح والتعديل في قدر رواية الحديث لرأى فيها غير المطلعين عليها من القراء ما لم يخطر لأحد من أمثالهم على بال ولعلوا منه أن أكثر من يعدونهم من الثقات الصمد وقين من أهل هذا العصر لو كانوا في أزمنة أولئك النقاد لاعدوا روايتهم بحجة ولولهم اتقان الحفظ والضببط. ومن تدقيقهم أنهم يعدون بعض الرواة ثقاة في الرواية عن أهل قطر دون آخر، كقولهم فلان غير ثقة في المصريين أو الشاميين - لأنه كان عرض له عند الرواية عنهم اختلاط في العقل، أو هرم خائنه به الذاكرة وققد جودة الضبط. وقد وضعوا كتباً ببيان الاحاديث الموضوعة خاصة يتوافقها في غيرها أسباب وضع الحديث والكذب فيه وعلامته وأسماء الواضحين والكسب والنسخ الموضوعة برمتها التي لا يصح منها شيء، كما وضعوا عدة كتب للاحاديث التي اشتهرت على الاسناد وينوادر جاتها وميزوا بين الصحيح والحسن والضعيف والموضوع منها. ولكن عناية العلماء بنقد المتن وعرض الاحاديث القوية الاسانيد على القواعد التي يبنوا بها علامات الوضع كانت أقل من العناية بنقد الاسانيد، وقل أن يهتم المتنون الى المذاهب بنقد متنون الاحاديث الا اذا كانت مذاهبهم مخالفة لها فكان هذا من سبب انتمص المذاهب

نتيجة البحث وخلاصة الجواب

فنقده ما شرعنا علم أن أكثر الاحاديث الاسنادية المتفق على صحتها ذاتها كأكثر الاحاديث المسندة في صحيح البخاري ومسلم - جذيرة بأن يجوز بها جرماً لا تردد فيه ولا اضطراب، ولقد أخبأها مفيدة لليقين بالمعنى القوي الذي تقدم، ولا شك في أن أهل العلم بهذا الشأن قلما يشكون في صحة حديث منها، فكيف يمكن لمسلم يجوز بأن الرسول (ص) أخبر بكذا ولا يؤمن بصدقه فيه؟ أليس هذا من قبيل الجمع بين الكفر والايمان؟ وليلم انني أعني بالمتفق عليه هنا ما لم ينتقد أحد من أئمة العلم منه ولا سنده، فبخرج من ذلك ما انتقده مثل الدارقطني وما انتقده أئمة الفقهاء وغيرهم.

ومن غير الاكثر ما تظهر فيه علة في متنه خفيت على المتقدمين أولم تنقل عنهم وذلك فادر. وقد عد بعضهم هذه الاحاديث المتفق على صحتها مفيدة للعالم اليقيني الاصطلاحي اذا تعددت طرقها ، قال الحافظ ابن حجر في شرح نخبه الفكر ما نصه :

(فائدة) ذكر ابن الصلاح ان مثال المتواتر على التفسير المتقدم بعز وجوده الا أن يدعي ذلك في حديث «من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار» وما ادعاه من العزة ممنوع وكذا ما ادعاه غيره من العدم لان ذلك نشأ عن قلة الاطلاع على كثرة الطرق وأحوال الرجال وصفاتهم المقتضية لا إبداء العادة أن يتواطوا على كذب أو يحصل منهم اتفاقا ، ومن أحسن ما يقرر به كون المتواتر موجودا وجود كثرة في الاحاديث ان الكتب المشهورة المتداولة بأيدي أهل العلم شرقا وغربا المقطوع عندهم بصحة نسبتها الى مصنفها إذا اجتمعت على اخراج حديث وتعددت طرقه تعددا تحيل العادة تواطؤهم (فيه) على الكذب الى آخر الشروط أفاد العلم اليقيني بصحته الى قائله ومثل ذلك في الكتب المشهورة كثير

﴿ الزار، وهل اعتقاد تأثير الولي والعفريت فيه شرك جلي ﴾

(س ٩) من أحد المشتركين في القاهرة - ع . م

حضرة الاستاذ العلامة الفضال السيد رشيد رضا المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد فاني أهتكم أولا بسلامة العودة من الاقطار الحجازية المباركة وأدهو لكم الله سبحانه وتعالى أن يجعله حججا مبرورا ان شاء الله سيدي استشكل علي أمر بخصوص مايسمونه (الزار) الذي يستغني به بعض (الجاهلات) من النساء من أمراضهن العصبية فأحييت أن أعرضه عليكم واجبا التكرم بالاجابة ولو تأشيريا على هذا بصفة خصوصية

« احدى السيدات مصابة بمرض عصبي : يأتيها غالبا على نوبات ربو وآلام شديدة باللمدة والكليتين مع صداع وسعال وضعف عمومي شديد ، وخصوصا في ابتداء كل مرة من الحمل ، عرتها هذه الحالة منذ خمسة عشر عاما بعد زواجها بقليل ، ثم إنها على صلاح وتقوى ، وقد كانت لا تعتقد بمسألة الزار ولكنها نعت تأثير كلام النساء خصوصا أقاربها من والدة وأخوات اعتقدت أخيرا وتوجهت ان أحد الاولاد

أو أحد الغاريت هو الذي أصابها بهذا المرض الهبستيري من زمن وصممت على عمل حفلة الزار بمصاريف من عند أهلها في منزلهم لا في منزل زوجها الذي عارض في ذلك بشدة لعدم اعتقاده بمثل هذه الخرافات ، ولم يرض بخسارة دينه في مصاريف باطلة على عقيدة باطلة »

والآن ألا ترى سيادتكم أن اعتقاد هذه السيدة بتأثير الولي الغلاني أو العفريت الغلاني يؤدي بها إلى الشرك الجلي - وفي هذه الحالة تصبح محرمة على زوجها المسلم الصحيح (غير الجرافي أو السياسي) الذي لا يعتقد بتأثير ولي أو نبي ؟ ففضلوا بإفادتي عن ذلك ولو كلفكم الجواب شيئا من التفصيل ؟ وفضلوا بقبول مزيد تشكراني وجزلي ممنونتي سلفا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

(ج) يذكر جمهور علماء الكلام أن الإيمان بوحداية الافعال عبارة عن التصديق الجازم بأنه لا فعل لغير الله تعالى في الحقيقة، فكل ما يقع في الكون من خير وشر ونفع وضرر فهو من فعل الله تعالى وحده، ويصرح الأشعرية في كتب العقائد بأن الأسباب الظاهرة للحوادث - ومنها كسب الإنسان وغير الإنسان من الملائكة والجان - لا تأثير لها في نفسها، وإنما يخلق الله المسببات والمكسوبات عندها لا بها، فلا فرق بين النار والماء في حصول الاحتراق والإرواء، إلا أن عادة الله قد جرت بمخلق الاحتراق عند مس النار واتصالها بالجسم القابل للاحتراق وخلق الإرواء عقب خلق شرب الماء ، ولكن الشرع أمر بالكسب، كالتداوي والاكل والشرب، فينبغي القيام بالمشروع منه وهو ما جرت سنة الله تعالى بمجعله سببا مطردا، وما كان سببا غير مطرد كرقية المسحوق وما في حكمه فلا يراه ينافي التوكل وكال الإيمان والتوحيد، وأما ما كان دون ذلك مما لم يثبت كونه سببا البتة أو قامت عليه شبهات وهمية باطلة اغتر بها بعض العوام في بعض البلاد - كالزار في بلاد مصر والسودان، فلا عذر لمؤمن في الاقدام عليه، أي لانه من الجيت (١) الذي هو عبارة عن خرافات الكهنة والسحرة، ومن اعتقد أن ولي الزار أو شبهه ينفع ولو بقدرة خلقها الله فيه ومزية أعطاه إياها وأن عفريته يضر ولو بقدرة خلقها الله فيه أيضا - فهو عند هؤلاء المشركين مشرك بالله تعالى . فالخطر على متحلي خرافات (١) راجع تفسير (يؤمنون بالجبت والطاغوت) في ص ١٥٦ ج ٥ من التفسير

الزار وغيرها شديد في مذهب هؤلاء المتكلمين الذين ينسبي اليهم أكثر الخرافين؛
وأمام مذهب غير هؤلاء من المتكلمين وعقبي أهل الأثر من الخبالة وغيرهم فهو أن الله
تعالى جعل الاسباب، ومؤثره بخواص خلقها فيها كالأحراق في النار، والإرواء في الماء، ومقاومة
سير المرض في الدواء، ومنها ارادة الانسان وعمله الاختياري، ولكن هؤلاء يقولون كغيرهم
إن الاسباب تعرف بالتجارب والاختبار، وتكون مشتركة بين جميع المجربين من الناس،
واتخاذ الاسباب الوهمية مذموم شرعا وعقلا، وأنه لا تأثير لمخلوق فيما وراء الاسباب
التي جرت سنة الله في الخلق يربط المسببات بها، فمن اعتقد أن غير الله تعالى ينفع أو
يضر بذاته دون ما جرت به سنته تعالى في الاسباب، أو بتأثيره في ارادة الله تعالى وقدرته،
بأن يفعل الله تعالى بتأثيره عنده شيئا لم يكن لولا له ليفعله بمحض ارادته حسب علمه الأزلي -
فهو مشرك بالله كافر بوحدايته، لا اعتقاده أن لغيره فعلا وتأثيرا معه بقدرته الذاتية - وهو
المفرد بذلك - أو بتأثيره في ارادته - والأله الخالق القديم لا يكون محلا للتأثيرات الحادثة،
ويستحيل أن تكون ارادته تابعة لارادة أحد من خلقه الذين هم تحت تصرف قدرته وقهره
إذا تدبر السائل هذا ظهر له أن التصديق بخرافة الزار خطر على الدين، وأنه
ليس من شأنه أن يقع من أهل التوحيد الصحيح، لا على مذهب المتكلمين، ولا
على مذهب الأثرين، وإنما يقع مثله ممن يأخذون دينهم عن أمثالهم من الجاهلات
والجاهلين، كغوغاء العوام الذين يقلد بعضهم بعضا في أمور الدنيا والدين، كالعادات
السخيفة والعلاجات الضارة، المبنية على تجارب فاسدة ناقصة،

ولكننا مع هذا كله لا نخرج بكفر امرأة تصدق بيدعة الزار، ولا نجهلها به مشركة
بالله عز وجل، بل يجب أن نحتاط في مثل هذا الحكم، وندفع الجزم به قبل العلم
بحقيقة اعتقاد المرأة ولو بالشبهات، كما يجب أن نحتاط تلك المرأة ببقاء التصديق
بهذه الخرافات، التي يخشى أن تكون شركا جليا أو خفيا ولو على بعض الأقوال،
فقول نحن عملا باحتياطنا: يجوز على هذه المرأة أن تؤمن إيمانا جازما بأن الله تعالى
خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل، وأن ما اقتضته ارادته وجرى به قدره
من ربط الاسباب بالمسببات، هو عام مطرد في المخلوقات، وأنه لا قدرة لمخلوق على
شيء خارج عن سنته تعالى في الكائنات، بل جميع الخلق سواء في المعجز عما وراء

الاسباب ، كما أنهم سواء في جرياتها فيهم وخضوعهم لها ، وانحصارهم في حظيرة قهرها . ويجوز أن يعرض لها وهي على هذا الاعتقاد مرض فيجبرها من تظن فيهم الصدق وعلم التجربة والاختبار ، ان سبب هذا المرض ملاسمة عفريت من الجن لها ، وأن غيرها قد أصيب بمثله قبلها ، وأنهم جربوا له كل علاج فلم ينجع فيه الا تلك الفملة الشفاء وحدها ، وإن علة نعمها أن العفريت الذي يلبس المريض في هذا المرض يزعمه ما يكون في حفلة الزار ، من الذنوب والاوزار ، حتى يلجئه الى الفرار ، بين تلك الاغاني والمآزف ، والعزائم والمزائف ، والقرايين والذباح ، وما في التضمخ بدما من الفضائح ، - ويجوز على هذه المرأة أن تصدق هؤلاء المخبرين الضالين المضلين ، ولا سيما بعد اليأس من معالجة الأطباء المشهورين ، وأن تعتقد أن ذلك لا ينافي الايمان ، لأن طرد الشياطين من الابدان ، كطرد الجراد ونحوه من المزارع والقطعان ، فهو من الاسباب الكسبية ، التي جرت بها السنن الآلية ، ويجوز أيضا ان تعلم أن عمل الزار حرام ، وأن المستعمل لما يعتقد حرمة بعد مرتدا عن الاسلام ، كالجاحد للمعلوم من الدين بالضرورة من مسائل الاجماع ، ثم تقول اني لا أستعمله ، ولكنني آخذ بقول من قال ان التمادي بالمحرم جائز اذا لم يوجد غيره ،

فاذا جاز أن تعتقد المرأة ما ذكرنا وأن كان باطلا في نفسه فكيف تتجرأ على الاقفاء بردتها ، وبطلان عقد نكاحها ، وسائر ما يترتب على الردة من الاحكام ؟
أما ما يحسن أن نوعظ به امرأة تدرك ما ذكرنا فهو ان خرافة الزار القبيحة المنكرة ليست سببا من اسباب الشفاء من هذا المرض ، وان ما يدعى من التجربة المثبتة لنفسه باطل ، وأنه عمل لكثيرات فلم يقد ، وأن من اتفق انهن شفين بعده لم يكن شفاؤهن به بل بأسباب أخرى حقيقية أو وهمية ، وأنه لو كان علاجنا نافعا بالتجربة الصحيحة لصلحت به جميع الشعوب التي فاقت غيرها في العلوم والمعارف ، المبينة على إقتان التجارب ، ولكننا نرى هؤلاء يسخرون من هذه الخرافة وأهلها ، التي هي محصورة في مصر والسودان بل في الطبقة الجاهلة من أهلها ، وإذا كان الامر كذلك فكيف تقدم على العمل بخرافة أدنى ما يقال فيها انها مشتملة على عدة بدع محرمة في الدين ، محقرة عند جميع المرتقين ؟

مذكرات دروس سنن الكائنات

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق محمد

١٥

المعالجة — يجب البدء بعلاج مدخل هذا الميكروب في الجسم، بأن يعالج الاحليل في الذكر مثلاً علاجاً فعالاً، وتعالج المفاصل بالقلويات وبيودور البروتاسيوم .
ويجب مراعاة القوانين الصحية باستنشاق الاهوية الجيدة وتعاطي الاغذية السهلة الهضم والقلويات كركبات الحديد وزيت السمك ونحوها . ويدلك المفضل ببعض المرام المسكنة أو الزبقيية، أو يدهن بصبغة اليود . ويجب اراحته من الحركة مطلقاً، ولكن بعد زوال الانتهاب الحاد ينبغي ذلك المفضل وتكيسه وتلينه باليد

والعلاج باللقاح أفاد في بعض الاحوال خصوصاً في الاصابات المزمنة أي التي طالبت مدتها، والافضل أن يؤخذ الميكروب من نفس المريض، ولكن هذا العلاج يحتاج الى مدة طويلة

ويجب البدء بمحقن مقادير صغيرة من اللقاح ثم تزد بالتدريج، ولا يجوز عمل الحقن الثاني الا بعد تمام زوال كافة الاعراض التي قد تشأمن الحقن الاول . وهناك مصل لعلاج هذا الداء أيضاً لا يخلو من الفائدة

استدراكان

(الاول) جاء في مجلة [اللانست Lancet] الطبية الانجليزية الصادرة في ١٢ أغسطس سنة ١٩١٦ رأي لا حد أطباء الانجليز في عدوى الانتهاب السحائي الوبائي وملخصه هو ان ميكروب هذا الداء هو عين ميكروب السيلان — لا شبيهاً به فقط كما قلنا سابقاً — وان قل الجسم هو الذي ينقله من شخص الى آخر إما بمقتصاص دم المصاب بالانتهاب السحائي وتلقيح الآخرين به اذا انتقل القمل اليهم . أو بتلوث القمل (النازج ج ٦) (٤٥) (المجلد التاسع عشر)

به مما يسيل من المصاب بالسيلان في ملابسه من الصديد ونقله الى غيره فيدخل الميكروب تحت الجلد ويسير في الاوعية الدموية الى السحايا وغيرها كالفواصل التي قد تلتهم أيضا في هذا المرض ، وأنكر هذا الطبيب انتقال الميكروب في الهواء ودخوله من الفم أو الأنف . وقال: ان المصاب بالسيلان ذاته عنده شيء من المناعة فلا تصاب سحايه الا قليلا . فاذا صح هذا الرأي — والغالب أنه صحيح — سهلت مقاومة هذا الداء الخبيث وتيسر اجتنابه . ومن هذا الرأي نفهم بعض حكم الاستنجاء وطهارة الثوب ونظافته ، ونظافة الجسم بالغسل والخلق ، وغير ذلك من شرائع الديانة الاسلامية الغراء التي شرعناها سابقا . وترى مما تقدم أن القمل يقتل بالحقى التيفوسية والراجعة وبالالتهاب السحائي أكثر مما تقتل العقارب والثعابين . وذلك يحقق أيضا المثل العامي القائل « وضع تعالى سره في أضعف خلقه » وترى منه أيضا مقدار الخطر الذي يتهدد كل من يتردد الى مواخير الفسق ، فإن أكثر الزواني مصابات بالسيلان الحاد أو المزمن وبعضهم يرى بملابسه وفراشه القمل

(الثاني) ان من أسهل الطرق لتطهير الماء والخضر ونحوها من الميكروبات أن يذاب في الماء [بي سلفات الصوديوم] وتسمى أيضا [كبريتات الصوديوم الحضوية] بنسبة $\frac{1}{100}$ ويترك الماء مدة نصف ساعة فإن حامض الكبريتيك الذي يوجد فيه يقتل تلك الاحياء الدنيئة وأجنة ديدان [البلهارسية *Miracidia Cercariae*] ولا ضرر من شرب هذا الماء . واذا نقعت فيه الخضر مدة نصف ساعة تطهرت كذلك . ويجوز أن تطهر به الاواني الخزفية والزجاجية ونحوها ما عدا المعدنية فإن الافضل تطهيرها بالغلي . وهذه الطريقة نافعة جدا اذا اتبعت في زمن انتشار أوبئة الحلى التيفودية والكوليرا والدوسنتاريا وغيرها مما يتلوث به الماء والخضر ، فإنها كافية لتطهير بدل الغلي الذي لا يحسن لبعض الخضر والغاكة

تسمم الدم

لهذا الداء ثلاثة أشكال : —

(الشكل الاول) أن تدور سموم الميكروبات في الدم ويسمى ذلك باليونانية

[سبريميا Sapræmia] ومعناها حرفياً ، الدم الفاسد

(الشكل الثاني) أن تدور الميكروبات مع سبومها في الدم ، ويسمى ذلك

باليونانية [سبتيسيميا Septicæmia] ومعناها حرفياً ، الدم المتعفن

(الشكل الثالث) مثل الشكل الثاني غير أنه يزيد عليه بتكون أخرجة في

عدة أجزاء من الجسم ، ويسمى ذلك باليونانية [پيسيميا Pyæmia] ومعناها حرفياً

الدم الصديدي

وجميع هذه الاشكال تنشأ من ميكروبات الصديد وهي على الاكثر من الشكل

البزري ، ومنها ما يكون عفودياً أو سلسلياً . والسلسلية هذه أشدها خطراً كاسبق ، ومن

الميكروبات العفودية ما يكون لونه أبيض أو أصفر ، ويشاهد ذلك اذا تجمعت منها

جوع كثيرة في المزارع الصناعية . وهناك بعض ميكروبات لها أشكال أخرى تحدث

الصديد كباسل الصديد الازرق [Pyocyaneus] ومن ميكروبات الامراض

الآخرى ، ما يحدث الصديد أيضا كميكروب الحلى النيفودية والدرن

والميكروبات البزرية المذكورة منتشرة كثيراً وهي من أكبر ما يخشاه الجراحون

في عملياتهم فيقونها بالتطهير التام بالغلي وغيره ، فلها اذا وجدت أي سحج أو جرح

في الجلد أو الاغشية المخاطية دخلت فيه وأحدثت التهاباً فقيحاً ، وتزوب الانسجة

ويتجمع بسببها عدد لا يحصى من الكريات البيضاء فينشأ من ذلك المدة والصديد

ونحوهما . فاذا أصابت سطح الجلد نشأت منها الدمامل والبثور ونحوها ، واذا أصابت

الانسجة الغائرة نشأت الاخرجة وما شاكلها ، واذا أصابت الاغشية المخاطية التهبت

وحدث منها الزكام ونحوه

واذا كانت الاصابة صغيرة ومحدودة ولم يدخل الميكروب الى الدم قل حصول

أي توعك أو حي ، لان السموم التي تمتص في البنية تكون حينئذ قليلة جداً ، ولكن اذا

كان موضع الالتهاب كبيراً نشأت الحلى بسبب امتصاص سموم الميكروبات في البنية

ونشأ الشكل الاول المذكور هنا ، فاذا دخلت هذه الميكروبات الى الدورة حدث الشكل

الثاني ، وقد تدخل من أي جرح مهما يكن صغيراً ، واذا رسب بعض هذه الميكروبات

الممتصة في أجزاء الجسم المختلفة تكونت حولها وبفعلها أخرجة . وهذا هو الشكل

الثالث . وطريق امتصاص الميكروب في الشكل الثاني هو الالوعية المعفاوية وفي الثالث الالوردية ، وفيها يدخل أيضا بعض مواد النهاية عنفة مع الميكروب أما أعراض الشكل الأول فهي انقشاع حرارة الجسم مع سائر الاعراض الاخرى للحمى ، وكذلك أعراض الشكل الثاني والثالث ، غير أن المعتاد فيهما أن تبدئ الحمى برعدة شديدة ويشد المرض على المريض حتى يكون كالمصاب بالتييفوس ، فيمترية الهذيان والذهول والهمود وكافة الاعراض الشديدة لتلك الحمى ، وتكون مدة المرض في هذين الشكلين قصيرة وتنتهي بالموت غالبا . وفي التسمم الصديدي تكثر الرعدة وتحصل يوميا مرة أو مرتين ، وفي كل مرة تظهر التهابات فأخرجة جديدة . ويكثر العرق عقب كل رعدة ويصاب المريض بالهمود وينحف جسمه بسرعة ويصفر لونه وقد يصاب بالقيء الكثير أو الاسهال ، وقد تزول الرعدة بعد خمسة أيام أو ستة . وتكون الحمى في هذا الشكل متقطعة مرتفعة في المساء ومنخفضة في الصباح عادة ، وقد تصل الى الدرجة الطبيعية خصوصا في أول المرض . وتختلف باقي الاعراض باختلاف العضو المصاب بالخراجة فان لكل عضو مصاب بها علامات وأعراضا مخصوصة . ومدة هذا المرض لا تزيد عن ستة أيام غالبا ولا تعتمد إلى ما بعد العاشر ، كذلك ، اللهم الا اذا أزم من المرض وجئنا لانصاب الاحشاء وإنما تكون الاخرجة في المفاصل أو تحت الجلد . وإذا شقت كلها وعولجت قد يشفى المريض بعد عدة أسابيع أو أشهر

ومما يساعد على حدوث تلك الاشكال المذكورة عدم الاعتدال وغيره مما يضعف البنية كبعض الامراض المزمنة مثل التهاب الكلى أو البول السكري ، ولكن لا يحصل أي شكل منها ما لم يوجد في الجسم مدخل للميكروب

العلاج — تفتح الاخرجة وتظهر وتضمد يوميا فان كانت الحمى ناشئة عن امتصاص السموم فقط شفي الجرح وشفي المريض أيضا ، وان كانت الميكروبات دائرة في الجسم تمسر الشفاء أو تعذر ، ويعطى المريض المنعشات والمغذيات وترعى منه جميع الوسائل الصحية

أما الادوية فهي قليلة الجدوى ، ولكن استعمال الحقن بالمصل المتعدد القوي

[Polyvalent] أي المحضر بمحتن عدة أنواع من الميكروب أفاد في كثير من الاحوال، ونجرب تجربته اذا دخلت الميكروبات البنية سواء أحدثت أخرجة أم لم تحدث الوقاية من تسمم الدم بجميع أنواعه — أن يتقي الانسان كل ما يحدث جرحا أو سحجا في الجسم وان كان صغيرا. فاذا حدث بالرغم من احتياط الانسان وجبت المبادرة الى تطهير الجرح وتضميده والمواظبة على ذلك يوميا حتى يشفى . ويراعى في ذلك اتباع جميع قوانين علم الجراحة في تطهير الايدي والآلات والضمادات وغيرها مما يمس الجرح . واذا تكون خراج في الجسم وجب الاسراع الى شقه وتطهير جوفه وتصريف ما يتكون فيه من المدة والصديد بأسرع ما يمكن بحيث لا يترأكم فيه شيء . منها خوفا من امتصاص الميكروب أو سمه في البنية . ولعلم الجراحة في ذلك من الوسائل العلمية المعقولة ما فيه الكفاية من شر هذا الداء وقانا الله منه

السعال الديكي Whooping Cough

مرض يصيب الاطفال كثيرا بين السنة الاولى والثامنة وحدوثه للبنات أكثر منه للذكور . وتقل اصابته لمن كان عمره فوق ذلك لان أكثر الناس يصابون به في صغرهم وهو يحميهم من الاصابة به مرة أخرى بل هو في ذلك أكثر وقاية من الهجمات الاخرى ذوات الطفح . ويحدث انتشاره بشكل أوبئة لا تأثر لحرارة الجو أو غيرها فيها، وكثيرا ما تكون هذه الاوبئة عقب أوبئة الحصبة

هذا المرض ينتقل من شخص الى آخر بطريق العدوى ، فاذا أكثر اختلاط الاطفال بالمصابين به انتشر المرض بينهم، وقد ينتقل بواسطة الملابس الملوثة بميكروب هذا الداء اذا أصابها شيء من بصاق المصاب

وكان القدماء يعتقدون عدوى هذا الداء نظرا لما يشاهدونه من انتشاره بين من يخاطب المصاب، ولكن لم يكتشف ميكروبه الا سنة ١٩٠٦ والذي اكتشفه باحثان اسمهما [بورديه Bordet] و [جنجو Gengou]

وهذا الميكروب من الشكل الباسيلي يشبه كثيرا ميكروب النزلة الوافدة غير أنه أطول منها وأغلظ ، ولا حبيبات له ولا حركة . يشاهد كثيرا في أوائل المرض في

الحطاط التخزين الخارج في آخر النوبة من الشعب الرئوية الصغيرة ، وكثيرا ما يكون مختلطاً بميكروب النزلة الوافدة

الأعراض : مدة التفريخ نحو عشرة أيام ويبدأ المرض باصابة بسيطة بالسعال تشبه السعال الناشئ من التعرض للبرد . وقد يكون هذا السعال مصحوباً بحمى خفيفة ويستمر إلى نحو سبعة أيام أو عشرة ثم يسمع هذا الصباح المخصوص الذي يشبه صياح الديك ، ولذلك شبه هذا المرض به ، فبينما يكون الطفل المصاب في لعبه تنتابه نوبة من السعال تمتاز بحصول نحو ١٥ أو ٢٠ مرة من الشيق المتوالي في زمن ٧ أو ١٠ ثواني ثم يعقبها زفير له هذا الصوت المخصوص ، ويتكرر ذلك مرة أو أكثر حتى يخرج من صدر المصاب قطعة صغيرة من البلغم اللزج أو يتقيأ ما في جوفه . والسبب في حصول هذا الصوت اقتراب الحبلين الصوتيين أحدهما من الآخر فيضيق ما بينهما ، أو أنهما لا يتسعان بالسرعة المطلوبة حين حصول الزفير . وفي أثناء هذه النوبة يحترق الوجه أو يزرق وينفخ وتكاد تخرج العينان منه ، ويتبدل اللسان وقد تخرج الثيايا قيده فيصق المريض الدم . ويكون الطفل في أثناء ذلك غير قادر مطلقاً على منع هذا السعال ، وقد يصاب من شدته بنزف من الأنف (الرعاف) أو من فمه أو يحصل النزف تحت الملتحمة ؛ وفي أحوال نادرة يصاب بنزف في مخه

وهذه النوب تحصل بلا سبب معروف وإنما قد يهيجها بكاء الطفل أو إغضابه أو نزاع ملابسه . ويقال إن النوب أكثر في الليل منها في النهار . وعدد مراتها في الليل يتراوح بين مرة واحدة وستين مرة . وفي أكثر الأحوال لا تزيد عن ثلاثين في كل ٢٤ ساعة . ويكون الطفل في الفترات التي بين النوب كأنه في صحة تامة ولا حتى عنده ما لم يتضاعف المرض ، وقد تكون شهوة الطعام عنده جيدة . ومدة هذا الطور من الداء تمتد إلى ثلاثة أسابيع أو ستة بل قد تطول إلى ثلاثة أشهر أو أكثر ، ثم تأخذ النوب في القلة تدريجاً حتى تزول تماماً أو يعقبها سعال بسيط كالسعال الأول بدون صياح ويمكث بضعة أسابيع . وهذا المرض قل أن يميت مالم يشتد تشنج المزمار أو يحصل نزف في المخ . وقد يحصل الموت بسبب مضاعفات هذا الداء

المضاعفات والعماليل (العواقب) - من مضاعفات هذا الداء النزلة الشعبية أو

الشعبية الرئوية فترتفع الحى ويضيق نفس المريض كثيرا، وفي كثير من الاحوال يزول حينئذ هذا الصياح الخصوص كما أنه يزول في كافة المضاعفات الحية الاخرى. ومنها التهاب الاذن والفتنجات. ومن العقاقير استمرار التزلة الشعبية والامفيتامين^(١) الرئوية (أي تمدد حويصلاتها وفقدانها مرونتها وانفتاح بعضها في البعض الآخر) والدرن الرئوي وهو قليل الحصول في هذا المرض

الانذار — هذا المرض قد يطول جدا ولكنه في الغالب يشفى منه المريض ومن النادر أن يموت به الشخص غير أن الموت قد يحصل بسبب بعض المضاعفات أو العقاقير المذكورة

المعالجة — يسكن المصاب في غرفة دافئة متجددة الهواء، ولا يجب عليه التزام الفراش .الم يتضاعف المرض . وهناك أدوية كثيرة لتقصير مدة المرض وتخفيف وطأته ، ومن أحسنها [البلاودونا^(٢) Belladonna] فيعطى من صبغتها نقطتين أو ثلاثا ثلاث مرات في اليوم للطفل الذي يبلغ عمره سنتين ولمن هو أكبر تقطأ أكثر بحسب السن ، وهناك مواد تستعمل أيضا استنشاقا لتطهير الشعب ولكنها قليلة الفائدة ومن أحسن العلاجات تغيير الهواء والسكنى بجوار البحار فإن ذلك مما يقصر مدة المرض

الالتهاب الرئوي Pneumonia

هذا المرض نوعان : (١) نوع يصيب حويصلات الرئة ويسمى الالتهاب الفصيقي (٢) ونوع يصيب جزءا عظيما منها ويسمى الالتهاب الفصي، ويختلف النوعان اختلافا كبيرا من الوجهة الميكروبية والمجهريّة والعرضية أما النوع الاول فقلد يكون ابتدائيا أو تابعا لمرض آخر، وهو كثير الاصابة للاطفال والشيوخ ، وليس له ميكروب مخصوص بل يوجد فيه أنواع عديدة منها

- (١) لفظ يوناني معناه ادخال الهواء أو النفخ لا تنفخ الرئة في هذا المرض
- (٢) كلمة ايطالية معناها حرفيا «السيدة الحسنة» تطلق على نبات شهير عند الاطباء كان نساء ايطالية يستعملنه لتجميل وجوههن ، ومن أصوله الفسالة مادة سامة جدا تمدد الحديقة فتجعل العين تبول

ميكروبات الحديد المعتادة أو ميكروبات المرض الذي سبب هذا الالتهاب الرئوي كالدفتيريا أو الجلي التيفودية أو الانفلونزا أو الطاعون

وأما النوع الثاني وهو كثير الحصول للشبان، وقد يصيب أيًا كان غيرهم، وهذا المرض يشبه كثيرا الحيات الأخرى العفنة كالجلي التيفوسية وينتهي مثلها بالبحران. وينشأ غالبا من ميكروب من النوع البرزي المزوج اكتشف في مغفل باستور في ديسمبر سنة ١٨٨٠ وهذا المرض هو المقصود بالكلام هنا، ومنه نوع خطر ينشأ من باسيل اكتشفه [فريدلندر Friedlander] سنة ١٨٨٠ ولكنه قليل الحصول فإن ٩٥٪ من الاصابات بهذا الداء تنشأ من الميكروب الاول البرزي

الاسباب يحدث هذا المرض للذكور أكثر من الاناث بنحو الضعف، ويصيب الناس في جميع الاعمار من سن الطفولة الى سن الشيخوخة، ولكنه أكثر حصولا للشبان لي أن يصلوا الى متوسط العمر (من ٣٥ - ٥٠) ينتشر هذا المرض في فصلي الشتاء والربيع حينما يكثر تغير درجة حرارة الجو فجأة، وحينما يكون الهواء مشبعًا بالرطوبة أو البرد

ومما يساعد على حصوله كثرة التعرض لتيار الهواء وضعف البنية واجهاد العقل وقلة التغذية، والانهك في السكر أو الجماع

وهذه الاشياء تجعل المصاب به ضعيف المقاومة جدا بحيث يكون شفاؤه متعسرا، والوفاته به كثيرة الحصول. والاصابة به لا تعني من مصادته، فقد شوهد أن بعض الأشخاص أصيب به نحو ١٥ أو ٢٠ مرة، ولكن في الغالب أن لا يصاب به الشخص سوى مرتين

يوجد ميكروب هذا الداء حتى في لعاب السليم وفي حفر أنفه، فاذا ضعفت البنية يمثل الاسباب المذكورة هاجما الميكروب وأحدث بها المرض. وقد يتصل بالانسان أيضا من شخص آخر مصاب بالالتهاب الرئوي ويكون حينئذ أقوى وأضر. وهذا الميكروب يحدث التهابات في أعضاء الانسان الأخرى مثل البلعوم والشعاف والمفاصل والسحايا، وقد يحدث أخرجة بالاحشاء وتحت الجلد

ولم يهزم العلماء الى الآن ان كان وصول هذا الميكروب الى الرئة من طريق

الشعب أو من طريق الدم ، فقد شوهد وجوده في نفس الدم فإذا ضعف عضو بسبب ما رتب الميكروب من الدم فيه . وهو يصيب عدة حيوانات كالفيران والارانب والكلاب . أما الحمام والدجاج فلا يصيبها بشيء ، وطوله يتراوح بين ٥٥ من الميكرون و ٧٥ منه . ويظهر تحت المجهر كأنه محاط بغلاف أو هالة صافية اللون يكون فيها عادة بزرطان أو أربع

الاعراض — يتدنى المرض فجأة برعدة شديدة وترتفع الحمى بسرعة زائدة الى ٣٩° أو ٤٠° مع كافة أعراضها الاخرى المعروفة وأحيانا (تشاهد النملة على الشفتين) ثم يشعر المريض بضيق في نفسه ، وآلام في الجنب المصاب ، ثم يكثر السعال ، ويكون بصاقه صديئا — كأن به صدأ من الحديد لاجرار لونه — ويكون شفافا خاليا من فقائيع الهواء لزجا بحيث يشتد التصاقه بالالواني ويشاهد في هذا البصاق الميكروب

والاطباء علامات خاصة لتشخيص هذا الداء تدرك بالقرع والسمع وغيرها من طرق البحث الشهيرة

وتستمر الحرارة عالية مدة المرض كلها ، ويكون خد المريض وجبهته مخفنة يعلوها قليل من الصفرة أحيانا ، ويكون تنفسه سريعا جدا حتى قد تصل مراته الى ٨٠ في الدقيقة ، ويسرع نبضه ويقل بوله ، وقل أن يعثره الهذيان بخلاف الحيات الاخرى ، الا في بعض الحالات الشديدة فقد يهذي ليلا ، وبعد اليوم السادس أو الثامن تنخفض الحرارة فجأة في مدة ١٢ أو ١٨ ساعة ، بحيث تصبح طبيعية ، وينزل اللسان بعد الجفاف ويحسن المريض بالتحسن العام ، ولكن هذا البحران قد يصحبه اسهال أو عرق غزير وفي أكثر من نصف الاحصاءات تنخفض الحرارة بالتدرج ، فتصير طبيعية بعد ٤ أيام أو ٥ ، وفي كلتا الحالتين يتحسن النبض والتنفس حين انخفاض الحرارة ، وتزول العلامات الطبيعية التي يعرف بها المرض من الصدر ، وتزول لون البصاق الاحمر فيصير مصفرا أو مخضررا ، ويكون به صديد وتقل لزوجه ، ثم يصير بالتدرج طبيعيا

والموت يحصل غالبا من وقوف القلب ، أو من اصابة الرئة الاخرى السليمة (المنار : ج ٦) (٤٦) (المجلد التاسع عشر)

فيسرع التنفس والنبض ، ويزرق الوجه ، ويكثر الهذيان ويذهب القيوة فالموت ، ويكون الموت عادة بين اليوم الخامس والعاشر ، ومن المرضى من يموت في اليوم الثاني أو الثالث

والالتهاب الرئوي يصيب قاعدة الرئة أكثر من قممها ، والجهة اليمنى أكثر من الجهة اليسرى ، وقد يصيب الرئتين معاً ، ولكنه يجعل باحدهما قليلاً عن الأخرى وإذا أصاب الرئة احتقنت بالدم ، وثقل وزنها ، واحمر لونها ، وصار قوامها هشاً بعد الوفاة ، وامتلاّت حوصلاً بكريات الدم الحمراء والبيضاء وغير ذلك من مواد الدم بحيث تكون خالية من الهواء ، ثم تختص الكريات الحمراء ، وتزدحم الحوصلات بالبيضاء ، فيتغير لون الرئة من الحمر إلى اللون السنجابي ، وفي كلتا الحالتين يكون قوام الرئة كمنسوج الكبد حتى سماه الأطباء (بالكبد)

المضاعفات — جميع المضاعفات تنشأ على الأكثر من انتشار ميكروب التهاب الرئوي في الأعضاء الأخرى فقد تلتهم البلعوم وقد ينسكب في تجويفها مصل أو صديد . ومن المضاعفات أيضاً التهاب الشغاف أو الأعصاب أو الكليتين أو البريتون أو السحايا أو المفاصل وغير ذلك

الإنذار — عدد الوفيات في هذا المرض نحو ١٧ ٪ من الإصابات . والمرض خطر جداً لغير المعتدلين وضعفاء البنية . وما ينذر بسوء العاقبة الهذيان الشديد أو الذي يحصل في أوائل المرض ، وضعف النبض والزرق والتهاب الرئة كلها أو امتداده إلى الرئة الأخرى

المعالجة — يجب على المريض أن يلتزم الفراش في الحال . وفي وقت شدة المرض يبقى معتمداً بظهوره على شيء بحيث يكون رأسه مرتفعاً على الفراش قليلاً ويجب أن تكون الغرفة متجددة الهواء نقية ، والغذاء من السوائل السهلة المضمغ المنفذية كاللبن والمرق ونحوهما ، تعطى بمقادير صغيرة متكررة . وينبغي أن نطلق الأسماء بالمسهلات ، وتعطى للمريض المواد الممرقة مع قليل من المسكنات لتخفيف ألم الجنب والسعال . وما يخففه أيضاً اللبغ الساخنة على الجنب الملتب أو ورق الخردل الصناعي ومن الناس من يضع على الرئة الملتببة أكياساً فيها ثلج لتخفيف الألم وتخفيض الحرارة

وهذا العلاج المذكور كاف في الحالات البسيطة فإذا اشتدت وطئة المرض وضعف القلب وكمثر الهذيان وجب إعطاء المريض المنعشات كالاسترخين والديجيتالا والنوشادر أو قليلا من الخمر (مثل ٣ أو ٤ أواق في اليوم) . وكوريند السك-يوم (١٠ قححات كل ٤ ساعات) يقال عنه أنه مقو للقلب فإن أكثر الخوف هو من وقوفه

فإذا ازرق المريض وضاق نفسه وخيف عليه من الاختناق أو من وقوف القلب وجبت المبادأة الى فصدّه أو على الأقل تركيب العلق على الصدر لسحب جزء من الدم . ولا خوف من سحب ١٠ أو ١٢ أوقية من الدم إذا كان الشخص قوي البنية مثلنا به . واستنشاق الاكسجين نافع جدا في هذا المرض ، وكذلك كربونات النوشادر (٥ الى ٧ قححات كل ٣ أو ٤ ساعات) لاختراق المواد المتراكمة في الشعب

أما استعمال المصل أو اللقاح فلم تظهر له فائدة كبيرة فإذا جازر المريض طور البحران وجبت مساعدته بالأدوية القوية والاختيائية الجيدة

بلاد العرب وأحوالها

منذ العصر الحالي

نشرت مجلة الشرق والعرب التي أنشأها دماء النصرانية (المبشرون) لبث دعوتهم بمصر مقالة تحت هذا العنوان قالت ان ما أوردته فيها هو نتيجة ما وصلت اليه مباحث العلماء الذين نوا أقوالهم على ما اتصل بهم من اثبات الروايات ذات الطرق المديدة القديمة ، فأخذوها وطبقوها على اعتبارات جغرافية وجيولوجية — قالت — ولعل أشهر علماء الاقويج الذين عالجوا هذا الموضوع البعثات « قيطاني » — أو كاتاني كما يعرفه آخرون — الايطالي الذي اشتهر بتصنيفاته المديدة عن العرب

والاسلام من وجهة تاريخية اقتصادية وقد بنينا هذه المعالجة على ما جاء في مؤلف من أحدث مؤلفاته »

وقول نحن ان هذا المؤرخ الايطالي قد اشتهر عند الترك وبعض العرب بشوحيه لسيرة النبي (ص) وهي أشرف سير البشر — لأن الاتحاديين ترجموها ما كتبها فيها بالتركية كما بينا ذلك في منار هذه السنة (عن ١٦٢ ج ٣) ولكن مباحث هذا المؤرخ المدقق في تاريخنا مما لا نستغني عنه ونزد لو ترجم كتابها ، ونحن نقتل عن هذه المجلة ما اقتبسناه عنه من المباحث المتعلقة بحالة جزيرة العرب الجغرافية ومليعتها الجغرافية ، ومهاجرة أهلها عنها الى حيث أقاموا بناء الحضارة القديمة . وهذه عبارة المجلة بنصها لم نسمع منها إلا عبارات قليلة : —

لقد أثبتت المباحث الحديثة أن الإنسان وجد على الأرض قبل المسيح بألوف من السنين وأن بلاد العرب كانت مأهولة كأقدم بلاد العالم . فكيف كانت حالة العرب في ذلك العهد العثماني بآثرى ؟ لا ريب في أنها كانت تختلف كل الاختلاف عما هي عليه الآن . والمعروف عنها الآن — ومنذ عدة مئات من السنين أيضا — أنها برية قاحلة ذات أراضٍ جرداء خالية من الماء ^(١) . هي تنها في الأعصر الجيولوجية كانت على خلاف ذلك . فقد مر على قارتي آسيا وأوروبا زمن كان فيه قسماهما الشماليان أشد برودة عما هما عليه الآن . وكان الفرق بين الصيف والشتاء أشد وضوحاً مما هو الآن . فكان الهواء في الصيف أكثر انهماكاً للرطوبة فيزداد به هلال الثلوج في الشمال وهلال الأمطار في الجنوب . وبناء عليه كانت أجزاء عديدة من آسيا وأفريقيا بقاً مغطىة جداً وهي الآن قفار جرداء . وما الاودية الناشئة سوى مجار كانت تدفق فيها الانهار .

ومن تلك البلاد بلاد العرب . فقد كانت سلسلة الجبال التي في غربها تنحني ويطيح السحوم وتجري منها أنهر على مضارب أواسط بلاد العرب وتصب في خليج المعجم . ومن تلك الأنهر نهر الدواسير الذي كان يجري في وادي الدواسير وكان

منه في المضارب المكية . وكذلك نهر الرماح الذي كان يصب مع نهر الدواسير في خليج المعجم

ولا يخفى ان للحالة الجوية تأثيراً عظيماً في السكنى ، وهذا بين انك لماذا كانت بلاد العرب مهد الشعوب السامية . وبخلاصة ذلك انه في تلك الازمنة الطيبة كانت البلاد غاصة بالسكان بخلاف حالتها الآن

ثم بدأت الاحوال الجوية في نصف الكرة الارضية الشمالية تتغير بالتدريج فقل امتصاص الهواء للرطوبة وقل هطل الامطار . وأصبحت البلاد التي بين أوروبا والمنطقة الحارة تشمر بذلك التغير العظيم . ويتبادى الزمن بدأ شمالي افريقيا وبلاد العرب يجف ، فصارت الملايين التي تسكن بلاد العرب تشمر بعدم ملاءمة البلاد لسكنائها

ولا حاجة الى القول بأن الرحيل عن بلاد العرب استغرق ألوفا من السنين وكان تدريجياً وبهذه الطريقة يمكن تعليل توالي هجرة الشعوب السامية . ولم تكن كلها هجرات أي هجرات فاشئة عن اعتبارات حرية بل كان معظمها ناشئاً عن اعتبارات سامية بحتة كهجرة الارنديين اليوم الى أمريكا . وكانت آخر تلك الهجرات أعظمها شأنًا وقد حدثت عند ظهور الاسلام يوم فتحت أبواب بلاد العرب وأخذ سيل المهاجرة يتدفق منها شرقاً وشمالاً وغرباً

وكان لتلك الحركة غايتان متفقان مع طبيعة البلاد الجغرافية اذ لا يخفى أن شبه جزيرة العرب مقسومة الى قسمين (١) البلاد العربية الغربية (وهي اليمن والحجاز) ومنفذها سورية الى الشمال الغربي ومصر والحبشة على سواحل البحر (٢) لوسط الشرقي ومنفذها السيلبي المراق وما بين النهرين . أما القسم الجنوبي من بلاد العرب (أي حضر موت) فقام بنفسه

فسيل المهاجرة من بلاد العرب كان يتدفق اذاً شمالاً الى فلسطين وصوريا أو غرباً الى مصر والحبشة . أو شمالاً شرقياً الى العراق ووادي دجلة والفرات وقد وقعت أول هذه المهاجرات عند أول فجر التاريخ . ثم تبعها المهاجرات

الآخري في الازمنة التاريخية المعروفة .

(١) المهاجرة الاولى — قبيل فجر هذا التاريخ قام بهذه المهاجرة شعوب سامية نزحوا الى العراق ومعهم شعوب سومريون قتالفت منهم الامة البابلية وبعثت العلامة (قيطاني — أو — كاتاني) أن المصريين القدماء الذين دخلوا وادي النيل عن طريق البحر الاحمر واستعمروا أولا مصر العليا كانوا ساميين وقد هاجروا في نفس الزمن الذي هاجر فيه مواطنوهم الى العراق . وما يؤيد هذا الرأي أن في اللغة المصرية القديمة آثارا سامية عديدة منها الكاف ضمير المخاطب المفرد المضاف اليه (١)

(٢) أما المهاجرة الثانية فقد وقعت في أول عهد التاريخ المعروف أي بين سنة ٢٥٠٠ قبل المسيح وكان اتجاه سبل هذه المهاجرة أيضا الى شمال العراق وجنوبه ويتضمن حروب سرجون الملك السامي الشهير

(٣) وأما المهاجرة الثالثة فقد وقعت من سنة ٢٥٠٠ الى سنة ١٥٠٠ قبل المسيح وفي أثنائها نزح الاشوريون الساديون من بلاد العرب وأسسوا مملكة آشور وعاصمتها نينوى على أهالي دجلة وفي ذلك الزمن عينه نزح الرعاة (الهيكسوس) من غربي البلاد العربية الى مصر وغزا الفينيقيون غربي سوريا واستباح الكنعانيون فلسطين

(٤) هجرة الاراميين بعد سنة ١٥٠٠ قبل المسيح وانتشر الاراميون في وادي الفرات وسوريا فأصبحت لغتهم لغة التجارة اذ كان يدهم طريق التجارة المار بمحلب ومن الشعوب السامية التي لم تنزح من بلاد العرب القبائل النسابية والحيرية والعرب الذين كانوا يشكلون العربية الحديثة . وكانت هذه الامة قد نشأت بتدريج الزمن نشووا بطيئا جدا . أما سبب عدم هجرة هذه الشعوب فهو لأن غربي بلاد العرب كان أكثر خصبا من شرقها وقد كان طريقا للتجارة بين الهند والبحر المتوسط يمر باليمن والحجاز وينتهي الى غزة وهذا يأتي بنا الى :

(٥) ظهور الاسلام . وليس هذا أول مرة ظهرت فيها القبائل المتكلمة باللغة

(٦) انتشار الامر أعظم من ذلك فاعلم النصف أو أكثر من النصف من هذه اللغة عربي ولكن الكثير منه هجرت كالعلم بالتفصيل مما نشرته في جلد المناخ الثامن عشر عن طرفة هذه اللغة أحمد كمال بك

العربية لتستوطن البلاد المجاورة فان بعضها سبق فاستوطن غسان والحيرة والعراق ومهد الطريق للعرب الذين كانوا في أيام محمد (صلى الله عليه وسلم) فمردوهم المهاجرة والاستيطان، وكانت بلاد العرب قد ضاقت مرة أخرى بأهلها الساميين الذين اشتهروا بالقوة والبأس والذكاء وكثرة النمو. ومما يدل على ضيق الوسائل الاقتصادية في تلك البلاد بأهلها قهرهم المدقع وعوزهم وعادة وأد البنات عندهم. أما قواهم المتزايدة فكانوا ينفذونها في محاربة بعضهم بعضا وفي شن الغارات والغزوات الى أن بدت طلائع تلك النهضة الدينية فجذمت بين القبائل المتخاصمة وجعلتهم يوحدون قواهم ويوجهونها الى الخارج. وهكذا فتحت ابواب العربية وخرج العرب ليفوزوا البلدان في سبيل الله وسبيل الجامعة العربية

وقد كان بين أولئك العرب رجال ذوو صفات ومآرب مختلفة فمنهم الشديد القوي كهم، والقائد المحنك كخالد، ومنهم المجازف، ومنهم المسوق الى الحرب بطمع الاسلاب^(١). على أن عامل الدين هو الذي فتح لهم السبيل ومهدهم ومنحهم قوة. ولكن كان للعوامل الاقتصادية التي أثرتنا اليها والتي كانت تؤثر في بلاد العرب منذ أقدم الازمنة شأن يذكر. وكان الجانب الاكبر من جيش محمد (ص) رجالا قد دأبوا حديثا بالاسلام فكانوا يقبلون عليه أو يرتدون عنه بسرعة عظيمة لان مرفقهم كانت ناقصة، ولا شك أن أمثال أولئك ما كانوا ليمسكوا بعروة الاسلام لولا ما رأوه من الاتصافات التي يؤتاها جيش المسلمين ولولا انقلابهم من ضيق العيش الى سعة^(٢). وكان في جيش الميدان النزي ثلث من المكيين الذين أبدوا الامويين فيها بعد ولا يزال المسلمون يقولون حتى اليوم إنهم لم يكونوا على شيء من الاسلام

(١) المنار: يعني أن الجمهور الاعظم من العرب كانوا يقاتلون في سبيل الله وسبيل الجامعة العربية التي تقوم بها دينه وكتابه، وأدناهم منزلة أفراد ينضمون في الضنم والاسلاب كما هو شأن الأمم الآن في حروبها

(٢) هذه دعوى باطلة وتعمليها الذي طلبها به باطل فان المسلمين ما قبلوا الى سعة العيش التي يعيها في عهد النبي (ص) بل جده اذ فتحوا الشام ومصر و فارس. وابن السعة في جزيرة العرب وابن ما وصفها به آتفا من الضيق؟

وأمثال أولئك كانوا يعتبرون أنفسهم في يثشة هي هرية أكثر منها اسلامية .
أما حروب الاسلام التي أفضت الى مزج العرب بأهالي البلاد التي افتتحوها
من بخارى شرقا الى أسبانيا غربا فقد كانت عبارة عن مهاجرة هي آخر المهاجرات
السامية من شبه جزيرة بلاد العرب ولم تحدث مهاجرة بعد ذلك أو بمقدار صغير
جداً لا تزال نشاهد آثاره حتى اليوم وهو ناتج عن نفس الاسباب التي أفضت الى
المهاجرات السابقة أي احتمال بلاد العرب .

أما النتيجة فهي ظهور القوة السكائنة في الأمة العربية ظهوراً ينادي واتخاذها مجرى
جديداً وبيئة مشيرة .

وقد ذكر الاستاذ هر كرونييه أن حرب حضرموت الذين هم أقدم سكان
تلك البلاد غزا القود التي كانت تربطهم ببلادهم وهاجروا الى الهند وجزائر الهند
الشرقية حيث أظهروا حمة عالية ونشاطاً غريباً . فقد أصبحوا خبيرين بأمور التجارة
مع أنهم كانوا يحملونها في موطنهم الأصلي ، ولا تزال الاعمال والاشغال تنتقل الى
قبضة يدهم حتى لقد أصبح بعضهم من كبار الاغنياء . ولا ينحصر تفوقهم في الاعمال
والتجارة بل في الامور المتقلة أيضاً

وهذه سموة مصرة للعرب الذين نزلوا بسوريا وبلاد فارس في المئة الاولى
للمهجرة . وهي تنطبق على حالة العرب عموماً منذ ألف من السنين حتى اليوم

وقد أظهر دولة تريف مكة بنهضة الاخيرة أن العرب لا يزالون يأبون
الضيغ ويستقون الحرية والاستقلال . وهم يبدلون كل مرتقص وقال في سبيل الدفاع
عن كيانهم . ترى هل نحن على وشك أن نرى من جانب بلاد العرب مباحثات
بشبهة مدغشقة كما رأى العالم منذ مئات من السنين ؟



المنشور الهاشمي الشريف الثاني

ذكرنا في الجزء الرابع من منار هذه السنة ملخص المنشور الاول الذي خاطب به الشريف الاكبر صاحب مكة المكرمة مساهلي الارض مبيضا لهم سبب نهضة الحجازيين باستقلال العرب دون متغلبة الاتحاديين . واليوم ننقل لهم نص منشور آخر نشر في العدد الحادي عشر من جريدة القبلة الصادر في ٢١ ذي القعدة سنة ١٣٢٤ لتعميم فائدته والعناية بحفظه ، لان أمثال هذه المنشورات من أهم مواد تاريخنا في هذا العصر ، وقد ضاق عنه الجزء الخامس الذي طبع الكثير منه قبل عودتنا من الحجازة وهذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّا كُنَّا نَسْتَفْهِجُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

لقد رأينا دفعا للالتباس ومنعنا لما عسى أن يحدث من التردد في حقيقة قيامنا ونهضتنا معاشير الحجازيين الموضحة أسبابها في منشورنا الاول أن نردفه بهذه الاسطر ليكون منها لأفاضل العالم عموما والمسلمين خصوصا زيادة الاطلاع على نيائنا ومقاصدنا المتعلقة بكياننا من حيث هوة ملتزمين فيها أقرب المواد عهداً وأبسطةا دلالة من المعلوم أن عقلاء المسلمين وذوي البصيرة من ساكني الممالك العثمانية وسائر أقطار الدنيا غير راضين عن دخول الدولة العثمانية في الحرب الحاضرة لاسباب جوهرية أجمعوا عليها منها ان الدولة العثمانية قريبة عهد الخروج من الحرب الإيطالية أولا والحرب البلقانية ثانيا وقد أصاب جيوشها وخزائنها وكل مراقبتها وعامة تشكيلاتها من الضعف والضياع والفناء ما لا يخفى تأثيره على ثروة الدولة خاصة وثروة المملكة وأهلها عامة ، حتى كان الجندي لا يكاد يصل الى قريته أو الى مكان عمله ليجدهم على ما يسد به رمقه ورمق أولاده وسائر أهل بيته الا ويكون قد دعي الى التجنيد مرة ثانية . وهكذا شأن الصانع والحمال والمحتطب ، فالامة التي أصيب أفرادها بمثل (المآزج : ج ٦) (٤٧) (المجلد التاسع عشر)

هذه الكوارث لا نرى حاجة الى بيان مصيرها ومصير دولتها اذا دفعت بنفسها في هوة حرب جديدة لا تشبه غيرها من الحروب . لا سيما وان واردات الدولة من الضرائب (٥) المفروضة على مساعي الافراد المتكودي الحظ بين تجارة وصناعية وزراعية هذا أحد الاسباب التي حملت عقلاء المسلمين على امتنكار دخول الدولة في الحرب الحاضرة وهو سبب مبني على حقيقة الحالة الداخلية في كل بلاد السلطنة . وهنالك اسباب خارجية تتعلق بالجهة التي انحازت الحكومة الاتحادية الى الحرب معها ضد الفريق الآخر من الدول المشتبكة في الحرب . فان الدولة العثمانية دولة اسلامية وبلادها مترامية الاطراف كثيرة السواحل فكانت السياسة التي سار عليها سلاطين آل عثمان العظام من قديم الزمان تحسين العلاقات والعلاقات مع الدول التي يسكن ممالكها القسم الاعظم من المسلمين والتي لا تزال صاحبة الارجحية في في البحار فلما دخلت الحكومة الاتحادية في الحرب ضد هذه الدول متحازة الى فريق آخر كثير الطمع واسع المشع اضيق بلاده عن ساكنيها تشام من ذلك أهل النظر والروية من المسلمين لهم بما يكون من نتائج السيئة قبل حدوثها

ولقد كنت من جملة هؤلاء عند ما شئت تفرافيا عن رأيي في هذه الحرب ، فأجبت بما اقتضاه راسب النصيح ، وهذا مما أخذ دليلا على اخلاصي لهذه الدولة وحرصي على سلامتها وصيانة بيضة الاسلام

وها قد حصل ما كنا نخشاه وانتهت الدولة الى ما نخوفناه ، وأصبحت حدود المملكة العثمانية اليوم في أوروبا أسوار الآستانة تقرينا . وان طلائع جيوش الروس تخوض الأهمالي الثماليين في ضواحي ولايتي سيواس والموصل ، وطلائع الانكليز يسوقون أنفسهم الأسرى من أبناء هذه المملكة في بادية العراق بعد ان استولت على ولاية البصرة وشطر من ولاية بغداد ولا شك في أن من تأمل هذه الحالة ورأى ان الحرب لا تزال قائمة على ساق ، وقدم لا يحتاج الى كبير عناء في استعلاء النتيجة . لا يخفى عن أحد أن من تأمل ان تستسلم الى هذا الخطر الداهم حتى تزول من

جبهتنا العظمى من أسوار الآستانة

المنار: قول: من الشرائع من غير ان لا يبان للواردات كما يتوهم بادي بد

إننا نترك للعالم بأمره التأمل في هذا والجواب عليه وليس عندنا أقل رغبة في أنهم يعذروننا في نهوضنا الذي جاء في وقته قبل أن نحيط المهالك بالبقية الباقية من هذا الملك فتأخذنا على غرة . بل إننا لا نتردد في مشروعية نهوضنا ووجوبه علينا . ولو كنا نعلم بأن بقاءنا مرتبطين بهذه الدولة التي أصبحت ألعبوبة في أيدي المتغلبين مما ينفعها ويحفظ لها أملاكها لما تحركنا بشئ مما قننا به ، ولصبرنا ونحملنا كل ما يحملوننا إياه . ولكن أنى لنا ذلك وقد صار من المقطوع به أننا لو استسلمنا لما هم ساثرون بنا إليه لأذى ذلك بنا وبهم إلى هوة الاضمحلال التي تسقط فيها الولايات الأخرى على مرأى منا ومسمع

نعم إننا نقول هذا ونترك الحكم فيه إلى أنصاف العالم أجمع ، ولكننا لا نستطيع السكوت عن المجاهرة بأن السبب الوحيد لمحو هذه الدولة وإبادة من بقي لها من الرعية وهم سكان الانضول وغيرهم إنما هو استرسال المتغلبة من زعماء الاتحاديين وهم أنور وجمال وطلعت وأشياعهم ، وخروج الدولة عن خطتها السياسية الأساسية التي وضعها عظماء سواس العثمانيين وهي خطة موالاة الدولتين المعظمتين بريطانيا وفرنسا التي لا ينكر فوائدها إلا من ينكر التاريخ ، ويكفي لمعرفة أخلاق زعماء الاتحاديين ومقدار صدقهم وفائهم أنه لم يعض غير زمن يسير على عقد القرض الذي ساعدتهم به فرنسا وهم في أشد الحاجة إليه حتى انضموا إلى أعدائها وأعلنوا الحرب عليها وإننا لا نستدل على ما ذكرناه من أخلاقهم بهذا العمل دون سواء الاشهرته المستفيضة بين عموم الناس وقرب عهدنا به ، أضف إلى ذلك ما يلقاه الأهالي العثمانيون لافرق بين مسلمهم وذميهم من ضروب العنف والجور اللذين يحجب ركامهما ضياء الشمس ، لا سيما ما ارتكبه القابضون على أزمة الحكومة من هؤلاء المتغلبة وأشياعهم أثناء هذه الحرب من ظلم أهل ذمتنا من الروم والآرمن خلافا لما جاءت به شريعتنا المطهرة ، ثم نهجوا هذا المنهج في أبناء العرب بالشام والعراق وغيرهم بما هو معلوم إلى يومنا هذا كإيقاعهم بأهالي العوالي التي هي إحدى ضواحي المدينة المنورة من سبي مخدرات العرب وسوقهم إلى الثكنات العسكرية بما تأباه الشريعة الإسلامية والشهامة العربية

نعم إننا قننا ولا نزال قننا ونجَاهرتنا بالمداوة والبغضاء مقصودا بهما أنور وجمال

وطلمت وشيعتهم . وانه اشاركنا في ذلك كل مسلم عاقل حتى أفراد البيت العثماني ،
ودليلنا مع مشاركة هذا البيت الجليل اغتيال المتغلبة لعميده الشهيد السعيد ولي عهد
السلطنة المغفور له المرحوم يوسف عز الدين . وانا نتبرأ منهم ونظفر لهم العداوة
والبغضاء ، ويشترك معنا فيها كل بر وتقي من مسلمي البلاد العثمانية وسائر البلاد
الاسلامية ، بسبب ما أتوه من الوبال ، وما جروه على دولة الاسلام من الاضمحلال ،
حتى جعلوها ضحية لاغراضهم وغاياتهم النفسية . نبرأ الى الله منهم ونعلم انها كلمة
حق عليها نحياء وعليها نموت . وكيف لا نقول هذا وامامنا من عبر الدهر ما نسرده
على اخواننا المسلمين ليعلموه ويعوه

فان جمال باشا المتحكم في الشام واهلها قد أمر سكان ذلك القطر الاسلامي
بأن يؤلفوا من مخدرات نساءهم جمعية نسائية ، ثم أوعز الى هذه الجمعية أن تأدب له
مأدبه في ناديا ، وقد تم ذلك بالفعل وحضرها هو ورجال العسكرية والملكية ومن
دعاهم من سائر رجاله واعوانه ، وكان النسوة المسلمات أعضاء هذه الجمعية يباشرن
اكرام ضيوفهن . وعند ختام الحفلة شرعن في القاء الخطب والانشيد بين تلك الجماهير من
الرجال كما نشرت ذلك صحف سور يا على اختلاف مشاربها مظهرة الاعجاب والفخر
ارضاء لجمال باشا . فسميحان الله تعالى الذي يقول في محكم كتابه الكريم (يا أيها
النبي قل لاوزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى
أن يعرفن فلا يؤذين) (١) وقوله تعالى (٢) (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن

(١) وقع في جريدة القبلة غلط في هذه الآية نصه : أي لا يعرفن فيؤذين . وهو
مغلط مطبوعي . يوهى غير العارف ان معناه صحيح وما هو الا ضد المعنى الصحيح .
فالمراد من الآية ان إدناء الجلابيب والمبالغة في الستر أقرب الى ان يعرفن أنهم
سحران ولا إماء فلا يؤذين أهل الريبة . وسبب ذلك أن البقاء في بلاد العرب كان
محصوراً في الاماء من عهد الجاهلية ولذلك قالت هذ للنبي (ص) عند مبايعة النساء
على ترك الشرك والسرقه والزنا : أو تزني الحرة ، فكان الفساق من المنافقين
والمشركين يعرفون الاماء بنتهن فيتعرضون لهن فأمر الله تعالى المؤمنات بالستر
ليتمنن به فلا يتعرض لهن الفساق ، ثم بطل البغاء برسوخ الاسلام حتى تركه الاماء
أيضاً (٢) لعل الاصل وقال تعالى أو : ويقول تعالى .

ويحفظان فروجهن ولا يبدن زينتهن الا ما ظهر منها، وليضربن بحجرهن على جبهتهن ولا يبدن زينتهن إلا لبعوتهن أو آبائهن ... الخ (*)

من هذا يعلم صراحة مراد هؤلاء المتغلبين ومقاصدهم بالشريعة الاسلامية والعادات العربية، وفيه عبرة وذكري لاخواننا مسلمي البلاد الثمانية وسائر اخواننا في اقطار الدنيا ليعتظوا بذلك ولا يكون سبباً لاستمرار هؤلاء الطغاة في انتهاك حرمان الله والجرأة على مخالفة أوامره لجاء يستفيدونه، أو راتب يستزيدونه، فانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ومن كان قد وهبه الله تعالى قوة على تغيير المنكر بيده أو لسانه أو قلبه فليفعل، ومن كان لديه ما يدفع به عن جرأة هؤلاء القوم المتغلبين فليأتنا به فاننا ان شاء الله ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه (وإنا أو إياكم لحلى هدى أو في ضلال مبين) (١)

شريف مكة وأميرها

نحرياً في ١١ ذي القعدة الحرام ١٣٣٤

[المنار] ماخص هذا المنشور ان زعماء الاتحاديين عرضوا الدولة للهلاك بالحرب والظلم والبغي والعدوان، وعشوا بدين الاسلام، وظلموا المسلمين والذميين، وان مسلمي الترك وفي مقدمتهم بيت السلطنة يملكون ذلك كالعرب ولكنهم غلبوا على أمرهم، وان بقاء البلاد الحجازية خاضعة لهم يضرها ويضر أهلها ويوقعهم في الخطر من حيث لا يفتح الدولة ولا يفي عنها شيئاً، وان الواجب في هذا المقام العمل بما أمر به الرسول (ص) في قوله المروي في مسند احمد وصحيح مسلم والسنن الاربع « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فان لم يستطع فليسلنه » الخ وبذلك عمل صاحب المنشور هو ومن معه من أهل الحجاز فهم في مقدمة أهل الحل والعقد في الامة ولو لم يكن معه غير أسرته الهاشمية وعصبيته وانبايعهم من العرب لكني بهم أهل حل وعقد في مهاد الاسلام وأفضل بلاد الارض، ويليهم في هذه الصفة سائر الامراء والزعماء في جزيرة العرب، ولم يبق في ديار الاسلام زعماء أحرار غيرهم لان سائر علماء المسلمين وكبراءهم في الامانة وقبائلهم تحت قهر سلطنة عسكرية قزماها بأيدي الاحدة الاتحاديين ونصارى الألمان. والكان شريف مكة

(*) سقط من جريدة القبلة ما بعد كلمة (إلا) الأولى الى (إلا) الثانية

(١) في جريدة القبلة « وإنا أو إياكم » وهو غلط متطبعي طبعها

ومن شايعة من العرب قادرين على النهوض لمقاومة منكرات الاتحاديين قاموا بالواجب الايماني عليهم . وقد صرح في هذا المنشور بأنه اذا ظهر له خطأه في اجتهاده هذا يرجع عنه . وكفى بذلك حجة على جميع المسلمين

تقرير المطبوعات الجديدة

أهدي اليه في العام الماضي عدة مطبوعات جديدة من الكتب والصحف لم نجد فراغا من الوقت لنظر فيها نظرا يمكننا من إبداء الرأي فيها ، وإن منها ما يخص حقه اذا كتب عنه في المجلات العلمية ، ما هو بمعنى الاعلان الذي ينشر في الجرائد السياسية ، وقد يمد طول الزمان على السكوت عنها ، أشد هضمًا لها وبخسًا لحقها ، فلقد رأينا أن التقوية بها ، بما عليه النظرة المعلى فيها ، ربما كان كلئذ يفضل ناجزهُ المستشهدُ الصديان ، على الغمر التسيي ، يخاف عليه الفسيان ، وهو لا يمنع من إعادة النظر فيها اذا سمح الزمان ، وهذا ما جاد به الزمن الضنين الآن :

﴿ كتاب شرح البيع ﴾

(في القوانين المصرية والفرنسية . وفي الشريعة الاسلامية)

« تأليف محمد حلمي عيسى بك وكيل الادارة القضائية للمعاكم الاهلية بوزارة الحقانية » شرح فيه أحكام عقد البيع في قانوني المحاكم الاهلية والمختلطة المصرية مستمدا من مصادرها — الشريعة الاسلامية والقانون الفرنسي — سالكا في شرحه مسلك الممدق المستقل بالفهم والرأي . فجاء سفرا كبيرا بلغت صفحاته بضع مئات . وطبعه في العام الماضي (١٣٣٤) في مطبعة المعارف طبعا جيدا على ورق جيد يليق به ، وقد أقبل عليه علماء القانون أي إقبال ، وأحسن تقريره الصحف أي إحسان . ان هذا المصنّف من الكتب التي يرجع الى مثلها الباحثون في فلسفة الشرائع والقوانين ، ويعتمدون على قوله ومباحثه في المقابلة والتنظير بينها وتفضيل بعضها على بعض . فلو أتيج لي ان أوفيه حقه من التقرير والنقد فيما يعني من مباحثه الدقيقة — وهو المقابلة بين الشريعة والقوانين — لكنت قرأت ما أورده من ذلك كله أو الكثير منه ، وبنت ما برزني الله من الحق فيما أورده من الاسكام الشرعية التي اعتمد في أكثرها

على بعض كتب الحنفية . وما فاته من الاحكام ، في كتب غيرهم من فقهاء الاسلام . فقد قال في مقدمة الكتاب انه جعل المقارنة بين القانون المصري بقسميه وبين الشريعة على كتاب مرشد الحبران الذي ألفه قدرى باشا ومجلة الاحكام المدلية التي أوجبت الدولة العثمانية على محاكمها المدنية الحكم بها . وذكر في أسماء الكتب التي كان يراجعها عند الشرح عدة كتب للحنفية والمالكية ، ولم يذكر بينها شيئاً من كتب فقه الشافعية والحنابلة ، على أن كتب هذين المذهبين أجمع لدلائل الكتاب والسنة ، وكتب الشافعية منها أشد تنقيحاً وكتب الحنابلة أوسع طريقاً ، فلأن المؤلف غني بكتب الحنابلة وعلماء الحديث المستقلين كما غني بكتب الحنفية لكان علمه بالشرعية الاسلامية أوسع ، ومقابلته بينها وبين القوانين أصح وأنفع ، ومن أجل هذه الكتب كتاب المغني للشيخ موفق الدين ابن قدامة و (المحلى) للإمام ابن حزم و (نيل الاوطار) للإمام الشوكاني . ومن أجل الكتب الباحثة في حكم الشريعة (اعلام الموقعين) للعلامة ابن القيم ، وأحسن ما كتب في العقود وأنفعه فيما نعلم هو ما كتبه شيخ الاسلام ابن تيمية ونشر في مجموعة الفتاوى التي طبعت له . فلعل المصنف يعني بالرجوع الى أمثال هذه الكتب اذا فتح الكتاب عند ارادة إعادة طبعه — ان شاء الله تعالى

﴿ تاريخ سينا القديم والحديث وجغرافيتها ﴾

(مع خلاصة تاريخ مصر والشام والعراق وجزيرة العرب وما كان بينهما من العلاقات التجارية والحربية وغيرها عن طريق سينا من أول عهد التاريخ الى اليوم ، لمؤلفه نعيم بك شقير مدير قلم التاريخ بوزارة الحربية بمصر ، وصاحب تاريخ السودان) وهو مجلد ضخيم تزيد صفحاته على ٧٧٠ طبع بمطبعة المعارف طبعاً جميلاً وأجمعت الصحف على حسن تفريله والثناء عليه ، وما وفاه أحد منهم حقّه ، ولا شرح للناس حقيقته وكنهه ، وقد كان اسم الكتاب حجاباً يخفي ما وراءه من الحقائق التاريخية والاجتماعية والسياسية والعلمية ، المتعاقبة أكترها بالعرب والبلاد العربية ، من شؤونها الغابرة وحالتها الحاضرة ، — ولا يزال هذا الحجاب مسدوداً على تلك

المحدثات، مأماته الصنف عن ذلك الوجه، ولا أظهرت كل ماوراءه من الجمال والحسن، على أن كشف الحجاب عن أبكار المعاني، ككتفه عن أبكار المعاني، كل منهما يباح للخطابين، كما يباح للمحارب من الأهل والأقربين، وما أكثر من يبيحه للناس أجمعين، فبالأبكار مؤرخنا العربي لا تزال مجموعة عن خطابه المتعدد، وذوي قراباها الكثيرين، بذلك الاسم الذي لا يدل الأعلى جزء من مساهمته، كحجب استعداد أمتنا العربية بالاستعداد الذي ينشأه، وحجب ما في وطننا العربي من الآثار والمعادن بحول الحاكم الذي يتولاه؟

ألا أيها الخطاب، لتلك الأبكار العرب الأترب، لقد نصب الله اسمك من يرفع عن محاسن وجوه من الحجاب، وإن كان يخفض من أفكار من في مصر من دعاة السفور، الذي يحزم بانه مزيد في التهلك والفجور، ولكنه قبل رفعه، يبين لكم سبب وضعه، فيقول:

إن المؤلف أتيح له الوقوف على تلك الحقائق التي يجلبها الأكترون من تاريخ سيناء عز عليه أن تبقى مجهولة، كاهو شأن محبي العلم الذين يتبنون في تحصيله وتمحيصه، فعمد إلى تقييد أوأبدها، وقصص شواردها، بعد أن قتل مسألتها بالبحث والتدقيق تقييلا، وفصل القول فيها تفصيلا، فجاء تاريخا مطولا لهذه البقعة العامرة، لم يوضع مثله لأعظم أقطارنا العامرة، فكان مظنة الانتقاد بأنها شغل بالكالي من جزئيات تاريخ بلاد أمتنا العربية، قبل الوصول إلى ما في الحاجة من مباحثه السككية، وكان مؤرخنا المؤدعي لمح بلحظ الغيب ذلك الانتقاد يحول في مطاوي الأفكار، بعد أن تمثل بين يديه تاريخ سيناء سفرا من أكبر الاسفار، فأراد أن ينظم تلك المباحث السكائية في سلك الضروريات، فوضع للكتاب خاتمة كانت كالمقصود من الوسيلة أو كالنتيجة بعد المقدمات

ذلك بأنه لما كانت سيناء معقد الانصال والارتباط بين أعظم الاقطار العربية، أعني جزيرة العرب ومصر وسورية، جعل خاتمة التاريخ التفصيلي لها خلاصة تاريخ الاقطار التي تحيط بها، ولما كانت فائدة التاريخ هي العظة الاعتبار، وكان الفراغ من هذا الكتاب في إبان هذه الحرب التي خاضت غمراتها الدول السائدة على تلك

الاقطاره، والتي يتبدل بها ما يتبدل من احوال الامم والاطوار، — ذكر قومه الاقربين
سوريين ومصريين، ومن وراءهم من العرب اجمعين، بان أصل أروماتهم واحد
وهو الجنس العربي الكريم، والاصل الذي ينتمى اليه أنبياءهم المرسلون في ملهم
ونسبهم واحد وهو خليل الله ابراهيم، وبأن لغتهم واحدة وهي العربية، وكذلك
عادتهم ومصالحهم الاجتماعية والاقتصادية، وهل يعذر أحد على الرضاء بالخلاف
والفرقة، بعد تجارب هذه الجواذب والدواعي الى الوفاق والوحدة؟ كلا، لا عذر الا
الجهل أو عصبية الجاهلية، وهالك شذرات منه في بيان هذه الحقيقة وحجبها الجلية،
قال المصنف في تمهيد خاتمته الحسنى :

١ — « ان الباحث في تاريخ مصر والشام والعراق كلما تعمق في البحث
وجد أن معظم سكان هذه البلاد كانوا في كل عصور التاريخ — كما هم في هذا
العصر — عرباً أو من أصل عربي. ^(١)، وكان لغتهم العربية أو اختلاها ^(٢) وعليه
فأول الصلات التي تربط هذه البلاد بعضها ببعض وأهمها هي الصلة الجنسية العربية»
ثم إنه جاء بزيادة تاريخ هذه البلاد ايضاً حال هذه الحقيقة وقد بدأ بمخلاصة تاريخ العرب
مهد العرب

٢ — ذكر في بيان مهد العرب ان أوجه الآراء في مهد الجنس السامي اثنان
(أحدهما) رأي مفسري التوراة وهو انه جزيرة العراق. (ثانيهما) رأي بعض علماء
التاريخ واللغات والعاديات ^(٣) — وفي مقدمتهم العلامة روبرتس سمث الانكليزي —
وهو ان مهد جزيرة العرب (قال) « ومنها تفرق في الشرق قبل التاريخ كما تفرق
العرب المسلمون في صدر الاسلام، ولهم على ذلك أدلة لغوية اجتماعية ومن أدلتهم اللغوية
ان اللغة العربية هي أقرب أخواتها — السكلدانية والسريانية أو الارامية والعبرانية
والحبشية — الى اللغة السامية الاصلية، وان في الارامية والعبرانية آثار الحياة البدوية العربية
ومهما يكن من أمر ذلك المهد فالتنا نرى العرب قد أسسوا في جزيرتهم عدة

(١) ان الذين لم يسموا عرباً كدول الفراعنة والفينيقيين كانوا او كانت دول
الحضارة منهم من أصل عربي (٢) ان السريانية والعبرانية تمدان اختين للعربية
لان أصلهما واحد سامي مهد الاول جزيرة العرب (٣) هي آثار الامم القديمة
نسبة الى عاد الاولى العربية ثم صارت عامة

ممالك اشتهرت قديما وحديثا، وخرجوا من جزيرتهم للفتوحات غربا الى سينا، ومصر وافريقية الشمالية، وشرقا الى العراق وتركستان، وشمالا الى سورية وآسية الصغرى، فأسسوا فيها عدة ممالك قبل الاسلام وبعدة . فكان مهد العرب ومسرحهم منذ القديم من المحيط الاناتوليكي شرقا وغربا ومن أعالي الفرات ودجلة والبحر المتوسط الى أقاصي السودان شمالا وجنوبا »

العرب البائدة في العراق ومصر وسورية

٣ — ذكر من تاريخ العرب البائدة انهم كانوا يسكنون ما بين العراق والعقبة، وينقلون التجارة ما بين بابل ومصر . ثم قال : « وما زالوا حتى ظهر منهم في القرن الثالث والعشرين (قبل المسيح) ملك اسمه [حمورابي] فأسس مملكة قوية عرفت « بدولة حمورابي » بلغت اسمى ما وصلت اليه دولة في العهد القديم من الرقي الادبي والمادي . واشتهرت على الخصوص بسن الشرائع والقوانين وبناء الهياكل والقصور، واستمرت حاكمة الى أواخر القرن ٢١١ قبل المسيح »

« وذكر مؤرخو العرب ان العمالة هم الرعاة (الهكسوس) الذين ملكوا مصر في مدة الدول الخامسة عشرة الى السابعة عشرة . ويظن الآن ان سكان مصر وايتوبيا الاولين الذين سكنوا النيل قبل التاريخ هم عرب هاجروا اليه من جزيرة العرب عن طريق سينا أو بوقاز باب المندب كما سيجي »

« هذا وسنرى في تاريخ سورية أن معظم سكانها الاولين هاجروا اليها من جزيرة العرب وأسسوا فيها دولا شتى »

ثم ذكر خلاصة مفيدة من تاريخ العرب المتربة والمستعربة من القحطانيين والعدنانيين واستطرد الى ذكر خلاصة تاريخ ظهور الاسلام وامتداد دعوته وفتوحه ودوله من العرب وغيرهم ختمها بالدولة العثمانية ، وما انتهت اليه حالها في عهد طغاة الاتحاديين من اضطهاد العرب والعربية ، وتقمحهم بالدولة أخطار هذه الحرب الاوربية » وحكم عليهم بأنهم أضاعوا بذلك ملكهم مهما تكن عاقبة هذه الحرب

مستقبل جزيرة العرب

٤ — وقال في شأن مستقبل جزيرة العرب بعد الحرب ما نصه (ص ٦٦١)

« وأما جزيرة العرب فالطبيعة وربالها تحميها ، وقد أعلن الحلفاء استقلالها تحت يد أمراءها ، وأصدر (الجنرال السرجون مكسويل) القائد العام البريطاني بمصر منشورا وجهه الى « العرب الكرام » بتاريخ ٣١ ديسمبر سنة ١٩١٤ جاء فيه ما نصه : « [ان جلالة الملك جورج الخامس ملك الانكليز قد أعلن أنه لا يتخذ إجراءات حرية برية أو بحرية في بلاد العرب أو في موانئها ما لم تمس الحاجة الى ذلك قصد حماية مصالح العرب من اعتداء الترك وغيرهم أو لإنقاذ من ينهض من العرب للخلاص من رقة الترك] »

وبعد وصف جزيرة العرب وبيان حالها وسكانها في هذا المصغر عقد فصلا ثانيا خلاصة تاريخ سورية (ص ٦٧٥)

٥ - بين المؤرخ ان شعوب سورية القديمة هم الاراميون والكنعانيون والحثيون والبرانيون والفلسطينيون والفينيقيون (قال) « وكلهم هاجروا اليها من جزيرة العرب أو العراق الا الفلطينيين » أي والذين هاجروا اليها من العراق كانوا من جزيرة العرب فهاجروا الى العراق قبل الهجرة الى سورية . و « أو » في كلامه لمنع الخلول لمنع الجمع فالتحقى ان من عرب الجزيرة من هاجروا الى سورية توا ومنهم من هاجر الى العراق توا ثم هاجر بعضهم الى سورية وبعضهم الى مصر وبعد ان قال في كل شعب من هؤلاء الشعوب قولاً وجيزاً مفيداً وشكاً من هدم اجتماع كلمة السوريين في كل عصر من العصور ومن ضعفهم بانقسامهم واختلاف أفراسهم وأديتهم . وذكر ان عددهم الآن ثلاثة ملايين

٦ - ثم ذكر خلاصة تاريخ العراق وذكر بمسكة القديمة والحديثة من السككانيين الى العثمانيين وذكر أن عدد سكانه يقدر الآن بثلاثة ملايين ايضاً نصفهم بدو ونصفهم حضر وكلهم عرب الا قليل من الاكراد . (٨)

(٨) استطرذ المؤرخ هنا الى ما لم يستطرذ الى مثله في سورية من ذكر البيوتات فبدلاً بذكر الفاروقين وقال انهم يسكنون الموصل وفاته أن منهم فرعاً في بغداد ايضاً . وثنى بذكر السادة العلويين وقال انهم يسكنون الموصل وبغداد والبصرة . وثالث بذكر السويديين من سلالة الخلفاء العباسيين قال وكلهم في بغداد . ثم ذكر الجليلانية والالوسية في بغداد . وفاته أن هذين البيتين من بيوت السادة العلوية أبطاء =

٧ - ثم انتقل المصنف الى خلاصة تاريخ مصر فبدأه بقوله :

[« كان المشهور الذي عليه الجمهور ان سكان مصر القدماء هم أبناء مصر ام ابن حام بن نوح - هاجر اليها من آسية . ولكن بعض المتضمين من اللغة الهبروغليزية اكتشفوا حديثا أن هذه اللغة واللغة العربية السامية هما من أصل واحد كما مر . فاذا ثبت هذا كان سكان مصر الاولون أجداد القبط الحاليين هم من أصل عربي قديم » وكان هذا هو الفتح العربي الاول لمصر »] اهـ

ثم تكلم على دولة الرعاة الذين سماهم اليونان (هكسوس) أي الملوك الرعاة وهي كلمة محرفة عن كلمتي (حق شاسو) ^(١) في لغة قدماء المصريين ومعناها « ملك البوادي » وسماهم مؤرخو العرب العمالة كما تقدم آفا ، وذكر خلاف المؤرخين فيهم وقول ياقوت « إن العمالة امتدوا من بلاد العرب الى سورية فكانوا ملوكا في سورية وفراعنة في مصر » ثم قال

[« وخلاصة القول انهم قوم رحلة أو عرب أتوا من المشرق » فاذا ثبت ذلك كان هذا هو الفتح العربي الثاني لمصر ، والظاهر انهم كانوا من جنس عرب سورية لان في أيامهم عم السلام بين مصر وسورية ، ونزح كثير من السوريين الى مصر] اهـ

٨ - ثم ختم المصنف خاتمة الكتاب بالكلام على مهاجري قومه السوريين

== وكان ينبغي أن يبدأ بذكر السادة العلوية ويقولون انهم يوجدون في جميع الولايات العراقية كما يوجدون في جميع الولايات السورية وغيرها وان أشهر بيوتهم في العراق بيت النقيب وبيت الالوسي في بغداد وبيت النقيب في البصرة . وقد ذكر من آل الالوسي السيد محمود شكري وقال انه مروج مذهب السلف (الوهاية) في العراق وذكر الوهاية هنا غلط مبني على أغلاطه أخرى عند ذكر هؤلاء في الكلام على نجد فانه جعل الخنابلة غير الوهاية ونسب الى الوهاية ما لا يقوله أحد ممن يطلق عليهم هذا اللقب . ولا عجب فقد اغتر كثير من الناس بما كتبه دخلان وغيره عن هؤلاء الناس ، وما ذلك الا من فتن السياسة أعاذنا الله من إفكها وتضليلها .

(١) يحتمل أن يكون كلمة شاسوا من مادة شاس يشوس فهو أشوس وهم أشاوس . والاشوس يطلق على المتكبر وأصله من يهتغر عينيه وينظر بعجزها أو من ينظر الى الشيء نظرا احتقار - وعلى الشجاع والطويل القامة ، وكذلك كانت العمالة ورعا كانت كلمة حق بمعنى ملك بكسر اللام كما يستعملها أهل الحجاز الآن

بصرفاً اشار الى اليهود والمسلمين منهم اشارة وجيزة في صفحة واحدة لقلّة عددهم وتوسّع في ذكر النصارى - - قل - - (وَمَنْ مِنْ نَفْعِي بِالْعَصْرِ السُّورِي عِنْدَ التَّخْصِصِ) أي عند الاطلاق، فذكر قدامهم وبتأخيرهم وقدر عددهم بسبعين ألف نسمة ورتبتهم بخمسة وعشرين مليوناً، وذكر أُنديتهم وجمعياتهم الخيرية وصحفهم الحية والميتة . ورؤسائهم الروحيين وبيوت الثروة فيهم ومحال التجارة الواسعة لهم ومكثباتهم ورجال الجيش والقضاء والكتاب وكبار الموظفين منهم وأصحاب الفنون

مستقبل سورية بعد الحرب

وقفى على ذلك بالكلام على مستقبل سورية بعد الحرب فقال ان السوريين على اختلاف مذاهبهم ونزعاتهم السياسية يثق كلهم أوجاههم على أربعة أمور (١) السخط على الاتحاديين سرا وجبرا لدخولهم في الحرب الحاضرة (٢) الميل الصادق الى الحلفاء في هذه الحرب (٣) إنشاء حكومة جديدة على مبادئ اللامركزية الشورية تضمن لهم الامن والراحة والنجاح في بلادهم مع المحافظة على لغتهم وتقاليدهم وعاداتهم ووحدةهم القومية (٤) شعورهم بالحاجة الى دولة من دول الحلفاء العظام يستمعون بها على تنظيم حكومتهم الجديدة . ولكنهم يختلفون في كيفية إنشاء الحكومة وتنظيمها ، ثم في نوع المساعدة التي يطلبونها ومقدارها

قال « نعم ان هناك فئة لا يهمهم الاحتفاظ بقوميتهم ما دامت البلاد ممتعة بأسباب الامن والراحة والرفق . ولكن هؤلاء هم فئة قليلة جداً ، والسواد الاعظم من أهالي سورية من مسلمين ونصارى ويهود متمسكون بقوميتهم ولغتهم وعاداتهم كل التسك . وأهل الخبرة منهم يقولون انه لا يكون للسوريين كلمة نافذة ولا مكانة سياسية ولا شأن ولا مقام ولا راحة ولا سلام في بلادهم أو خارج بلادهم الا اذا احتفظوا بقوميتهم ، وتحذوا في الرأي على اختلاف المذاهب والاديان

» واهم الاسباب التي تدعو الى اتحادهم ثلاثة - - ١ - - أن يتخذوا أساس المعاملة المصلحة العامة الوطنية ليس الا - - ٢ - - ان يذكروا انهم كلهم من أصل واحد عربي أو سامي ، وانهم كانوا عرباً أو ساميين ، قبل ان كانوا يهوداً ونصارى ومسلمين ، - - ٣ - - أن يحافظوا على لغتهم العربية لانها لغة راقية ، ولانه لاشي

يقرب العاصر المتنافرة ، مثل الاجماع على لغة واحدة »
وتكلم بعد ذلك في مسألة نخبس السوري بالجنسية المصرية فيبين المرغبات فيها وأضدادها ، وأنها ان هواء مصر شديد الوطأة على المهاجرين الى مصر من البلاد المعتدلة كسورية فهو لا يزال يضعفهم الى ان ينقضوا ، والنصارى منهم وان كثروا يبقون عنصرا ضعيفا منفردا بسبب الفارق بينهم وبين العنصر الاكبر — وهم المسلمون — في الدين وعدم الاختلاط بالزواج .

ثم نصيح للسوريين بعشر نصائح ، قال انها منتهى ما بلغ اليه اختباره بعد ان جاوز الحنين ، وقضى في مصر منها أكثر من ثلاثين ، وهي

- (١) ان لا ينسبوا الى الاصول السائدة في مهاجرهم مستحيين بأصلهم السوري وهم احفاد الحثيين والفينيقيين السابقين الى الاختراع والاكتشاف « وأنصار ابراهيم وموسى وهيسى ومحمد الذين كانوا أول من نادى بوحداية الله وهذب الاخلاق وشاد الاديان التي تسود العالم الآن » — ٢ — قوله « ليكن ارتباطكم بوطنكم لاصلي حيا ما يمكن لتبديل الهواء أو تجديد الدم بالزواج » وأدرج في هذه الحث على الزواج الباكر والرياضة البدنية — ٣ — قوله « اتم في مصر عنصر ضعيف فاستعينوا على ضعفكم بقوات ثلاث : العلم الشريف والمال الحلال والخلق الحسن ، واحذروا آفات ثلاثا : المسكر والمنكر والقمار » — ٤ — الحث على الحرف الراقية من علمية وادبية وزراعية وصناعية وخاصة التجارة مع النهي عن الربا — ٥ — الترغيب عن خدمة الحكومة وقال في الموظفين منهم : ربما كان مجموع ثروتهم في القطر المصري كله لا يساوي ثروة تاجر أو مزارع واحد من تجارهم أو مزارعيهم الكبار » — ٦ — تكريم نوابغهم وإجلال أفاضلهم وتقويم الموج منهم تحقيقا للتضامن الذي يجعلهم كأنهم أسرة واحدة — ٨ — التعاون على المنافع والمصالح العامة كانشاء المعابد والمدارس والمستشفيات ، وعدم تكريم الغني الذي يقصر في ذلك — ٩ — قوله « لا تندعوا الاختلافات المذهبية التي أورثكم الشقاق والشقاء في بلادكم تراقكم الى دار هجرتكم فكدر صفاءكم ونجسكم لغة التمتع باللغة الجنسية » وذكر من وسيلة ذلك كثرة الاندية وارتباط بعضها ببعض — ١٠ — طاعة السلطان وقانون البلاد والعمل لنفع الامة المصرية والحرص على كرامتها . وحتم السلام أو

الكتاب بايات في الجمع بين حب مصر والشام وجمل قلبه شطرين بينهما ونمي
تعامتهما عناق الاخاء الى المنتهى

﴿ جريدة القبلة ﴾

« جريدة دينية سياحية اجتماعية تصدر مرتين في الاسبوع ، لخدمة الاسلام
والعرب » مديرها المسؤول محب الدين الخطيب
أنشئت هذه الجريدة بمكة المكرمة في شهر شوال سنة ١٣٣٤ هـ ، ومحب الدين الخطيب
المدير لشؤونها هو صديقنا المشهور في عالم الصحافة واشتغاله عدة سنين بالتحرير والترجمة
في جريدة المؤيد بمصر ، ومن المحررين لها صديقنا فؤاد الخطيب الشاعر الاديب المشهور
الذي كان استاذ اللغة والآداب العربية في مدرسة غردون الكلية في السودان
واننا نرى ان أفع ما ينشره محب الدين فيها بهد منشورات ميدنا الشريف
الحكمة هو ما يترجمه عن الكتب والصحف التركية مما ينش في الشعب التركي كتابه
من الثابتة الجديدة للفرنجة (حزب تركية الفتاة) الذين تعتمد عليهم جمعية الاتحاد
والترقي في تحويل الترك عن الاسلام بالثشكك في عقائده وشريعاته ، والنشوية
لأادابه وفضائله ، والمحو لصيفته من القلوب واستبدال صبغة جنسية تورانية بها .
وستقتبس بعض ما نشرته من ذلك

قيمة الاشتراك في هذه الجريدة المفيدة ريال مجيدي ونصف في الحجاز وعشرة
فرنكات في سائر الاقطار ، وهي قيمة قليلة لعلها لا تنفي بغقات الجريدة ، الا اذا
كثرت الاشتراكون فيها فصار ألوفاً كثيرة لان الورق والخبر قد تضاعفت أثمانهما في
هذه السنين كما تضاعفت أثمان أ كثر ما تصدره أوربة من مصنوعات ، بعد ان شغلها
الحرب بأوزارها عن كل ما عداها

ونحن نحث الشعب العربي والعارفين باللغة العربية من كل من يصلي الى القبلة من
سائر الشعوب على الاشتراك في هذه الجريدة وشد أزرها ، ونحث أرباب الاقلام منهم
على مواصلة الجود به قرائحهم من المقالات والابحار والآراء المنيرة للجامعة العربية
أو للامة الاسلامية ، ونحمد الله تعالى أنه لا تنافي بين المصلحين لاسلامية والعربية
كما بينا ذلك في مقال في كنه المسألة العربية ضاقت عنه أجزاء المنار الماضية وهذا

الجزء أيضاً، وسيُنشر عند أول فرصة ان شاء الله تعالى، وأما العصبية التركية الطورانية التي قام بها الاتحاديون ووقفوا مال الدولة وفوزها على تأييدها فهي تنافي الاسلام وتعارضه وذلك بديهي في نفسه وسنعيد ما نشرناه في تأييده بما يزيد به ايضاحاً وظهوراً وقد كان الواجب على المثار ان يبادر الى تقييد هذه الجريدة في أول جزء صدر منه عقب ظهورها خلافاً لعادته في إرجاء تقييد المطبوعات ، ولكن لكل أجل كتاب ، وإنما صرحنا بهذا ليعلم قراء المثار في الاقطار أن تأخيرنا لتقريرها لم يكن لقلة العناية بشأنها ، اذ نبهنا الى ذلك ما كتبه اليها بعضهم في السؤال عنها حتى من بعض مهاجري السوريين في أمريكا

(مجلة الاحكام الشرعية)

مجلة قضائية شرعية مشهورة ومنشؤها حسن بك حماده المحامي الشرعي مشهور أيضاً فلا حاجة الى التعريف بهما ، وقد كانت المجلة حجت عن قرائها في أثناء سنتها التاسعة بسبب تعيين منشئها مفتشاً بنظارة الاوقاف في الآستانة ثم انه أعاد إصدارها في العام الماضي قائم بمجلد السنة العاشرة واستمر على إصدارها وقد صدر العدد الاول من مجلد السنة الحادية عشرة في منتصف المحرم مستملاً على مقدمة مختصرة وتسع قرارات شرعية وحكمين وثلاث قرارات للمجلس الحسبي العالي وسبع منشورات من وزارة الحفانية وقد صارت المجلة وافية بحاجة المحامين الشرعيين وأصحاب القضايا والمباحث القضائية الشرعية بما تستوعبه من نشر الاحكام الشرعية ومنشورات الحفانية للمحاكم الشرعية وقرارات المجالس الحسبية ولذلك كثر الاقبال عليها من جميع جهات القطر فنهني صديقنا منشئها ونتمنى له دوام التوفيق والارتقاء

(الثمرات)

جريدة أسبوعية أدبية اقتصادية لمنشئها حسن أفندي السندوبي المشهور في عالم الادب بمقالاته في المؤيد و بكتابه (أعيان البيان) أصدرها في العام المنصرم ولم يمحض في سيره لاسباب ذكرها ، وقد أعاد إصدارها في هذا العام فترجوا لها الراج .

وقيمة اشتراكها ١٠٠ قرش في القطر المصري

﴿ رحلة الحجاز ﴾

ضاق هذا الجزء عن شرشيء من رحلتنا الحجازية وموعدا الاجزاء الآتية

يقضي الحكمة من بناء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الأبواب

المسحاة

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبينون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الأبواب

قال عليه الصلاة والسلام: ان للإسلام صوي و «متارا» كثر الطريق

مصر ٢٩ صفر ١٣٣٥ — ٤ الجدي (ش ١) ١٢٩٥ هـ ٢٥ ديسمبر ١٩١٦

فتاوى المفتين

فتحتنا هذا الباب لإجابة أسئلة المشتريين خاصة، إذ لا يسهل الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز إلى اسمه بالحروف أو يعبر عما شاء من الألفاظ إن شاء. وأما تذكر الأسئلة بالتدرج غالباً وربما قدمنا متاخراً لسبب كسابة الناس إلى بيان موضوعه، وربما أجبنا غير مشترك لحمل هذا، ولأن مضي على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فإن لم تذكره كان لنا عذر محجج لاعتفاله

﴿هل البسمة آية من كل سورة أم لا﴾
(س ١٠٠) من صاحب الأمضاء في الخلافة (شرقية)

بسم الله الرحمن الرحيم
تحية الله مباركة طيبة وسلامه عليكم. وبعد فلما داني فضلكم وهدائي الاطلاع على ما خط يراعكم إلى ساحة المحكم الذي يغترف منه القاصي والداني سجال العوام والمعارف قتروى به الظماي ويستترشد به المسترشدون — تلك مجلة الممار الفراء التي تفتجرو ينابيع الحكمة من بين مطورها — بشت اليكم رسالتي هذه أمتعتكم في مسألة متعلقة بالبسمة طال بين الأئمة النزاع والمجادلة فيها، وتلك المسألة هي هل «بسم الله الرحمن الرحيم» آية من الفاتحة ومن كل سورة أم لا؟ اختلفوا فيها فذهب كل فريق إلى شق من شقي ذلك الاستفهام ونصب على ما يدعيه الدلائل، غير أنه بالاطلاع على شواهد كل يعلم أنها لا تفتج مدعاء، فلقد تركوا الأمر مريباً وظل كل يعمل على ترجيح مذهبه كأننا ما كان، غير مبال بسرد الاحاديث المتعارضة، ونقل الآثار المتناقضة، صريحة كانت أم ضمنية. قالوا افقد الاجماع على أن البسمة آية من القرآن، ويروي ضمن أدلة فريق آخر عن ابن عباس رضي الله عنهما «من ترك لبسمة فقد ترك مائة وأربع عشرة آية من كتاب الله عز وجل» مع تصريحهم بأنه لا خلاف في أن البسمة ليست آية من (برائة) حتى لقد تقلوا الاجماع على ذلك، فبين ماروي عن ابن عباس وبين ذلك التصريح المتناقض الظاهر، إذ مقتضى قوله

مائة وأربع عشرة آية أنها آية حتى من (براءة) وفي الأدلة من ذلك التناقض كثير لهذا لم يهتد طالب الحق اليه فبشت اليكم عسى أن توافوني ببيان شاف وقول فصل تطمئن اليه النفس كما هو المهود فيكم لمثل هذا الموقف ، أمدكم الله بسديد الرأي ، وأعانكم على ما يرفع الاسلام وينفع المسلمين ويعزز الحق ، إنه هو العزيز الحكيم

(ج) في المسألة أدلة قطعية وأدلة ظنية ، والقاعدة في تعارض القطعي مع الظني أن يرجح القطعي إذا تعذر الجمع بينه وبين الظني ، ولولا التعصب للذهاب من قوم وللإسناد من آخرين لأجمع المحدثون والفقهاء والمتكلمون على أن البسملة آية من كل سورة غير براءة (التوبة) كما أجمع الصحابة على كتابتها في المصاحف وكما أجمع القراء السبعة المتواترة قراءتهم على قراءتها وأقراءها عند البدء في كل سورة غير براءة — فهذان دليلان قطعيان أحدهما خطي متواتر والآخر قولي متواتر يؤيدهما كثير من أحاديث الآيات الصحيحة، فوجب الرجوع ما ورد من أدلة النفي الظنية إلى الآيات والا فلا يعتد بها، وإن صحح سندها . ومنها ترك بعض القراء السبعة لتلاوتها في السورة التي توصل بها قليها . أما دعوى أنها كتبت في المصاحف للتوصل بين السور فلو كانت صحيحة لكتبوها بين سورتي الاحقاف وبراءة (التوبة) أيضا . ومن المعلوم بالقطع ان الصحابة ومن اهتدى بهداهم لم يكتبوا في المصاحف شيئا غير كلام الله تعالى . وأما حديث ابن عباس كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لا يعرف فصل السورة حتى ينزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم رواه أبو داود والطحاوي وصححه على شرط الصحيحين والبخاري بسندين رجال أحدهما رجال الصحيح — فهو حجة على أن البسملة كانت تنزل مع كل سورة، لأنها آية كتبت للفصل بين السور بالاجتهاد ، وقد توفي صلى الله عليه وسلم ولم يأمر بكتابتها في أول سورة براءة ، وعلاوا ذلك بنزولها بنقض عهد المشركين وبالسيف .

وأما أحاديث الآيات (فنها) حديث «نزلت علي آتها سورة — فقرأ — بسم الله الرحمن الرحيم . إنا أعطيناك السكينة» الخ رواه مسلم والنسائي عن أنس . (ومنها) : سئل أنس كيف كانت قراءة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال كانت مدًا . ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم — بمد بسم الله ومد بالرحمن ومد بالرحيم . رواه البخاري . وفي معناه حديث أم سلمة عند أحمد وأبي داود والدارقطني وقد قرأت الفاتحة كلها بالبسملة . (ومنها) عدة أحاديث لأبي هريرة — قال نعم الحمر: صليت وراء أبي هريرة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ثم قرأ بام القرآن — الحديث وفيه — وقول إذا سلم: والذي نفسي بيده اني لأشبهكم صلاة برسول الله (صلى الله عليه وسلم) رواه النسائي وصححه ابن خزيمة

وابن حبان والحاكم وقال على شرط البخاري ومسلم، وقال البيهقي صحيح الاسناد وله شواهد (ومنها) قوله عن النبي (ص) كان اذا قرأ وهو يؤم الناس افتتح بسم الله الرحمن الرحيم رواه الدارقطني وقال رجال اسناده كلهم ثقات، ولكن اختلف غيره في عبد الله بن عبد الله الا يصح من رجاله. ومن الاثار في المسألة أن عليا كرم الله وجهه سئل عن السبع المثاني فقال: الحمد لله رب العالمين. أي سورة الحمد لله سأل. فقيل له: انما هي ست، فقال بسم الله الرحمن الرحيم. رواه الدارقطني وقال رجال اسناده كلهم ثقات. ومنها انكار الصحابة على معاوية ترك الجهر بهارواه الشافعي عن انس والحاكم في المستدرک وقال على شرط مسلم قال: صلى معاوية بالناس بالمدينة صلاة جهر فلم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ولم يكبر في الخفض والرفع فلما فرغ ناداه المهاجرون والانصار: يا معاوية تقضت الصلاة، أن بسم الله الرحمن الرحيم وابن التكمير اذا خفضت ورفعت؟ فكان اذا صلى بهم بعد ذلك قرأ بسم الله الرحمن الرحيم وكبر. ولعل المراد الجهر بذلك والالاء عاد الصلاة اذ لا يندر مثله بمجهل كون البسمة منها. وبجمل ان يكون أعادها وان لم يذكر في هذه الرواية.

واما احاديث النفي فاقوا احاديث انس: صليت مع النبي (ص) وابي بكر وعمر وعثمان فلم اسمع احدا منهم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم. رواه احمد والشيخان واصحاب السنن وله ألفاظ أخرى، ومنها: فكانوا لا يجهرون بسم الله الرحمن الرحيم. رواه احمد والنسائي باسناد على شرط الصحيح وابن حبان والدارقطني. وفي رواية أخرى نفي السماع لا القراءة. وفي لفظ لابن خزيمة: كانوا يسرون الخ وقد اعل المثبتون حديث انس هذا بالاضطراب في متنه، وبما روي من اثبات الجهر بها عنه وعن غيره. وقال بعضهم انه كان نسي هذه المسألة فلم يجزم بها. قال ابو سلمة سالت انسا اكان رسول الله (ص) يستفتح بالحمد لله رب العالمين او بسم الله الرحمن الرحيم؟ فقال انك سالتني عن شيء ما احفظه وما سالتني عنه احد قبلك. الحديث رواه الدارقطني وقال هذا اسناد صحيح ومن أدلة النفي ما صح في الحديث القدسي من قسمة الصلاة بين العبد والرب نصفين وفسرها (ص) بقوله «فاذا قل العبد (الحمد لله رب العالمين) قال الله عز وجل حمدني عبدي» الخ الحديث رواه مسلم واصحاب السنن الاربعة. والاستدلال بترك ذكر البسمة فيه على عدم كونها من التافهة ضعيف ولو صرح لصح أن يستدل به على كون سائر الاذكار والاعمال ليست من الصلاة.

والقول الجامع ان النبي (ص) كان يجهر بالبسمة تارة ويسرها تارة. وقال ابن القيم ان الاسرار كان أكثر. وذهب القرطبي في الجمع بين الاحاديث الى ان سبب الاسرار بها قول المشركين الذين كانوا يسمعون القرآن منه: محمد يذكر له التمامة. يعنون مسيلة الكذاب لانه سمي الرحمن أو أطلقوا عليه لفظ الرحمن بالتكبير كقول مادحة: وأنت غيث الوري لازالت رحمانا. وكانوا يشاغبون النبي (ص) بانكار تسمية الله عز وجل بالرحمن كما

علم من سورة الفرقان وغيره ، فأمر (ص) بأن يخاف بالبسمة . قال الحكيم الترمذي فتي
الى يومنا هذا على ذكر الرسم وان زالت العلة . روى ذلك الطبراني في الكبير والأوسط ،
وذكره النيسابوري في التيسير من رواية ابن جبير عن ابن عباس ، وقال في مجمع
الزوائد ان رجاله موثقون

وصفة القول ان أحاديث الإثبات أقوى دلالة من أحاديث النفي . وأولى
بالتقديم عند التعارض وإذا فرضنا أنها تعادلت وتساقطت أو رجع المنفي على اثبت
خلافاً للقاعدة جاء بعد ذلك إثباتها في المصحف الامام في أول الفاتحة وأول كل سورة
ماعدا براءة (التوبة) وهو قطعي ينهزم امامه كل مخالفه من الظنات وقد أجمع
المصحابة على ان كل ما في المصحف فهو كلام الله تعالى اثبت كما نزل سواء قرئت
الفاتحة في الصلاة بالبسمة جهراً أو سراً أم لم تقرأ ، ولا عبرة بخلاف أحد بعد ذلك
ولا برواية أحد يزعم مخالفة أحد منهم لذلك . ولا حاجة مع هذا الى تتبع جميع ماورد
من الروايات الضعيفة والاثار والآراء الخلافية ، ومن ذلك ان ابن عباس المذكور في
السؤال . ولولا التطويل الممل بغير طائل لأوردنا كل ماورد في المسألة رواية ودراية .

﴿ تصحيح وتنقيح في مجلد هذا العام ﴾

صفحة سطر خطأ	صواب	صفحة سطر خطأ	صواب
٢٠١ ٣ وكلا	وليا	٢٣١ ٢٥ في طريقة	في اضرائه وطريقة
» » تأومرتي	تأومرتي	٣٣٧ ٤ تعقلون	يعقلون
٢٠٢ ٢ ففتقنها	ففتقناها	٣٣٨ ١٨ (وهو	(وهي
» ١٨ الرسل	الرسول	٣٤١ ٢٤ أحدا	أحد
٢٠٥ ٥ كان ماضره	كان ضره	٣٤٤ ٧ أن	أنه
٢٠٧ ١٤ تدعو	تدعوا	» ١١ مأخذ	مأخذ
٢٠٨ ١٢ على	عليه	٢٤٦ ١٦ يقيمون	يقومون
» ١٣ بكل وصف	بكل ماوصف	٢٤٧ ١٦ هو	ضصف
٢٠٩ ٢١ يا آبانا	يا آبانا	٢٤٨ ١٣ صوت الامة	صوت الحق الذي كان له السلطان
٣٣٦ ٢٣ الموصوف للموصوف	الموصوف للموصوف	» ١٤ التي	

صفحة	سطر	خطاً	صواب
٢٣٩	٧	ثالثة	ثانية
٢٥٢	٢٢	ومطيعا	مطيعا
»	٢٤	الناطقة	الناطقة
٢٥٣	٢٢	الضعيفة	الضعيفة
»	١٢	يدعوا	يدعو
٢٥٤	٢٢	عملية	علمية
٣٨٩	٧	الى الكذب	الى رواية الكذب
٣٩٢	٢	ان كانت	اذلم تكن
»	»	آية	أول ما نزل
»	»	والا	
»	٤	فهي	أوهي
»	٦	قد	وقد
»	٢٢	لاذى	لاذى
٣٩٩	١٣	المؤمنون	المؤمنين
»	١٤	عن	بذلك عن

ذكرى المولد النبوي

كتبنا رسالة في ذكرى المولد النبوي الشريف ينال فيها كيفية نشأة المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام ومعنى اصطفاؤه الله تعالى له ولاهل بيته ولقومه ولأمته، وحكمة ظهوره في العرب الاميين دون شعوب المدينة في عهده، وخبر البعثة والدعوة الاسلامية. وسنجعل لها مقدمة نين فيها ما ينبغي بيانه نطبعها معها على حدة — وهذا نص الذكرى —:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

محمّدك اللهم حمداً شاكراً، أن بعثت فينا محمداً خاتماً
النبيين والمرسلين، وأرسلته رحمةً عامةً للعالمين، واختصصت بمتك
به الأُمِّيَّينَ وسائر المؤمنين، واستجبت به دعوة إبراهيم، وحققته
به بشاره عيسى والنبيين (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت
واسماعيل: رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا
مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَإِنَّا مَنَّاسُكَانَا وَتُبْ عَلَيْنَا
إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو
عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ *— وإذ قال عيسى بن مريم يابني إسرائيل إني رسول
الله إليكم مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي
مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ، فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحرة مبينون * وإذ
أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول
مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ، قَالَ أَأَقْرَضُكُمْ عَلَى ذَلِكُمْ
إِضْرِي؟ قَالُوا أَقْرَضْنَا، قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ * لَقَدْ مَنَّ
اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ
وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ

(المنار: ج ٧) (٥٢) (المجلد التاسع عشر)

مُبِينٌ * هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ

نَحْمَدُكَ اللَّهُمَّ وَنُصَلِّي وَنُسَلِّمُ عَلَى هَذَا النَّبِيِّ الْأَمِينِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ أَقَامُوا الدِّينَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ فِي هَدَاهُمْ وَهَدَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْأَحْتِمَالَ بِذِكْرَى الْمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ فِي شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ، عَادَةً أُحْدِثَهَا فِي الْقَرْنِ السَّابِعِ الْمَلِكُ الْمُظَفَّرُ أَبُو سَعِيدٍ صَاحِبُ إِرْبِلٍ، مِنْ الْبِلَادِ التَّابِعَةِ الْآنَ لِرِوَايَةِ الْمَوْصِلِ، ثُمَّ انْتَشَرَتْ هَذِهِ الْعَادَةُ فِي الْأَقْطَارِ، وَقَدْ بَدَتْ بِمَصْرُهَا جَمِيعَ الْأَمْصَارِ، وَالْفَائِدَةُ الَّتِي يَبْذُنِي أَنْ تَتَوَخَّى ^(١) فِي هَذَا الْيَوْمِ الَّذِي فَضَّلَ الْأَيَّامَ، هِيَ التَّذَكُّيرُ بِمُخْلَصَةِ تَارِيخِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ، لِيَتَذَكَّرَ الْمُؤْمِنُونَ مِنْهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ يَبْعَثُهُ، وَتَتَعَذَّى أَرْوَاحُهُمْ بِزِيَادَةِ الْإِيمَانِ وَكَمَالِ مَحَبَّتِهِ، وَيَخْرِصُوا عَلَى إِقَامَةِ دِينِهِ وَإِحْيَاءِ سُنَّتِهِ. وَهَذَا نَحْنُ أَوْلَادُ نُشْتَفِ الْأَسْمَاعِ بِفِرَائِدٍ مِنْ نَسَبِهِ وَحَسَبِهِ ^(٢)، وَمَزَايَا قَوْمِهِ وَعَشِيرَتِهِ، وَأَخْبَارِ مَوْلِدِهِ وَتَرْبِيَّتِهِ، وَكَيْفِيَةِ مَعِيشَتِهِ فِي نَفْسِهِ، وَزَوَاجِهِ وَسِيرَتِهِ مَعَ أَهْلِهِ، تَهْنِئَةً لِبَيَانِ الْمَقْصِدِ الْأَعْلَى الْأَعْظَمِ، وَهُوَ نَبَأُ بَنِيهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مُسْتَمِدِّينَ ذَلِكَ مِنَ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ وَالسُّنَّةِ الثَّابِتَةِ

(١) تَوَخَّى تَعَمَّدَ وَنَحَصَ بِالطَّلَبِ وَالْقَصْدِ (٢) الْحَسَبُ مَا يَمْدُ مِنْ مَنَافِرِ الْأَبَاءِ

عند المحسنين ، وما تمس الحاجة إليه مما أثبتته ثقات المؤرخين ،
مَرْضِينَ عن الروايات الموضوعات ، والواحيات والمنكرات ؛
التي عني الكثيرون بنقلها لما فيها من الخوارق والغرائب ، مبالغة فيما
أجاز به العلماء من قبول الأخبار الضعيفة في المناقب ، ولما يرجح من
حسن تأثيرها في قلوب العوام ، مع الثقة عما يخشى من ضده ذلك في
ثابتة هذه الأيام ، على أن لنا فيها لا يحصى من الفضائل والمناقب
المشهوره والمتواترة ، ما يعني عن جميع الروايات الضعيفة والمنكورة ،
وبذلك يعرف قدر الإصلاح العظيم ، الذي أرسل الله به هذا
النبي الكريم ؛ عليه من الله أفضل الصلاة والتسليم

فورم ونسب صلى الله عليه وسلم

(إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى
الْعَالَمِينَ) إِذْ جَعَلَ فِيهِمُ النَّبُوَّةَ وَالْهِدَايَةَ لِلْمُتَّقِينَ وَالْمُتَّخِذِينَ ؛
ثُمَّ اصْطَفَىٰ كِنَانَةَ مِنْ آلِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ، وَاصْطَفَىٰ قُرَيْشًا مِنْ
كِنَانَةَ ، وَاصْطَفَىٰ مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ ، وَاصْطَفَىٰ سَيِّدَ وَلَدِ آدَمَ مِنْ
بَنِي هَاشِمٍ ، فَكَانَ آلُ إِسْمَاعِيلَ أَفْضَلَ الْإَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ، كَمَا كَانَ
بَنُو إِسْحَاقَ أَفْضَلَ الْمُتَوَسِّطِينَ ، إِذْ كَانَتْ هِدَايَةُ الْإِنْبِيَاءِ مِنْ بَنِي
إِسْحَاقَ وَغَيْرِهِمْ خَاصَّةً ، وَهِدَايَةُ هَذَا النَّبِيِّ مِنْ آلِ إِسْمَاعِيلَ عَامَّةً ،
فَبِهِ أَكَلَ اللَّهُ تَعَالَى الدِّينَ ، وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَى الْعَالَمِينَ ، كَمَا اقْتَضَتْهُ سُنَّتُهُ
تَعَالَى فِي النَّشْوَ وَالْإِرْتِقَاءِ ، الَّتِي كَانَتْ فِي الْبَشَرِ أَظْهَرَ مِنْهَا فِي
سَائِرِ الْأَحْيَاءِ .

كَيْفَ كَانَ اصْطِفَاهُ اللَّهُ تَعَالَى لِهَذِهِ الْأَصُولِ مِنَ الْأُمَّةِ الرَّيِّيَّةِ ،
الَّذِي ثَبَّتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ وَغَيْرِهِ مِنْ كُتُبِ السُّنَنِ السَّيِّئَةِ ؟ وَبِمَاذَا أَمْتَّازَ
قَوْمُ خَاتَمِ الرُّسُلِ الْكَرَامِ ، فَفَضَّلُوا بِهِ غَيْرَهُمْ مِنَ الْأَقْوَامِ ، حَتَّى اسْتَعْدُوا
بِهِ لِهَذَا الْإِصْلَاحِ الرُّوحِيِّ الْمَدَنِيِّ الْعَامِّ ، الَّذِي اشْتَمَلَ عَلَيْهِ دِينُ
الْإِسْلَامِ ، عَلَى مَا طَرَأَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْأُمِّيَّةِ وَعِبَادَةِ الْأَصْنَامِ ، وَمَا أَحْدَثَتْ
فِيهِمْ غَلْبَةُ الْبِدَاوَةِ مِنَ التَّفَرُّقِ وَالْإِنْفِصَامِ ؟
الجواب :-

كَانَتِ الْعَرَبُ مُمْتَازَةً بِاسْتِقْلَالِ الْفِكْرِ وَسَعَةِ الْحُرِّيَّةِ الشَّخْصِيَّةِ ،
أَيَّامَ كَانَتِ الْأُمَمُ تُرْسَفُ ^(١) فِي عِبُودِيَّةِ الرِّيَاسَتَيْنِ الدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ ،
مَحْظُورًا عَلَيْهَا أَنْ تَفْهَمَ غَيْرَ مَا يُلْقِنُهَا الْكَهَنَةُ وَرِجَالُ الدِّينِ مِنَ الْأَحْكَامِ
الدِّينِيَّةِ ، وَأَنْ تُخَالِفَهُمْ فِي مَسْأَلَةِ عَقَلِيَّةٍ أَوْ كَوْنِيَّةٍ أَوْ أُدُيَّةٍ ، كَمَا حُظِرَتْ
عَلَيْهَا حُرِّيَّةُ التَّصَرُّفَاتِ الدِّينِيَّةِ وَالْمَالِيَّةِ

كَانَتِ الْعَرَبُ مُمْتَازَةً بِاسْتِقْلَالِ الْإِرَادَةِ فِي جَمِيعِ الْأَعْمَالِ ،
أَيَّامَ كَانَتِ الْأُمَمُ مُذَلَّلَةً مُسَخَّرَةً لِلْمُلُوكِ وَالنَّبَلَاءِ الْمَالِكِينَ لِلرُّقَابِ
وَالْأَمْوَالِ ، يَسْتَعْمِدُونَهَا كَمَا يَسْتَعْمِدُونَ الْبَهَائِمَ ، وَيُصَرِّفُونَهَا كَمَا
يُصَرِّفُونَ السَّوَاهِمَ ^(٢) لَا رَأْيَ لَهَا مَعَهُمْ فِي سِلْمٍ وَلَا حَرْبٍ ، وَلَا إِرَادَةَ
لَهَا فِي عَمَلٍ وَلَا كَسْبٍ

كَانَتِ الْعَرَبُ مُمْتَازَةً بِعِزَّةِ النَّفْسِ ، وَشِدَّةِ الْبَأْسِ ، وَقُوَّةِ
الْأُيُودِ ، وَجُرْأَقِ الْجَنَانِ ، أَيَّامَ كَانَتِ الْأُمَمُ مُؤَلَّفَةً مِنْ رُؤَسَاءِ

(١) ترسفت بمعنى مشية المتعبد - يشبه تصرفها في استبعاد الرؤساء لها بمشي الاسير

في قيوده (٢) السواهم المواشي الراعية

أفسدَهم الإسرافُ في الترفِ، ومروءَينَ أضعفَهم البؤسُ والشظفُ^(١)
 وسادةً أبطَرهم بغيُّ الاستبدادِ، ومسودينَ أذهلهم قهرُ الاستعبادِ
 كانت العربُ أقربَ إلى فضيلةِ المساواةِ بين الأفرادِ، من غيرِ
 شرائعٍ تُحترَمُ بالأعتقادِ، ولا قوانينَ تكفلُها قوَّةُ الأجنادِ. أيَّامَ
 كانت الأمُ تنقسمُ إلى طبقاتٍ، يرتفعُ بعضها على بعضٍ عدَّةَ درجَاتٍ،
 لا بفضلٍ ذاتيَّةٍ، من علميَّةٍ أو عمليَّةٍ، بل بحكمِ وراثَةِ الخلفِ الطالحينِ^(٢)
 للسلفِ المستكبرينِ، باستبدادِ الملكِ أو تقاليدِ الدينِ
 كانت العربُ ممتازةً بالذكاءِ واللوذعيَّةِ، وكثيرٍ من الفضائلِ
 الموروثَةِ والكسبيَّةِ. كقِرَى الضيوفِ، وإغاثةِ الملهوفِ، والنَّجدةِ
 والإيَّاءِ^(٣) وعلوِّ الصَّمةِ والسَّخاءِ، والرَّحمةِ والإيثارِ^(٤) وحمايةِ اللاجئِ
 وحرمةِ الجارِ. أيَّامَ كانت الأمُ زُهَّمةً بالأثَرَةِ والآثانيَّةِ^(٥) والآنينِ
 مِن ثَقَلِ الضَّرَائِبِ والآتَوَى^(٦) الأميريَّةِ، وروَّسائها مُنغمسينَ في
 الشَّهواتِ البهيميَّةِ، وفسادُ الآخلاقِ قد عمَّ الراعي والرَّعيَّةَ

(١) الشظف بفتحين ضيق المعيشة

(٢) الخلف بسكون اللام الذين يخلفون غيرهم في الشر. والطالحون بالطاء
 الفاسدين فهو ضد الصالحين
 (٣) النجدة مضاعف عزم يبعث على المضي فيما يعجز عنه غيره. والاياء الترفع
 عن الخسائس

(٤) الايثار تقديمك غيرك على نفسك بما تحتاج اليه مما تملك

(٥) تقديم نفسك على غيرك ولو بما هو أولى به منك فهي ضد الايثار، والآثانية
 المبالغة في حب النفس الحامل على الأثرة، وهو نسبة الى كلمة «أنا»

(٦) الضرائب جمع ضريبة وهي ما يضرب على العبيد ونحوهم من المال يؤدونه
 أقساطا، ومنها الجزية، وضريبة الارض الخراج. والآتوى جمع إتاوة وهي
 الرشوة، وتطلق على الخراج ونحوه

كانت العربُ قد بلغت أوجَ الكمالِ ، في فصاحةِ اللسانِ
وبلاغةِ المقالِ ، وكادت تتحدُّ لغاتُ قبايلها أولهجاتها العربية ، وتَسُودُ
الْمُضَرِّيَّةُ منها على الْحِمْيَرِيَّةِ ، بما كان لِقُرَيْشٍ وَغَيْرِها من الرِّحالاتِ
التِّجَارِيَّةِ ، والأسواقِ الْأَدْيِيَّةِ ؛ فَاسْتَمَدَّتْ بِذَلِكَ لِلوَاحِدَةِ القوميةِ ،
وللتأثيرِ والتأثيرِ بالبراهين العقليةِ ، والمعاني الخطابيةِ والشعريةِ ، وللتعبيرِ
عن جميع العلومِ الْإِلَهِيَّةِ وَالشَّرْعِيَّةِ ، والفنونِ الْعَقْلِيَّةِ وَالْكَوْنِيَّةِ .
أَيَّامَ كانتِ الْأُمَمُ تَنْصَحُ عُرَى وَحَدَّتْهَا بِالْمُصَنِّبَاتِ الدِّيْنِيَّةِ وَالْمَذْهَبِيَّةِ ،
وَتَفَرَّقُ وَشَاجَّهًا^(١) بِالْمَدَاوِاتِ الْجِنْسِيَّةِ ، وَتَمَرَّقُ دَوْلُهَا بِالْحُرُوبِ
الْأُجْنِبِيَّةِ وَالْأَهْلِيَّةِ .

فَتلكُ أُمَمَاتٌ مَزَايَا الْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ ، الَّتِي أَعَدَّهَا اللَّهُ تَعَالَى بِهَا لِلْبَعْثَةِ
الْمُحَمَّدِيَّةِ ، وَالسِّيَادَةِ الدِّيْنِيَّةِ وَالْمَدْنِيَّةِ ، بَعْدَ أَنْ طَالَ الْمَهْدُ عَلَى مَدَنِيَّتِهِمْ
الْعَادِيَّةِ ، وَاسْتَعْمَارِهِمُ لِلْبِلَادِ الْكَلْدَانِيَّةِ الْبَابِلِيَّةِ ، وَالْبِلَادِ الْفِينِيَّةِ
(السُّورِيَّةِ) وَالْمِصْرِيَّةِ ، الَّتِي تَشْهَدُ لَهَا سِيَادَةُ لُغَتِهِمُ الْغَلَاتِ السَّامِيَّةِ ،
وَبَقَايَاها فِي الْأَنْسَةِ الْهَبْرُ وَغُلَيْفِيَّةِ^(٢) ، وَبَعْدَ أَنْ غَلَبَتْ عَلَيْهِمُ الْأُمِّيَّةُ ،
وَحَرَافَاتُ الْوَثْنِيَّةِ ، وَعَصَبِيَّةُ الْجَاهِلِيَّةِ

وَجَمَلَةُ مَزَايَاهُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا أَسْلَمَ النَّاسِ فِطْرَةً ، عَلَى كَوْنِ أُمَمِ الْحَضَارَةِ
كَانَتْ أَدْقَى مِنْهُمْ فِي كُلِّ فَنٍّ وَصِنَاعَةٍ . وَالْإِصْلَاحُ الْإِسْلَامِيُّ مَبْنِيٌّ عَلَى

(١) الْوَشِيجُ وَالْوَشِيجَةُ اشْتَبَاهَا الْقِرَابَةُ وَتَدَاخَلَتْ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ وَأَصْلُهُ شَجَرُ
الرَّمَاخِ وَنَحْوُهُ مِمَّا يَشْتَبِكُ (٢) أَقْدَمُ مَدْنِيَّةٍ وَحَضَارَةٍ عَرَفَهَا التَّارِيخُ مَدْنِيَّةَ الْكَلْدَانِيِّينَ
وَالْبَابِلِيِّينَ فِي الْمِصْرَاقِ وَالْمِصْرِيِّينَ فِي مِصْرَ وَالْفِينِيَّةِيِّينَ فِي سُورِيَّةٍ وَقَدْ ثَبَتَ لَدِي
بَعْضُ عُلَمَاءِ الْعَادِيَّاتِ (الْأَنْثَرَالْقِدِيَّةِ) أَنَّ أَهْلَهَا مِنْ بِلَادِ الْعَرَبِ

تقديم إصلاح النفس باستقلال العقل والإرادة وتهذيب الأخلاق،
على إصلاح ما في الأرض من معدن ونبات وحيوان، أي أن الله تعالى
كان يُعدُّ هذه الأمة لهذا الإصلاح العظيم، الذي جاء به محمد عليه من
الله أفضل الصلاة والتسليم

اصطفاه كناتة وقريشي وبني هاشم

أما اصطفاه الله لسكنانة الشيخ الجليل، من سلالة نبيه الذي يرحم
إسماعيل، فيفسرُهُ ما كانت تحفظهُ العرب من أخبار كرمه ونبله، ومنها
أنه كان على سنة جدِّه إبراهيم الخليل لا يأكل وحده. وقد نقل الحافظ
في شرح البخاري أنهم كانوا يحجون إليه لعلمه وفضله. ومما يؤثر عنه
من الأحكام الجليلة، كما روي في السيرة الحلبية: رُبَّ صُورَةٍ
تُخَالَفُ الْمُتَخَبِّرَةَ، قَدْ غَرَبَتْ بِجَمَالِهَا، وَأَخْبَرَ قُبْحُ فِعَالِهَا، فَأَحْذَرِ
الصُّورَ، وَأَطْلُبِ الْخَبَرَ. فهذا دليل على ما وُصف به من العلم والحكمة،
وأما حيق العرب إليه فهو دليل على أنه كان مثابة التعارف، وممقداً
رَابطةِ الأَجْتِمَاعِ والتألف.

*

وأما اصطفاه الله تعالى لقريش الميامين النمر، وهم ذرية فِهْر بن
مالك وقيل جدُّه النضر. فقد كان بما آتاهم الله من المناقب العظام، ولا
يسابغ سكتى مكة وخدمة المسجد الحرام، إذ كانوا أصرح ولد إسماعيل
أنساباً، وأشرقهم أحساباً وأعلامهم آداباً، وأفصحهم لغةً، وهم
الْمَبْدُون لجمع الكلمة. — فقد نقل أهل السير، أن مالك بن النضر

كان ملك العرب، وأن كعب بن لؤي كان يجمع قومه ويعظمهم يوم الجمعة، وكانوا يسمونه يوم المروبة، وأنهم كانوا يجلبونه في حياته، ثم انهم أرخوا بموته، وأن قصيًا هو الذي جمع شمل قبائل قريش بمكة، إذ كان هو الوارث لمن كانوا يتولونه من خراعة^(١) وقد تملك عليهم فلكوه، إلا أنه قد أقر للعرب ما كانوا عليه. وذلك أنه كان يراه دينًا في نفسه، لا ينبغي له تغييره ولا لنيره من بعده (قال ابن اسحق) وهو الذي أنشأ الندوة، وجعل بابها إلى الكعبة، وقد أجمعت قريش على طاعته وحبه، فكانت إليه الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء، ثم وزعت المناصب بعده على الزعماء^(٢)

(١) قد كان ذلك بتروجه لحبى بنت حليل الذي كان آخر من ولي منهم . قال ابن اسحق : فلما انتشر ولد قصي وكثر ماله وعظم شرفه هلك حليل ، فرأى قصي انه أولى بالكعبة وأمر مكة من خراعة وبني بكر . وان قريشا قرعة اسماعيل ابن ابراهيم وصرح ولده ، ثم قال بعد بيان ما كان في ذلك من أمره . فولي قصي البيت وأمر مكة . الخ

(٢) كان قريش من المناصب غير تلك الخمسة . الاشتاق والعمارة والسفارة والأعنة والقبعة ، والأموال الحجرية للمعبودات كالاصنام ، والابصار الذي منه الاستقسام بالأزلام ، الذي يرجع به بين الاقدام والاحجام . وقد عهدهم عليها الاسلام : (فالحجابة) هي السدانة أي خدمة المسجد الحرام . (والسقاية) توزع الماء الحلي والقراح على جميع الحجاج . (والرفادة) إسعاف الفقراء والمساكين . ولا سيما الحجاج المنقطعين . (والندوة) الشورى لاجالة الرأي في الامور النظام . التي اجتمعوا فيها بعد البعثة للالتزام بالنبي عليه الصلاة والسلام . (واللواء) راية قريش وكانت تسمى العقاب ، (والاشتاق) تحمل الديار والمغارم . لمنع انتشار التماذي والتخاصم . (والعمارة) حفظ بناء المسجد الحرام قيل وحفظه من اللطم وهجر الكلام . (والسفارة) المراسلة بين فريقين في شأن من الشؤون العامة ، كالقتال أو المفاخرة . (والاعنة) قيادة الفرسان في أيام الطمان أو الرهان ، (والقبعة) الحيمة الرسمية التي تنصب وقت الحرب . ويجمع فيها ما يجهز به الجيش

وأفضلُ من ذلك كله ما وُفِّقوا له في حادثة الرسول. من التحالف الذي عُرِفَ بِمُحَلِّفِ الْفُضُولِ، إذ تعاهدوا وتعاهدوا أن لا يجذوا بمكة مظلوماً إلا قاموا معه، وكانوا عوناً له على مَنْ ظلمه، إلى إن تردَّ مَنَظَّمَتُهُ. وفي حديث الزبير بن العوام عند الطبراني، ومثله حديث أم هانئ في معجمه الأوسط كتاريخ البخاري، «فَضَّلَ اللهُ قُرَيْشًا بِسَمْعِ خِصَالٍ: فَضَّلَهُمْ بِأَنَّهُمْ عَبَدُوا اللَّهَ عَشْرَ سِنِينَ لَا يَعْبُدُ اللَّهُ إِلَّا قُرَيْشًا»^(١) وفضلهم بأنه نصرهم يوم الفيل وهم مشركون. وفضلهم بأنه نزل فيهم سورة من القرآن لم يدخل فيها أحد من العالمين. — وهي لا يلافٍ قُرَيْشٍ — وفضلهم بأن فيهم النبوة والخلافة، والحجبة والسقاية.

كان ذلك كله من ارتقاء قريش واستعداد العرب للإسلام، ولكن هذه القوى المعنوية كلها وُجِّهَتْ لمعاداته عليه أفضل الصلاة والسلام

*

وأما اصطفاؤه الله تعالى لبني هاشم، فقد كان بما أمتازوا به من الفضائل والمكارم، فقد روى أبو نعيم من حديث المستورد الفهرري رضي الله عنه «إِنَّ فِيهِمْ خِصَالًا أَرْبَعًا: إِنْهُمْ أَصْلَحُ النَّاسِ عِنْدَ فِتْنَةٍ، وَأَسْرَعُهُمْ إِقَامَةً بَعْدَ مُصِيبَةٍ. وَأَوْشَكُهُمْ كَرَّةً بَعْدَ فَرَّةٍ، وَخَيْرُهُمْ لِمَسْكِينٍ وَتَيْمِيمٍ، وَأَمْنُهُمْ مِنْ ظُلْمِ الْمُلُوكِ». وكان جدُّهم هاشمٌ صاحب إيلافٍ

(١) أي لا يعبدوه ويوحده أحد إلا أناس منهم إذ كانوا على ملة إبراهيم وكانت الوثنية قد شملت العرب كلهم كما شملت غيرهم
(المنار: ج ٧) (٥٣) (المجلد التاسع عشر)

قريش ، الذي أخذ لهم العهد من قيصر الروم على حمايتهم في رحلة الصيف ، وروى أنه هو الذي سنّ الرّحلتين ، وأخذ اليهود بها من الحكومتين ، حكومة اليمن العربية ، وحكومة الشام الرومية ، فأنتسعت بهما معيشة قريش ، وأمنوا في تجارتهم من كل خوف ، وقد امتنّ الله عليهم بذلك في القرآن ، بما عدّت به التجارة من أشرف أعمال الإنسان ، وإنما أطلق لقب هاشم على عمرو بن عبد مناف ، لأنه أول من هشم الزيد للمُسنتين العجاف^(١) ، وكان يُشبع منه كل عام أهل الموسم كافة ، كما أشبع منه قومه في سنة القحط والمجاعة ، على أن مائدة كانت منصوبة لا ترفع في السراء ولا في الضراء ، وزاد عليه ولده عبد المطلب فكان يُطعم الوحش وطير السماء ، وكان أول من تحنّت بنار حراء ، وروى أنه حرّم الحرّ على نفسه ، وجعل ماء زمزم للشرب محرّم أن يُغتسل به ،

فجعله ما امتاز به آله صلى الله عليه وسلم على سائر قومه الأخلاق العلية ، والفواضل والفصائل النفسية ، وكانوا أبعد من سائر قريش عن الكبر والاثرة والامور الحربية ، ولذلك غلبوا على الرئاسة حتى بعد الإسلام ، وحكمة ذلك ظاهرة لا ولي الأحلام ، فهو أنقى للشبه عن رسالته عليه أفضل الصلاة والسلام

(١) المستنون اسم فاعل من أسنت القوم أصابهم السنة والقحط والعجاف جمع عجف وعجفاء وهم الذين ضعفوا وهزلت أبدانهم ، العبارة مؤخوذة من قول ابن الزبير في مدح هاشم :
عمرو العلاء هشم الزيد لقومه ورجال مكة مستنون عجاف

سرد نسب صلى الله عليه وسلم

بَعْدَ هَذَا التَّذَكُّيرِ بِمَنَاقِبِ قَوْمِهِ ، وَالتَّفْسِيرِ لِأَصْطِفَاءِ اللَّهِ
تَعَالَى لِقَبِيلِهِ وَآلِ بَيْتِهِ ، أَشْنَفُ الْأَسْمَاعِ بِنَسَبِهِ الْخَفُوضِ بِالْفَصِيلِ ،
الْمُتَوَاتِرِ اتِّصَالُهُ بِنَبِيِّ اللَّهِ إِسْمَاعِيلَ ، فَقَوْلُ : هُوَ سَيِّدُ نَاحِمٍ بَنِ عَبْدِ
اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَأَسْمُهُ شَيْبَةُ الْحَمْدِ ، ابْنُ هَاشِمٍ وَأَسْمُهُ الَّذِي
سَمَّاهُ بِهِ أَبُوهُ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ مَنْفٍ وَأَسْمُهُ الْمُعِيرَةُ ، ابْنُ فُصَيٍّ وَلَقَبَ
بِجَمْعٍ إِذْ جَمَعَ قُرَيْشًا فِي تِلْكَ الْأَخْظَرَةِ ابْنُ حَكِيمٍ الَّذِي لُقِّبَ بِكَلَابِ
وَالْكَلَابُ مُصَدَّرٌ كَالْمُكَالَةِ ، وَمَعْنَاهُ الْمَجَاهِرَةُ بِالْعِدَاوَةِ وَالْمَنَاصِبَةِ ،
ابْنُ مَرَّةٍ وَالْمُرَادُ بِهِ الْجَدُّ الْقَوِيُّ ابْنُ كَعْبٍ وَهُوَ مَنْقُولٌ مِنْ كَعْبِ
الرَّمِجِ الرُّذَيْنِيِّ ، ابْنُ لُؤَيٍّ ، وَهُوَ تَصْغِيرُ لُؤَاءٍ أَوْ لَأَى أَوْ لَأِي ^(١)
ابْنُ غَالِبٍ ابْنِ فِهْرٍ وَمَعْنَاهُ الْحَجَرُ الصَّغِيرُ ^(٢) وَهُوَ قُرَيْشِيٌّ عَلَى الْمُعْتَمَدِ عِنْدَ
الْجَمَاهِرِ ، ابْنُ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ وَأَسْمُهُ قَيْسٌ ، وَالنَّضْرُ هُوَ الْحَسَنُ
الْمُشْرِقُ الْوُجْهِ ، ابْنُ كِنَانَةَ وَمَعْنَاهُ وَعَاءُ السَّهْمِ مِنَ الْجِلْدِ ، ابْنُ خَزِيمَةَ
وَهُوَ تَصْغِيرُ اسْمِ الْمَرَّةِ مِنَ الْخَزْمِ ^(٣) ، ابْنُ مَدْرِكَةَ وَأَسْمُهُ عَامِرٌ أَوْ عَمْرُو ،
ابْنُ إِلْيَاسَ وَهُوَ مُحْفَفُ الْيَاسِ ، ابْنُ مَضَرَ وَهُوَ مُسَدُّوْلٌ عَنْ مَاضِرٍ ،
وَمَعْنَاهُ اللَّابَنُ الْأَبْيَضُ أَوْ الْحَامِضُ الْخَائِرُ ، ابْنُ زَرَارٍ مِنَ الزَّرِّ

(١) اللواء معروف واللائي الثور الوحشي ويكنى به عن حسن العينين. واللائي البطء

(٢) الفهر الحجر الذي يؤخذ باليد عادة ويدق به الشيء وقيل مطلقا

(٣) الخزم نظم اللائي في السلك

وَمَعْنًا، الْقَلِيلُ ، وَلَقَدْ سَمِعِي بِهِ تَقَاوُلًا بِحِلَّةٍ وَجُودٍ مِنْهُ فِي ذَلِكَ
الْجِيلِ ، ابْنُ مَعَدٍّ وَهُوَ مُشْتَقٌّ مِنَ الْمَعَدِّ ، وَهُوَ الْجَذْبُ السَّرِيعُ
وَالذَّهَابُ فِي الْأَرْضِ ، وَوَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ وَفِي نَصِيحَةِ عُمَرَ
لِلْحَبِشِ ، « تَمَعَّدُوا » أَيَّ تَشَبَّهُوا بِمَعَدٍّ فِي خُسُونَةِ الْعَيْشِ . ابْنُ
عَدْنَانَ ، وَهُوَ مِنْ عَدَنَ بِمَعْنَى أَقَامَ فِي الْمَكَانِ

وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ « كَانَ عَدْنَانُ وَمَعَدُّ وَرَبِيعَةٌ وَمُضَرٌّ وَخَزَيْمَةٌ
وَأَسَدٌ عَلَى مِلَّةٍ إِزْرَاهِيمَ فَلَا تَذْكُرُوهُمْ إِلَّا بَخِيرٍ » ^(١) وَرَوَى الزُّبَيْرُ بْنُ
بَسَّارٍ مِنْ وَجْهِ آخَرٍ مَرْفُوعًا « لَا تَسْبُوا مُضَرَ وَلَا رَبِيعَةَ فَإِنَّهُمَا كَانَا
مُسْلِمَيْنِ » ^(٢) فَهَذَا مَا كَانَ يَسْرُدُهُ الرَّسُولُ مِنْ نَسَبِهِ كَالَّذِ الرَّسُولُ ، وَهُوَ
وَاسِطَةٌ عَقْدِهِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ ،

نَسَبٌ مُحَسَّبٌ الْعُلَا بِحُلَاهُ قَلَدَتْهَا نُجُومَهَا الْجُوزَاءُ
حَبْدًا عَقْدُ سَوْدَدٍ وَفَخَارٍ أَنْتَ فِيهِ الْيَتِيمَةُ الْعَصَا

نوابغ عبد الله بآمنة والحمل بالنبي وولادته

صلى الله عليه وسلم

انْخَصَرَ نَسْلُ هَاشِمٍ فِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَلَمْ يَكُنْ لَهُ سِوَاهُ ، وَوُلِدَ

(١) عزاه الحافظ في فتح الباري الى تخرج أبي جعفر بن حبيب في تاريخه الحبر .

قوله وربيعة ومضر أي ابن نزار بن معد ، قوله وأسد هو ابن خزاعة

(٢) قال الحافظ وله شاهد عند ابن حبيب من مرسل سعيد ابن المسيب ، أي

ومراسيله أصبح المراسيل

لِعَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَبُو طَالِبٍ وَالْعَبَّاسُ وَحَمْرَةُ وَعَبْدُ اللَّهِ . وَقَدْ زَوَّجَ عَبْدُ
 اللَّهِ أَمَنَةَ ابْنَةَ وَهَبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ زُهْرَةَ، وَزُهْرَةُ أَخُو جَدِّهِ قُصَيٍّ
 ابْنِ حَكِيمٍ بِنِ مَرَّةَ، وَقَدْ بَنَى عَلَيْهَا فِي بَيْتِ أَهْلِهَا وَأَقَامَ مَعَهَا فِيهِ ثَلَاثَةَ
 أَيَّامٍ، فَلَمَّ تَلَبَّثَ أَنْ حَمَلَتْ بِالنَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَلَمْ تَجِدْ سِيفَ
 حَمْلِهِ ثِقَلًا وَلَا وَجَعًا كَمَا هُوَ شَأْنُ الْمُحْصَنَاتِ الصَّحِيحَاتِ الْأَجْسَامِ،
 وَقَدْ رَوَى الْأَحْكَامُ وَصَحَّحَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي مَرَاسِيلِ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ، أَنَّ
 الصَّحَابَةَ سَأَلُوهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ هَذَا الشَّأْنِ، فَقَالُوا يَا رَسُولَ
 اللَّهِ خَبَرْنَا عَنْ نَفْسِكَ، وَفِي حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ عِنْدَ ابْنِ سَعْدٍ وَأَحْمَدَ
 وَغَيْرِهِمَا: مَا كَانَ بَدْءَ أَمْرِكَ فَقَالَ «دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ»^(١)، وَيُشْرَى
 عِيسَى، وَرَأَتْ أُمِّي حِينَ حَمَلَتْ بِي كَأَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهُ بُصْرَى
 مِنْ أَرْضِ السَّامِ «وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ هَذِهِ رُؤْيَا كَانَتْ فِي النَّمَامِ، وَلَكِنَّهَا
 رُؤْيَا صَادِقَةٌ لَا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ، وَصَحَّحَ ابْنُ حِبَّانَ أَنَّ ذَلِكَ
 النُّورَ تَمَثَّلَ لِعَيْنَيْهَا حِينَ أَخَذَهَا الْمُخَاضُ فَوَضَعَتْهُ عَلَيْهِ أَفْضَلُ
 الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ

تاريخ ولادته وضمير رضاعته ومضانته

صلى الله عليه وسلم

وُلِدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَوِيًّا أُخْلِقَ، جَمِيلَ الصُّورَةِ صَحِيحَ
 الْجِسْمِ، وَكَانَتْ وَلَادَتُهُ فِي عَامِ الْفِيلِ، فِي اللَّيْلَةِ الثَّانِيَةِ عَشْرَةَ أَوْ

(١) أي أنا مصداق دعوته التي حكها الله عنه في قوله (ربنا وابحث فيهم
 رسولاً منهم) الآية — ومصداق بشرى عيسى رسولياً في من بعده

التَّاسِعَةَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ الْمُوَافِقَةَ لِلْعَشْرِينَ مِنْ شَهْرِ إِبْرَيْلَ ،
وَكَانَ ذَلِكَ الْعَامَ ، هُوَ السَّادِي وَالسَّبْعِينَ بَعْدَ الْخَمْسِ مِثَّةً مِنْ مَوْلِدِ الْمَسِيحِ
عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَقَدْ تُوُفِّيَ وَالِدُهُ وَهُوَ حَمَلٌ ، فَكَفَلَهُ جَدُّهُ
شَيْبَةُ الْحَمْدِ ، فَأَرْضَعَتْهُ أُمُّهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، وَكَذَا تُؤَيِّتُهُ مَوْلَاةُ أَبِي لَهَبٍ
عِدَّةَ أَيَّامٍ ، وَكَانَتْ نِسَاءُ قُرَيْشٍ لَا يُرْضَعْنَ إِلَّا وَلَدَ فَعَهْدَ جَدِّهِ
بِإَرْضَاعِهِ إِلَى حَلِيمَةَ السَّعْدِيَّةِ ، وَجَعَلَهُ فِي قَبِيلَتِهَا بِالْبَادِيَةِ لِيَنْشَأَ فِي
الْمَيْشَةِ الْخُلُويَّةِ ، ثُمَّ رَدَّتْهُ حَلِيمَةُ إِلَى أُمِّهِ بَعْدَ أَرْبَعِ سَنِينَ ، فَحَضَنْتُهُ
إِلَى أَنْ تُوُفِّيَتْ وَلَهُ سِتُّ سَنِينَ ، فَأَصْبَحَ ﷺ يَتِيمَ الْأَبْوَيْنِ ،
فَكَفَلَهُ بَعْدَهَا جَدُّهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ سَنَتَيْنِ ، ثُمَّ تُوُفِّيَ بَعْدَ أَنْ أَوْصَى بِهِ
أَبَا طَالِبٍ عَمَّهُ ، فَخَاطَبَهُ بِمِثْلِهِ كَمَا يَحْوِطُ وَلَدُهُ وَأَهْلُهُ ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ
لِفَقْرِهِ يَمِيشُ عَيْشَةَ الْقَشْفِ ، فَلَمْ يَتَعَوَّذْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَعِيمَ
الْتَّرَفِ ، وَذَلِكَ مِنْ عِنَايَتِهِ تَعَالَى بِرَبِّيَّةِ هَذَا الْمُصْلِحِ الْعَظِيمِ ، عَلَيْهِ
مِنْ اللَّهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالتَّلَامُ

معهشة في الحرمان وكسبه وزواجه

صلى الله عليه وسلم

وُلِدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتِيمًا ، وَنَشَأَ فِي قَوْمِهِ فَقِيرًا ، وَمَاتَ
وَالِدُهُ فِي سِنِّ الشَّبَابِ ، لَمْ يَزَلْ لَهُ مَالًا إِلَّا خَمْسَةُ جِجَالٍ وَبِضْعُ نِجَاجٍ ،
وَكَانَ قَدْ أَهْلَفَ رَعَى النَّمَمَ مَعَ إِخْوَتِهِ فِي الرِّضَاعِ ، فَصَارَ يَرْعَى لِأَهْلِ

مَكَّةَ ، فَيُوفَّرُ عَلَى كَافِلِهِ أَبِي طَالِبٍ بِمَا يَأْخُذُ عَلَى ذَلِكَ مِنَ الْأَجْرَةِ ،
ثُمَّ سَافَرَ مَعَ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ فِي تِجَارَتِهِ إِلَى الشَّامِ ، وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ
أَثْنَتَا عَشْرَةَ سَنَةً وَشَهْرَانِ وَعَشْرَةُ أَيَّامٍ ، وَهُنَالِكَ رَأَاهُ بَحِيرَا الرَّاهِبِ ،
وَبَشَّرَ بِهِ عَمَّهُ أَبَا طَالِبٍ ، وَحَذَرَهُ مِنَ الْيَهُودِ عَلَيْهِ ، بَعْدَ أَنْ رَأَى
خَاتَمَ النَّبُوَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ ، ثُمَّ إِنَّهُ سَافَرَ إِلَى الشَّامِ مَرَّةً ثَانِيَةً ، مُتَجَرِّراً
بِمَالٍ خَدِيجَةٍ تِجَارَةِ الْمُضَارَبَةِ ، فَأَعْطَتْهُ أَفْضَلَ مَا كَانَتْ تُعْطِي غَيْرَهُ
إِذْ جَاءَتْ تِلْكَ التَّجَارَةُ بِأَرْبَاحٍ مُضَاعَفَةٍ ، بَلْ جَاءَتْ بِسَعَادَةِ الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ

كَانَتْ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ قُصَيٍّ ، أَعْقَلَ وَأَكْمَلَ
أُمْرَأَةٍ فِي قُرَيْشٍ ، حَتَّى كَانَتْ تُدْعَى فِي الْجَاهِلِيَّةِ [الطَّاهِرَةِ] ، لِمَالِهَا
مِنَ الصِّيَانَةِ وَالْفَضَائِلِ الظَّاهِرَةِ ، وَلَمَّا حَدَّثَهَا غُلَامُهَا مَيْسَرَةً بِمَا رَأَى
مِنْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، فِي رَحْلَتِهِ مَعَهُ إِلَى الشَّامِ ، مِنْ الْأَخْلَاقِ
الْعَالِيَةِ ، وَالْفَضَائِلِ السَّامِيَةِ ، وَمَا قَالَهُ بِحَيْرَا الرَّاهِبِ ، لِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ ،
تَعَلَّقَتْ رَغَبَتُهَا بِأَنْ تَتَّخِذَهُ بَعْلًا ، بَلْ تَرَقَّتْ أَفْكَارُهَا إِلَى مَا هُوَ أَعْلَى (*)

(*) رَوَى الْهَافِي فِي كِتَابِ مَكَّةَ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ
عِنْدَ أَبِي طَالِبٍ فَاسْتَأْذَنَهُ أَنْ يَتَوَجَّهَ إِلَى خَدِيجَةَ ، فَأَذِنَ لَهُ وَبَعَثَ بَعْدَهُ جَارِيَةً يَقَالُ
لَهَا نَبْعَةٌ ، فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ مَا يَقُولُ لَهُ خَدِيجَةُ ، قَالَتْ نَبْعَةٌ فَرَأَيْتُ نَجْبًا : مَا هُوَ إِلَّا أَنْ
سَمِعْتُ بِهِ خَدِيجَةَ تَخْرُجُ إِلَى الْبَابِ فَاخْذَتْ بِيَدِهِ فَضَمَّتْهَا إِلَى صَدْرِهَا وَنَحَرِهَا ،
ثُمَّ قَالَتْ يَا أَبَتِ أَنْتَ وَأُمِّي وَاللَّهِ مَا أَفْعَلُ هَذَا الشَّيْءَ ، وَلَكِنِّي أَرْجُو أَنْ تَكُونَ أَنْتَ النَّبِيُّ
الَّذِي سَمِعْتُ ، فَإِنْ كُنْ هُوَ فَاعْرِفْ حَقِّي وَمَنْ لَنِي وَادْعِ إِلَهِ الَّذِي يَبْطِئُ لِي ،

فَقَمَّ ذَلِكَ الزَّوْاجَ الْيُمُونِ ، وَكَانَ هُوَ ابْنُ سَخْسِ وَعِشْرِينَ وَهِيَ ابْنَةُ
 أَرْبَعِينَ ، وَتَوَفَّيَتْ بَعْدَ الْبَيْعَةِ بِمِثْرَ سَنَيْنِ ، وَلَمْ يَنْزَوْجْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 عَلَيْهَا ، وَلَا أَحَبَّ أَحَدًا مِنْهَا ، وَكَانَ طُولَ عُمُرِهِ يَذْكُرُهَا ، حَتَّى كَانَتْ
 عَائِشَةُ تَعَاذُ مِنْهَا وَلَمْ تَرَهَا ، قَالَتْ مِنْ حَدِيثِ لَهَا : فَذَكَرَهَا يَوْمًا مِنْ
 الْأَيَّامِ ، فَأَخَذَتْنِي الْغَيْبَةُ فَقُلْتُ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : هَلْ كَانَتْ
 إِلَّا عَجُوزًا قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهَا ؟ فَغَضِبَ ثُمَّ قَالَ « لَا وَاللَّهِ مَا
 أَبْدَلَنِي خَيْرًا مِنْهَا ، آمَنْتُ بِي إِذْ كَفَرَ النَّاسُ ، وَصَدَّقْتَنِي إِذْ كَذَّبَنِي
 النَّاسُ ، وَوَأَسَّنِّي فِي مَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ ، وَرَزَقَنِي اللَّهُ مِنْهَا
 الْوَلَدَ دُونَ غَيْرِهَا مِنَ النِّسَاءِ » ^(١) وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْهَا « إِنَّهَا

== قَالَتْ فَقَالَ لَهَا « وَاللَّهِ لَنْ كُنْتُ أَنَا هُوَ قَدْ اصْطَلَعْتُ عِنْدِي مَا لَا أَضِيعُهُ أَبَدًا ،
 وَإِنْ يَكُنْ غَيْرِي فَإِنَّ إِلَهَهُ الَّذِي تَصْنَعِينَ هَذَا لِأَجَلِهِ لَا يَضِيعُكَ أَبَدًا » وَيُؤَيِّدُ هَذَا
 مَا وَرَدَ فِي كَيْفِيَّةِ بَدْءِ الْوَحْيِ فِي الصَّحِيحِ ، أَنَّ خَدِيجَةَ قَالَتْ لَهُ حِينَ خَافَ عَلَى نَفْسِهِ
 عَاقِبَةَ مَا أَصَابَهُ مِنَ الْجَهْدِ ، عِنْدَ مَا ظَهَرَ لَهُ الْمَلِكُ ، « كَلَّا وَاللَّهِ مَا يَخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا ،
 إِنَّكَ لَتَصِلَ الرَّحِمَ ، وَتَحْمِلَ الْكُلَّ » ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ ، وَتَمِينَ عَلَى
 نَوَائِبِ الْحَقِّ » وَكَذَا مَا ثَبَتَ مِنْ أَنَّهَا كَانَتْ تَعُدُّ لَهُ الْوَادَّ ، لِتَنْقُطَ إِلَى التَّحَنُّثِ فِي
 غَارِ حِرَاءَ ، وَرَوَى الْوَاقِدِيُّ بِسَنَدِهِ إِلَى تَيْسَةَ بِنْتِ أُمَيَّةَ أُخْتِ بَعْلَى قَالَتْ : كَانَتْ خَدِيجَةُ
 امْرَأَةً شَرِيفَةً جَلِيلَةً كَثِيرَةَ الْمَالِ ، وَلَمَّا تَأَمَّتْ كَانَ كُلُّ شَرِيفٍ مِنْ قَرِيبِهَا يَتِمَّنِي أَنْ
 يَنْزَوِجَهَا ، فَلَمَّا سَافَرَ النَّبِيُّ (ص) فِي تِجَارَتِهَا وَرَجَعَ بِرَجُلٍ وَافِرٍ رَغِبَتْ فِيهِ ، فَأَرْسَلَتْنِي
 دَسِيسًا إِلَيْهِ ، فَقُلْتُ لَهُ مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَنْزَوِجَ ؟ فَقَالَ « مَا فِي يَدِي شَيْءٌ » فَقُلْتُ فَإِنْ
 كَفَيْتُ وَدَعَيْتُ إِلَى الْمَالِ وَالْجَلَالِ وَالْكَفَاءِ ؟ قَالَ « وَمَنْ ؟ » قَالَتْ : خَدِيجَةُ ، فَأُجَابَ
 (١) وَفِي رِوَايَةٍ إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادُ النِّسَاءِ . رَوَاهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي الْإِسْتِيعَابِ وَكَذَا
 الدُّوْلَابِيُّ فِي الذَّرِيَّةِ الطَّاهِرَةِ مِنْ طَرِيقِ وَائِلِ بْنِ دَاوُدَ - وَقَدْ وَثَّقَهُ أَحْمَدُ - عَنْ
 عَبْدِ اللَّهِ الْبَهْمِيِّ - وَهُوَ مَقْبُولٌ - عَنْهَا . قَالَتْ عَائِشَةُ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : لَا أَذْكُرُهَا بِسَبْئَةِ أَبَدًا

[المنار: ج ٧ م ١٩] دروس سنن الكائنات . الالتهاب الرئوي الباسيلي ٤٢٥

مَا غَارَتْ عَلَى أُمِّ رَأَةٍ كَمَا غَارَتْ عَلَى خَدِيجَةَ وَهِيَ لَمْ تَرَهَا ، وَعَلَّاتِ
ذَلِكَ بِكَتْرَةِ ذِكْرِهٖ إِيَّاهَا . قَالَتْ : وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ذَبَحَ الشَّاةَ يَقُولُ « أَرْسِلُوا إِلَى أَصْدِقَاءِ خَدِيجَةَ »
فَأَغْضَبَتْهُ يَوْمًا وَقُلْتُ خَدِيجَةَ فَقَالَ « إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا » وَفِي رِوَايَةٍ
عَزَاهَا أَخَافِظُ فِي الْإِصَابَةِ إِلَى الصَّحِيحِ أَنَّهُ قَالَ « إِنِّي لِأَحِبُّ حَبِيبَهَا »^(١)
— فَهَذَا هُوَ الْوَقَاءُ الْكَامِلُ اللَّامِقُ بِذَلِكَ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ ، عَلَيْهِ مِنَ
اللَّهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ (له بقية)

مَدَامُ سَيِّدُ كَارِزِ الدَّعْوَى وَالْإِنْشَاءِ

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

١٦

الالتهاب الرئوي الباسيلي

ذكرنا فيما سبق أن من الميكروبات التي تحدث التهاب الرئة باسيلا اكتشفه
[فردلندر Friedländer] وهذا النوع من الالتهاب شديد جدا خطر على الحياة ،
ويشاهد ميكروبه كثيرا في حوصلات الرئة ، وقد تتقيح منه أو تصاب بالفنرينة
(الموت)

(١) كذا في الإصابة . ورواية الاستيعاب عنها : وإن كان ليذبح الشاة فيتبع
بذلك صدائق خديجة يهديها هن . والصدائق جمع ضديقة

(المنار: ج ٧) (٥٤) (المجلد التاسع عشر)

الدوسنتاريا Dysentery

كلمة يونانية وضعها أبقراط ثم عريت ومعناها [مرض الامعاء] ويسمى بالعرية الخالصة (الزحار) لانه يحدث الزحير

وهذا الداء عبارة عن التهاب الامعاء الغليظة أو القولون ، وهو نوعان : —
(الاول) يحدث في جميع بقاع الارض خصوصا في زمن الحرب أو القحط وينشأ من باسيل مخصوص ، وهو النوع المراد بالكلام هنا
(الثاني) كثير الحصول في بلاد الشرق ، ويمتاز بطول مدته وبتضاعفه بخراج الكبد وبكونه ينشأ من نوع من الاميبا (خلية حيوانية وليست نباتية) ميكروب النوع الاول) . وهذا النوع سفتكلم عليه ان شاء الله في باب الامراض التي تنشأ عن الميكروبات الحيوانية

الدوسنتاريا الباسيلية

تنشأ — كما قلنا — من باسيل اكتشفه [شيجا Shiga] في بلاد اليابان سنة ١٨٩٧ وبعد ذلك وجد مثله [كروس Kruse] في ألمانيا، ولذلك يسمى بميكروب [ميكروب شيجا كروس] ثم وجد غيرها أنواعا أخرى من باسيل الدوسنتاريا مثل [فلكسنز] و [سترنج]

هذا الباسيل عديم الحركة ولا حييات له ، والحرارة التي درجتها ٥٨ — ٦٠ ستيغراد تقتله سريعا وكذلك المطهرات ويميش في الهواء وفي غيره . ويقتصر وجوده في المرض على أغشية الامعاء المخاطية ولا يصل الى الدم. ومن الجائز أن يبقى في الامعاء مدة بدون أن يحدث ضرا فيها ولكنه في العادة يفرز سما يمتص في الدم ثم يفرز منه بواسطة الأغشية المخاطية للامعاء فيحدث فيها المرض، ومن هذا السم جزء يؤثر في المجموع العصبي فيحدث التهابا في الاعصاب

الاسباب — هذا النوع من الدوسنتاريا وإن كان كثير الحصول في البلاد الحارة الا انه قد ينتشر في أوقات مختلفة بشكل وبائي في أي بقعة من بقاع الارض. ومما يهيئ الجسم لقبول المرض كل ما يهضمف البنية كالتعرض للبرد أو البيئة الفاسدة

الهواء أو الإصابة بحمى النافض (الملاريا) أو إدمان الخمر أو أكل المواد العسرة الهضم كالغواكه غير الناضجة أو التمتعة وكذلك الازدحام ، ولذلك يكثر انتشار هذا المرض بين الجنود وفي السجون والتسكيا ونحوها . ومن مضعفات البنية التي تنهى لهذا المرض ضعف العقل - ولذلك يفتش بين المجانين - والامساك المتعاصي ينتقل الميكروب من المصاب بواسطة البراز الملوث به الى الشراب والطعام أو الى الاواني وغيرها فيصل الى أمعاء الآخرين ويحدث فيهم المرض ، فهو في عدواه يشبه الحمى التيفودية سواء بسواء . وما ينشره أيضا بين الناس الذباب والعواصف ، فانها تنقل الميكروب من البراز وتثيره مع الغبار الى الطعام أو الشراب وغيرها . ولهذا الداء أيضا حملة أصحاء كالذين ذكروا في باب الحمى التيفودية والدفتيريا

الاعراض - مدة التفريخ تتراوح بين بضعة أيام وأحد عشر يوما . ويبدأ المرض بالاسهال فيبرز المصاب من مرتين الى ست برازا سائلا مصفرا أو يميل الى السمرة ويحس بألم في بطنه وتوعك عام وفقد في شهوة الطعام . وبعد ثلاثة أيام أو أربعة تكثر نجاسة مرات التبرز حتى تصل الى عشر أو عشرين بل أربعين فستين أو أكثر . ويكون قدر البراز في كل مرة قليلا جدا يخالطه مخاط ومصل ودم وصديد وبعض أجزاء من الغشاء المخاطي الامعاء ، وقل أن يشاهد فيه شيء من مواد البراز الطبيعية ، وقد يكثر النزف حتى يتبرز المصاب دما خالصا بسبب احتقان الغشاء المخاطي وتمزق عروقه في أول الامر ثم بسبب تقرحه بعد ذلك ، ويكون له رائحة مخصوصة ، ويشتد المغص ويكثر الزحير ويلتهب باب البدن (الشرج) ويكثر بسبب ذلك التبول أيضا أو يحصل فيه الزحير أيضا فيميل المصاب الى إخراج بوله نقطة نقطة بحيث لا يمكنه الصبر على تجمع القدر المعتاد من البول في المثانة

وهذه الاعراض تؤثر في بنية المريض فينحف ويضعف ويصفر لونه ويبيض لسانه وترتفع حرارته ويصيبه الصداع والدوار والاقهاء والعطش وفي الحالات البسيطة تخف وطأة المرض بعد ثمانية أيام أو عشرة ، أما في الحالات الشديدة فتزداد الاعراض حتى تنهك قوى المريض ويتقرح الشرج وما حوله من المتعدة ، ويصاب بالهمود فتغور عيناه وتزرق أطرافه ويضعف صوته ونبضه حتى يموت

ويكثر في أول الأعراض أن يصاب الشخص بالقيء ويستمر معه بشدة حتى النهاية . ويقل البول أيضا ولكن لا يوجد فيه زلال غالبا
وفي بعض الاصابات يزمن المرض فيكون البراز أحيانا طبيعيا وأحيانا مركبا من مخاط وصديد ودم مع الرائحة المخصوصة المذكورة ، وتستمر تلك الحال أشهرا عديدة ، أو سنوات كثيرة فينحف المريض ويضعف وقد يموت — اذا لم يعالج — بنهاكة القوى أو بالمضاعفات كالالتهاب الپريتوني من انخراق الامعاء ، أو يصاب بضيق فيها بسبب انقباض آثار التحام القروح

وقد وصف [القسطلاني Castellani] (وهو عالم إيطالي شهير له مؤلف ضخيم في أمراض البلاد الحارة باللغة الانكليزية) نوعا من هذا المرض سماه [الپارادوسنتاريا] وهو أخف من الدوسنتاريا المعتادة وله باسيل قريب من باسيلها ويحدث المرض بسبب تأثير سم الميكروب في أنسجة القولون كما قلنا أثناء افرازه من البنية فتتوت أجزاء من الغشاء المخاطي وغدده وبعض الانسجة العضلية التي في جدر الامعاء فتتقرح وقد يصل الالتهاب وتتقرح الى الغشاء الپريتوني فيلتصق ويلتصق بأجزاء أخرى أو يمترق ويكُون سببا في الموت السريع زد على ذلك ان المعدة والامعاء الدقاق قد تصاب أيضا بنزلة وتلتب غدد المساريقا وتنفخ الكبد وتحتقن

المضاعفات — التهاب الاعصاب بسبب تأثير السم فيها والتهاب المفاصل والاخرجة في أجزاء الجسم المختلفة والالتهاب الپريتوني من الانتقاب والنزف المعوي الشديد

الانذار — عدد الوفيات من ٣٠ الى ٨٠ ٪ وما ينذر بالخطر سقوط أجزاء كثيرة من أغشية الامعاء في البراز والنزف الشديد وكثرة القيء والهمود . والمرض قتال للاطفال والشيوخ والضعفاء ومدمني الخمر

المعالجة — يجب على المريض أن يلتزم الراحة في الفراش ويتدبر جيدا حتى يندفأ ويخصص له آنية للتبرز فيها لكيلا يتعب نفسه في الانتقال . ويكون غذاؤه سائلا سهل الهضم مشتملا على المواد التي يحتاج اليها الجسم ، فيعطى له اللبن خالصا

أو ممزوجا بماء الخير ويعطى له المرق، ولا بأس من تحلية اللبن بالسكر أو خلطه بقليل من الشاء الصافي الذي يطبخ به، أو إعطاؤه اللبن الخائر (لبن الزبادي) ولا يجوز أن تكون هذه المواد شديدة البرودة فإنها تهيج الأمعاء، والأفضل أن تدفأ وتبدأ المعالجة الدوائية بإعطاء المسهلات كزيت الخروع أو الملح الانكليزي وهو الأفضل، ومن الأطباء من يعطي هذا الملح بمقادير صغيرة كدرهم كل ساعة ليلا ونهارا حتى تكثر مواد البراز ويزول منها الدم والخطأ وتنخفض الحرارة ويزول الألم والزحير. ويمكن الاستمرار على تعاطي الملح بهذه الكيفية يوما أو ثلاثة، ومن النادر أن يحتاج إلى أكثر منها، ثم يكمل العلاج بإعطاء مركبات البرموت^(١) والافيون وبعض المطهرات كالساول

ويجوز في الحالات الشديدة حقن المريض بالمصل المضاد للزحار كصلى معمل [ليستر Lister] فيحقن منه ٢٠ سنتيمترا مكعبا مرتين في اليوم في الأحوال المعتادة، وفي الأحوال السيئة يجوز الحقن إلى ثلاث أو أربع مرات، ويتكرر ذلك مدة يومين أو ثلاثة. وقد اكتشف حديثا بعض كياوي مصر حقنة أخرى يقال إنها نافعة كثيرا والحقن في الشرج نافع في كثير من الحالات، فيحقن الماء المغلي بعد أن تعبر حرارته فوق حرارة الجسم الطبيعية بقليل جءاء ويحقن كذلك دافئا بمحلول البوريك ١٪ أو محلول حامض الصنصافيك بنسبة واحد إلى خمسمائة وغيرها. وحقن محلول ملح الطعام الدافئ بنسبة ٧ إلى ألف نافع جءاء ومقدار ما يحقن في كل مرة لتر. وهناك حقنات كثيرة لأحاجة إلى استقصائها

فاذا اشتد الألم والزحير يلبس في الشرج أقماغ مركبة من الافيون أو المورفين^(٢) مع زبدة الكاكاو، ومحلول ملح الطعام المذكور نافع أيضا لازالة هذا الزحير، والجلوس في الماء الساخن مريح أيضا من الزحير، وكذلك وضع البليخ والكادات الساخنة ونحوها على الشرج. والافيون يسكن ألم البطن والبليخ الساخنة. وإذا

(١) اسم لعنصر معدني شهير، وهو مشتق من كلمة ألمانية مجهولة الأصل

(٢) اسم لمادة فعالة في الافيون وهي أهم ما فيه، والكلمة يونانية مشتقة من

اسم له النوم أو الاحلام عندهم

أصاب المريض الهمودُ أعطى المنعشات المنبهات كالقهوة والشاي والحمر، وغير ذلك بما ذكر مرارا

فاذا تحسنت الحال يزداد طعام المريض تدريجاً كأن يأكل قليلاً من الخبز الهش الاسفنجي الجاف والاعجم المفروم جيداً، وهكذا يزداد الطعام حتى يصير كالعتاد. وفي طور النقاهة يسطى له مركبات الحديد والمواد المرة كالكيين بمقادير صغيرة لتقويته

الوقاية — تكون بما يأتي (١) بعزل المرضى وتطهير مواد برازهم بالمطهرات الطبية أو بحرقها ويجب أن تغطي أوانيها بخرقه مبتلة بمحلول مطهر منعاً من بقل الدباب للعدوى (٢) بمنع الناقمين من الاختلاط بالناس حتى تعلم طهارة برازهم من الميكروب بعد البحث البكتيريولوجي ثلاث مرات في ثلاثة أسابيع (٣) بالبحث عن الحلة الاصحاء اذا انتشر الوباء في مكان وعزلهم ومعالجتهم بالمطهرات للامعاء أو بالحقن بالقاح ونحو ذلك حتى يزول الميكروب منهم . وهؤلاء الحلة هم من كانوا أصيبوا بالزحار أو اختلطوا بمصاب به (٤) بامتناع الاصحاء من شرب أي ماء الا بعد غليه أو ترشيحه ومن أكل أي شيء الا بعد غليه أو إزالة قشره أو غسله جيداً بالماء المغلي أو المذاب فيه كبريتات الصوديوم الحفضية كما سبق. ولا يجوز استعمال الماء غير المغلي حتى لغسل الاواني أو للوضوء (٥) بتجنب المواد العسرة المهضم والسببية لاعتقال البطن ، وكذلك يتقى البعد . (٦) بإبادة الدباب بقدر الامكان، وتنظيف الطرق وترش جيداً حتى لا يثار غبارها (٧) من العلماء من يشير على الاصحاء اذا خافوا العدوى بعمل الاقماح ، وهو عمل محمود وقد افاد في كثير من الاحوال ، وأشهر من أشار بذلك القمصلازي

أمراض الفطر

داء مادوراً — أو — قدم مادورا Madura Disease

هو داء منسوب الى مدينة مادورا في جنوب بلاد الهند ويوجد كثيراً في غيرها من البلاد الحارة والمعتدلة وينشأ من دخول فطر مخضوض في القدم غالباً (وأحياناً في اليد) وقد يصعد

الداء من القدم الى الساق، ومن النادر أن يصيب الجذع، فينمو هذا الفطر في الجزء المصاب وينشأ من تهيجه للمكان أنسجة مخصوصة تشبه الانسجة الحمراء التي تتكون في الجروح ويسمى الاطباء المحدثون (بالازرار اللحمية) ويتفتح المكان المصاب وتتلف أجزاؤه وتتأكل، وقد يصل الداء الى نفس العظام فيحدث بها النخر وتتكون نواصير يخرج منها صديد وحييات سوداء أو صفراء وقد تكون بيضاء أو بيضاء مصفرة تبعاً لنوع الفطر فان له أنواعاً كثيرة. ويكون حجم الحبيبة ك رأس الدبوس وقد يكون كبيراً كحبة الحص. وتتألف الحبيبة من خيوط كثيرة متفرعة ملتصقة بعضها ببعض الآخر وهي خيوط الفطر نفسه

فاذا أصيب القدم بهذا الداء ورم وانتفخ أخضه كثيراً حتى يتحذب وترتفع الاصابع بسبب ذلك عن الأرض ويسود الجلد وتظهر به حلمات متعددة ونواصير كثيرة، فاذا سبرت قد نجيدها واصلة الى العظام النخرة وإذا أصيبت اليد أصابها ما أصاب القدم. ولعلاج لهذا الداء في أول الامر الا باستئصال الاجزاء المصابة، فاذا أزم من وجب استئصال القدم كلها وتكون الوقاية منه بتجنب كل سحج أو جرح للقدم بقدر المستطاع وتنظيفها دائماً (ومن هنا تظهر بعض حكم الوضوء) ودوام الاحتذاء. فاذا أصيبت القدم بأي جرح وجب تطهيره بالمطهرات الطبية ومعالجته بحسب الاصول الجراحية حتى يشفى تماماً اتقاء لهذا الداء ولغيره مما ذكر سابقاً كالتي تانوس

السل الكاذب — الأسبارغلوس ^(١) Aspergillosis

الاسبارغلوس يطلق على فطر ينتشر في بعض أعضاء الجسم فيتلفها. وإشاهد أحياناً في الرئة فيحدث بها مرضاً يشبه الدرن حتى قد تتكون فيها كهوف، ولذلك يسمى هذا الداء بالسل الكاذب. وتكون أعراضه ضيقاً في التنفس وسعالاً وبصقاً ونفث دم. ولا ينتشر الفطر من الرئة الى الأعضاء الاخرى. وقد يشفى من تلقاء نفسه بموت الفطر

(١) كلمة لا تبينة معناها المنبت أو المنتشر

يصيب هذا الداء أحيانا مربي الحمام ومطعميه بأفواههم لوجود الفطر في بعض الحبوب التي يضعها المربي في فمه لاطعام الحمام ، وهذا الفطر قد يصيب أحيانا العين أو الأذن أو اللاتق أو الجروح والقروح وغير ذلك كأنسجة القدم فيتكون به نوع من أنواع الداء السابق (داء مادورا)

الفطر الشعاعي Actinomycosis

أول من وصف هذا الداء في الانسان هو اسراييل الالاني من أهالي براين سنة ١٨٧٧ م وفي سنة ١٨٧٨ أثبت [بونفيك Ponfick] أن النوع الذي يصيب الانسان هو عين ما يصيب الانعام

هذا الفطر يكون قطعا ترى بالعين المجردة صفراء أو سنجابية لامة مستديرة قطرها نحو ١/٢ من البوصة وقد يكون أحيانا ١/٢ منها فاذا نظرت هذه القطعة بالمجهر رؤي في مركزها خيوط مشبكة مع بزور ويتفرع من هذه الخيوط خيوط أخرى فتكون كأشعة النور المنبثقة من السراج وتنتهي بانفتاح أطرافها . وهذا الداء يصيب الحيوانات الداجنة ولا ينتقل منها الى الانسان ، وأما يصاب به الانسان والحيوان من أكل بعض الخضضر أو الحبوب كالشعير

فاذا دخل الفطر الى الجسم لعق بالفشاء المحاطي للامعاء أو الشعب ثم يقبها ويصل الى الاعضاء الغائرة فيحدث المرض في أجزاء مختلفة من الجسم ، وذلك بتسببه للمكان المصاب فيالتهب ما حول الفطر وتكون أنسجة غريبة كالآلزارار الاحمية ثم تتفح وتتناكل وتستحيل الى مدة ، فينشأ في أول الامر في العضو المصاب أورام يكون قطرها نحو ثلاث بوصات أو أكثر ، وهذه تتأكل حتى تفسد العضو . وينتشر الداء بالمجاورة من وضع الى آخر ، ولكن الفطر قد ينتشر بالاوعية الى أجزاء الجسم البعيدة أحيانا

الاعراض — تختلف باختلاف العضو المصاب وكثير ما يبدأ المرض بالفم فيحدث فيه ورم تحت الجلد فوق الفك الاسفل أو فوق حافته يكون صلبا بطيئا النمو ثم ينتقل تدريجيا الى العنق .

وقد يضر جزء من هذا الورم ولكنه يزداد في الأجزاء الأخرى ويمتد حتى يصيب

الجلد نفسه ويتكون فيه ما يشبه الخراج فينفجر ويخرج منه صديد به حبيبات الفطر. ويتعسر شفاء هذا الجرح بل يتخلف عنه ناسور. والظاهر ان الفطر في هذه الاحوال يصل الى الفك من الاسنان النخوة. وقد يصيب الداء الفك الاعلى ومنه يصل الى قاعدة الجمجمة، وقد يمتد الى المري. فينقرح منه وتناكل العقرات أيضا

واذا أصاب الداء الامعاء ظهر على سطحها الخاطي بقع مبيضة منقطة بحبيبات صفراء أو سمراء، ويكون قطر البقعة نحو ١ بوصة وسمكها ١ بوصة. وقد يتشب هذا الداء بالامعاء ويصل الى البريتون. ومن الفطر ما يصل الى الكبد، ومنه ما يصيب الرئة فتلتهم شعبها أو أنسجتها، ومنه ما يصيب الجلد فيدخل من أي جرح أثناء مس الحبوب أو القش، ولكنه قليل الحصول

المعالجة — أحسن دواء لهذا الداء هو [يودور البوتاسيوم] فقد ظهر نفعه فيمن استعمل له من الناس والانعام، ويجب إعطاؤه بمقادير كبيرة حتى تصل الى أربعة دراهم في اليوم. وإذا كان الورم في مكان يمكن الوصول اليه أمكننا أن نعاون الدواء في فعله بالعمليات الجراحية كالكيح أو الاستئصال

القلاع Aphthae

هو أشهر أدواء الفطر وأكثرها حصولا للبشر في جميع الاقطار. يشاهد هذا الداء في الاطفال الضعفاء خصوصا من يربون تربية صناعية أو الذين أصابهم اسهال مدة طويلة، وقد يشاهد أيضا في الشبان والكهول إذا أصابهم داء أنفك قواهم كالسل والسرطان والحي التيفودية

ويشاهد في المصاب بقع يضاء لبنة على الأغشية المخاطية للشفة أو الخدين أو اللثة أو الخلق أو اللسان، وتكون مرتفعة قليلا عن سطح الغشاء ومحاطة بخط أحمر دقيق، فإذا نزع هذه القطع البيضاء وجد الغشاء المخاطي الذي تحتها حمرا وسال منه قليل من الدم، وبعد زمن قصير قد تتكون البقع عليه ثانية. وهي تتألف من خلايا بشرية مع كريات دهنية ومن بزور الفطر ونخيوته. ينمو هذا الفطر في الطبقات الاثني عشر الوسطى ومنها يمتد الى الطبقات العليا والسفلى. ويصاب الطفل بسببه بالحمى (المئار: ج ٧) (٥٥) (المجلد التاسع عشر)

والاسهال ويكثر لعابه ويتضمر أو يتعذر إرضاعه ، وكثيرا ما يتقرح الشرج بسبب كثرة الاسهال

المعالجة — يجب تحسين صحة المعصاب بجميع الوسائل الممكنة. ومن أول ما يجب العناية به معالجة الاسهال. ويجب مسح فـا الطفل بخـرقة مـطهرة مـغموسة في الماء البـقيم أو في محلول البوريك، ثم يوضع في فم طفل نحو نصف ملعقة صغيرة من غلـسرين البورق مرتين في اليوم أو ثلاثا ، فانه قاتل لهذا الفطر

الوقاية — يجب على الام أن تنسل ثيابها بعد كل رضاعة وقبله، وأن لا تضع شيئا في فم الطفل مطلقا الا اذا كان مطهرا بالغلي أو غيره كأدوات اللعب وكالحلمات الصناعية، كذلك لا يجوز مس فيه بالاصابع الا بعد تطهيرها، واذا كان الطفل يغذى بغير لبن أمه وجب تطهير طعامه أيضا بالغلي . ويجب المبادرة الى معالجة كل ما يفسد صحة الطفل كالاسهال أو القيء وغيرهما

الارضة Tinea

تسمى الارضة بالافرنجية تينيا . وهي أنواع كثيرة تنشأ كلها من فطر يصيب الجلد . وهاك أشهر أنواعها : —

(١) الارضة المتنوعة الالوان [Versicolor] تصيب الجلد وتنمو فيه بالمرق والتدفئة، وهي كثيرة الحصول للذكور، ولا تصيب الا اجزاء المغطاة بالملابس فيشاهد في الجلد بقع مستديرة سمراء مصفرة مرتفعة قليلا عن سطح الجلد وتمتد في اجزاء كثيرة منه، ولا يحدث منها ضرر سوى بعض أكلان

المعالجة — تكون بالاستحمام بالصابون (واحسنه الشبكي) مع ذلك بشي خشن ثم يدهن الجسم ببعض المرامم الكبريتية أو الزئبقية ولكن يلاحظ في المرامم الزئبقية أن لا يدهن بها سطح متسع من الجلد خوفا من التسمم. ويجب غلي الملابس وتطهيرها بعد الاستحمام وكذلك أدواته كالفوط وغيرها

(٢) الارضة الحلقية [Tonsurans] وهي تصيب رؤس الاطفال خصوصا الفقراء، وتنتشر في المدارس ونحوها باستعمال الامشاط والقبعات الملوثة بالفطر. وينشأ من

هذا المرض صلع بالرأس ويتعصف الشعر المصاب، وتكثر بالرأس القشور والهبرية.
وتطول مدة الداء، وبعد عدة سنين يشفى من تلقاء نفسه
(٣) الارضة الحلقية [Circinata] أنشاهد حلقات الداء غالبا في الوجه والعنق
والذراع، وتكون الحلقات قرنفلية مرتفعة قليلا عن سطح الجلد مغطاة بقشور رقيقة
(٤) الارضة الدقنية [Sycosis] تهيب شعر اللحية على الاكثر ففسده
وتسقطه وتذهب الذقن بسببها، وهي عسيرة الشفاء
وعلاج هذه الانواع يكون بتنف الشعر واستعمال النظافة التامة والتطهير بمثل
اليود أو الكبريت أو مركبات الزئبق . وعلاجها بأشعة رونتجن مؤكدة ففهم
صريح التأثير

القراع Favus

داء مشهور يصيب أي جزء من أجزاء الجلد خصوصا فروة الرأس . وينتقل من
شخص إلى آخر بالعدوى، وقد ينتقل إلى الانسان من بعض الحيوانات الداجنة كالقطط
والارانب والكلاب . وعلاجه يكون بالتنف والتطهير وأشعة رونتجن كما سبق .
وينبغي الاعتناء بصحة المصاب بإرشاده إلى القواعد الصحية، وإعطائه الادوية
المقوية

• أبايعة شريف مكة وأميرها

على ملك العرب

جاء في جريدة القبلة التي صدرت مكة في ثلاث المحرم فأنه هذا العام مانصه:
امتلائات قاعات قصر الديوان الهاشمي العالي صباح أمس بمجاهير الاشراف
الكرام والعلماء الاعلام والاعيان المقام بحيث لم يبق في بلد الله الامين ذوحينية
ومكانة عالية الا وحضر هذا الاجتماع الفخيم ليعرضوا على جلالة سيدنا ومولانا
المعظم أمنية طالما تمنوا اظهارها من حيز القوة الى حيز الفعل ألا وهي اقناع جلالاته

بقبول بيعتهم له ملكا على العرب ومرجما ديننا لهم ريثما يقر قرار العالم الاسلامي على رأي يجمعون عليه في شأن الخلافة الاسلامية
ولما غصت أنحاء القصر العالي بمحضرات الاعيان القادمين لهذا الغرض تشرف بالمشول بين يدي جلالة سيدنا المعظم في غرفة أعماله الخاصة حضرة العلامة الورع الشيخ عبيد الله سراج رئيس علماء بيت الله الحرام وقاضي القضاة ونائب رئيس الوكلاء الفقهاء وأبناء جلالته بحضور هذه الجماهير لعرض بعض العروض على مسامحة الكريمة ولما تشرف جلالته قاعة الاستقبال الكبرى في الديوان الهاشمي العالي استقبل رجال الامة تلك الطلعة الهاشمية المقدسة بقلوب طافحة بالحب والاحترام والاجلال والاعظام . ثم تمثل حضرة العلامة قاضي القضاة بين يدي جلالته نائبا عن وجوه الامة كما هي عادته في مثل هذه المواقف من التقديم فعرض على جلالته الغرض من تشرف المجتمعين بالوقوف بين يديه ، وأنهم قد كتبوا عريضة في هذا المعنى يريدون تلاوتها على مسامحة الشريفة فأجاب جلالته بالكلمات الملوكة الآتية :
« انني لم أكن أرى ضرورة شديدة لهذا العمل الذي جئتم من أجله وذلك لما أعلمه من نهوض بلادي بالامر الذي نهضنا به وشدة إخلاصها له وعضها عليه بالتواجد ، ولم تنحصر هذه العوطف في بلادنا وحدها بل ان لعرب الشام وعرب العراق مثل ما لأهل بلادنا من الحرص على استرداد مجدهم وجمع كلمتهم . وقد وردت لي الرسائل من أعيانهم بذلك ، على أن هذا الامر الذي جئتم اليوم من أجله سينفي كل ما ربما يخطر على بال الذين يجهلون حقيقة أحوالنا من الخواطر البعيدة عن مبادئنا وشيمتنا وأصول ديننا وقوميتنا

« واقتي أقسم لكم بالله العظيم إنني لم أرد هذا الامر الذي تكلفوني به ولم يخطر على بالي عند ما فقت معكم بنهضتنا السعيدة ، ولكنني رأيت كما رأيتم انا امام خطر عظيم وخطب جسيم ربما قضى علينا القضاء المبرم اذا لم نبادر الى ازالته »
وهنا ارتفع ضجيج الحاضرين بالدعاء لجلالته ، والالحاح بقبول الذي جاؤا لاجله ، فقال جلالته :

« انكم حثتموني أمرا أنا أعرف الناس بما يستلزمه من الجهد ، وظالما قلت لكم

اني واحد من جمهور الامة أبرم ما يبرون من حق، وأرفض ما يرفضون من باطل، وأمد يدي لكل من يشقون على اسناد أمرهم اليه على كتاب الله وسنة رسوله. وإذا كان لا مناص مما أردتموه فاني أشترط عليكم أن تعينوني على أنفسكم، وتساعدوني بأرائكم وأعمالكم في كل ما يحقق آمالنا وأمالكم من الخدمة العامة للعرب والمسلمين، واننا نستعين بالله تعالى في كل ما يحبه من قول وعمل وعليه الاتكال في كل حال»
ولما أنتهى جلالاته من الخطاب الملوكي الذي كان يتخلله دعاء الناس وثناؤهم أخرج حضرة قاضي القضاة العريضة التي أشمروا بها وأعطاها لحضرة الشيخ عبد الملك مرداد ليتلوها على مسامع جلالاته وهذه صورتها :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ملك الحق المبين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الامي العربي سيد الخلق أجمعين ، وعلى آله الطاهرين ، وأصحابه الطيبين ، وسلم تسليما كثيرا أما بعد فان للعرب المنزلة الرفيعة بين الامم لانهم في مقدمة الاقوام الساميين ، الذين نشروا في الارض حقيقة التوحيد وهداية الدين ، فدانت الدنيا كلها في كل أزمانها الى ما أراد الله أن يتمه على السنة أنبيائهم العظام من الشرائع الالهية والسنة القويمة والمحامد الاخلاقية والفضائل والكمالات ، حتى استنارت الامم بنورهم ، واهتدت بهديهم . ولقد فضل الله في كتابه الكريم ولد اسماعيل وآل ابراهيم على العالمين جميعا ، وانه قد ثبت في صحيح مسلم أن الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل ، واصطفى قريشا من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفى من بني هاشم نبينا وفخرنا وذخرنا جدكم الاعظم المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وسلم

فبعدكم الاعظم خرجنا من الظلمات الى النور ، وببيتكم الاقدس كان رشادنا بعد الجبل ، وأن البيت الذي عدل بنا عن طريق الغواية الى طريق الهداية لا يزال ملزما بلمشعنا . وتوحيب أودنا ، واستلام زمام أمورنا ، هما تحشمتن من العناء لاجل هاتئنا ، ومهما محلمن من الجهد لاجل معادتنا ، وما كان لنا أن نلجأ لغير البيت الذي اختاره الله عز وجل ، ولأن نصطفى قوما غير الذين اصطفاهم لنفسه . وقد ثبت في صحيح

البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال :
« ان هذا الامر في قريش لا يعاديه أحد الا كبه الله على وجهه ما أقاموا الدين »
وانه قال صلى الله عليه وسلم :

« لا يزال هذا الامر في قريش ما بقي منهم ^(١) اثنتان »

فأنتم قريش بل أنتم الصفوة من هاشم ، وأنتا ندين الله تعالى يوم الواقعة الكبرى
بين يديه بأننا لا نعلم اليوم أميرا مسلما أتقى الله منكم وأشدخوفا منه ونمسكا بأوامره
واقامة لشعائره قولاً وعملاً ، وأقدر على النظر في أمورنا بما يرضي الله عز وجل ، ونحن
الذين عرفناكم في أيام الرخاء وأيام الشدة وفي حالتي السر والعلن

وان حولكم أمة برهنت في أدوار كثيرة من أدوار التاريخ على أنها عظيمة
المدارك ، عالية الهمة ، كثيرة الاقدام ، حازمة عادلة صبور ^(٢) رحيمة منصفة ، ولوان
صفحات التاريخ قدت من الوجود لكفى في الدلالة على عقلها لغتها التي حيرت
أمراءها العقول ، وآدابها التي هي خزانة المعارف ، وأشعارها التي نظمت لآلئ الحكمة
في البوادي القاحلة أيام جاهليتها الاولى ، فضلا عما أقامته من معالم الحضارة في كل
بقاع الدنيا القديمة مما لا يزال أثره ماثلا للانظار

ان أمة كونه أثبتت العلوم الحديثة أن تكوين دماغها وارتقاء عقلها لا يقل عن
مثله في أرقى الامم ، وبرهن تاريخها على انها أمة جد وعمل وتفنن وحسن سلوك
ومكارم أخلاق ، تحفظ الجليل لمن يسديه الياء وتعرف معروف كل من له يد عليها ،
هي أمة تستحق أن تنتشل من قيودها الثقيلة وتنفذ من وصاية فئة مسفكة مخربة
جاهلة مفروقة ، ليس فيها استعداد فطري للتخلي بشيء مما تحلى به العرب من المزايا
والخصائص ، والأخلاق والفضائل ؛ وان من مظالم عصرنا الفادحة رضاء الامم ببقاء
العرب محكومين لتلك الفئة الوضيعة التي تحتاج الى الحبحر عليها ، لا أن تكون أمة
كأمتنا ذات مجد أثيل وتاريخ مجيد وآداب عالية وفضائل سامية راضخة لوصاياها خاتمة

(١) سقط من القبله لفظ منهم . وفي رواية لسلم : ما بقي في الناس اثنتان

(٢) صبور يستوى فيه المذكر والمؤنث ولعله قال صبوراً للتناسب بين ما قبله

وما بعده اذا لم يكن من غلط الطبع

لجوراء، حتى ذاق صنف الذل وأنواع الهوان باسم الاسلام الذي تنقض هذه الفتنة كل يوم دعائه من دعائهم. وقد ورد من حديث جابر عند أبي يعلى بسند صحيح :
« اذا ذلت ^(١) العرب ذل الاسلام »

فنحن ياسيد العرب ومنفذ الاسلام من أيدي أعدائه المارقين، نحمد اليك الله الذي أعزنا بك، ونصر جند الله بركاتك وروحانية جدك صلى الله عليه وسلم، وتقرّب الى الله سبحانه وتعالى بمحاربة من حاربك وموادة من وادك، وإن مودة آل بيت الرسول عليه وعليهم افضل الصلاة والسلام هي الأجر الذي سأله على ما هدانا اليه من سعادتي الدنيا والآخرة حيث قال عز من قائل :

(قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى) ^(٢)

فانهض ياسيدنا الى ماشاء الله أن يجريه على يديك من اصلاح شؤوننا وولاية أمورنا نحن معانر العرب الذين يعاقون آمالهم على صلاح دينهم ودنياهم على تبوّلهم صرير ملتهم

واننا نبايع سيدنا ومولانا (الحسين بن علي) ملكا لنا نحن العرب يعمل بيننا بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . ونقسم له على ذلك بمن الطاعة

(١) في جريدة القبلة ذل وهو غاط فلنفظ العرب مؤنث والرواية ذلت

(٢) جرى الشيخ حفظ الله مودته في هذا على قول مشهور في كتب التفسير وفي الآية أقوال أخرى أصحها ما رواه الشيخان والترمذي وأكثر رواة التفسير المأثور عن ابن عباس قال « لم يكن بطن في زمن قريش الا كان له فيهم قرابة فقال : الا ان تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة . وفسر ذلك في رواية أخرى بأن يحفظوا حق قرابته فيهم بنصره ومنعه ممن يؤذيه (ص) كما دهم في حفظ القرابة بدلا من إيدائه . وجعل بعضهم النصرة بالإيمان به واتباعه ليكون بمعنى (قل لا أسألكم عليه من أجر الا من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا) أي بطاعته كما قال قتادة وصرح بعضهم بأن الاستثناء هنا منقطع وقد نفى سؤال الأجر بنفي استثناء في قوله تعالى (وما تسألهم عليه من أجر ان هو الا ذكر للعالمين) وقد حكى سبحانه مثل هذا عن المرسلين في هود والشعراء وغيرهما من السور

والاخلاص والالتقياد في السر والعلانية، كما اننا نعتبره مرجعاً دينياً لنا أجمعنا عليه ربنا
يقر قرار العالم الاسلامي على رأي يجمعون عليه في شأن الخلافة الاسلامية
نبأكم على هذا يا صاحب الجلالة وتسلم لك بالله العظيم على طاعتك والرضا
بك والالتقياد اليك في السر والعلانية . ولك علينا في ذلك عهد الله وميثاقه ما أقت
الدين، واجتهدت فيما فيه صلاح حال العرب والمسلمين (فمن نكث فانما ينكث على
نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً)

غرة المحرم الحرام سنة ١٣٣٥

ولما انتهت تلاوة المريضة أقبلت جماهير أهل الحل والعقد من الأشراف والعلماء
والأعيان وكبار التجار وسائر ذوي الحيات فبايعوا على ذلك بوجوه مستبشرة
وقلوب طاغية بالسرور . ثم تقدم حضرة الفاضل الشيخ فؤاد الخطيب فبسط لدى
جلالته آمال سورية العربية وذكر أن أولئك الشهداء الذين سارت بذكركم الركبان
انما ماتوا من أجل الوحدة العربية ، ولتغانيهم في الدفاع عن شعائرهم الاسلامية ،
وقال ان سكان تلك الديار جديرون بأن يكونوا من جملة العرب المستقلين للتمتعين
برعاية جلالته سيد العرب وملكها . وبايعه بعد ذلك أسوة بسائر العرب على كتاب
الله وسنة رسوله

ثم تقدم حضرة الشيخ عبد العزيز مرداد فدعا لهذه الدولة بالز والسود والارتقاء
والفلاح بناية سيدها ومنقذها جلالته ملك البلاد العربية ، فأمن الحاضرون على
كل جملة من دعائه

وقبل انفضاض هذه الحلقة الكبرى تفضل جلالته سيدنا الملك العظيم فأجاب
استرحام القوم بتميم البيعة في المسجد الحرام في وقت مخصوص سنعلن عنه في العدد
القادم . وذلك اكراما لخواطر طبقات الشعب الذي أظهر الرقبة بالاشتراك مباشرة
مع من قام عنه بالبيعة وناب منابه في أداء واجباتها

وفي آخر الحلقة تلا حضرة الشاعر الاديب الشيخ عبد المحسن الصحاف خطبة
أنيقة بصوت جهوري وأتمها بقصيدة غراء تناسب المقام اه

[المنار] ان سبق أهل العلم والمكانة والرأي في مكة المكرمة الى هذه المبايعة

وما تلاها من مبايعة وفود سائر بلاد الحجاز الذي فصلت خبره جريدة القبلة في عدد آخر مبني على ثلاثة أسباب (١) اعتقادهم ان فئة الاتحاديين للملحمة الباغية قد تغلبت على الدولة العثمانية بقوة الثورة والاعتماد على الالمانيين الطامعين في البلاد ووضع الدولة تحت وصايتهم حتى لم يعد للسلطان أدنى استقلال في حكم ولا رأي (٢) ان اعتداء هذه الفئة الباغية على العرب ومحاولتها اهلاكهم كما اهلكت الارمن بغضا فيهم وفي دينهم وامتداد بقيتها من الشام الى الحجاز وما ترتب عليه من الحصر البحري قد اضطر أهل الحجاز الى إعلان الاستقلال التام كما بيناه من قبل ، وذلك لا يتحقق الا بمبايعة الامة المستقلة لحاكمها أو بتغلبه هو عليها بالقوة وحكومة الحجاز من النوع الاول المشروع (٣) ان صاحب الحجاز وأهل الرأي فيها يائسون من بقاء استقلال الدولة العثمانية ويجازمون بأنها اما ان تكون تحت سيطرة الالمان القاسية واما ان تنحصر سلطتها في بعض ولايات الاناضول ، فهذا وجب على العرب أن يسارعوا بعد الاستقلال بما استطاعوا من بلادهم الى تعيين شكل حكومتهم المستقلة ويطلبوا الدول الحليفة لهم بالاعتراف باستقلالهم قبل عقد الصلح لئلا تقدم الدول من أتباع الترك . ونحن قد بينا رأينا في هذه المسألة في خطبتنا التي ألقيناها بين يدي الشريف الاعظم وعلى منسح كبراء الحجاز والحجاج في منى وسنشرها في المنار

مبايعة وفود الاقطار الحجازية

جاء في العدد الرابع والعشرين من جريدة القبلة الذي صدر في ١٠ المحرم ما نصه :

« شهدنا في صباح أول أمس جموع العرب من سلاسل مصر وريضة وقضاة وقحطان ، وأخوانهم من مختلف الامم والاطنان ، يهرعون من باب الصفا الى بيت الله الحرام ألوقا بعد ألوقا ، ملين دعوة دينهم ، ومجيبين نداء وجداناتهم وضمائرهم ، في تقليد أمرهم لا قدر المسامين على القيام به

« ولما كانت الساعة الثانية عريية كان جلالة الملك المعظم قد جاء من القصر

(الحلج التاسع عشر)

(٥٦)

(المنار ج ٧)

الملوكي الى مدرسته. الملاحقة لبنت الله الحرام فدخل اليه منها يحف به آل البيت الاطهار ، وعلماء الشرع الابرار ، ووجوه الامة الاخيار ، فتفتحت الجروع العظيمة لقرة عينها ، وسبب عزها وسعادتها ، وحينئذ أعطى حضرة العلامة صاحب المالبي قاضي القضاة ونائب وكيل الوكلاء عريضة أهل الحل والعقد حضرة الفاضل الشيخ عبد الملك الخطيب ليتلوها على مسامع من لم يسمعها من جمهور الامة فيكونوا على بينة مما تضمنته من الحقائق الدينية والدنيوية ، فصعد حضرة الخطيب على دكة أقيمت أمام رواق الحرم الشريف وقرأها على الجماهير فقلبوها بالجندل والحبور والفرح والسرور. ثم أقبل حضرة قاضي القضاة على يد حضرة صاحب الجلالة الهاشمية ملك البلاد العربية فبايعه بالصيغة التي نشرها ضمن العريضة في العدد الماضي من القبلة^(١) وتبعه حضرات الاشرف والسادة ورجال الدولة والعلماء والاعيان ووفود البلاد لجماهير الامة على اختلاف طبقاتها . وكان رجال الشرطة يحافظون على النظام بكل دقة وأتباء . وقد رأى حضرة قاضي القضاة بعد أن نشر في بضعة ألوف من الناس بشرف المبايعة السعيدة أن الوقت لا يقسم لاستمرار الألوف الكثيرة في ذلك فطلب منهم أن يجيزوه في أخذ البيعة عنهم فأجازوه اجازة اجماع عام مطلق ، فبايع عنهم على مسمع منهم ، ثم صعد حضرة الشيخ عبد الملك مرداد على الدكة فدعا بدعاء يبلغ خشعت له القلوب وأمنت عليه اللسنة . وعند ختام الدعاء عاد جلالة ملكنا المحبوب الى المدرسة فلبث فيها بركة ثم صار موكبه الفخم الى الديوان الهاشمي العالي وجماهير الامة تهتف له بالنصر والعز والتأييد وتلاميذ المدارس مصطفة تحت الاعلام العربية المنصورة تشد أناشيد الحماسة والاستبشار بالمستقبل الباهر السعيد . ولما وصل الموكب الفخم الى القصر الملكي العالي أقبلت ألوف الناس من العظماء الاعيان والتجار ومن في طبقتهم للشرف بالاعتاب الهاشمية . وأخذ الخطباء والشعراء يتبارون في بيان عواطف الامة بهذا العيد الاعظم للعرب والاسلام .

[المنار] قد نشرت جريدة القبلة ما وصل اليها من تلك الخطب والقصائد فامتفرق السعد كله . وقد ذكرت أسماء أشهر رجال الوفود من جهه والملائف

(١) الصواب انه المند الذي قبله وهو عدد ٧٢

وفيرها . وقد علمنا أن كثيرا من زعماء العرب وفضلائهم في الجزيرة ومصر قد رفعوا الى ملك الحجاز رسائل التهاني بالبرق وبالبريد

احتضار سورية

— شهادة جريدة المانية —

ترجم أحد مراسلي الجرنال دي كير في جنيف مقالة نشرتها جريدة ألمانية في زوريخ — هي (نيوزورنجر زيتونج) — في ١٢ اكتوبر الماضي وصفت فيها شقاء سورية وبأسها وألبأس منها، وانا ننشر ترجمتها بالعربية نقلا عن جريدة الاهرام الصادرة في ٣٠ المحرم لان شهادة الالمان في هذه القضية — وهم أعوان الاتحاديين على تلبيير العرب كالارمن — لانفجرح بالكذب ولا الفلوكشادة غيرهم . وهذا نصها : « ان الجرائد السورية التي يرقبها الالمان رقابة شديدة صارمة تصف تماسة تلك البلاد وشقاءها المر المنظر للاكباد ، فاذا ضربنا صفحا عن قتلى الحرب وجرحاها نجد ان الجوع والابوثة كالكلورا والطاعون والتيفوس الخ قد أفنت عشر الالهالي ملكيين وعسكريين

« فسورية المعرضة لكل هجوم برأ وبحراً والمتصلة بالآستانة بخط حديدي واحد وهو خط « حلب — أطنه » تحملت من ويلات الحرب ما لم تتحملة بلاد أخرى بحاربة وإن لم تكن سورية ميدانا للقتال ولم تر المعارك الدموية الا في حدودها الجنوبية ، وهذه المعارك التي جرت لم تنير شيئا من حالة قناة السويس ولا حالة الحرب بوجه من الوجوه وحال من الاحوال

« ولا يذكر التاريخ ان هذه البلاد رأت من النوائب والبلايا منذ غزوة المغول ^(١)

(١) هم التتار السلف الطالح هؤلاء الاتحاديين الذين تتفخر بهم جمعياتهم الداعية الى العصية التركية الطورانية حتى صاروا يدعون بالجنكيزيين نسبة الى جنكيز خان الطاغية الملعون الذي دبح قومه الى تدمير بلاد الاسلام ونحو المدنية العربية

الى اليوم ما رآته في هذه الايام . فكثير من الارض لم يزرع والمحصول لا يكفي للسكان

« وفي شتاء عام ١٩١٥ بذل بعض السوريين المسلمين والمسيحيين بعض الجهد ليتخلصوا من الحكم التركي الذي ينهكهم ولكنهم لم يفلحوا وكانت النتيجة أنهم ذبحوا جميعا (يدرك القارئ أن الجريدة الألمانية تريد أن تبهر الذبح بزعمها ان اناسا ثاروا على الحكومة مع ان الحكومة التركية لم تقل ذلك)

« وزاد في فناء الاهالي واستنصالحهم الجوع والطاعون، وسعت السلطة العسكرية أن تعالج الداء (١) ولكن العلاج جاء متأخرا وبعد فوات الوقت فلم يكن بالامكان استخدام دواء ينجع ويفيد . وفتحت في القدس ودمشق وبيروت وبافا قاعات لشاي^(١) جعل فيها من الشاي والحبز والماء الساخن قليلا أو بلائمن للفقراء واليائسين . وتألفت جمعيات لقيام مقام الاطباء في معالجة المرض وتنظيف المنازل والحارات والشوارع وعزل المرضى وتوزيع الادوية التي يستطيعون الوصول اليها .

« ولكن المستشفيات العسكرية ذاتها ليس فيها أضددة ولا موازين للحرارة ولا أبر للحقن ولا غير ذلك مما يعالج به المرضى . ثم ضاعف الاوثة وجمعها عامة شاملة الجوع والضيق . وقد كانت عائلات كثيرة تسبقي حياتها بضعة ايام بقشور الليمون والبطيخ والطماطم الى أن يمرضوا جميعا وتعينهم احدى جمعيات البر

« وقد صدق أحد مراسليننا في القدس بقوله « ان اورشليم المقدسة تنقرض الآن للمرة الثالثة ولكن اقراضها في هذه المرة هو آثم منه في المراتن السابقتين »

« والحكومة الحالية التي هي ليست مسؤولة كل المسؤولية عما هو واقع (٢) تبذل الآن ما بوسعها لتدارك هذه الحالة (٣) ويعاونها جميع الناس من جميع المذاهب والجنسيات، وقد أهمل الناس جميع غروضهم الدينية خوفا على حياتهم كهجوم رمضان عند المسلمين وصوم الصيف عند اليهود وكذلك سلك المسيحيون

« وتجهذ السلطة العسكرية في ان توزع الحبوب بالقسط والعدل والمساواة بين المدن والقرى وتمنع الناس من تخزين الاقوات حتى لا تصعد الاسعار . ووزع جمال

(١) لعل الذين فتحوها هم اليهود لأن أكثر السكان منهم أو الجمعيات الطيرية

باشال حديثاً على فقراء دمشق بعض الاكل ولكن الجوع والضيق في المدن الكبرى في حال هائلة لا يستطيع قلم الكاتب وصفها وتصويرها للقارئ
 « فلا يمكن بحال من الاحوال ان تحول هذه المسكنات الوقتية التي يعالجون بها تلك البلاد دون احتضار الموت والنزع الاخير. فسورية هالكة مائة لا محالة ، ولا مرد لهذا القضاء عنها ، وسواء بقيت بيد دولتها أو صارت الى يد دولة أخرى فان بشها من مدقتها أمر مستحيل . »

[المثار] هذه شهادة الالمان للحقائقهم بل عليهم . والتبعة والمسئولية في هذه الجنايات الفظيعة على هذا الشعب العظيم ليست كلها على حكومتهم الطاغية الباغية وحدها وان كانت اهلكت الحرث والنسل عدا ، بل يقع سهم كبير منها على استاذتها ألمانية التي علمتها كيف تأخذ من البلاد جميع الرجال القادرين على العمل والصالحين للنسل من سن البلوغ الى سن الشيخوخة وتستعبدهم في أشق أعمال الحرب — وكيف تأخذ ما تنتهجه الارض بعمل الشيوخ والنساء والاولاد للسلطة العسكرية مصادرة ونهبها ، ولم تعلمها ان تبقي للاهالي الضعفاء الباقين ما يسد رمقهم وان توزعه عليهم كما توزع هي الاطعمة في بلادها ورضيت منها بالفضائع التي لا تحتاج فيها الى تعليم لانها غريزة وراثية فيها كقتل العلماء والكتاب ورجال الادارة حتى لا يبقى في البلاد من يعرف مصالحتها وبطالبا بها ، وكفني ارباب البيوتات ونهب أموالهم حتى لا يبقى في البلاد غني يلجأ اليه الفقراء والباثسون في وقت الضراء . ولماذا يموت السوريون جوعاً ولم يمت أحد من الالمان جوعاً وغلات سورية أكثر من حاجتها وغلات ألمانية دون حاجتها ؟ ولماذا تقلم الغلات الألمانية الفياقي والقفار والجبال والبحار حتى تصل الى ألمانية في قلب أوربة وأهلها يموتون جوعاً ؟ ولما تستنزف ألمانية قوة الدولة العثمانية وثروة شعوبها وتسخرها كلها لخدمتها في هذه الحرب ولا تهود عليها بالادوية التي تعالج به مرضاها وعندها من الادوية ما يكفيها أمما كثيرة ؟ ألا آن تذكرت الصحف الألمانية سورية بالرائاء ، والاعتذار عن أخلافهم السفهاء ، وأعمال هؤلاء الملاحدة الكفرة الفجرة تريد أن تجذب اليها العالم الاسلامي الى الاتحاد بمخدراتها لقد صدق من قال أن الالمان اتقنوا جميع العلوم والفنون ، الا علم طباطح الامم واخلاق الشعوب .

باب الشعر والادب

متى يذكر الوطن النعم

للشاعر الاجتماعي السوري المقيم في أمريكا وقد نشرت في صحتها الشهيرة

جلست وقد هجم الغافلون أفكر في أمسنا والغد
وكيف استبدَّ بنا الظالمون وجاروا على الشيخ والامرد
نفلت اللواعج بين الجفون وأنت جهنم في مرقد
وضاق القواد بما يكتم فأرسلت العين مذارها

.....

ذكرت الحروب وويلاتها وما صنع السيف والمدفع
وكيف تجور على ذاتها شعوب لها الرتبة الارتفاع
وتخضب بالدم راياتها وكانت تدم الذي تصنع
فباتت بما شيدت تهدم صروح العلوم وأسوارها

.....

نساء تجود بأولادهما على الموت والموت لا يرحم
وجند تنود بأكبادها عن الأرض والأرض لا تعلم
وتغزو الطيور بأجسادها فان عطشت فالشراب الدم
وفي كل منزلة مأتم تشق به العيد أزارها

.....

لقد شمع الذئب والاجلد وافقرت الدور والاربع

فكم يقتل الجحفل الجحفلُ ويفتك بالاروع الاروع
ولن يرجع القتل من قتلوا ولن يستعيدوا الذي ضيعوا
فبئس الألى بالوغى علموا وبئس الألى أججوا نارها

.....

أمن أجل أن يسلم الواحدُ تُطلُّ الدماء وتقى الالوف
ويزرعُ أولاده الوالدُ لتحصدّم شفرات السيوف
أمر يحارُ بها الناقدُ وتدمي فؤاد الليب الحصيف
فيا ليت شعري متى نفهم معاني الحياة وأسرارها؟

.....

وحوت طرفي الى المشرق فلم أر غير جبال الغيوم
تحول على بدره المشرق كما اجتمعت حول نفسي الغيوم
فأسندت رأسي الى مرفقي وقلت وقد غلبتني الهوم
بربك أيتها الانجمُ متى تضع الحرب أوزارها؟

.....

كما يقتل الطير في الجنة ويُقتنص الظبي في السبب
كذلك يجنى على أمتي بلا سبب وبلا موجب
خُفّامٌ تؤخذ بالقوة ويُقتنص منها ولم تذب
وكم تستكين وتستسلم وقد بلغ السيلُ زنارها

.....

وسيقّت الى النّطم سوق النّعم مغاورها ورجال الادب

وكل امرئ لم يمت بالغدوم فقد قتلوه بسيف السَّبِّ^(١)
فما حرك الضمُّ فيها الشم ولا رؤية الدم فيها المنصب
تبدلت الناسُ والانجم ولما تبدَّلُ^(٢) أطوارها

.....

أرى الليث يدفع عن غيضة ويجمع الغنم في قرية
بأنيسابه وبأظفاره إذا خشي الغدر من جاره
ويخشى الهزار على وكتته^(٣) فيدفع عنها بمنقاره
فلا الكسرات ولا الضيم ولا الشاة تمدح جزأها^(٤)

.....

صجبت من الفاحك اللاعب وأهلوه بين القنا والسيوف
يبتون في وجلي ناصب فان أصبحوا الجأ واللكهوف
ومن يصفق للضارب وأحابه يجرعون الموتوف
مضى يذكرُ الوطن النوم كما تذكر الطير أوكارها



(١) الغدوم وزن كثف السيف القاطع من الغدوم وهو القاطع بسرعة وقطعه يوزن ضرب يضرب . والمنصب الجوع
(٢) لو قال تبدل بنون التوكيد لاستغنى عن ضرورة رفع الفعل المنجزوم .
والانجم في البيت اما الكواكب وصفها بالتبدل مبالغة أو انواع التباس الذي
لا ساق له (٣) الوكنة عش الطائر (٤) يشير الى بعض المنافقين الذين يمدحون
هؤلاء الخمر بين ويستندرون عن فظائهم

المسحاة

١٣١٥

فيمر عادي الدين يستمعون القول فينبون أسنة
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

يقضي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للإسلام صوى و «منارا» كثر الطريق

٢٩ ربيع الاول ١٣٣٥ - ٤ الدلو (ش ٢) ١٢٩٥ ش ٢٤ يناير ١٩١٧

رحلة الحجاز

(تابع لما في الجزء الخامس)

ضربت وزارة الداخلية يوم السبت الخامس والعشرين من شهر صفر (الموافق أول الميزان ٢٣ سبتمبر) موعدا لسفر ركب الحمل المصري من القاهرة الى السويس وأذنت مريدي الحج بأن يكونوا قبل ذلك اليوم في السويس ليأخذوا فيها أهبتهم ويتبوءوا أمكتهم من الباخرتين اللذين أعدتها لحلمهم الى 'جدة'. وبيننا أنا منهمك في الاستعداد للسفر بشراء ما ينبغي شراؤه وترتيب ما تقرر رحله، واعداد ما تحتاج اليه الدارء وإدارة المنارة، خطر في بالي أن أكتب رسالة في مناسك الحج أرين فيها أحكامه وحكمها بسارة سهلة، مأخوذة بمصاح في السنة، وأن أطبعها وأحلبها معي هدية للحجاج الذين أصبحهم وألقاهم. فتنرعت في ذلك وقت الظهر من يوم الاربعاء فكنت أكتب عدة أسطر ثم أنرك الكتابة عدة دقائق للاشتغال بشيء ضروري. ثم انني اضطررت

الى ترك الكتابة من ظهر يوم الخميس الى ضحوة يوم الجمعة ثم قضيت أصيل ذلك النهار وغسق الليل فخارج المكتب والدار فتعذر الجمع بين اكمال المناسك والسفر في يوم الجمعة فأكلت كتابتها في هذا اليوم (الجمعة) فكانت أكثر من كراستين وقد ضاق الوقت على طبعهما قبل السفر اذ تمين أن يكون آخر موعد له قبل الظهر بساعة من يوم السبت ، فاضطرت بعد جمع جروفيها ليلا الى اختصار الاولى بالخذف من عدة مواضع منها ، وطبعت بعد ان تمت فلم أتمكن من تصحيحها ، فلذلك كثرت أغلطاها ، وتعذر على المطبعة أن تجهز لنا ضحوة السبت جميع النسخ فاكتمينا بحمل مئات منها ركبنا القطار الحديدي مع السيدتين والوالدة والشقيقة قبيل انتهاء الساعة الحادية عشرة من يوم السبت بوضع دقائق ، وكان ركب الحمل قد سافر في قطار خاص في أول هذا اليوم ، وودعنا في المحطة الأهل والأخوان ، وخاصة من علم بموعد سفرنا من الغلان ، وقد كنا بلونا لوحة الوداع بتعدد الألفاظ وكان أشجائها وداع الوالدين والأقربين والأصدقاء عند الهجرة الى هذه الديار ، ولكنني لم أذق قبل هذا اليوم لوحة توديع الأهل والأولاد لأنني لم أكن في حال سفر من أسفاري السابقة زواجا ولا والدا.

﴿ نبذة فلسفية شعرية في الوداع وما فيه تهذيب الطباع ﴾

قرأت قبل سفرني الاول كثيرا مما قال الادباء والشعراء في الوداع ، وحفظت من أشعارهم ما لايسهل علي أن أتذكره الآن ، ولا أحب أن أشغل بالتطويل في هذا الموضوع قراء هذه الرحلة ، ولا أن أترك الألام به وهو من أهم مسائل علم النفس التي تغيد بضمرة في علم التربية .

إنني عند وداع الوالدين وذوي القربى والأصدقاء في سفر الهجرة الى مصر وجدت في نفسي وفيمن ودعت منهم مصداقا لقول الشاعر :

لو كنت ساعة بيننا ما بيننا ورأيت كيف نكرّر السوديعا

لرأيت أن من الدموع محذّثا وعلمت أن من الحديث دموعا

فقد كان الحديث للدموع وحدها لأن لسان القم حبس فخرس ، ولسان العينين انطلق بالكلام المنسجم ، وقد كتبت الى بعضهم بعد الوصول الى مصر عبارة شعرية كنت شعرت بأنها حقيقة وجدت في نفسي ، وهي أنني وجدت وجد المودع

ولوعته يساويان وجـ جميع من ودعوه وإن كثروا، لأن كل واحد منهم فارق محبوبا واحدا وهو قد فارق أحببا كثيرا يبعد في نفسه من الألم لفراق كل منهم مثل ما يجده ذلك الفرد لفراقه هـ : الحساب أن لكل نوع من أنواع الوجدان والشعور حدا يختلف باختلاف أدرجة الناس ويتفاوت في الأفراد بفوارت مثيره في قلوبهم، ولو أمكن أن يوضع للأدراكات النفسية موازين كوازين الحرارة والرطوبة والقلل لأمنا بها أقصى حد لألم الفراق في نفس العاشق الواله، وفي نفس مثل الزوج، ولولادة والوالد، وهو إن يبلغ حده الأقصى إذا كان الفرق بعيد الشقة، أو عرضة للهلاك، أو شدة المشتة، كسفر ابن زريق من بغداد إلى المغرب في ذلك العصر، فهو لولا الخوف من الفراق الأبدي لم أحب لما قل في وداعه يومئذ قول العاشق الممثل لما في فؤاده، لا قول الشاعر المصور لما في خياله :

ودعته وبودتي لو يودعني طيب الحياة واني لا أودعه
كم قد تشفع بي ألا تفارقه والضرورات حال لا تشفعه
وكم تشبث في يوم لرحل ضحى وأدمعي مستهلات وأدمعه
لأ تذب الله ثوب العذراء منخرق عني بفرقة لكن أرقمه

ذلك بأن وداع الأحباب عند سفر قاصد (قريب)، إلى خير مرجو في حرم آمن، ليس كالوداع في سفر بعيد يضعف فيه الأمل، فيما يثيره من الوجد والألم. بل أقول أن الانفس تهوى بعض الآلام الخفية، وتجذب في باطنها لذة خفية، كذلة العاشق المستكتم في هجر محبوبه إياه هجر دلال أدهر دلال، بما فيه وما يتلوه من تهيج عواطف الحب والوجد والاشتياق، الذي يشبه كدة الذهن واتعابه في حل المسائل العلمية الموبصة، أو اجهاد البدن في بعض الاعمال الواجبة أو الرياضات المستحبة، في أن كلا من ذلك جامع بين الألم واللذة، أو بما يترتب عليه من لذة الشكوى والعتاب كما قالت عليـة بنت المهدي

وأهذب ليلى المهوى يومك الذي ترؤّع بالمهجران فيه وبالغيب
إذا لم يكن في الحب سخط ولا رضا فأين حلاوات الرسائل والكتب

وإذا كان لكل شعور ووجدان نفسي غاية وحد فسواء كان السبب الذي يبلغ به متعته واحدا أو متعددا، وإذا كان الغلو في سبب الولد أو العشق أو غيرها

من شأنه ان يترتب عليه الجوع تلك الفساية وهو قلا يكون الا في حب الآحاد من
الاولاد والاحباب فان الحب المنفرد على المحبوبين المتعددين من جنس واحد
كالاولاد أو من عدد أجناس لا يسكاد يكون الادون الحد الاقصى — اذا كان مذكور
كما ذكر وهم ما نراه فتلك القاعدة الشعرية التي كنت كتبتها لاتصدق بالاطراد
بل الاكثر اربعة الفراق المتفرقة على الكثيرين تكون دون اللوعة المقصورة على الافراد
هذا وان صفرنا الى الجهاز سفر قاصد لاداء فرض لازم في عام يقل فيه عدد
الحجاج فتسهل فيه مواصلة الحكومة لصحتهم والبلاد سالمة من الوبشة فالرجاء قوي بأن
تؤدى الفريضة فيه بالسهولة في مدة شهر واحد . ففراق الاهل والصحب في مثل
هذا السفر ليس من شأن وداع ان يشر منتهى الاشجان ، وينطق الدموع ويخرس اللسان
وناهيك بمن كان مثلي مسافرا مع أشد الناس حباله — ولدته وشقيقته ، وكم ودغ
الناس بعضهم بعضا في مثل هذه الحال ضاحكين مسرورين ، وكذلك ودعنا الاهل
والاصدقاء في محطة مصر ودخلنا القطار ، ولما وقفت في النافذة وقدم الي محمد شفيق
ودعني لاجل القبله الاخيرة ، اضطربت عاطفة الابوة في جميع أعماق النفس ،
فاضطربت لوعة فراقها في سويداء القلب ، ففاضت العينان ، واحتفل اللسان ،
وخافت تلك الارادة التي كنت أكابر بها الاشجان ، والعزبة التي تعودت أن أملك بها
أزمة الوجدان ، حتى عند الصدمة الاولى بموت الاخوة والاخوان ، وما ذاك الا أن
ألم توديع الاولاد مشوب بلذة لاستمعية لدمته كل قوة الارادة ، وألم مثل تلك
الصدمة ، هو الذي توجه لاحتماله كل العزيمة

تذكرت في هذا المقام ما قاله صديقا عبد الحميد الراضي شاعر طرابلس الشام
في توديع أولاده عند سفره الى الآستانة ، وهو قوله من قصيدة :

لست أنسى ساعة الين وما	هي الافك روح من جسدي
رمت فيها العمر لكن لم أطق	وحسبت الدمع لكن لم يكند
وروحى غرأ فقلت —	الجين الحسن منها مستمد
من صفار كاللاكي جلبجت	منهم الالسن والجفن اطرد
بعضهم أبكاه مرأى من بكى	ليس يدري قط ما اليوم وغد

والذي لاح له معنى النوى أطبق الدرع عليه فارتعد
 هل سمعتم بالقومي عاشقاً أنس الظبي به وهو شرد
 ليتني فارتقت عيني والحشا قبلما فارتقت أهلاً وولد
 أودعوني عندما ودعيتهم حسرة كانت من الموت أشد
 كلهم يفتشني قرب الأقبا حاسباً زامود أياماً تعد
 والذي لا يعرف النطق غداً نطقه الإيما بعين أو يسد

وما ينبغي وبين هذا الصديق إلا أن سفري خبر من سفره ، ولدي أصغر من ولده ، فقد كان بعض ولده يفهم معنى الفراق والسفره ونعمي لم تكن أتمت السنة الثالثة وشفيح كان في أول شهر الخامس عشره وكان سبب سفره أن الشيخ أبا الهادي الشهر فغضب عليه غضبة مضرية ، قطعت عليه موارد الرزق بعزله عن أعمال الحكومة ، فرحل الى الآستانة يستمطفه ويسترضيه ، عسى أن يعود بجاهه الى عله أو عمل يفوقه أو يدريه ، معلق القلب بين الفوز بالامل ، وبين الخزي والفشل ، لا يدري أيمود كما رجا أهله بعد أيام تعد ، أو بعد شهور أو سنين لا تعد ، حسب القاعدة المطردة في كل عمل يطلب من حكومة الآستانة ، فأين السفر الى تلك العاصمة ، وطلب الرزق من أولئك الباخلين الخلفين ؟ من السفر الى مكة المكرمة ، لطلب المغفرة والرحمة من أرحم الراحمين ؟ لقد كان ذلك الشاعر جديراً بأن لا تعود اليه السكينة ، الا بعد أن ينقلب الى أهله بما يرجو من الوظيفة ، وأما هذا الكاتب فقد عادت اليه سكينة بعد سير القطار بساعتين ، وأما كان يفكر أحياً نافعاً يرجو من الأهتمام بصحة ولديه في غيبته ، واستشارة الطبيب حتى عند الحوادث التي لم يكن يستشير في مثلها ، وقد ضعف التفكير في ذلك وفي غيره من أمور الدنيا منذ الاحرام الى التحلل التام منه بأداء المناسك كلها ، حتى كأن الانسان يدخل بمجرد الاحرام في عالم آخر والعبارة فيما يناه من فلسفة الوداع أن تذكر القاري بأن ألمه هو أول فوائد السفر الملهبة للنفس ولا سيما نفس الوالد ، وقد غفل عنها من حصر ذلك في خمس فوائد ، واتي رأيت بعض من آثار العزلة وبعض من حرم النسل يظنون ان الوالد من منفعات العيش في الدنيا ، لأن غبطة النفس به ، وقرّة العين برؤيته ، ولذة الامل بطول عمره وحسن

مستقبله، لا توازي آلام وداعه عند السفر، والحذر عليه من الموت أو المرض والضرر، دعهم
الوالد في تربته وتعليبه في حياته، والخوف من سوء حاله بعد مماته، ولا سيما إذا كان قليل
المال، وكثر عليه العيال، وما هذه الظنون، إلا من أوهم الكسالى والمحرومين، إلا أن عدم
اقدام فاقد المال أو قليله على الزواج، له وجه في هدي الشرع وآراء الناس. وأما ما يدخل
في موضوعنا منها وهو لوعة الوداع ومرارة الفراق، وما يتلوها من حرارة الاشتياق،
فهو من أعظم فوائد نعمة الاولاد على الوالدين في تهذيب أنفسهم، وتثقيف عواطفهم،
وأعلاء همهم، وتقوية أريحياتهم، وهي على ما فيها من الفوائد، حلوة الطعم في ذوق الوالد،
كما يستحلي العشاق نجني الحبيب، ويقولون ضرب الحبيب زبيب، ولوقيل للمشتاق
أحب أن تمخد حرارة هذا الشوق في قلبك فتسمي لا تذكر من تشتاق ولا نحن
إلى لقائه - لقال لا، وفي معناه قول قيس العامري :

وقالوا لو تشاء سلوت عنها فقلت لهم وأني لا أشاء

ذلك بأن ما يهيج الوجد مما ذكر يشبه نemat الاخوان، المثيرة للشجان، والحركة
للأحران، على شهداء الحق في سبيل الايمان أو الاوطان، الحافزة الى الاخذ بشارهم،
والرغبة في اقتفاء آثارهم، وهي مما يرغب فيه الفضلاء، ويبحث عليه الحكماء، وان
بكاء الفراق، الذي يرحى بعده التلاق، كالبكاء من خشية الله عز وجل يحسبه من لم
ينطق طعمه عذاباً وألماً وما هو الانعيم وغبطة، ولذلك قال من ذاق قسرة أهل الأيل
في ليلهم، أطيب نفساً من أهل اللهو في ليلهم. وقال بعضهم: لو يعلم الملوك ما نحن
فيه أتما تلونا عليه بالسيوف. ولا تكمل تربية أحد الأبركوب الصماب وحمل الآلام والانتقال
وأبعد تلك الظنون بل الوساموس عن الحقيقة وأوهامها في اليوم ما توسوس به
النفس لبعض المحرومين: ان خوف الوالد أن يموت قبل أن يرشد ولده ويستقل
بنفسه في معيشته، أو يكون له مورد واسع من الرزق يعيش به، ينقص عليه غبطته
ومسروره بوجوده. وقد سمعت مثل هذا ممن يعد نفسه ويعد بعض الناس من علماء
الاخلاق، وما هو إلا من أسرى الوساموس والاهام، فان تفكر الناس في مستقبل
اولادهم من بعدهم أو احتمال موتهم من قبلهم، ما كان لينقص عليهم هناهم وغبطتهم
بهم، إلا من شذ من خلاة المومنين، الذين وصلوا أو كادوا أن يصلوا الى درجة

المجاهدين ، وكل نعمة ينحوها هؤلاء تكون عليهم تقمة يجرمون لذة وجودها ، ويمدبون بتوهم قتلها ، أو احتمال حدوث مصاب بسببها ، ومن غلاة هؤلاء المساكين ذلك الجن الذي قتل وصيفه ووصيفته لاشتداد شغفه بهما وخوفه ان يموت ويتسع بهما غيره ، ويقرب منه ذلك العاشق المنسكين ، الذي خلق من ماء الدموع وصلصال الانين ، لا من الماء والطين ، فاستوى عنده القرب والبعد ، والوصل والصد ، فهو يبكي من يحب في كل حال ، كما وصف نفسه فقال :

فأبكي ان نأوا شوقا اليهم وأبكي ان دنوا خوفا الفراق

اننا بعد توديع من ذكرنا ركبنا وحدنا في مخدع من مخادع مركبات الدرجة الاولى من القطار الحديدي ، ولكننا لما انتقلنا مع سائر الركاب في الاممائية الى القطار الاخر ألقينا قطار اردينا وقد اكتظ بالجنود البريطانية حتى ان المخادع الخاصة بالنساء المهدرات لم تكن تحلو منهم ، فاضطرت الى وضع السيدتين في مخدع منها رأيت فيه مواضع لي ولها ، واثما بأننا لانرى من هؤلاء الجنود ما نكره ، وكذلك كان والله الحمد ، وآداب الجنود الانكليزية النخلص معروفة عند جميع المصريين ، يندر أن يرى أحد من سكان منهم تعديا أو اساءة فكيف يكون ادبهم في حال الصحو ؟ وقد وقف القطار في محطات جديدة كثيرة خاصة بالجنود المعسكرة على جانبي الطريق قريبة من الخط الحديدي أو بعيدة عنه ، وبسبب ذلك يتأخر القطار قليلا عن مواعده المعتاد

وصلنا الى السويس قبل المغرب وكان قد سبقنا اليها امس مع جواهر الحاج المصريين محمد نجيب افندي الماعون في مديرية الجيزة وهو صهرنا على بنت اخي ، والشيخ خالد النقشبدي ، فكانا ورفيقنا في السفر في كل حل وترحال ، وكل منزل من منازل الحاج ، وقد بننا تلك الليلة في دار اختارها لنا الرفيقتان من دور الاهالي التي يؤدي اليها الحاج في هذه الايام ، وهم يتقاضون من الاجرة في كل ليلة فوق ما يمهّد في الفنادق الكبيرة التي تفوقها خدمة ونظافة ، وكذلك اصحاب المركبات في السويس يزيدون أجورها على الحاج اضعافا

وفي ضحوة اليوم التالي ذهبنا الى مكتب الصحة لاجل ما فرضته الحكومة على كل حاج من تلقيح اطباؤها اياه بالمصل الواقى من الهيمضة الوابائية (الكوليرا) (لها بقية)

ذِكْرُ الْمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ

٢

البعثة النبوية وحمد سبرته صلى الله عليه وسلم فبها

كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَطًا فِي قَوْمِهِ وَأُمَّتِهِ، وَلَكِنَّهُ أَرَقَاهُمْ
بَلْ أَرَقَى أَنْبَشَرَ فِي زَكَاةِ نَفْسِهِ وَسَلَامَةِ فِطْرَتِهِ، نَشَأَ يَتِيمًا شَرِيفًا،
وَشَبَّ فَقِيرًا عَفِيفًا، ثُمَّ كَانَ زَوْجًا مُحِبًّا لِزَوْجِهِ مُخْلِصًا لَهَا، وَلَمْ يَتَوَلَّ
هُوَ وَلَا وَالِدُهُ شَيْئًا مِنْ أَعْمَالِ فُرُشٍ فِي دِينِهَا وَلَا دُنْيَاهَا، وَلَا كَانَ
يَعْبُدُ عِبَادَتَهُمْ، وَلَا يَحْضُرُ سَائِرَهُمْ وَلَا تَدْوَنُهُمْ، وَلَمْ يَنْظُمِ الشُّعْرَ كَمَا
كَانُوا يَنْظُمُونَ، وَلَا عَنِيَ بِالْخَطَابَةِ كَمَا كَانُوا يَعْتَنُونَ، وَلَمْ يُؤَوِّزْ عَنْهُ
قَوْلٌ وَلَا عَمَلٌ يُدُلُّ عَلَى حُبِّ الرِّيَاسَةِ، أَوِ الْبَحْثِ فِي شُؤْنِ السِّيَاسَةِ؛
وَلَمْ يُشَارِكْهُمْ فِي شَيْءٍ مِنْ خُرَافَاتِ الْجَاهِلِيَّةِ وَصَلَالَاتِ الشُّرْكِ،
وَلَا مِنَ الْمَفَاخِرَاتِ الْكَلَامِيَّةِ وَشُؤْنِ الْغَزْوِ وَالْحَرْبِ، بَلْ كَانَ يَحِبُّ
الْعَزْلَةَ، وَيَأْتِي الْوَحْدَةَ؛ وَرُويَ أَنَّهُ فِي حَدَائِثِهِ حَضَرَ سَمَرَهُمْ مَرَّتَيْنِ،
أَلْقَى اللَّهُ فِيهِمَا عَلَيْهِ النَّوْمَ؛ وَحُبُّ الْعَزْلَةِ وَالْإِنْكِمَاشِ، مَعْرُوفٌ
عَنْ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، وَإِنَّمَا كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْتَنِزُ فِي

(*) تابع لما نشر في الجزء السابع ص ٤٠٩

نَشَأَتْهُ الْأَوَّلَى عَلَى الْأَثَرَابِ ، بِاتِّزَامِ الصَّدَقِ وَالْأَمَانَةِ وَعُلُوِّ
الْأَدَابِ ، فَبِذَلِكَ كَانَ لَهُ فِيهِمُ الْمَقَامُ الْمَكِينُ ، حَتَّى لَقَّبُوهُ بِالْأَمِينِ .
عَلَى هَذَا الْحَالِ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ بَلَغَ أَشَدَّهُ وَأَسْتَوَى ،
وَكَمَلَتْ مِنْ جَسَدِهِ السَّلِيمِ وَنَفْسِهِ الزَّكِيَّةِ جَمِيعُ الْقُوَى . — لَا طَمَعَ
فِي مَالٍ وَلَا سُمْعَةٍ ، وَلَا تَطَلُّعَ إِلَى جَاهٍ وَلَا شَهْرَةٍ . وَكَانَ أَوَّلُ مَا بُدِيَ
بِهِ مِنَ الْأَوْخِي الرُّؤْيَا الصَّالِحَةِ ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ
فَلَقِ الصَّبْحِ ^(١) وَارِضَعَةِ ^(٢) ، ثُمَّ حُبِّ إِلَيْهِ الْخَلَاءِ ^(٣) ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ
حِرَاءٍ ^(٤) ، فَيَتَحَدَّثُ فِيهِ الْأَلْبَاءُ ذَوَاتِ الْعَدَدِ ^(٥) ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ
فَيَتَرَوَّدُ ^(٦) ، حَتَّى جَاءَهُ الْخُلُقُ وَهُوَ عَلَى هَذَا الشَّانِ ، يَنْزُولِ الْقُرْآنُ عَلَيْهِ

(١) الفلق بالبحر يك يطلق على الصبح وهو من فلق الشيء بمعنى شقه وفرقه
فرقن فان ضوء الصبح يشق الظلام اذ يظهر مستطيلا ثم مستطيرا ومنه (فلق
الاصباح) وبهذا المعنى أضيف الى الصبح ، والمعنى انه كان يرى الرؤيا فتقع كما
رأى اذ تنطبع للمعاني في مرآة روحه الصبيلة كما هي ، فهذا ضرب من الوحي وكانت
مدته قبل وحي البقرة ستة أشهر من ربيع الاول شهر ولادته الى شهر
رمضان الذي أنزل فيه القرآن (٢) الخلاء بالمد الاختلاء والافتراد

(٣) الغار ثقب في الجبل وحراء بالكسر أحد الجبال المحيطة بمكة على يسار
الذاهب منها الى منى . والغار في أعاليه مشرف على مكة ، بحيث ترى منه
السكبة ، كما يشرف على ما دونه من تلك البقاع ، فهو حسن الموقع جيد الهواء ،
يتسع للمختل في مجال الفكر والشعور بمظلة الرب ،

(٤) أصل التحنث توقي الحنث أي الانتم وتجنبه وفسره الزهري في الحديث
بالتعبد ، قيل كان يعبد الله على ملة ابراهيم وقيل بالتفكير خاصة ، واختلاف في عدد
الليالي التي كان يقضيها ويتزود لملها (٥) التزود اتخاذ الزاد من طعام وماء

فِي شَهْرٍ رَمَضَانَ ؛ بَانَ تَمَثَّلَ لَهُ الرُّوحُ الْأَمِينُ جِبْرِيلُ ، وَلَقِّنَهُ عَنْ رَبِّهِ
أَفْضَلَ التَّنْزِيلِ ، : قَالَ لَهُ اقْرَأْ فَقَالَ « مَا أَنَا بِقَارِئٍ » كَرَّرَا ذَلِكَ ثَلَاثَ
مَرَّاتٍ ، وَهَذَا مِنْ أَمْرِ التَّكْوِينِ لَا مِنْ تَكْلِيفٍ مَا لَا يُطَاقُ ، وَكَانَ
الْمَلَكُ بَعْدَ كُلِّ جَوَابٍ يَنْطُهُ أَيُّ يَضُمُّهُ إِلَى صَدْرِهِ وَيَمْصُرُهُ ، حَتَّى
يَبْلُغَ مِنْهُ أَجْهَدُ مَبْلَغُهُ ، وَحِكْمَةُ ذَلِكَ أَنَّ تَغَلُّبَ فِيهِ الرُّوحَانِيَّةَ
عَلَى الْبُشَرِيَّةِ ، وَيَسْتَعِيدُ لَتَلْقَى الْآيَاتِ الْإِلَهِيَّةَ ، فَيَكُونُ وَاسِطَةً
بَيْنَ الْخَلْقِ وَالْخَالِقِ ، وَمُنْتَهَى الْخَاضِرِ وَمَبْدَأِ الْغَائِبِ ، وَلَمَّا أُرْسِلَ فِي
الثَّالِثَةِ قَالَ (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ
عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ
مَا لَمْ يَعْلَمْ *) أَيُّ كُنْ قَارِئًا بَعْدَ أَنْ كُنْتَ أُمِّيًّا ، بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي
خَلَقَ الْإِنْسَانَ النَّاطِقَ مِنْ عَلَقٍ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ، لَا بِأَسْمِي وَلَا
بِأَسْمِكَ ، وَلَا بِحَوْلِي وَقُوَّتِي وَلَا بِحَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ ، فَهُوَ الْقَادِرُ عَلَى
جَعْلِكَ قَارِئًا لَا يَأْتِ رَبُّكَ ، الَّتِي اقْتَضَى جُودُهُ وَكَرَمُهُ أَنْ يَرْسُمَهَا
بِالْوَسْخِ فِي لَوْحٍ قَلْبِكَ ، وَعَلَى تَعْلِيمِكَ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ مَا لَمْ
تَكُنْ تَعْلَمُ ، كَمَا عَلَّمَ الْإِنْسَانَ بِالْقَلَمِ وَغَيْرِ الْقَلَمِ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ ، -
فَرَجَعَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَذِهِ الْآيَاتِ إِلَى خَدِيجَةَ يَرْجُفُ فَوَادُهُ ،
وَقَدْ أُرْتَمَدَ بَدَنُهُ وَلَكِنْ حَفِظَ رَشَادُهُ ، فَقَالَ « زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي »
فَزَمِّلُوهُ ، أَيُّ لَفَّفُوهُ بِالْبُتْيَابِ وَدَرُّوهُ ، حَتَّى إِذَا ذَهَبَ عَنْهُ الرُّوحُ أُخْبِرَ
خَدِيجَةَ الْخَبْرَ ، وَقَالَ « لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي » أَيُّ الْهَلَاكِ أَوْ الضَّرَرِ ،

فَقَالَتْ لَهُ: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يَجْزِيكَ ^(١) اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لِتَصِلَ الرَّحِمَ ^(٢)،
وَتَحْمِلَ الْكَلَّ ^(٣) وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ ^(٤)، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينَ عَلَى
نَوَائِبِ الْحَقِّ ^(٥). ثُمَّ فَتَرَ الْوَحْيَ ثَلَاثَ سِنِينَ، قَوِيَ فِيهَا إِلَّا سَنِعَدَادُ
وَأَشْتَدَّ الشَّوْقُ وَالْحَزَنُ. قَالَ «يَبْنَأُنَا أَمَشِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِنْ
السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ بَصَرِي فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِجْرَاهُ» وَذَكَرَ أَنَّهُ
رُعِبَ مِنْهُ أَيْضًا. وَلَكِنْ كَانَ ذَلِكَ دُونَ الرَّعْبَةِ الْأُولَى، فَرَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ
فَتَزَمَّلَ وَتَدَثَّرَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) قُمْ فَأَنْذِرْهُ وَرَبُّكَ فَصَبْرٌ
وَبَيَّابُكَ فَطَهَّرَهُ وَالرُّحَى فَأَهْجُرْ ثُمَّ حَمِيَ الْوَحْيُ وَتَنَالَعَ، وَبَلَغَ صَلَّى اللَّهُ

(١) يجزيك من الحزن وهي رواية أبي ذر، وعند غيره ما يجزيك من أخزاه
بمعنى فضحه وأهان (٢) أي تحسن للاقارب بما يليق بكل منهم
(٣) الكل بالفتح الثقل حملا أو عيالا أو طبعاً والمتعب، أي تحمل أثقال الناس
أو تحمل المتعب على ما يركبه من الابل أو الدواب (٤) أي تكسب احتاج ما هو
عادم له (٥) النوائب النوازل بالمصائب والحوادث أي تعين الناس في كل امر غير
باطل وهذه كلمة جامعة في بيان فضائله «ص» وهو يدل على فضل خديجة وعقلها
واعتقادها ان من يلتزم الحق وعمل الخير لا يحزنه الله ولا يحزبه. والحديث في
الصحيحين، وثمنه باختصار قليل: فانطلقت به خديجة حتى أتت ورقة بن
نوفل ابن عمها وكان قد تنصر في الجاهلية، ويكتب من الانجيل العبرانية، وكان
شيخا كبيرا قد عمي، فقالت له اسمع من ابن أخيك. فقال ورقة يا ابن أخي إذا
ترى؟ فآخبره «ص» خبر ما رأى فقال له ورقة: هذا الناموس الذي أنزل الله على
موسى. ياليتني فيها جذع «أي شاب» ليتني اكون حيا اذ يخرجك قومك.
فقال له رسول الله «ص» او اخرجني؟ قال نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت
به الا عودي، وان يدركني يومك انصرك نصراً مؤزراً. ثم لم ينشأ ورقة ان
توفي وفتى الوحي

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعْوَةُ رَبِّهِ فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ أَذَى الْمَشْرُكِينَ وَتَتَابَعُ^(١) فَمَا هَذَا
النَّبَأُ الْعَظِيمُ الَّذِي جَاءَهُ بَعْدَ الْأَرْبَعِينَ، وَمَا ذَلِكَ الْأَمْرُ الْعَظِيمُ الَّذِي
دَعَا إِلَيْهِ بَعْدَ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ، فَغَيَّرَ اللَّهُ بِهِ عَلَى يَدَيْهِ تَارِيخَ الْبَشَرِ
أَجْمَعِينَ، عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ ؛

نبيلغ الدعوة الاسلاميه وفهرضها

إِنَّ ذَلِكَ الْيَتِيمَ الْعَائِلَ فِي حَدَائِقِهِ، الرَّاعِي شَرِيفَ التَّاجِرِ الْفَنُوعِ فِي
شَيْبَتَيْهِ، الزَّوْجَ الْمُخْلِصَ لِزَوْجَتِهِ، الْوَالِدَ الْمُطَوِّفَ عَلَى بَنَاتِهِ وَصَبِيَّتَيْهِ^(٢)
الَّذِي لَمْ يَقْرَأْ سِفْرًا، وَلَا كَتَبَ سَطْرًا، وَلَا قَالَ شِعْرًا، وَلَا
أَرْجَلَ ثَوْبًا، النَّاشِئُ فِي تِلْكَ الْأُمَّةِ الْأُمِّيَّةِ، الَّتِي فَرَّقَتْهَا نَزَعَاتُ الْعَصَبِيَّةِ،
وَأَنْحَوَذَتْ عَلَيْهَا نِزَاجَاتُ الْوَنَائِيَّةِ، وَغَلَبَتْ عَلَيْهَا حِمِيَّةُ الْجَاهِلِيَّةِ،
وَأَمْسَتْ عَاصِمَتُهَا الدِّيْفِيَّةُ الدُّنْيَوِيَّةُ، ذَاتُ حُكُومَةٍ شَبِيهِةٍ بِالْعُرْفِيَّةِ،
لَيْسَ لَهَا رَأْسٌ مُتَبَوِّعٌ، وَلَا قَائِدٌ مُشْرُوعٌ؛ قَامَ فِيهَا يَدْعُوهَا إِلَى
تَوْحِيدٍ يَحْتَشُّ جَرَائِمَ الْوَنَائِيَّةِ، بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ وَالْأُلُوهِيَّةِ؛
وَإِلَى اسْتِبْدَالِ الْكِتَابِ وَالْعِلْمِ بِتِلْكَ الْأُمِّيَّةِ، وَاسْتِبْدَالِ الْحِكْمَةِ
بِتِلْكَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَإِلَى تَرْكِةِ الْأَنْفُسِ مِنْ تِلْكَ الْخُرَافَاتِ وَالْتِقَالِيدِ
الْوَرَائِثِيَّةِ، وَإِلَى اسْتِغْثَالِ عُقُولِهَا وَخَوَاسِئِهَا فِي الْعِلْمِ وَالْعِرْفَانِ،

(١) التتابع (بالباء قبل الهمزة) التهاافت والاسراع في الشراو التتابع (بالباء
الموحدة) فيه (٢) صبيته الفاسم وعبدالله والطيب والطاهر وقيل الطيب والطاهر
لهمان لعبدالله وهؤلاء من خدججة كبناته الاربع، وارايم من مارية القبطية

وَأَلَّا تَنْفَع بِجَمِيعِ مَا فِي الْأَكْوَانِ ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَخَّرَهَا لِلْإِنْسَانِ
بَلْ قَامَ يَدْعُوهَا إِلَى مَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ شَأْنًا ، وَأَعْمُ فَائِدَةً
وَقَعًا ، - قَامَ يَدْعُوهَا إِلَى كِتَابٍ مُهِمٍّ عَلَى الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ ،
وَدِينٍ أُنْزِلَ لِإِصْلَاحِ جَمِيعِ الْبَرِيَّةِ ، وَشَرِيعَةٍ عَادِلَةٍ سَوَاءٍ
أَجْنَبَادِيَّةٍ ، تَسْتَأْصِلُ تِلْكَ الْفَوْضَى الْأَجْمَاعِيَّةَ ، وَتَكْفُلُ لَهُمُ السَّعَادَةَ
الْإِنْسَانِيَّةَ ، بِإِعْتَاْفِهَا الْبَشَرَ مِنْ رِقِّ السَّيْطَرَةِ الرُّوحِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ ،
وَجَعَلِهِمْ أَحْرَارًا مُسْتَقِلِّينَ فِي فَهْمِ الْعَقَائِدِ الدِّينِيَّةِ ، وَأَدَاءِ الْعِبَادَاتِ
الَّتِي يَتَقَرَّبُونَ بِهَا إِلَى الْعِزَّةِ الْإِلَهِيَّةِ . وَجَعَلَ أَمْرَهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ
فِي الْأَحْكَامِ السِّيَاسِيَّةِ وَالْمَدَنِيَّةِ ، وَجَعَلَ دَرَجَةَ الْمَفَاسِدِ وَحِفْظِ
الْمَصَالِحِ أَسَاسًا لِلْأُمُورِ الْأَدَبِيَّةِ وَالشَّرْعِيَّةِ ، وَجَعَلَ الْإِخْلَاصَ وَحُسْنَ
النِّيَّةِ ، فِي الْأُمُورِ الدِّينِيَّةِ وَالْعَادِيَّةِ ، مَا يَسْتَعِدُّ بِهِ الْإِنْسَانُ لِلْحَيَاةِ
الْأَبَدِيَّةِ ، وَجَعَلَ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ فَرَضًا تَقُومُ
بِهِ الْأَفْرَادُ وَتَتَعَاوَنُ عَلَيْهِ الْجَمَاعَاتُ ، لِأَنَّهُ سِيَاحُ الْفَضِيلَةِ وَمَقُومُ
الْإِخْلَاقِ وَالْعَادَاتِ . وَجَعَلَ الْقِتَالَ ضَرُورَةً تُقَدَّرُ بِقَدَرِهَا ، وَيُجْتَهِدُ فِي
إِضْعَافِ ضَرَرِهَا وَشَرِّهَا ، فَلَا يُقْتَلُ فِيهَا النِّسَاءُ وَلَا الْأَوْلَادُ ، وَلَا
الْأَجْرَاءُ وَلَا الْعِبَادُ ؛ وَلَا يُمَثَّلُ فِيهَا بِالْقَتْلِ ^(١) وَلَا يُدْفَنُ عَلَى
الْجُرْحِ ؛ ^(٢) وَمَنْ رَجَعَتْ كِفْتُنَا بِالْإِثْمَانِ ^(٣) فِي الْأَعْدَاءِ ، نَكْنِفِي

(١) التمثيل بالتفيل تفويجه بقطع بعض أعضائه كجذع الانف وطمع الاذنين
وقلع العينين (٢) التدفيع على الجرح الا جهازا عليه اي امامته (٣) الانحياز
في الاعداء اضمافهم بكثرة من يقتل منهم . ومن رحمة الاسلام واصلاحه =

بِالْأَسْرِ عَنْ سَفَكِ الدَّمَاءِ ، (فَأَمَّا مَنَا بَعْدَ وَإِنَّمَا فِدَاءَهُ حَتَّى تَضَعَ
 الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا) ، ^(١) وَتَزُولَ الضَّرُورَةُ الَّتِي أَوقَدَتْ نَارَهَا ،
 وَإِنْ جَنَحُوا لِلْسَّلَامِ جَنَحْنَا لَهَا ، ^(٢) لِأَنَّنَا أَحَقُّ بِهَا وَأَهْلُهَا ؛ — إِلَى
 غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ ضُرُوبِ الْأَصْلَاحِ ، وَأَسْبَابِ الْفَوْزِ وَالْفَلَاحِ . وَمِنْ
 أَهَمِّهَا أَحْكَامُ الرُّقِّ ، بِمَا رَغِبَ وَأَوْجِبَ فِيهَا مِنَ الْيَقِينِ . وَأَحْكَامُ
 الْيَتَامَى وَالنِّسَاءِ ، فِي الْخُقُوقِ وَالْإِرْثِ وَالتَّصَرُّفِ فِي الْأَمْوَالِ ،
 وَحَسْبُكَ مِنْ هَذَا الْإِصْلَاحِ الْعَظِيمِ ، قَوْلُهُ تَعَالَى (وَلَكِنْ مِثْلَ الَّذِي
 عَلَيْهِمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)
 قَامَ يُنَبِّئُهُمْ بِأَنَّهُ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِلَى جَمِيعِ الْأُمَمِ ، مِنْ
 الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ ، وَأَنَّهُ أُوحِيَ إِلَيْهِ هَذَا الْقُرْآنُ لِيُنذِرَهُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ، ^(٣)
 وَيَتْلُو عَلَيْهِمْ قَوْلُهُ تَعَالَى (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْقُرْآنَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ

= إبطال ما كانت الأمم تستبيحه من استئصال أعدائها . ولم يكتف بجمع قتل
 من لا يقا تل منهم حتى أمر بأن يكف عن قتل المقاتلين أنفسهم إذا ضعفوا وأما
 شهرهم ، وإن نكتفي حينئذ بأسرهم ، وخيرنا في الأسرى بين المن عليهم بإطلاقهم وفك
 أسرهم بلا مقابل ، وبين فداء أسرائنا عندهم إن كان لنا عندهم أسرى . وذلك قوله
 تعالى (حتى إذا انجستهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد) الخ

(١) الأوزار جمع وزر وهو الحمل الثقيل ويطلق على الذنب ، والمعنى حتى تنفضي
 الحرب بوضع الحار بين لأتقائها من السلاح والنخائر عن أنفسهم — وقيل بترك
 السكفار للتدوان والذنوب الموجبة لها . (٢) السلم ضد الحرب وكلاهما مؤنث
 اللفظ (٣) أي وينذر به كل من بلغه ووصلت إليه دعوته من سائر الأمم

لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا) ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا) ؛ وَيُخْبِرُهُمْ عَنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِأَنَّهُ سَيَنْصُرُهُ عَلَيْهِمْ ، وَيُشِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُمْ بِأَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ دَعْوَتَهُ إِلَى غَيْرِهِمْ ، وَأَنَّ اللَّهَ سَيَفْتَحُ لَهُمْ مَصْرَ وَالشَّامَ ، وَيُعْطِيَهُمْ مُلْكًا كَثِيرًا وَقِيَصَرَهُ ، وَأَنَّهُمْ سَيَكُونُونَ هُمُ الْأُمَّةَ الْوَارِثِينَ ، (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ ، وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ، يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ، وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)

قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِهَذِهِ الدَّعْوَةُ الْكُبْرَى ، وَذَكَرَ بِهَا قَوْمَهُ فَأَعْرَضَ الْأَكْثَرُونَ عَنِ الذِّكْرِ ، وَلَمْ يَقِلْ إِذْ كُنِيَ قُرَيْشٍ وَأَعْقَلُهُمْ لَهَا سَبَبًا إِلَّا الْجُنُونَ ، أَوْ بَنَى الدَّاعِيَ إِلَيْهَا بَلَقَبَ شَاعِرًا أَوْ كَاهِنًا مَفْتُونًا ، إِذْ كَانُوا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ شَيْءٌ مِنْ الْأَسْبَابِ وَالْوَسَائِلِ ، لِمَا هُوَ دُونَهَا بِمَرَا حِلٍّ ، — لَا حَوْلَ لَا قُوَّةَ ، لَا مَالَ لَا عَصَابِيَّةَ ، لَا سَلِيْقَةَ فِي الشَّعْرِ تَجْذِبُ الْقَلْبَ ، لَا تَمَرُّنَ عَلَى الْخَطَايَا يُؤْتِرُ فِي اللَّبِّ ، كَمَا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ طُبِعَ عَلَى الصِّدْقِ ، وَعَاشَ طَوْلَ عُمْرِهِ عَيْشَةَ الْخُلْدِ ، فَكَانَ أَقْرَبَ مَا تُوصَفُ بِهِ تِلْكَ الدَّعْوَةُ إِلَى الظُّنُونِ ، أَنَّ قَالُوا إِنَّهَا تَزْعَمُهُ مِنْ زَعَا تِ الْجُنُونَ ، وَلَوْلَا مَا آيَدَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالْبَرَاهِينِ ، وَأَعْظَمُهَا هَذَا الْقُرْآنُ الْحَكِيمُ وَالنُّورُ الْمُبِينُ . وَلَوْلَا تَصَدِيقُ اللَّهِ

تَعَالَى إِيَّاهُ بِالْفِعْلِ ، كَمَا صَدَقَهُ بِذَلِكَ الْقَوْلُ الْفَصْلُ . لَقَالَ يَقُولُهُمْ ذَلِكَ فِي كُلِّ حِينٍ ، مَنْ بَلَغَتْهُ دَعْوَى تِلْكَ الدَّعْوَةِ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ وَالْمُسَافِرِينَ ،
 (ن) ، وَلَقَلَّمْ وَمَا يَسْطَرُّونَ * مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ *
 وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ^(١) * وَإِنَّكَ لَأَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ * فَسَتُبْصِرُ
 وَيُبْصِرُونَ * بِأَيْكُمْ الْمَفْتُونُ * إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ
 سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ^(٢))

«أَيُّ بُرْهَانٍ عَلَى النُّبُوَّةِ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا ، أَمْثَلُ قَامَ يَدْعُو الْكَاتِبِينَ
 إِلَى قَهْمٍ مَا يَكْتُمُونَ وَمَا يَقْرَأُونَ ، بَعِيدٌ عَنْ مَدَارِسِ الْعِلْمِ سَاحٍ
 بِالْعُلَمَاءِ لِيُحْصُوا مَا كَانُوا يَعْلَمُونَ . فِي نَاحِيَةٍ عَنْ يَتَابِيعِ الْعِرْفَانِ جَاءَ
 بِرَشِيدِ الْمَرْفَاءِ ، نَاشِي بَيْنَ الْوَاهِمِينَ هَبَّ لِتَقْوِيمِ عَوَجِ الْحُكْمَاءِ . غَرِيبٌ
 فِي أَقْرَبِ الشُّعُوبِ إِلَى سَدَاجَةِ الطَّبِيعَةِ ، وَأَبْعَدُهَا عَنْ فَهْمِ نِظَامِ الْخَلِيقَةِ
 وَالنَّظَرِ فِي سُنَنِهِ الْبَدِيعَةِ ، أَخَذَ يَقَرِّرُ لِلْعَالَمِ أَتَّجِعُ أَصُولَ الشَّرِيعَةِ ،
 وَيَخْطُ لِسَعَادَةِ طُرُقًا لَنْ يَهْلِكَ سَائِلُهَا ، وَلَنْ يَخْلُصَ تَارِكُهَا

« مَا هَذَا أَلِيخْطَابُ الْمُفْهِمِ ؟ مَا ذَلِكَ الدَّلِيلُ الْمُلْجِمِ ؟ أَأَقُولُ مَا هَذَا
 بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ؟ لَا ، لَا أَقُولُ ذَلِكَ ، وَلَكِنْ أَقُولُ كَمَا
 أَمَرُ اللَّهُ أَنْ يَصِفَ نَفْسَهُ : إِنْ هُوَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيْهِ . نَبِيٌّ
 صَدَقَ الْأَنْبِيَاءُ ، وَلَكِنْ لَمْ يَأْتِ فِي الْأَفْتِنَاجِ بِرِسَالَتِهِ بِمَا يُلْهِمِي الْأَبْصَارَ ،

(١) أي غير مقطوع (٢) النبذة الآتية التي أولها «أي برهان» وآخرها (تنزيل

من حكيم حيد) مقتبسة من رسالة التوحيد لشيخنا الاستاذ الامام رحمه الله تعالى

(المجلد التاسع عشر)

(٦١)

(النار: ج ٨)

أَوْ يُحَيِّرُ الْخُلُوسَ، أَوْ يُدْهِمُ الْمُشَاعِرَ، وَلَكِنْ طَالَبَ كُلُّ قُوَّةٍ بِالْعَمَلِ
فِيمَا أُعِدَّتْ لَهُ، وَأَخْتَصَّ الْعَقْلُ بِالْخُطَابِ وَمَا كَمَّ إِلَيْهِ أَلْخَطَا
وَالصَّوَابُ: وَجَعَلَ فِي قُوَّةِ الْكَلَامِ وَسُلْطَانَ الْبَلَاغَةِ وَبَسْطَةَ الدَّلِيلِ،
مَبْلَغَ الْحُجَّةِ وَآيَةَ الْخَلْقِ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا
خَلْفَهُ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ^{١)}

كَانَ مَثَلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي إِبْتِاتِ مَا جَاءَ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ
فِي بَلَدٍ كَثُرَتْ فِيهِ الْأَمْرَاضُ، وَلَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ أَعْلَمُ طَبِيبٌ وَلَا عِلَاجٌ،
فَادَّعَى أَنَّهُ طَبِيبٌ يُبْرِئُ الْعِلَلِ، فَكَذَّبُوهُ فَأَثَبَتْ دَعْوَاهُ بِالْعِلْمِ
وَالْعَمَلِ، إِذْ جَاءَ بِكَتَابِ عَالِجٍ بِهِ أُولَئِكَ الْمَرْضَى الَّذِينَ أَعْصَلُ
دَاوَاهُمْ، وَأَخْتَلَفَتْ أَمْرَاضُهُمْ، فَشَفَوْا وَعَادَتْ إِلَيْهِمْ صِحَّتُهُمْ؛ إِلَّا مَنْ
أَعْرَضَ عَنْ دَوَائِهِ، حَتَّى هَلَكَ بِدَائِهِ، بَلَى الْأَمْرَاعُظُمُ مِنْ ذَلِكَ
إِلَّا إِنْ مُدَاوَاةَ الْأَمْرِ الرُّوحِيَّةِ وَالْإِجْمَاعِيَّةِ، أَعَزَّ
وَأَعْسَرُ مِنْ مُدَاوَاةِ الْأَمْرَاضِ الْجَسَدِيَّةِ، وَتَمَوَّقَفُ عَلَى عُلُومٍ كَثِيرَةٍ
لَا عَلَى عِلْمٍ وَاحِدٍ، يُدْرَسُ أَلَا أَنْ مَنَعُولُهَا وَمَعْقُولُهَا فِي كَثِيرٍ مِنْ
الْعُدَاسِ، وَمَا أَكْثَرُ مَنْ دَرَسَهَا فِي كُتُبِهَا، وَلَقَّاهَا عَنْ أَسَاتِذَتِهَا،
يَتَدَبَّرُ عَلَى إِصْلَاحِ أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ بِالْعَمَلِ بِهَا، فَمَا أَقُولُ فِي أُمِّي نَشَأَ
بَيْنَ أُمِّيَّينَ، قَامَ بِذَلِكَ الْأَصْلَاحُ الَّذِي تَمَيَّزَ بِهِ تَارِيخُ الْبَشَرِ أَجْمَعِينَ،
فِي الشَّرَائِعِ وَالسِّيَاسَاتِ وَسَائِرِ أُمُورِ الدُّنْيَا وَالدِّينِ، وَأَمْتَدَّ مَعَ لُفَّتِهِ

فِي قَرْنٍ وَاحِدٍ مِنَ الْحِجَازِ إِلَى آخِرِ حُدُودِ أَوْرُبَةِ مِنَ الْقُرْبِ ، وَإِلَى
 حُدُودِ بِلَادِ الصِّينِ مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ ، حَتَّى خَضَعَتْ لَهُ الْأُمَمُ ،
 وَذَلِكَ لِدَوْلَتِهِ الدَّوْلُ ، وَكَانَتْ تَتَّبِعُهُ فِي كُلِّ فُتُوحِهِ الْخَضَارَةُ
 وَالْمَدَنِيَّةُ ، وَالْمَعْلُومُ الْعَقْلِيَّةُ وَالْكَوْنِيَّةُ ، عَلَى أَيْدِي تِلْكَ الْأُمَمِ
 الْحَدِيثَةِ الْمَهْدِ بِالْأُمِّيَّةِ ، الَّتِي عَلَّمَهَا الْقُرْآنُ أَنَّ إِصْلَاحَ الْإِنْسَانِ ،
 يَتَّبِعُهُ إِصْلَاحُ الْأَكْوَانِ ، فَكُلُّ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ هَذَا إِلَّا
 بِوَسْخِي مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ، وَتَأْيِيدٍ مِمَّاوِيٍّ مِنَ الْإِلَهِ الْعَزِيزِ الْقَدِيرِ
 الرَّحِيمِ ، اخْتَصَّ بِهِ ذَلِكَ النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ الْكَرِيمُ ، عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ أَفْضَلُ
 الصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ ؟

مناظرة الدعوة ، والرجاء الرسول الى السراجرة

بَدَأَ دَعْوَتَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِذَاذِ عَشِيرَتِهِ الْأَقْرَبِينَ ، مَنْ فِي
 مَكَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ وَمِنَ الْمَوَالِي وَالْوَافِدِينَ ، فَلَقِيَ أَشَدَّ الْجُودِ وَالْإِيْذَاءِ
 مِنْ قَوْمِهِ ، حَتَّى صَدَّوْهُ عَنْ تَبْلِيغِ دَعْوَةِ رَبِّهِ ، عَمَلًا بِقَوْلِ أَبِي لَهَبٍ :
 خُذُوا عَلَى يَدَيْهِ ، قَبْلَ أَنْ تَجْتَمِعَ الْعَرَبُ عَلَيْهِ ، وَقَدْ أَخْرَجُوا عَمَّهُ أَبَا
 طَالِبٍ وَآلَهُ مِنْ مَكَّةَ ، لِأَنَّهُ لَمْ يُحَلَّ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ ، فَجَمَعَ أَبُو طَالِبٍ
 بَنِي هَاشِمٍ وَالْمُطَلِبِ ، وَدَخَلَ بِهِمْ وَمَعَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 فِي الشَّعْبِ ، وَاجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ مُقَاطِعَتَهُمْ ، وَعَدَمَ مَصَاهِرَهُمْ ؛ وَأَنَّ
 لَا يَبِيعُوهُمْ وَلَا يَتَّعَاوُ مِنْهُمْ شَيْئًا ، وَلَا يَقْبَلُوا مِنْهُمْ صُلْحًا ، إِلَّا

أَنْ يُسَلِّمُوا مُحَمَّدًا لِلْقَتْلِ ، فَمَكَثُوا ثَلَاثَ سِنِينَ فِي الشَّعْبِ ، وَهُمْ فِي أَشَدِّ الْبَلَاءِ وَالْجُحْدِ ، وَكَانَ بَعْضُ مَا مَسَّهُمْ مِنَ الضَّرَرِّ ، أَنْ أَكَلُوا دَرَقَ الشَّجَرِ ؛ ثُمَّ أَشْتَدَّ إِذْنَاهُ قُرَيْشٍ لَهُ وَلَمَنْ آمَنَ بِهِ بَعْدَ وَفَاقِ خُسَيْدِيَّةِ وَأَبِي طَالِبٍ ، وَقَدْ تَوَفَّيَا فِي عَامٍ وَاحِدٍ ، فَمَرَضَ نَفْسُهُ عَلَى الْقَبَائِلِ فِي مَوَاسِمِ الْحُجِّ ، لَمَّا لَمْ يَجِدْ مَنْ يَحْمِيهِ الْقِيَامَ بِهَذَا الْأَمْرِ ، فَلَمْ يَحْمِهِ مِنْ قُرَيْشٍ أَحَدٌ ، وَلَكِنْ آمَنَ بِهِ فِي مَوَاسِمِ الْحُجِّ سِنَةً قَرِيبَ أَهْلِ يَثْرِبَ ،^(١) ثُمَّ آمَنَ بِهِ آخَرُونَ مِنْهُمْ فِي مَوَاسِمِ آخَرَ ، وَصَارُوا يَدْعُونَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ يَعْلَمُهُمْ الْقُرْآنُ . فَفُشِيَ الْإِسْلَامُ فِيهِمْ ، وَجَاءَ فِي الْمَوَاسِمِ الثَّلَاثِ أَمْرَاتَانِ وَثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ رَجُلًا مِنْهُمْ ، فَبَايَعُوهُ عَلَى التَّوْحِيدِ الْخَالِصِ لِرَبِّهِمْ وَإِلَهِهِمْ ، وَأَنْ يَمْنَعُوهُ - أَيْ يَحْمُوهُ - مِمَّا يَمْنَعُونَ مِنْهُ نِسَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ ، فَتَمَهَّدَتْ لَهُ بِذَلِكَ أَسْبَابُ الْهَجْرَةِ ، وَكَانَ قَدْ هَاجَرَ جُمُوهُورٌ مِنْ آمَنَ بِهِ إِلَى الْخَبَشَةِ ، فَأَمَرَ مَنْ بَقِيَ أَنْ يَهَاجِرُوا إِلَى الْمَدِينَةِ مُحْتَفِينَ ، فَكَانَ الْقَادِرُونَ يَهَاجِرُونَ أَرْسَالًا مُتَتَابِعِينَ ، وَقَدْ عَلِمَ أَكْثَرُ قُرَيْشٍ بِالْأَمْرِ ، وَأَنَّ الرَّسُولَ سَيَتَّبِعُ أَصْحَابَهُ بِالْمَسْرِ ، فَقَسَرَهُوا إِلَى الْحِيلَةِ وَالْمَكْرِ ، وَبَيْنَمَا كَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَهْجِي رَاحِلَتَيْنِ وَزَادَا وَدَلِيلًا لِلْهَجْرَةِ مَعَ الرَّسُولِ مِنْ مَكَّةَ ، كَانَتْ رُؤَسَاءُ قُرَيْشٍ يَأْتِمِرُونَ^(٢) بِالرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي دَارِ النَّدْوَةِ ، فَبَعْضُهُمْ يَرَى نَفْسَهُ وَبَعْضُهُمْ

(١) هي المدينة المنورة (٢) يتشاورون في الأمر

يَرَى حَبْسَهُ وَبَعْضُهُمْ يُرْجَحُ قَتْلَهُ، ثُمَّ أَجْمَعُوا عَلَى أَنْ يَأْخُذُوا مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ شَابًّا جَلْدًا، ^(١) يَقِفُونَ أَمَامَ دَارِ دَلِيلًا، حَتَّى إِذَا خَرَجَ صَرَبُهُ بِسُوفِهِمْ ضَرْبَةً رَجُلٍ وَاحِدٍ، لِيَتَفَرَّقَ دَمُهُ فِي جَمِيعِ الْقَبَائِلِ، فَيَرْضَى بِدَيْتِهِ بَنُو هَاشِمٍ، فَلَمَّا وَقَفَ أُولَئِكَ الشُّبَّانُ عَلَى بَابِهِ، أَمَرَ عَلِيًّا بَأَنْ يَنَامَ فِي فِرَاشِهِ وَيَتَدَثَّرَ بِرِدِّهِ، وَخَرَجَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِهِمْ، وَلَمْ يَنْظُرْهُ وَلَا شَعَرَ بِهِ أَحَدٌ مِنْهُمْ، بَلْ كَانُوا يَنْظُرُونَ مِنْ فُرُوجِ الْبَابِ، فَيَرَوْنَ النَّاسَ فَيَظُنُّونَ أَنَّهُ هُوَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْمُبِينِ (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ^(٢) وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) (الهاجية)

صورة زمام الدعوة والرسالة

دروس من الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

١٧

الامراض التي تنشأ من الميكروبات الحيوانية

النافض أو الملاريا Malaria

لفظ ملاريا أصله بالإيطالية كلمتان [mal aria] ومعناها «الهواء الفاسد»

سميت به هذه الحمى لتوهم الناس في زمن التسمية أن سببها فساد الهواء

(١) القوي الصابر (٢) المكر التدبير الخفي الذي يفضي للمكرب به الى ما لا يعلم ولا يحتسب ويكون في الشرغالب وقد يكون لابطال الشر أو للخير ومنه مكر الله عز وجل . والاثبات الاعتقال، والاخراج النفي

يطاق هذا النظم على أنواع من الحلي تنشأ عن ميكروب حيواني من نوع [البروتوزوا Protozoea] (راجع صفحة ٢٨ من هذا الكتاب) يعيش في دم الإنسان وينقل من شخص إلى آخر بقل بعض أنواع البعوض (المبيس) وبسبب هذا الميكروب بالفرنجية [Plasmodium] أو [أميا الدم Haemamoeba] وتماثلنا إنه يعيش في دم الإنسان لأنه لم يعرف إلى الآن أنه يعيش في دم أي حيوان آخر من ذوات الثدي، ماعدا نوعا يشبه يعيش في دم بعض أنواع القردة ويحدث لها حمى تمتاز أخف أنواع هذه الحلي التي تحدث في أكثر البلدان المعتدلة بتقطعها بمعنى أن نوبها تفصل بعضها عن بعض بفترات يكون فيها المصاب كأنه سليم منها، أعني أنها لا تكون مستمرة كالحميات العنفة الأخرى، وتختصر التوبة بضع ساعات ثم تروى وتعود في اليوم الثاني أو في الثالث [Tertian] أو في الرابع [Quartan] . والنوع الذي يعود في اليوم الثالث هو الأكثر حدوثا في الأقاليم المعتدلة . أما الذي يعود في اليوم الرابع فيكثر حصوله في بعض بلدان إيطاليا والهند . وهناك أنواع أشد مدة الحلي فيها أطول وخطرها أكثر وتعرف في إيطاليا بالحلي الصيفية الحريفة [Aestivo - autumnal] وفي البلاد الحارة (بالحلي المستمرة أو الحيشة) ويكثر انتشار هذه الحلي في الأقاليم التي بين خطي ٢٣° شمال وخط الاستواء ٥٧° جنوبه

الأسباب — قلنا إن الذي ينقل ميكروب هذه الحلي هو البعوض فلذا توجد هذه الحلي حيث يوجد البعوض ويكثر، ونختفي أو تنعدم حيث لا يوجد أعني أن حرارة الجو وكثرة الرطوبة والمستنقعات التي يتوالد فيها البعوض لها أعظم الأسباب لانتشار هذه الحلي . وجميع الأجناس البشرية عرضة للإصابة بها، ولكن السود أقل في ذلك من البيض . وهي تصيب الإنسان في جميع الأعمار . وما يجيئ للمرض ضعف الصحة والتعرض للرطوبة أو لحرارة الشمس الشديدة أو لافراط أو انقراض في الأكل أو الشرب

وقد يمكن الميكروب في الدم ولا يحدث الحلي وإنما بسبب ضعف الصحة وقهر الدم أو ضخامة الطحال، ولا يستمر بقاؤه في الدم إلى أكثر من ثلاث سنين

اذ لم تتكرر العدوى به

ولهذا الميكروب أنواع ، ثلاثة منها على الأقل تعيش في دم الانسان ، والاخرى في دم الطيور . وقد اكتشف مايبش منها في الانسان بين سنة ١٨٨١ و ١٨٩٠ . وهذه الانواع الثلاثة تعيش داخل كريات الدم الحمراء وتتغذى بها فتتص مادتها الميونولوجينية ويحولها الى حبيبات ملونة (سوداء أو سمراء مصفرة) ^(١) . يمكن اعتباره كأنها براز لها فاذا كبرت خلية الميكروب انقسمت الى عدة أقسام (نراوح بين ٦ — ١٥ أو ٢٠) واقفجر غشاء الكرية الحمراء فتخرج هذه الاجسام وتسبح في الدم ثم تخترق كريات حمراء أخرى وتسكنها وتعمل بها ما فعلته في الاولى . وكثير منها تقتله خلايا الطحال أو غيرها أو خلايا الدم البيضاء .

وعند تمام نمو خلية الميكروب وانقسامها الى عدة أقسام ترتفع حرارة المصاب ، لان الميكروب حينئذ يخرج سمه فيدور مع الدم . ومن ذلك نرى أن هذا الميكروب العميم يفسد الصحة بالآلاف الكريات الحمراء التي عليها مدار التنفس وبافرازه مما يحدث الحمية وهناك ضرر ثالث وهو افرازه مما آخر يذيب كريات الدم الحمراء فينبع الكبد ويكثر من افرازه الصفراء ويكثر الاسهال ، وقد يدل المريض بولا آخر مشتملا على مادة الدم الثابتة فيه — كما سيأتي — فتذهب الكلى بسبب ذلك ولا يلزم من دخول هذا الميكروب الى الدم أن يحدث للمصاب ما ذكر فانه قد يقتل ولا يعصب الشخص بشيء ، وقد يمكن في الطحال الى ان تضعف قوة مقاومة الجسم له فيظهر حينئذ أعراض الحمية ، وقد تغلب البنية بعد ذلك على الميكروب فتبيده وتحصل للجسم مناعة تقويه مرة أخرى . وهذا الميكروب قد يصيب الاجنة في أرحام أمهاتها غير أن ذلك نادر جدا

أما البعوض الذي ينقل العدوى من شخص الى آخر فهو من النوع المسمى [Anopheles] وميكروب الملاريا لا يضره بشيء اذا دخل جسمه . واعلم ان ذكر هذا البعوض لا يعض الدم بل الانثى فقط وهي التي تعمل العدوى وملكة حياتها (١) هذه تشاهد ساجدة في الدم أو داخل الكريات البيضاء التي تلتصقها أو داخل منسجيم بعض الأعضاء كالطحال والكبد والمخ وغيرها

تزيد عن شهر في الغالب . وتضع كل انثى نحو ١٠٠ بيضة على سطح الماء طول كل بيضة نحو نصف المليمتر أو مليمتر كدل . وبعد يومين أو ثلاثة يفس . وإذا كان الجو حاراً فقس قبل ذلك ، وتقوم الاجنة في الماء وهي المسماة بالعلق ، وبعد عدة أيام (١٣ - ٢٣) تعير بالتطور بموضوعة

ويعتاز هذا النوع من الانواع الاخرى بما يأتي :-

(١) ان اثناء لا تسلم الانسان غالباً ولا تمس دمه الا ليلاً (٢) أن شواربها [Palpi] طويلة مثل مقارها [Prboscis] الفليظ (٣) أنه توجد في أجنحتها نقط مسودة بخلاف أجنحة الاخرى فلها رائحة (٤) أن جسمها أطول وأحف . هو مستقيم بخلاف الاخرى فلها أنف واذا وقفت على الحائط رأيت ظهرها محدوداً وأعلم أن بموضوعة الملاريا لا تنقل العدوى الى موضوعة أخرى ، فلا يوجد الميكروب فيها الا اذا أخذته من الانسان بامتصاص دمه

واذا امتصت البعوضة دم المصاب لقمحت ^(١) مض خلايا الميكروب اختلايا الاخرى التي تتطور وتصل الى غدد اللعاب في البعوضة لتخرج منها أثناء وخز شخص آخر فتدبه بالملايا ، ومدة هذا الطور الذي يقضيه الميكروب في جوف البعوضة تختلف من ٦ - ١٦ يوماً بحسب حرارة الجو . والبعوضة لا تطير عادة من موطنها الى أبعد من نصف ميل انكليزي

الاعراض — تكون نوب هذه الحى في أول الامر غير منتظمة غالباً ، ولعل السبب في ذلك أن الميكروبات التي تدخل الجسم تكون من انواع مختلفة ، فتغلب البلية على أقلها عدداً وتقتلها وبذلك ينفرد بالجسم نوع واحد وهو الأكثر عدداً ، وفي بعض الاحيان يبقى نوعان أو ثلاثة . طور التفريخ يتراوح بين ٣ أيام و ١٢ يوماً وهو طويل في الاشكال المنتظمة ، قصير في غيرها ، وقد يحصل المرض بمجرد التلقيح وفي بعض الاحوال تتقدم الحى بعض أعراض أخرى كالتوعك والصداع وآلام بالاطراف وغشيان وغيرها .

(١) أما في دم الانسان فيحصل الاقسام بلا تلقيح

المنشور الهاشمي الشريف الثالث

نشر في العدد الحادي والثلاثين من جريدة القبلة الذي صدر في ٤ صفر

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي

الحمد لله الذي أخرجنا من الظلمات الى النور، والصلاة على سيدنا محمد صاحب الهداية الباقية ما بقيت العصور وكرت الدهور، وعلى آله وأصحابه الذين قاموا بمزامم الامور، وسلم تسليماً كثيراً

وبعد فقد حان لنا أن نخطب أبناء بلادنا — خاصتهم وعامتهم، وكبيرهم وصغيرهم، وحاضرهم وباديهم — في حقائق الامور التي كنا فيها، والحالة التي صرنا اليها، والواجبات التي حتمت علينا مقتضيات الدين والقومية والانسانية أن نقوم بها حق القيام

فانه لم يبق فيهم والله الحمد من يخفى عليه أمر هؤلاء الاغرار الذين تسلطوا على المملكة العثمانية فأحطوا فيها ما أحطوا وحرّموا ما حرّموا، مما قدمت الإشارة الى بعضه في منشورينا السابقين. واتخذوا دين الله هواً ولعباً، وسلبوا السلطة من أيدي أهلها. وتصرفوا بالمملكة تصرفاً أضاعوا به من بلادها في بضع سنوات ما تزيد مساحتها على مساحة بضع ممالك عظيمة في أوربا. وأدوا عباد الله بالقتل والشق والتعذيب والتفريب ومصادرة الاموال وانتهاك الاعراض بما لا يحيط به العدد والحصص. ولعل أرض الحرمين الشريفين كانت أقل الممالك العثمانية ابتلاء بمصائبهم ومقاسدهم. لآعن تكريم منهم لمشاعرهم المقدسة، ولا رافة منهم بأهلها، أولاً أن الحجازيين أحب اليهم من سكان الرومي والاناضول والشام والعراق، بل لما سخرنا الله لهم الوتوف لهم موقف النصيح تارة والدفع بالتي هي أحسن أحياناً، على أمل أن يصبح الذي بيننا وبينه عداوة كأنه ولي حميم

بذلنا ما في الموسم لدفع الاذى عن هذه الديار بالطريقة المتقدمة ، ولم نأل جهدا في تخفيف ظلمهم عن المسلمين وأهل ذمتهم في كل انحاء المملكة ، وحملهم على اجتناب كل ما يكره الناس عليهم ، واقناعهم بخفض أعمالهم وما سؤل اليه من ضياع البلاد وهلاك العباد ، وكنا نخلص النصح لرجالهم في الاستانة بمكاتبات محفوظة لدينا صورها وأعدادها وتوارى عنها ، لاسيما في السنين الاخيرة . ومن المتيسر لكل انسان ان يظلم عليها ، وكذلك كنا ننصح لولايتهم هنا بطريق المشافهة والمخاطبة ، وأوفدنا بعض أولادنا الى الاستانة والشام لهذا الغرض . ولكنهم لم يزدوا دعوتنا الا ظما ، طغيانا ، وبغيا وعدوانا

وما زاد مسؤوليتنا بين يدي الله عز وجل ، ثم امام واجب الوطنية والقومية ، ما وقع فيه قومي وأبناء جلدتي من الشدة التي لا تحتمل ، حتى أمست بلادنا بسبب أولئك الاغرار الجاهلين منقطعة عن كل أقطار الدنيا ، وان قلب المؤمن لا يرضى في حال من الاحوال رؤية جيران بيت الله الحرام وهم يموتون من الجوع والعري على قوارع الطريق . وذلك مما هو معلوم لدى الخاص والعام والبدوي والحضري ، ولا ريب أن أهل بلادنا لم ينسوا تلك الحالة المؤلمة والمهلكة التي لمستها الايدي وعاشتها الابصار . لان الحول لم يحمل عليها بعد . وما كانت شدتها بالذي يستحق أن ينسى

حينئذ استخرننا الله عز وجل للقيام في وجوه الأئمة الظالمين ، والمحررين الملعدين ، فرارا من عاقبة قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه في حديث صحيح (ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بمقاب منه) وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث الطبراني (خذوا على أيدي سفهائكم من قبل أن يهلكوا أو يهلكوا) وقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الطبراني أيضا بحديث صحيح (أيما وال ولي شيئا من أمر أمتي فلم ينصح لهم كنعينته لنفسه كبه الله تعالى على وجهه يوم القيامة في النار) وقوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه الطبراني أيضا بحديث صحيح (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به) وقوله صلوات الله عليه وسلامه فيما رواه أبو داود في سننه (خيركم المدافع عن

مشيرته) وقد خار الله لنا ان نهض بآمتنا للاخذ على أيدي الظالمين ، واجلاء السفهاء المارقين ، عن البلاد والبلاد . طالمين لهم ما طلبناه لانفسنا من جعل هوانا تبما لما جاء به صلى الله عليه وسلم ، ودفع السوء عن عثارتنا وجماعاتنا العربية التي صارحها هؤلاء الاغرار بمدواة جنسيتها ولقمتها وتقاليدها وراحتها وهنائها في كل ما ظهر وما بطن من أقوالهم وأعمالهم

وها ان ما كنا نسمعه ونسمعونه من ضروب ظلمهم وبغيهم في عرب الشام والعراق ، لم يسلم منه أهل المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، فقد تواترت الانباء بمضاغة بغيهم وظلمهم فيها ، وأخذوا في شتى النفوس البريئة وصلبها ، مستعملين ضروب الوحشية الطورانية ، وشرعوا بتشغيل بعض من وقع في أيديهم من سكان العوالي بالاشمال الشاقة بعد الفظائع الشنيعة التي أجروها لهم من قبل . ثم شتقوا أخيرا ثلاثة من أعيان المدينة المنورة ، وبدأوا بتجنيد الاهالي بالقوة حتى استنجد بعض أهالي المدينة المنورة باخوانهم المكيين لينقذوهم مما هم فيه

فأي مروءة ترضى لحاكم مهما كان ظالما أن يسلم سيف حقهده وضغنه وانتقامه في سكان المدينة المنورة الذين آثروا جوار النبي الاعظم صلى الله عليه وسلم على كل لذائذ الدنيا وصاروا أمانة الله في يد من يحكمهم ، وإذا كان حقد المتغلبة وضغنتهم قد وصل بهم الى حد أن يمدوا أيديهم باذى امانة سكان المدينة المنورة الذين لا حول لهم ولا طول في جانب القوة العسكرية المتسلطة عليهم فإن أولى بهم أن يخرجوا لقتال أولادي الاربعة ومن معهم من أفلاذ أكباد العرب ، فهناك موضع الشجاعة والقوة لا في قتل الاهالي الابرياء والمجاورين الضعفاء ، وها ان جيوش الحق زاحقة عليهم من أربع جهات لا من جهة واحدة ، بحجة داعي الله بالاخذ على أيدي الظالمين ، وتأديب الملاحدة المارقين

وانه لا يقوتنا بهذه المناسبة أن نعلن آمتنا المخصصة بسرورنا من غيرتها الاسلامية وحميتها العربية ، وشكرنا لها على ما أبدته حتى الآن من البساطة والرجولية والشمم العربي ومشاركتها الفعلية في طرد المتغلبة المارقة من عقر دارنا وحصون بلادنا . فسطرت بذلك صفحة ذهبية جديدة في تاريخ البلاد العربية المجيدة ، واستحققت ان

تكون صاحبة الفخر الأعظم باسترداد الاستقلال التام الدائم لبلادها مادامت السماء والأرض ان شاء الله تعالى

وان نظرة واحدة فيما كانت بلادنا عليه بالأمس وما صارت اليه اليوم بحول محول الاحول كافية لتزيد شكر الله تعالى منا جميعا على جزيل آلائه، وعظيم نعمائه، فقد أبدلها من العسر يسرا، ومن الخوف أمنا، ومن الضعف قوة، وكانت مقدراتنا تحت تصرف وصي جاهل لا يراعي فيها إلا ولا ذمة فازاحه الله عنها. وصارت حكومتها منها وفيها، وفتحت لرجلها على اختلاف طبقاتهم أبواب العمل لادارتها، واستعمال عقولهم وذكائهم ومواهبهم في تحسين أحوالها، كما فتح لابنائهم الطريق القويم اذا جدوا في ادراك "مضائل" وتحصيل الكمالات، حتى يبلغوا بقدرة الله عز وجل سعادة الدنيا بتولي المراتب العالية في دولتهم، والمناصب الجليلة في حكومتهم، ويحصلوا على سعادة الآخرة بايقان ما يجب علينا من خدمة وفود الله وحجج ربه الحرام، واستحصال جميع الاسباب التي تستلزمها راحتهم من كل الوجوه، وان عزائم حكومتنا معقودة للنهوض بأمر المعارف على أساس قويم يضمن تهذيب ناشئة البلاد ان شاء الله تعالى على الوجه الذي أشرنا اليه. وان كل ما حصل حتى الآن ليس الا جزءا قليلا مما ستعاليه البلاد من الخير التدريجي الدائم، وان كان كثيرا بالنسبة الى ما نحن فيه من التدابير الحربية، وبالنسبة الى الوقت القصير الذي تمتعت فيه الامة بالاستقلال

ومما لا يختلف فيه اثنان أن تأسيس الممالك يحتاج أن تبذل فيه كل طبقات الامة ما تستطيعه من السعي والجهد والعمل، وأن يقوم كل فرد من أفرادها بما يحسنه من وسائل المساعدة للنهضة العامة، حتى يتم الخير العميم على أيديهم جميعا فقتصر كمال الامة كل في نتائجه بعد اشتراكها في مقدماته. وبهذا تقيم الامة صروح المجد، ونهيئ للمالكها أسباب الهناء والسعد

وأهم ما ينتظر من الامة اخلاص النية والتناصح والتعااض والدفاع عن الحق والمصلحة القومية والوطنية، فقد ورد في صحيح مسلم وسنن أبي داود والنسائي ومسنده أحمد (ان الدين النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) وفي صحيح

مسلم (لا تحاسدوا ولا تاجشوا ولا تباغضوا ولا تدايروا ولا يبيع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله اخوانا . المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يكذب به ولا يتحقره ، التقوى ها هنا (ويشير الى صدره ثلاث مرات) بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) وفي سنن الترمذي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال (يد الله على الجماعة) فبال تعاون والتآزر والتناصح تنجح الامم وتفوز في معترك الحياة وتكتسب رضى الحق ورضى انطلق ، وبهذا يأمرنا ديننا الاسلامي الخفيف فلتكن مسلمين حقيقة ، ومن كان مع الله كان الله معه ، وان ماناته جيوشكم حتى الآن من النصر والفوز لم يكن الا بالاخلاص والنية الصالحة واستئصال شأفة الاحقاد والفساد ، وشتان بين من يؤسس بنيانه على التقوى ومن يؤسس بنيانه على شفا جرف هار . وان من باب التحدث بالعلم الالهية ، والتوفيقات الصمدانية ، ماترونه من أني لم أضن بنفسي وراحتي وحبابة أولادي ، على الدفاع عن راحة أبناء جلدتي ومصالحة بلادتي ، وذلك لما علمته من أن الخدمة لا تتم الا بأن يعمل لها كل بما يستطيع

ومن نعم الله تعالى على بلادنا هذه العربية اتفاق مصالحها مع مصالح من والاها من حلفائها واهل انهم العطف عليها في آمالها وأمانياتها ونصرهم بهم بأن من النقط التي لا تقبل التغيير والبدل بقاؤها في أيدي حكومة اسلامية مستقلة أمينة من كل طارى خارجي . وان من مقتضى أخلاقنا الاسلامية التي منها الاعتراف بالجميل شكر حادتنا الكرام على اخلاصهم في صداقتنا وحسن سيرتهم معنا وبذلهم الوسع فيما فيه خير هذه البلاد . وانا سنحرص على دوام ما يؤيد هذه المنافع المتبادلة الى ما شاء الله ونستنهض همه أمتنا في الحثام الى العمل على حفظ ما بأيديهم من نعم الله السابقة ، والاستمرار فيما أخذوا به من أسباب الترويض والتقدم ، لان الزمان الحاضر زمان جد وعمل ، وقد خاضت كل الامم في معامع الحروب وانطوطب تأمينا لمصالحها وبقائها ، وضحت كل مرتخص وغال في سبيل عزها ومجدها ، وانا لجديرون بأن نكون في مقدمة الطامحين الى احياء الاجياد ، والسير في سبيل الاجداد ، ورفع شأن البلاد ، واجتذاب كل ما يحل بنعمة حاضرة ، ومحاداة مستقبله ، ومن جهة ثانية فاني

أحدث قومي على الاقتصاد والاخذ بأسبابه وترك البطالة المذهي عنها في الدين الاسلامي، ولنا معتبر في الحث وشدة الابرام على المثابرة في وسائل الاكتساب مهما تكن حكمتنا على حالة بلادنا في الوقت الحاضر من جهة ما يظفر في النظرة الاولى من قلة أسبابها الاقتصادية، ولكن مباشرة العمل ستبين لكم أنها تأتي بشمرات لم تكن في الحسبان، فيكون بها تعديل الحاجة وتهوين الضرورة التي أحست البلاد بها في الشهر الاول بل في الاسبوع الاول من وقوع الحصر

وأنه لم يبق لأحد عذر في التصغير بشيء من أسباب الارتقاء بعد أن فتحت أبواب الاكتساب الخارجية للرجال، وأبواب المدارس للاطفال، وسوف تستمر حكومتنا في هذا السبيل ان شاء الله حتى تستكمل كل أسبابه، لاسيما المدارس المساعدة على ذلك بكل أنواعها، كالمدراس التجارية والزراعية والصناعية والطبية والمهندسية وسائر ما تحتاج اليه في حياتنا الجديدة والعمران الحاضر على الطرز والوجه المناسب لقدسية بلادنا، حتى يسهل استثمار ما أعد الله تعالى فيها من لوازم الحياة على أيديكم وبواسطتكم في عهد قريب ان شاء الله تعالى، وليس ذلك بعزير عليكم بالنظر الى ما خضعكم الله تعالى به من الذكاء والفطنة، وان خطتنا الاسلامية هي المحافظة على ما نحن فيه والسعي لتنميته والتقدم به بالتدريج الذي تقتضيه حالة البلاد (وقل اعلموا فسيبرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) شريف مكة المكرمة وملاك البلاد العربية

الحسين بن علي

[المنشأ]

كان المنشور الهاشمي الاول خطا باخا صا بالمسلمين وقد نشرنا خلاصته في الجزء الرابع، والمنشور الثاني موجها الى الناس عامة والمسلمين خاصة وقد نشرناه بنصه في الجزء السادس، وهذا المنشور الثالث خاص بأهل الحجاز وحدهم وكلهم مسلمون كما يعلم القراء، الا أنه يوجد في جدة أفراد من أهل الكتاب المعاهدين تساهل الحكام من قبل بالسباح لهم بالاقامة فيها. وسبب جعل الحرمين وما يحيط بهما من جزيرة

العرب خاصة بالمسلمين مع ما هو معروف من تساهل الاسلام هوانهما أعظم المعابد الاسلامية وما حولها حرم لها . ومن المساواة في الاسلام انه لا يجوز للمسلمين في دار الاسلام دخول معابد غيرهم ولو مؤقتاً الا أن يكون باذنهم ، فهل تجوز الأقامة فيها ؟ ولو كان لهذا الملاك الشريف رعية من غير المسلمين لحصصهم بخطاب يعلم منه القاضي والداني انه أوسع صدراً وأشد تسامحاً من خلفاء العباسيين ، وانه لو حكم بينهم بما يأمره به دينه واجتهاده لكان حكمه خيراً لهم من دستور المماليك في دينهم وديارهم . وقد كنت مع جمهور من المسلمين السوريين في مجلسه الشريف من دار حكومته بمكة المكرمة وممنا عبد العزيز بك المصري المشهور فذكرت في سياق الحديث عن العرب اخلاص القائمين بالهضة العربية من المسلمين والنصارى وضربت الدكتور أمين المعلوف مثلاً وشاهداً فقال حفظه الله تعالى : يا حضرة السيد اني لا أحب أن يفارق في هذا المقام بين مسلم وغيره ، واذا كان أصل شرهنا في الذمي القريب هنا ان له مالنا وعليه ما علينا ، فكيف اذا كان من أبناء جنسنا ، ثم أتى على الدكتور وأعرب عن رضائه هذه ، فسر الحاضرون بقوله سروراً عظيماً .

عاقبة الحرب

ومكانة بريطانيا العظمى منها

كتبنا في أول العهد بالحرب مقالة نشرت في (ج ١٢ م ١٧) الذي صدر في آخر ذي الحجة سنة ١٣٣٢ بينا فيها من استمداد الفريقين المتقاتلين ومن مقاصدهما ما ظهر لنا بعد سنتين أنه أصبح من كل ما نشر في الصحف مخالفاً له . وقد رأينا أن نصيد أو نختر تلك المقالة للمقارنة بينه وبين كلام حديث العهد نشر في جريدة التيمس . وهذا نص عبارتنا في تلك المقالة :

« نجيلة القول في المجموعين المتقاتلين أن انكسار فرنسا وروسيا وبلجيكا والعرب والجبل الاسود أكثر من ألمانية والتممة والسمانية رجالاً ومالاً وأساطيل بحرية وهوائية ، ولكن ألمانية وحدها أعلى منهن استمداداً ونظاماً ، ولولا الاسطول

الانكليزي لرجعت على الجميع رجعتا ظاهرا ، بل لامكنها أن تحارب أوروبا كلها
وتقتصر عليها

« بيد أن هذا السبق في الاستعداد ليس مما ينظم في سلك الخوارق والآيات ، بل يمكن لدول الاخلاف أن يلحقوها به ، اذا عجزت في أول العهد عن بطشة فاصلة في فرنسا . أما اذا وقف مدحا عند تدويخ بلجيكة والاسبلاء عليها وعلى بضع ولايات من شمال فرنسا وجانب من بولاندة الروسية ، فما بعد المدد الا الجزر ، فاذا أمكن للحلفاء أن يزيدوا عدد جندهم ويمدوه بما لم تستطع هي مثله عاد لهم الرجحان عليها في البر ، كما سبق لهم الرجحان عليها من قبل في البحر فحل الرجاء للحلفاء انما هو التغلب بالكثرة بقاعدة قول الشاعر العربي :

ولست بالاكثر منهم حصي وانما العرة للكاثر

« أما هذا المدد الذي يكون به الرجحان البري فلا يرجى الا من قبل بريطانيا العظمى ، لان الفرنسيين قد بذلوا كل ما في وسعهم ، والروس — وان كانوا أكثر عددا — لا يجدون من التخابر والسلاح ولا من الضباط ما يمكنهم من تجنيد العدد الذي تسمح لهم به كثرتهم ، فالانكليز وحدهم هم القادرون على مضاعفة جنودهم ، وعلى ايجاد ما يحتاجون اليه من السلاح والذخيرة لكثرة معاملهم وعملهم وما لهم ، وليس عندهم جندي اجبارية تسترق العمال ، وتوقف حركة الاعمال ، وانما يعز عليهم التجهيل بالجهاد ضباط أكفاء لجيش كبير يجددون تنظيمه تجديدا ، ولكن الانكليز أهل صبر وأناة ، فلا يدركونه في سنة يرضون بأن يدركوه في سنين ، وتاريخهم مرة أخلاقهم في ذلك . وقد قدر لورد كاتشر ناظر الحريسة القائم بتجهيز الجيوش الانكليزية مدة هذه الحرب ثلاث سنين

« تبين لنا ما تقدم ما يراه كل الواقفين على الحقائق من أن هذه الحرب ليست الا المظهر الاجلى للتنازع على السيادة والثغرة والاستعلاء في الارض بين الانكليز وأبناء عمهم الالمان ، وسائر الدول تبع لها في عملها ومملولاتها ، ومقدماتها ونتيجتها »
« دع البحث في المقدمات فقد انتهى أمرها ، وسيحكم التاريخ حكمه العادل فيها ، وأما النتيجة فهي ان السيادة العليا في الغرب والشرق ستكون لانكلترة أولا ألمانية

لا محالة ، ويكون أحلافها تبعاً لها ، فتكون لانكثرة اذا فازت هي وأحلافها بالنصر التام ، لانهم لن ينالوا ذلك الا بها ، ولا تنتهي الحرب الا وقد انتهكت قواهن من دونها ، واستحدثت هي من القوة فوق ما كان لها ، اذ شرعت بتأليف قوة برية لم يكن لها مثلاً في وقت من الاوقات ، كما انها تزيد الاسطول قوة على قوة ، وحينئذ تكون أعظم الدول ربها وأقلهن خسارة ، واذا كان من بواكر هذا الرج مصر وقبرص والبصرة ومعظم مستعمرات ألمانيا في أفريقية أو جميعها كما هو المنتظر فكيف تكون أواخره ؟ «وأما اذا كان النصر التام للألمانية وأحلافها فقد طالما لهجت الجرائد الانكليزية والفرنسية وغيرها بأن ألمانيا حينئذ تبطل أوربة كلها تحت سيطرتها ، وتتزع منها جميع مستعمراتها ، وانها بذلك تسود العالم كله ، واملنا نفود الى تفصيل القول في نتيجة الحرب على كل تقدير ، بقدر ما تسمح به المراقبة الرسمية على الصحف ، ونلم في ذلك بأمانتي الشرقيين عامة والمسلمين خاصة (١) »

هذا ما كتبناه منذ سنتين وعدة أشهر وأما ما جاء في جريدة التيمس مؤيداً له فهو ما نشر في جزء المقتطف الذي صدر في آخر ديسمبر من السنة الماضية الموافق ٥ صفر الماضي وهذا نصه بحروفه الا ما غيّرته المطبعة من تأنيث أسماء الدول وأوربة بالتاء : رأي الانكليز في عاقبة الحرب

« ان الامان لجأوا الى الدفاع بعد الهجوم في كل الميادين تقريباً والحلفاء يفوقونهم في كل شيء ، عدداً ومادة ما هدا القوة العقلية ، وفي يدهم زمام البحار فهم يضيئون على الامان تضيقاً لا يضمغه علم ولا تقوى على احتماله سحبة وطنية مما عقلت . وما من دولة محايدة يؤبه لها الا وهي تفضل الانضمام البنا على الانضمام اليهم . وستكون العاقبة لنا حتماً ولكنها قد لا تزال بعيدة فان ألمانيا لم تقهر حتى الآن . تجبعت يوارجها القتال قبل ان يقضى عليها . نعم أقلت أسواق المسكونة في وجهها وأوصدت أبواب البحار أمام سفائنها ، وقد حدث مثل ذلك لنو بولون وبونابرت في معركة الطرف الاخر ولكنه بقي في اوج مجده وبقيت ملوك الارض تحطب وده وتسابق الى نيل رضاه

(١) قد وفينا بهذا الوعد ولشرنا في الاجزاء الماضية ما اذن لنا بنشره

« والانسان يعيش في البر لا في البحر والدولة البرية التي تتسلط على نصف أوربة وتمتد سلطتها من البلجيك الى الاناضول لا يمكن اذلالها بقوة بحرية لانها لا تزال تستورد ما تحتاج اليه من البادان الواسعة التي تحت سعاتها »
 « ولا مشاحة في ان ايجاد البحار دون ألمانية قد أضربها كثيراً ولكن الفسربة القاضية لا تكون الآن في البر. هذا ما حدث في الماضي وما سيحدث في المستقبل (المقطع : وقد مثلت ذلك مجلة لندن بصورة وقف فيها الجنرال جوفر الفرنسي امام أمير البحر جاليكو الانكليزي وقال نعماً ما فعلت ولكن الفسربة القاضية تكون في البر لا في البحر. كما ترى في الصورة التالية)^(١)

« ولقد أخطأنا في إلقاء اعتمادنا كله على قوتنا البحرية واهمالنا لقوتنا البرية فكنا كالخراف امام الثئاب لما ذهبنا لمحاربة ألمانية في فرنسا لاننا اهتمنا الراحة والرفاعة فأسأنا الى أنفسنا والى أوربة كلها باهمالتنا قوتنا البرية

« وسيلنا الآن ان نعلم ان قوة ألمانية الحربية لم تضعف حتى الآن ولادليل على انها لا تستطيع مواصلة الحرب وامداد جنودها بالرجال والسلاح سنة أخرى أو سنتين »
 « من المحتمل ان قيادة جيوش الألمان جعلت منذ الربيع الماضي تحفي هدد قتلاهم وجرحاهم ولا تذكر إلا القليل منه حالما رأيت اننا نعني بذلك ونبي عليه أحكامنا . ولما غرض آخرهم وهو ان لا يعلم الشعب الألماني ما حلّ برجاله . ومع ذلك فانها لم ترسل الى ميدان القتال حتى الآن الا القليل من مجندي سنة ١٩١٧ ولم ترسل أحداً من مجندي سنة ١٩١٨ . وهي تستطيع ان تجند كل سنة نحو نصف مليون من الشبان . وكثيرون من الجرحى يشفون ويعودون الى ميادين القتال . وقد يكون عندها الآن مليونان من الرجال المستعدين لحمل السلاح وانجاد الجنود المقاتلة . ولا جدال في انها خسرت هي والنمسا خسارة فادحة في الصيف الماضي ولكن خسارتهما هذه لا تستلزم أن يطرحا سلاحهما حالا ويطلبا الصلح ناهيك عن أن التزامهما خطة الدفاع تقلل خسارتهما من الرجال وتمدد أجل الحرب كثيراً »
 « فلا ينبغي لنا ان نتوانى بل يجب علينا ان نزيد همة وإقداماً ونوالي لهجوم

نحن وحلفائنا ونكثر من سبك المدافع والقنايل وأعداد الجنود ونستعين بكل رجال الامبراطورية البريطانية . وما دامت حكومتنا قد أقرت التجنيد الجبري ووزعت ادارة الاعمال على الاكفاء من الرجال فلا يهمنا بعد الآن من يدخل الوزارة أو من يخرج منها

« وستنتهي هذه الحرب حينما تتأكد ألمانيا انها تخسر كثيراً باطاعتها ولا تستفيد شيئاً منها ولكن ما من أسد يعلم متى يكون ذلك . من المرجح ان أولي الامر في ألمانيا جلبوا الآن هذه الحقيقة ولكن يصعب عليهم ان يجاهروا بها قبلما تدور الدائرة على قوادهم في معركة كبيرة فاصلة لاسيا وان الشعب الألماني قد استهوي وأقنع ان الفوز في يده فيصعب عليه ان يصدق الآن ما يناقض ذلك »

(المتكطف) : واستطرد الكاتب الى ما يجب على الامة الانكليزية فعله بعد ان يعقد النصر للحلفاء فقال :

« ان الحرب ستنتهي يوماً ما فكيف يكون حالنا حينئذ اذا اعتبرنا قوانا البحرية والبحرية وخبرات بلداننا فسنبصر أسظم دولة حربية في المسكونة ، ونكون معتمد حلفائنا ونمتلك ما مساحته مليون ميل مربع من مستعمرات الالمان ، ويكون عندنا جيش محنك من الجنود والضباط يعدُّ بالملايين ، ويزيد تفوقنا البحري عما كان قبل الحرب ، وتحقق الامم كلها ان امبراطوريتنا مرتبطة بعضها ببعض ، عراها لا تنقسم ، وشعبها لا تقهر ، وفعلها خليق بماضيها الحيد

« ولقد كان ضمنا العسكري شوكاً في جنب جنودنا في السنوات الاخيرة وهو من أكبر الاسباب لشوب هذه الحرب الا ان ذلك قد مضى وانقضى . لكننا قد نخسر كل ما اكتسبناه الآن اذا قامت فينا وزارة تطلب ان نطبع سبيوقنا سككاً ورماحنا مناجل قبل ان يحين الزمان الصالح لذلك . فيجب علينا ان نكون على حذر مدة خمسين سنة الى ان نزول رزايا هذه الحرب وما أثرت في النفوس ويعود الامن والسلام الى انصايبها

« وعلينا ان نحذر الفرور كما نحذر الحول لئلا نضيع ثمار الظفر ، فقد اعطينا زعامة حلفائنا فصارت زعامة أوربة لنا بحق مكسب ، فلا ينبغي لنا ان نحل محل ألمانيا

فتكون قوة حربية مستبدة مثلها لاننا اصحاب البوارج والرجال والاموال وننوخى التفوق الحربي على غيرنا. بل يجب ان يكون فرضنا النفع العام وخدمة نوع الانسان . أما البحر فيجب ان يبقى لنا التفوق فيه وأما البر فيجب ان يكون عندنا من القوة ما يكفي لحماية ثغورنا وبلداننا مهما اختلفت تصارييف الزمان . ولا نتحدثن أنفسنا بأن القوة البحرية كافية وحدها كما فعلنا فيما مضى

« يجب ان نمون شبابنا كلهم على استعمال السلاح ، لا لكي يضرعوا نار الحرب به بل لكي يمتنوا اضرامها ويجهوا كل أملاكنا ومستعمراتنا ويحفظوا تاريخ أسلافهم المجيد

« والفوز في الحروب والتغلب على المكروه مقروسان في نفوسنا حتى ان جنودنا الذين دارت الدائرة عليهم في أول الحرب واضطروا ان يعودوا القهقري أمام العدو لم يكن يخطر لهم ان يتفكروا أو يتكلموا الا بأن الفوز سيكون لهم أخيراً ، وقد دامت هذه العزائم كل مدة الحرب وسبقني أشرف ميراث نوره لثريتنا من بعدنا »

(المتكطف) : هذا ولم نكفد ننهي من كتابة هذه السطور حتى طير الينا البرق ان ألمانية هزمت ان نجعل بلادها كلها مالا للاسباحة والقنفاخر الحربية وأن نحسب البلاد كلها محلا لتجاريا كبيرا ونستخدم كل ما في بلادها من الايدي العاملة ومعدات العمل لخدمة الجيش وان لا تكفي باستخدام الرجال والاسرى بل نستخدم النساء أيضا ، ويقال انها هزمت على تجييدهن أيضا. وان انكسرة قوت إنشاء ادارة للتكوين براسة رجل مطلق التصرف بحق له ان يرغم الناس على الاقتصاد وانها حظرت على السكان اتلاف المواد الغذائية واستعمال السكر في الككاليات وطعن الدقيق على الاسلحوب الذي يزيل منه المادة السحراء فتقل تفديته اه ما نقلناه عن المتكطف من ترجمته وتعليقه .

ومن قابل ماقله عن جريدة التيمس التي هي أعظم الجرائد الانكليزية مكانة ومعرفة بماقلناه في أول المهدي بالحرب في شأن ظفر انكسرة وحلفائها بجده شيئا واحدا

الحركة الطورانية الجديدة

في بلاد تركيا^(*)

نقل هذه المقالة عن العدد ١٨ والعدد ١٩ من جريدة القبلة الغراء مع تصحيح بعض الالتقاط :-

قرأنا في جريدة (نير إست) الانكليزية الصادرة في أول ذي القعدة مقالا خطيراً (١) تحت عنوان الحركة الطورانية الجديدة وترجمناها (٢) الى لغتنا العربية الشريفة ونشرناها على صفحات القبلة لعل فيها عبرة ومزجراً فان أسرار الاتحاديين والحمد لله قد ذاعت وشاعت حتى أصبحت حديث الشرق والغرب. وان رواها لاشد منها وأفزع، وأدهى وأمر، وسيلم النازحون عن المملكة العثمانية من حقائق الاتحاديين الطورانيين ما دامه العرب العثمانيون قبل ذلك أعوام فاستعدوا للدفاع عن كيانهم وعن دينهم، وبعضهم سادرون في غفلاتهم هائمون في أودية الاوهام ولا ضاليل واليك ترجمة المقال المذكور

ظهرت في تركيا حركة جديدة عرفها القوم باسم (بني طوران) أعني طوران الجديدة وقد نبتت في الاساتنة سنة ١٣٣١ ثم أخذت تنتشر في أجزاء كثيرة من الساطة ، وقد تنازعت هذه الحركة بكونها مقصورة على فئة مخصوصة غلبتها توحيد القومية التركية بالعنصرية الجفسية دون الربط الدينية الاسلامية. واليك بيان الغايات التي ترمي اليها في مساعيها وأعمالها :

(أولاً) ان تجعل الاتراك أمة قائمة بذاتها مستقلة عن الدين الاسلامي تمام الاستقلال حتى يتأهلوا أن تربى فيهم ذلك الشعور القومي الذي ذكره الدكتور الفردنويج في مقالة نشرها تحت توقيع في جريدة (اندرونوخ) الالمانية على أن تحديث

(*) قد تلخص هذه المقالة صاحب المقتطف ناسبا اياها الى أحد أدباء الانكليز وابتني كلمة الطورانية بالهاء

دارينه وبين زعماء الاتحاديين . (١)

(ثانيها) ترقية الروح العسكري التركي فقط (٢)

(ثالثها) انشاء العلاقات التجارية وغيرها من الصلات بين مسلمي بلاد المعجم الشمالية (آذربيجان) وبلاد روسيا في آسيا والاجزاء الجنوبية منها .

(رابعاً) تطوير اللغة التركية من الالفاظ العربية والفارسية ومن آداب

هاتين اللغتين .

ولهذه الجمعية التركية مطمح آخر نرمي اليه وان لم نجهز به رسمياً وهو تاريك العرب وإدغامهم في الترك حتى لا تبقى لهم قومية قائمة بذاتها . وأكبر آمال هذه الجمعية ان تجعل التركي العثماني يعد نفسه تركياً قبل كل شيء . وأما كونه مسلماً فيجد عنده من المسائل الثانوية التي لا تهمة كثيرا .

أما هذه الجمعية فانها تقوم بتلك الاعمال بإيعاز من السلطة الحاكمة التي تؤيدها بكل وسيلة ممكنة وتدفع لها كل ما يلزمها من المال لاجل بلوغ هذه الغاية وهم يسعون (ترك أوجاني) أي جمعية الوطن التركي . وهي تقوم الآن بنشر دهنها والقيام في أعمالها بهمة فائقة . أما الأطفال الترك فان المدارس الطورانية التي شرع في انشائها كفيلاً بأن تفرس في نفوسهم تلك الروح التركية الجديدة

وقد بذلوا غاية الجهد في تدريس التاريخ القومي للطورانيين وأفرغوا كل عناية لنشره في المدارس العالية وحضوا الطلاب على التنافس فيه والتهافت عليه ، وأخذوا بتأليف قوة كبيرة من فتيانهم سموها بالتركية (اينجي) أي قافة الاثر . ووضعوها تحت رعاية أنور باشا وهم يدرّبونها على الفنون العسكرية حتى تكون قادرة على الانضمام للجيش العامل وتفوق غيرها من أبناء العناصر الاخرى كالعرب والاكراد واللاز ونحوم . ولهذه القوة الصغيرة علامات مخصوصة وشارات معينة وألقاب معروفة وكما تركية قديمة يرجع تاريخها الى ما قبل العصر الاسلامي . أما الاولاد الذين

(١) عبارة المتعطف : وهذه العبارة هي عبارة الدكتور القردوسيج من حديث

دارينه وبين زعماء الاتحاديين ونشر في جريدة درتاج الالمانية اه (٢) ترقية الروح العسكرية بين الترك اه م

أسماؤهم مأخوذة من العربية فقد استبدلوا بها ألفاظا تركية محضة بدعوى ان الكشافة تركية خالصة وان أسماؤها يجب ان تكون كذلك انعاما للقومية ورعاية للجسمية ، ومن الاسباب التي عملت على ايجاد هذه الحركة أمور علمية واغوية لان الاتحاديين شرعوا في نقل كتب كثيرة من علمية وتاريخية الى لغتهم فكان لها في نفوسهم تأثير . وقد تفانوا في ذلك حتى عزموا على ترجمة القرآن الكريم الى التركية واستعماله في العبادة بها لابلالسان العربي ، ولكن العلماء المسلمين من جميع النحل حتى بعض الترك أنفسهم عارضوا في ذلك أشد معارضة

وقد طبع الاتحاديون كتباً كثيرة لتأييد المبدأ المنصري ومن ذلك الروايات الكثيرة التي وضعوها وأسمها (بني طوران) وهي الرواية التي كتبها احدى نسائهم المطالبات بحقوق الانتخاب واسمها (خالدة خانم) وقد حذبت فيها تلك الحركة الجنسية ونوهت بمطالب السيدات وحقوقهن ، ولا ريب ان مشكلة المطالبة بحقوق النساء وما يقوم به الاتراك من نشر دعوتهم والحث على العودة الى مدينة طوران من شأنه ان يعيد الى مخيلة الانسان ذكرى ما هو معروف عن الاقوام الطورانية وما كانت عليه من الاحوال الاجتاهية لان استبدادهم بالنساء وما ألحقوه بهن من ضروب القسوة والظلم يفوق ما فعلته جميع شعوب الارض في المصور المظلمة

يقال ان الحركة التركية بدأت بالظهور تحت صورتين وأسابغ مختلفة أولها اللغة التركية ومحاوله كتابتها بما يخالف الاحرف العربية حتى تعذرت قراءتها على كثيرين . على ان هذا الامر لاشأن لتأبه على الاطلاق . وهنا لك أسلوب آخر أعني به توطيد العلاقات مع مسلحي روسيا والقوقاس دون غيرهم من سائر المسلمين بمحبة أن هذه الاقوام ربما كانت من أصل تركي أو ان تركيها ممكن في الاقل ولكن ذلك لم ينقذهم من خطر الاندماج في العرب وخسران قوميتهم مادام للاسلام سلطان على النفوس ^(١) ولذلك عالجوا أمرهم باحياء اللغة التركية والسعي في استقلالهم عن سواها .

(١) عبارة المتكسلف : ولا لا تلتج العرب الترك العثمانيين في آخر الامر ولو فاز هؤلاء باستخدام الجمجمة الاسلامية لبخوغ غاياتهم

أما الباحث الثالث الذي شدد عزائمهم فهو كتاب تلامه^(١) الدكتور ناظم المرحص المسئول لجمعية الاتحاد فكان كالجذوة أصابت هشيماً يابساً لانه أوقد في نفوسهم نار الحماسة والحمية . وذلك الكتاب مؤلف قاريحي وضعه الموسويون كوهين بالفرنساوية عن آسيا والأتراك في منغوليا وأصلهم منذ سنة ١٤٠٥ ميلادية وقد صدر ذلك الكتاب سنة ١٨٩٦ وبما ان الجمعية العلمية الفرنسية قرظته وخصته بالعناية فقد حلّ عند الاتحاديين مكاناً رفيعاً فنقلوه الى التركية بعبارات بالنوا فيها ما استطاعوا ولم يلقوا البتة الى صحة بعض الاحكام والآراء المذكورة في الكتاب بل عدوا ذلك أمراً ثنوياً بالنسبة لخطتهم الرسومة . ومن البديهي ان من مقتضيات تلك الحركة استقلال العنصرية التركية دون الاسلام تمام الاستقلال وانفصالها عنه أشد الانفصال . وان ذلك لا مخطر عند المسلمين وغيرهم من الدول العظمى مثل روسيا وفرنسا وإيطاليا وانكلترا لان لمدة الدول عدداً كبيراً من الرعايا المسلمين وذلك ما يجعل لهذا الانقلاب أهمية كبيرة في الشرق والغرب . وهذه الحركة كما يقولون مقصورة على جمعية الاتحاد والترقي ومبنية على نظرات استاذهم المجري فبيري لما علق في ذهنه من المزايع القديمة لبالية من ان الاسلام ينافي الوطنية^(٢) . ويزعم الاتحاديون أن الاسلام باختلاطه مع التقاليد والمؤثرات العربية والفارسية واليونانية والبيزنطية قد حول الترك الى عنصر شرقي مسلم ليس له مدينة (كلتور) خاصة به، وهم يقولون ان هذه الحقائق نحلهم على الاهتمام بمصيرهم والتفكير في عاقبة أمرهم وزيادة العناية في تمييز الحياة الوطنية التركية عن الاسلام

أما تيار المهاجرة التركية فقد بدأ منذ أوائل عهد النصرانية في آسيا من بلاد الصين والاكسوس . وكانت دياناتهم في ذلك الزمن على افترض أنهم كانوا يدينون بدين خاص ما يسمونه اليوم (السامازم) أي العبادة الوثنية^(٣) . وكانت مدنيتهم

(١) أي اطلع عليه وقرأه (٧) عبارة المفتطف : ويقال ان احرار الترك يميلون اليها بوجه خاص بناء على القاعدة التي وضعها فبيري اليهودي المجري المعروف وهي أن «لاوطن في الاسلام» (٣) المفتطف : كانت القبائل التركية تقطن بلاد آسية من حدود الصين الى نهري جيحون (او كسوس) أو موداريا كما يسميه التتر (وكانت ديانتها ... ان كان لها ديانة ... ما يسمى «بالشامانية» أي عبادة قوى الطبيعة بالشعوذة والسحر

مؤاتمة من المبادئ البسيطة المعروفة عند القبائل الرحالة المنتشرة في أواسط آسيا كما يقضي بذلك مركزهم الجغرافي وحالتهم الاقتصادية المحيطة بهم. ولم يكن لهم من المزايا غير الصفات الحربية، ولم يكن لهم من الشرف القومي أيضا سوى ما يستعبرونه من شرف الامة التي تستخدمهم بالدرهم للمحاربة في صفوفها، وكانوا يعرفون بالاطاعة لكل من أطعمهم وتولى قيادتهم في ساحة القتال. ولا مشاحة ان التركي لم يستطع تجاوز تلك الحدود من تلقاء نفسه. ولم يكن للتركي دين خاص به ولم يعمل شيئا لثرقية شؤونهم ولوغ درجة رفيعة من المدنية، ولم يحاول الترك قط أن يمزجوا ببقية اجناس قومهم، وان كان جنكيز المغولي قد حدث نفسه بهذا الامر وجعله نصب عينيه وأكبر آماله. ولم يكن للتركي يقتبس من المدنية الامان بلجته الاحوال الضرورية اليه لاحتكاكه بها كرها كما وقع له مع المدنية الصينية فالفارسية فالعربية فالرومية فالالمانية. ولا يقع في وهم أحد أن ما استعاره التركي من مدنيات أولئك الاقوام ولا سيما مدينة الاسلام قد حال دون بلوغه (كثور) مدينة خاصة به^(١) وان التركي لم يظهر في عصر من العصور مقدرة خاصة أو استعدادا طبيعيا لاجل النوروز واظهار مدينة يستقل بها عما كان يقترضه افتراضا ويقلده تقليدا مضحكا وفي الحقيقة ان العثمانيين من بين قبائل الترك كان أقل الناس لياقة لتمثيل أمة. يدلك على ذلك ان الاناضول عدا ما فيه من قبائل البودوك والتر كان خال من آثار القبائل التركية الاصلية. لان القومية التركية فيه ليست الا لغة أوجدتها الاحوال السياسية. وليس الدم التركي فيها سوى قطرة صغيرة في بحار تلك الدماء المتحدرة من الاقوام والشعوب القديمة الراجعة في تاريخها الى ما وراء تأسيس القسطنطينية باجيال كثيرة كالليونان القدماء والفرنجيين والغلاطين والاشوريين والكرمانس والحثيين، وتلك الدماء هي التي تحركت في اعصاب ذلك المزيج المسى بالعجماني فاوجدت فيه ميلا للزراعة وحرثة الارض، ولا سيما العناية بالبحرية في القرن السادس عشر. وقد كان من جملة العوامل التي حفظت وجود الأتراك حتى اليوم بصفة شمم معروف أمران: الدين والطاعة العسكرية. فاذا ذهب الاسلام من تركيا فاذا عسى أن يبقى لها. وقد أجاب عن ذلك أصحاب (قوم جديد) فقالوا انه سيبقى لهم

(١) كذا في القبلة والمراد : دون انشائه مدينة خاصة

اتراك طوران والاسلام بصورة جديدة فيكون ديننا وطنيا أهليا. على ان شعب طوران لم تغاير عليه دلائل الابتكار والاختراع فيستطيع قلب الاسلام رأسا على عقب وجعله كما نشاء. عنصر ربه الطورانية وكما يزعم اقطاب القوم الجديد، وكل ما في الأمر ان للطورانيين سبقا في التدمير والتخريب والقتل كما فعل جدهم هولاء كو فقد دمر الترع المائية التي كانت في العراق وجعل بقاعه المحصنة مجدبة حتى اليوم. أما الطورانيون العثمانيون فقد نسفوا المدينة البرنطية الزاهرة، ومثلهم جنكيز السفاح الذي ملأ بخاري بقيا وظلما، وقد لا يصدق الناس أن تيمور كان من الفرسان وان جنكيز من أقطاب السياسة.

ولقد أفاض المسيو كوهين في وصف المزايا العسكرية الطورانية ولكنه لم يذ كر شيئا عن فظائعها الا ان الدكتور يسار أصلح ذلك الخطأ في ما كانت نستعمله تلك البطون الطورانية من ضروب القسوة والظلم مع جميع الامم الخاضعة لاحكامهم، وليس للتركي لذة أو اهتمام خاص في الامور الدينية ولذلك لم يذل شيئا في خدمة الاسلام الذي جدين يديه فلم يتقدم خطوة ولذلك يستعصب العارفون قدرة (قوم جديد) على جعل الاسلام تركيا محضا وما لا ريب فيه ان التركي يخاف العرب أشد خوف ويدأب في استعمال كل الوسائل لجعلهم اتراكا ومحو قوميتهم تقليدا لما فعله شلورويك هولستين مع ولايات الدانمرك التي انضمت لالمانيا ولقد صرح بذلك جلال نوري بك في احد كتبه فقال «ان البلاد العربية بأسرها ولا سيما العراق واليمن يجب ان تكون تركية في اللغة والجنس وان تكون لغة الدين عندهم تركية أيضا، والاسراع في تهريك البلاد العربية من أهم الامور لحفظ وجودنا لان روحا جديدة بدأت تدب في نفوس العرب ورجال نهضتهم وأخذت تهدد وجودنا السياسي بضربة تقضي على قضاء مبرما، فالضرورة والحالة هذه توجب علينا ان نكون على تمام الاهبة والاستعداد لانتقاء هذا الخطر.» وكتب احمد شريف بك في جريدة طين مايا في «يتحدث العرب كثيرا في هذه الايام عن أنفسهم وقوميتهم وهم يجهلون اللغة التركية جهلا تاما كان بلادهم ليست خاضعة للاتراك، فالواجب يقضي على حكومة الباب العالي أن تهتم اهتماما فعليا في جعلهم ينسون هذه النفثة وتضطرهم لتعلم اللغة التركية الرسمية. فاذا أهمل الباب العالي ذلك كان كمن يحفر قبره بيديه. واذا بقي العرب على يقظتهم هذه

فلا يبعد أن يهبوا لاسترجاع ملكهم وفي ذلك القضاء على السيادة التركية في آسيا
وهناك أدلة أخرى عديدة على أن الأتراك يسعون بكل جهدهم للقضاء على أمة شريفة
كالأمة العربية ومحو أثرها من عالم الوجود ولكن الخلفاء يدافعون عن مبدأ القومية ويؤيدونه
وهم لا يسعون ببناء أمة كريمة تريد البقاء ولا سيما إذا كانت أمة أخرى طاغية تريد سحقها
وذلك ما يجعل ميول الخلفاء عربية محضة وهو أمر لا يرتاب فيه أحد من المسلمين المتميزين
بالعيش في ظل انكسار وفرنسا. فالخلفاء أنصار العرب وهم يسعون لتأييدهم لأنهم أصحاب
الدين الإسلامي الخفيف ومنهم النبي الأعظم (صلى الله عليه وسلم) وفوق ذلك كله فإن
هناك صلة قرابة قوية بين العرب والمسلمين التابعين لحكومة فرنسا في شمال إفريقيا.

باب المراسلة والمناظرة

﴿ تأثير الصحافة في أخلاق الأمة ﴾

سيدي الأستاذ صاحب (المنار)

بمناسبة مقالكم الصريح عن حال المسلمين الاجتماعية ومكان الاغنياء وسائر
الطبقات منها ، بما جاز لي أن أتعرض بكلمة وجيزة لمسألة حيوية مرتبطة بهذا الموضوع
وهي تأثير الصحافة في أخلاق الأمة .

بديهي أن الصحافة من الموازين التي تقاس بها درجة الرقي في شعب من
الشعوب ، كما أنها إحدى الميكانيكات له وأحد عوامل الإصلاح إذا قبض على زمامها
من لهم خبرة به . ليس من الصعب على الإنسان إذا فحص حالة الجرائد في قطر
من الاقطار أن يقرر حكماً تقريبياً عن مبالغ نهضة أهل ذلك القطر وشكل مزاجهم ،
كذلك ليس من الصعب التنبؤ بمستقبل الحركة الفكرية في أمة ما استنتاجاً من
مشرب صحافتها التي هي أشبه بمربى ومهذب لها . والدارس لحال الصحافة في وادي
النيل لا يقيس له التفاؤل الحسن عن تقدمنا في الآداب والاخلاق .

عودت الصحافة المصرية الرأي العام على قبول المدح يُزف لمستحقه ونفي مستحقه
بغير حساب ، وعودت الجمهور على أن لا يعمل عملاً بغير جزاء مادي أو غير مادي
أقله المدح سطوراً لا تعد ، فأصبحنا وليس ينتنا من يعرف مبدأ التضحية ويعمل به

الاشواذ شقوا بسموأخلاقهم وضاعت أتماهم ومجهوداتهم النبيلة. وصار لا يعرف لاحسان الا الاقلية الضئيلة الصالحة، ومن عداها من المتظاهرين بالبرفناقون تضطهرهم الى ذلك الرهبة من الرؤساء والحكام ومقارحون يرغبون في الاعلان عن أنفسهم بمايقنونه. وليس من الغريب بعد هذا اذا أصبحت جميع مشروعاتنا الخيرية عرضة للفشل، كما أنه ليس من المدهشات أن يتصدى بعض الناس لقيام بعمل خيري دون أن يكون لهم في الواقع غيرة عليه بل كل قصدهم لاعلان عن أنفسهم سواء نجح العمل أم لم ينجح. ويشجع كل هذا بطبيعة الحال اساءة الظن من بعضنا ببعض، ونستمرنا في أفعالنا، وتساقنا الى شهرة كاذبة وغرور باطل، وإغراق أخلاق الأمة ومصالحها في هذا التيار. لم يقتصر كرم الصحافة بالاطراء المتناهي على العمد والاعيان بل شمل أيضا رجال مهنة الطب الشريفة ونخلطت الشخصيات فيه بالعموميات فأصبحت أنهار الصحف مزدانة يوميا بالاعلانات الفخمة عن الاطباء مما يندى له جبين الحر، ومما ضر سمعة هذه المهنة الجليلة في القطر المصري . وبعد هذا وذاك تشكو الصحف من المشاجرين بالطب من أهله ومن غير أهله . فكم قرأت من أوصاف المدح لاطبائنا ما لا يقال مثله لاوزر أو روستون أو ارج أو كارلس أو لين أو أوجل أو غيرهم من فطاحل علماء الاطباء بأوربا ! وأتذكر أنني زرت وطني منذ ثلاث سنوات وكنت لا أزال حينئذ طالب علم فكنت عني وقتئذ احدى الصحف العربية الكبرى بالقاهرة ما لا يجوز أن يكتب الا عن ذي منزلة علمية كبيرة ! واضطرت على كره مني أن أحرر كتاب عتاب شديد للهجة الى صديقي المحرر ولا نزال الصحف تعود طلبة العلم الناشئين حب الظهور الضار ولا سيما الطلبة في أوروبا. واتني مع اعترافي بأن متابعض الحاصلين على شهادات علمية عالية جليلة المترلة وهم قليلون، وأن منا بعض المتفوقين على اقرانهم الاوروبيين في امتحانات المسابقة للجوائز العلمية وشهادات الشرف وهم أقل وأندرء-أرى أن كل هذا لايجيز للصحف أن تباقع في فوز فائز وتسته بأكبر النوت التي لا تناسب مركزه لان هذا مزر بكرامته وكرامة المبدوح ومؤد الى فساد اخلاق الناشئة

فهذه يا سيدي الاساذ علة من علل اجتماعية كثيرة سيشها الصحافة بتأونها

بدل أن تقضي عليها وعلى أمثالها بالموعظة الحسنة والقودة الصالحة، وأدت الى الكثير من تشكو ويشكونه الفيورون المصلحون الذين لا نعرف أقدارهم الا منى حرمانا من مساعيم فتقدم برهة على التفر يطهين لا ينفع الندم، ثم نستمر في ضلالتنا، ومعظم الصحف تميزون في ذلك حرصا على مودتنا لها، بدل أن تزجرنا وترشدنا بحيا في نفعنا. فخذ لو وجهتم عنايتكم بالاصلاح شرط وصفايتكم الافاضل مرة قبل أن يستفحل الداء فقد أشرفنا على عهد لا يكاد يستطيع شريف النفس أن يضمن النجاح لمعله بعقله وجده في هذه الفوضى ما لم يقرن ذلك بالاعلان عن نفسه والسمرسة في هذا السبيل . واذا كان أحد أسباب هذا المصاب الجهول وضع - الاخلاق فتاني الاسباب هو انحطاط الصحافة

نادي مستشفى سانت جورج بلندن احمد زكي ابو شادي (طبيب)

[المار: أحسن الكاتب وأصاب ، ولا رجاء في ارجاع الصحف بالنقد الى محبة الصواب، لان أكثر اصحابها لا يقصدون الاصلاح، وجميعهم يقصدون الكسب والمجاهة، والذين يميلون الى الاصلاح منهم يتحرون في كلامهم ما لا يسوء القراء كالمسائل النظرية والارشاد المجهل . ثم هي تمدح من يستحق الذم ، وتسكت عما يجب من النقد . ولا ينسج هذا التعليق الوجيز للاطالة في تأييد رأي الكاتب في جنائتها على الاخلاق، ولكنني أنقل فيه كلمة تقضي عن مقالات :

حدثني شيخنا الشيخ حسين الجسر عن حكيمنا السيد جمال الدين الاففاني وكان قد لقيه في الآستانة بعد انشاء جريدة طرابلس الشام التي كان الشيخ شريكا ومحررا فيها ولكن مقالته فيها لم تكن ترضى اليه قال

قال لي السيد ان جريدتكم « طرابلس » قد جمعت بين الكفر والايما، نرى في صدرها مقالة في مدح الصديق وذم الكذب مثلا وأكثر ما فيها ابتدأت تلك المقالة كذب - وأشار الى ما يذكر كل عدد من اطراء رجال الدولة والحكومة وغيرهم من الوجهاء - فقلت له ان مدير الجريدة يفضل لنا على سبيل النقية (وذكر الشيخ انه تنصل من مهنة الصحافة) فقال له السيد: النقية مذهب الشيعة... وأنكر على الشيخ تنصله من الصحافة وقال أنا صحفي ثم قال وهو المراد : إننا لا نخطو خطوة واحدة الى الامام الا اذا أعطينا كل ذي حق حقه فسينا العالم عالما والمصلح مصلحا والمفسد مفسدا...

جمعية النهضة النسائية بمصر

اجتمع عدد من كرام السيدات الوطنيات في ٢٧ يناير الماضي في منزل حضرة السيدة الفاضلة حرم صاحب العزة اسماعيل بك عاصم الحامي الشهر فالفن جمعية اديبة غايها السعي في ترقية المرأة الشرقية والاهتمام بمستقبلها بعد هذه الحرب وقد افتتحت الحلقة حضرة ربة المنزل بالكلمات الانية
أبدأ بقولي بحمد الله والصلاة والسلام على من اصطفاه

وبعد فاني ياسيداتي وبأخواني الأعزاء أراني وانا في موقعي هذا منشرفة الصدر بتشريفكم منزلي اجابة لدعوتي بالحضور الى هذه الحلقة المراد بها البحث في ترقية المرأة الشرقية لتساوي أختها الغربية في الحضارة والارتقاء
أقول الارتقاء. ويعلم الله اني لا أريد بقولي هذا أنها في المحطاط أو مهضومة الجانب أو أنها لا تصلح للرقى، حاشا فالمرأة الشرقية كانت ولا تزال عزيزة الجانب أهلا لكل فضيلة غير أنها ينقصها الآن اتمان العلم والعمل به اتقاناً ينهض بها الى منزلة اسمى مما نحن عليه لأن العلم وحده لا يكفي. مثال ذلك ان كثرات من أهل الطبقات الراقية أمثال حضراتكن ادخلن بناتهن المدارس وصرفن المصاريف الجمة ولكن ذلك لم يأت بالغرض المروم لأنهن اقتصرن على تعلم العلم من دون عمل فتراهن يتكلمن باللغات وبأيديهن الشهادات ولسكنهن اذا اجتمعن فلا حديث لهن الا الأزياء والمخيطات والحرائر والذنبيلات والاعجاب بالأزياء الحديثة

هذا هو الموضوع الاكثر رواجاً بيننا الآن. فاذاً يؤخرنا اذاً بالحضرات الفاضلات وكلكن من المتعاملات الرقيات والله الحمد عن النهوض نهضة علمية عملية والتعاضد جميعاً على البحث فما يلزم لهذا الرقي ونحن الان في عصر النور والاصلاح. فلها قد اجتمعنا للمذاكرة في هذا الشأن الخطير وتقرر ما يلزم للهداية الى الطرق التي توصلنا الى هذا الغرض الشريف كقوله تعالى (ولكن منكم أمة يدعون الى الخير) واني اسأل الله ان يكال عملنا هذا بالنجاح وان يوفقنا جميعاً لما فيه النفع والاصلاح. وان شاء الله سألقى في الاجتماع القادم محاضرة اديبة ايين فيها الادواء وما يلزم لها من الدواء لترقية الأخلاق والأفكار والله المستعان

ثم دعت الكاتبة المحيدة صاحبة مجلة فتاة الشرق الزهراء للخطابة في موضوع ترقية اخلاق المرأة الشرقية فالتفت خطاباً مفيداً كان له اجمال وقع في نفوس السيدات وصفقن لها مراراً وما زلن يتسامرن ويتجاذبن الحديث في مواضيع اديبة مفيدة ثم انصرفن شاكرات ربة المنزل على السعي في هذه النهضة المفيدة وقد وعدن بالمداومة على الحضور فيها

تقرير المطبوعات الجديدة

﴿ تصحيح كتاب الاغانى ﴾

كان علامة اللغة وإمامها في هذا العصر الشيخ محمد محمود الشنيطي قد صحح في نسخته من كتاب الاغانى المطبوعة بالمطبعة الاميرية كثيرا من الاغلاط التي كان يشر عليها عند المطالعة والمراجعة وزاد عليها في بعض الاجزاء بعض الفوائد والايات من الشعر كتبها على الهوامش فني (محمد أفندي عبد الجواد الاصمعي) بجمع تلك التصحيحات والزوائد من نسخة الشنيطي بعد ان صحح بها نسخة المكتبة الزكية باذن واقفها احمد زكي باشا وارشاده وأضاف اليها تصحيحات وزوائد أخرى لاحمد زكي باشا من نسخته وطبع ذلك كله مبينا مكان الغلط وتصحيحه من طبعة المطبعة الاميرية وطبعة الساسي وأضاف الى ذلك استدراكات على فهرس الكتاب ، فبلغ المطبوع سبعمين صفحة كبيرة كصفحات الاغانى ، وكل من ينظر في كتاب الاغانى المطبوع من أهل العلم باللغة وفنونها يجزم بأن فيه من الغلط الكثير الذي لم يذكر في هذه التصحيحات ما لا يخفى مثله على الشنيطي ، لذلك جزمتم بأن الشنيطي لم يصحح الكتاب كله بل بعض ما كان يشر عليه عند المراجعة أو المطالعة ، ولكن جامع التصحيحات ظن أنه صححه كله بقصد وأن تصحيح زكي باشا جاء كاستدراك عليه فهو مآخفي عليه أو مما ذهل عنه ، وانني أؤيد رأيي بشاهد واحد بل شواهد كثيرة في قصيدة واحدة وهي قصيدة أبي دلالة الدنية المنشورة في ص ١٣٠ من جزء الاغانى التاسع من طبعة الساسي ، ففي هذه القصيدة أغلاط لا تحتمل التأويل ، وهي منشورة في الجزء الاول من العقد الفريد ومن راجعها عليه يرى بن مافية وما في الاغانى اختلافا كثيرا وزيادة ونقصا ، والشنيطي كان ، مطلقا على العقد الفريد فلو كان ملتزما لتصحيح الاغانى لصحح غلط القصيدة وأشار الى ما خالف رواية الاغانى فيه رواية العقد ، ومن التصحيح فيها قول الشاعر

وطالما اختلفت صيفا وشاية الى مملها بالروح والكتف

صحفت كلنا « صيفا وشاية » في الاغانى بجمعهما « صيفا وشاية » ومن التحريف فيها قوله

« والحق في طرف . والعين في طرف » حرفت فيها كلمة العين المراد بها النقد بكلمة الطين ؟ هذا ونا نشكر اللادبيب الاصمعي هذه الخدمة التي لا يتقص من قدرها ما ذكرنا من الحقيقة ونصح لكل مقنن لكتاب الاغانى بتصحيح نسخته على هذه الجدول

تصحيح كتاب لسان العرب

كتاب لسان العرب لابن منظور الاقريقي اعظم معاجم اللغة التي انصفتنا بها المطابع ولكن فيه غلطا طبعيا كثيرا ، على كونه قد طبع بالمطبعة الاميرية التي هي خير المطابع العربية تصحيحا ، وأذكر أنه لما سافر الاستاذ الامام سفره الاخبار الى تونس والجزائر وصقلية وأوربة أنابني عنه بتصحيح كتاب المخصص مع الشيخ محمد محمود الشقيطي (رحمهما الله تعالى) فكان هذا يذكر لي في أثناء التصحيح كثيرا من أغلط لسان العرب التي اعتمد عليها مصححو المطبعة الاميرية في تصحيح المخصص فأخطوا ، وقليل من الاغلط التي أخطأ فيها ابن منظور نفسه في النقل أو الاهتاد على بعض الروايات المرجوحة في اللغة . وقد انتدب حديثنا أحمد بك نيور الباحث الاثري الشهير بتدقيقه وسعة اطلاعه لجمع ما تبسرله من تلك الاغلط وتصحيحها وكان ينشر ذلك في مقالات متفرقة في جريدة المؤيد ومجلتي الضياء والاستار ، ثم جمع شمل تلك المقالات وزاد عليها ما نشر عليه بعد نشرها ، وأذن لمحمد اخندي عبد الجواد الاصمعي بطبع ما جمعه وحرره منها — وهو القسم الاول من التصحيح — فطبعه ووعد بنشر ما اطلع عليه من تصحيحات الامام الشقيطي والشيخ حمزة فتح الله والشيخ ابراهيم اليازجي والشيخ محمود مصطفى والشيخ محمد البليسي أيضا ، فنشكره هذه النهاية .

الكوكب

جريدة سياسية ادبية اسبوعية تصدر في القاهرة بشكل كراسة من قطع الكتب الكبيرة ثمانى صفحات مطبوعة طبعا جيلا بحروف المطبعة الاميرية الجديدة ، موضوعها تنشيط الحركة العربية ودعوة سائر عرب الجزيرة الى القيام بمثل ما قام به عرب الحجاز للقضاء على سلاطنة الترك وتبليغ ظمهم تحرير الظليل عن سائر البلاد العربية ، والظاهر ان لها موارد خاصة تستقي منها أخبار مساوى للترك وفتاىهم في سورية والبراق وكذا فتاىهم الاثاني في أوربة ، وأنها كانت توزع في بلاد العرب دون مصر ، وأول عدد ظهن منها في مصر هو السابع عشر فخره المقطم ، ثم اطلنا عليه وعلى أعداد مما صدر بعده . ونحن كل عدد من هذه الجريدة قرش مصري صحيح (١٠ ملهيات)

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتى خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الأنساب

المسحاة
١٣١٥

فمن عباده الذين يستعملون القول فينبول أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و «منارا» كنار الطريق

مصر ٣٠ ربيع الآخر ١٣٣٥ - ٢ الحوت (ش ٣) ١٣٩٥ هـ ش ٢٢ فبراير ١٩١٧

فَتَاوَى الْمُبْتَغَيْنِ

فتبعنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، إذ لا يسع الناس عامة، ولشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف أو يعبر بما شاء من الألقاب ان شاء . وانما نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخراً لسبب كثاجة الناس الى بيان موضوعه، وربما أجبنا غير مشترك لكل هذا، ولين مضي على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا عذر صحيح لا غفاله

﴿ ربح صندوق التوفير ﴾

(س ١١) من صاحب الامضاء بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي الاستاذ الجليل حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد فانا كثيرا ما سمعنا من الناس اباحة وضع الاموال في صناديق التوفير بالمريد وأخذ الفوائد منها وذلك مما لا نشك أنه الربا المحرم باجماع المسلمين لا نعلم بينهم خلافا ثم اذا ناظرناهم فيه استندوا الى ان الاستاذ الامام رحمه الله وغفر له قد تجاوزه في فتوى رسمية ولما كنا لم نر هذه الفتوى ولم نعلم وجهها وكتمنا أنفسنا بالناس بالامام وأعلمهم بأقوله وفتاويه لجأنا اليكم

لنبينوا لنا فتوى الامام أولا وهل هي لا تعارض الكتاب والسنة ثانيا خصوصا وأن المجلس الحسينية قررت وضع أموال القاصرين في هذه الصناديق بناء على هذه الفتوى المزعومة كما يقولون وليكن بينكم شافيا واقفا كما هو دأبكم ان شاء الله تعالى؟
كتبه

أبو الاشبال

عفا الله عنه

(ج) ان كان الاستاذ الامام فتوى رسمية في مسألة صندوق التوفير فهي توجد في مجموعة فتاويه بوزارة الحفانية ومنها تطالب ، وأنا لم أر له فتوى في ذلك ولكنني سمعت منه في سياق حديث من مقاومة الخديولة ما حاصله: ان الحكومة أنشأت صندوق التوفير في مصلحة البريد بذكر يتو خديوي (أمر عال) ليسر للفقراء حفظ ما زاد من دخلهم من نقاتهم وتسميره لهم وقد تبين لها ان زهاء ثلاثة آلاف فقير من واضعي الاموال في صندوق البريد لم يقبلوا أخذ الربح الذي استحقوه بمقتضى الدر كرتو. فسأنتي الحكومة هل توجد طريقة شرعية لجعل هذا الربح حلالا حتى لا يتأثم فقراء المسلمين من الانتفاع به فأجبتها مشافهة بإمكان ذلك برعاية أحكام شركة المضاربة في استغلال القود المودعة في الصندوق ، فذاكر رئيس النظارة الخديوي في نحو يرالد كرتو الخديوي ونطبقه على الشرع فأظهر سموه الارتياب لذلك . ولما قال له رئيس النظارة اننا استشرنا المفتي في ذلك فحضب غضبا شديدا وقال كيف يبيع المفتي الربا؟ لا بد أن استشير غيره من العلماء في ذلك . ثم جمع سموه جمعية من علماء الازهر في قصر القبة وكلفهم وضع طريقة شرعية لصندوق التوفير ليظهر امام العامة بأنه هو المحامي عن الدين والمطبق للمشروع على الشريعة ، وان الحكومة كانت عازمة على إكراه المسلمين على أكل الربا بمساعدة المفتي لولا تداركه الامر . وقد وضع له العلماء مشروعا قدمته المعية لنظارة المالية . (قال) وان نظارة المالية عرضت علي ذلك المشروع لاقراره - أو قال للتصديق عليه - فوجدته سبيا على ما كنت قلته للحكومة شفاها . هذا ما سمعت منه رحمه الله تعالى وأظن انه قال ان اولئك العلماء كانوا من فقهاء المذاهب الاربعية أو الثلاثة ولا أجزم بذلك

ومهما تكن صفة الطريقة التي وضعها العلماء لاستقلال أموال التوفير فلا يظهر عدها من الربا المجمع على تحريره وهو ربا النسيئة الذي كان في الجاهلية وقد بينه الامام أحمد لما سئل عن الربا الذي لا يشك فيه بمثل ما بينه غيره من أخذ الزيادة في مقابلة التأجيل فقال: هو أن يكون له دين فيقول له — أي اذا حل أجل الدين — اما أن تقضي ولما أن تربى ، فان لم يقضى زاده هذا في المال وزاده هذا في الأجل . وذكر الفقيه ابن حجر في الزواج ان النساء فيه كان بالشهور ، ولهذا كان يتضاعف ويغرب البيوت

﴿ شق صدر النبي (ص) وتطهير قلبه من حظ الشيطان ﴾

(س ١٧) من صاحب الامضاء في الاسكندرية

سيد الحكيم قدوة العلماء وتاج الفصحاء

من لا أسميه اجلالاً وتكرمة فقدره المعطي عن ذاك بغني

أطفال على مائدتك العلمية التي أبهرت العقلاء وأعجبت الفصحاء لماعليها من أصناف المعارف الحية وأنواع التماثيل الصحيحة — راجيا من علو آدابكم ومكارم أخلاقكم أن تفسحوا لي المقام فان لي قلبا يصبو الى ما يفوه به فؤكم من الدرر وما ينطق لسانكم من الحكم والعبر وما ينزه قلمكم من الفكر

في هذه الايام كثرت الجدال حتى كاد يفضي الى الهلاك في مسألة (انشقاق صدر الرسول عليه الصلاة والسلام واخراج قلبه وتطهيره من حظ الشيطان الذي وجد معه من يوم أن ظهر على الارض ونزل من بطن أمه واملأته حكمة) — اختلفت آراء القوم وتباينت في تلك المسألة فمن مصدق عليها مقر بحديثها ومن مكذب لها منند لا يلوي الا على ما يثبت البرهان ويقبله الوجدان ويقر به العقل الرجيح — أما المصدق لها فأداته ما جاء في البخاري بما معناه . ان النبي بينما كان يلعب في الصغر مع أقرانه اذ نزل عليه جبريل فصرعه وشق صدره فأخرج قلبه وطهره من خبائث الشيطان أو بالأحرى من موضع يوسوس له فيه الشيطان وملأ قلبه نورا وحكمة

ولم يكتف جبريل بشق صدره مرة بل شقه مرات تبعا لازدياد الحكمة ونورها

(الناظر: ج ٩) (٩٧) (المجلد التاسع عشر)

فيه كلما كبر - حتى كان ليلة الاسراء وهو نائم ناداه من أحد الثلاثة مناد (كما يقول البخاري) فقام اليه وأتى فإذا هو جبريل وقد أفرج صدره ونظف قلبه ثم أسرى به - وقد قال النبي بما معناه كل مولود يستهل معه الشيطان . فسللت حتى أنت يا رسول الله ؟ قال « حتى أنا ولكنني تنلبت على شيطاني » قال الله تعالى في سورة الحج (وما أرسلنا من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم) الآية

وأما المكذب لما قاله باق على تكذيبها ، وها هو قد كتب اليكم ليسترشد بنور هدىكم الساطع لاعتقاده بأنك الزعيم الأكبر للمسلمين . تلك هي المسألة التي أرجو من حضرتكم إما تأييدها المنسب على مقتضاها ، وإما نفيها وبذلك تنتفي الشبهة والباطيل التي نشوه سمعة الرسول عليه الصلاة والسلام - والامل وطيد في ان يكون الرد سريعاً لازلت محفوفاً من الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته آمين

تليدكم انطاضع

اسماعيل حسن خليله

(ج) لا بد أن يكون مرادكم بتكذيب المسألة تكذيب الرواية أو الروايات الواردة فيها التي أوردتم بعضها بالمعنى الخالفتم اللفظ والمعنى ، وقرئتم به آية الحج وليست من معناه في شيء بل معناها ان الرسل والانبياء اذا تمنوا لا يتم لهم موضوع أمانتهم بسبب وسوسة الشيطان للناس ولا محل لتفصيل ذلك هنا . وقد صرحتم بأن سبب التكذيب اعتقادكم ان مضمونها بعد طعنا في سمعة الرسول صلى الله عليه وسلم يجب ان ينزعه عنه . ولكن لا ينبغي لاسم أن يرد حديثاً مروياً بالعبلة في سند أو مهارضة ما هو أقوى منه لثبته بشرطه ، ومن أشكل عليه فهم شيء من الاحاديث فعليه أن يبحث ويسأل لأن يرد بهواه ، ويكذب من لا يعرف سيرته من الرواة . واننا نورد هنا ما روي في هذه المسألة أصحها سنداً ونبين ما في أسانيدها ومتونها مما يمكن أن يتعلق به من نفي وقوع شق الصدر حقيقة ، ثم نبين ما ينبغي ان توجه به المسألة على تقدير صحة وقوعها فنقول

روي حديث شق الصدر في الصغر مسلم - لا البخاري - قال : حدثنا شيدان ابن فروخ حدثنا حماد بن سلمة حدثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك (رض) ان

رسول (ص) أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب فاستخرج منه علقة فقال هذا حظ الشيطان منك . ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه ثم أعاده في مكانه وجاء الغلمان يسعون إلى أمه يعني ظئره (أي موضعه حليمة السعدية) فقالوا ان محمداً (ص) قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون .

وأقول ان في هذا السند مقالا . قال الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب في شيبان بن فروخ صدوق بهم (أي بخطي) ورمي بالقدر ، قال أبو حاتم اضطر الناس إليه أخيراً . من صفار التاسعة . وقال في شيخه حماد بن سلمة : ثقة عابد أثبت الناس في ثابت ، وتغير حفظه بآخره ، من كبار الثامنة اهـ

وقال في تهذيب التهذيب بعد ثناء الأئمة عليه : وقال البيهقي هو أحد أئمة المسلمين الا انه لما كبر ساء حفظه فلذا تركه البخاري وأما مسلم فاجتهد وأخرج من حديثه عن ثابت ما سمع منه قبل تغيره ، وما سوى حديثه عن ثابت لا يبلغ اثني عشر حديثاً ذكرها في الشواهد ، ثم قال الحافظ : وقال ابن سعد كان ثقة كثير الحديث وربما حدث بالحديث المنكر . وأقول يؤخذ من هذا الكتاب ومن ميزان الاعتدال انهم أنكروا من روايته عدة أحاديث شاذة في الصفات قيل انها دسست في كتبه .

هذا أصح ما روي في هذا الباب وقد علمت ما في مسنده ثم ان أنسلم يرفعه وما كل ما يرويه الصحابي عن مجهول يحتاج به بل يفرق في روايته بين أحكام الدين وبين الاخبار عما كان قبل الاسلام اذ يمكن ان ينتهي الخبر الى بعض المشركين . وقد روي خبر شق الصدر عن حليمة السعدية مرضته (ص) من طريق أخرى عند أهل السير والطبراني والبيهقي وأبي نعيم وابن عساكر كما دون طريق مسلم منها الضعيف والموضوع كرواية البيهقي وابن عساكر عن ابن عباس عن أبيه عن طريق محمد بن زكريا التلاني وكان كذاباً يضع الحديث . ورواية أبي نعيم وأبي اسحق وغيرهما عن عبد الله بن جعفر عن حليمة من طريق جهم بن أبي الجهم قال الذهبي لا يعرف له قصة حليمة السعدية

فاذا كان السائل يرى أن هذا الحديث لا يصح لما رآه في مسنده غير لائق

عنصب النبي (ص) فقد علم أيضا أن في منده مقالا ، وليس هو من عقائد الدين ولا من أحكامه القطعية

وقد ورد خبر شق الصدر في أحاديث المراجع أيضا المروية في الصحيحين والسنن وغيرها وقد استشكلها بعض العلماء فنورد منها ما لا بد منه لبيان هذه المسألة

أحاديث قصة المراجع في الصحيحين مدارها على أنس بن مالك فيها ما رواه بنفسه ومنها ما رواه عن غيره . وقد ذكر في بعضها شق الصدر دون بعض فأما حديث أنس فلم تذكر قصة شق الصدر في طريق من طرقه الا طريق شريك بن عبد الله بن أبي غرغرة وهو في صحيح البخاري وتفسير ابن جرير ، قال أنس : ليلة أسري برسول الله (ص) من مسجد الكعبة جاء ثلاثة نفر قبل أن يوحى اليه فقال أولهم : أيهم هو ؟ فقال أسعظم هو خيرهم ، وقال أحدهم خذوا خيرهم ^(١) ، فكانت تلك الليلة فلم يرم حتى أتوه ليلة أخرى ^(٢) فيما يرى قلبه وتنام عيناه ولا ينام قلبه وكذلك الانبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم ، فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعوه عند بئر زمزم فتولاه منهم جبرئيل فشق جبرئيل ما بين نحره الى بطنه حتى فرغ من صدره وجوفه ففسله من ماء زمزم بيده حتى أبقى جوفه ثم أتى بطست من ذهب فيه تور من ذهب محشوا ^(٣) إماما وحكمة فحشى به صدره ولعائده — يعني عروق صدره — ثم أطبقه ثم عرج به . الخ الحديث وفي آخره « واستيقظ وهو في المسجد الحرام » وهذه الرواية صريحة في أن ذلك كله كان في النوم وليس فيها ذكر لحظ الشيطان واحتج بها من قالوا أن المراجع كان رؤيا منامية وأولها من قال أنه كان في اليقظة بالروح والجسد ، ولا يحتاج الى تأويلها من قالوا انه مشاهدة روحية . وفي نسخة من صحيح البخاري « فاستيقظت » بدل واستيقظت وهي كما قال شيخ الاسلام ذكرى الانصاري الثقات من الغيبة الى حكاية قول النبي (ص) والتور الذي ذكر انه كان في الطست انا صغير يشرب فيه

وفي رواية شريك هذه مخالفة لغيرها في عدة أمور استشكلوها وأنكروها عليه

(١) ورد انه كان نائما بين عمه حمزة وابن عمه جعفر (٢) كانت هذه بعد البعثة بلا خلاف (٣) حال وفي غير هذا الحديث ذكر وصف الطست انها لاحالا وليس فيه ذكر التور

[النار: ج ٩ م ١٩] رواية البخاري المصروفة بأن المعراج كان رؤيا منامية ٥٣٣

وغلطوه فيها أهمها قوله « ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى » مع أن الثابت في الصحيح أن آية (ثم دنا) نزلت في جبريل عليه السلام. وهاك ما في فتح الباري للحافظ ابن حجر في ذلك :

قال الخطابي : ليس في هذا الكتاب — يعني صحيح البخاري — حديث أشنع ظاهرا وأبشع مذاقا من هذا الفصل فإنه يقتضي تحديد المسافة بين أحد المذكورين وبين الآخر وتمييز مكان كل واحد منهما — هذا إلى ما في التدلي من التشبيه والتمثيل له بالشئ الذي تعلق من فوق إلى أسفل (قال) فمن لم يبلغه من هذا الحديث إلا هذا القدر مقطوعا عن غيره ولم يعتبره بأول القصة وآخرها اشبه عليه وجهه ومعناه وكان قصاره إما رد الحديث من أصله وإما الوقوع في التشبيه ، وهما خطئان مرغوب عنهما . وأما من اعتبر أول الحديث بآخره فإنه يزول عنه الاشكال فإنه مصرح فيها بأنه كان رؤيا لقوله في أوله « وهو نائم » وفي آخره « استيقظ » وبعض الرؤيا مثل يضرب ليتأول على الوجه الذي يجب أن يصرف إليه معنى التعبير في مثله وبعض لا يحتاج إلى ذلك بل يأتي كالمشاهدة .

(قال الحافظ بعد نقل ما تقدم) قلت : وهو كما قال ولا التفات إلى من تعقب كلامه بقوله في الحديث الصحيح أن رؤيا الانبياء وحى فلا يحتاج إلى تعبير . لأنه كلام من لم يعم النظر في هذا المحل . فقد تقدم في كتاب التعبير أن بعض رؤى الانبياء يقبل التعبير . وذكر الحافظ الأمثلة من الصحيح على تأويل النبي (ص) لبعض الرؤى بغير ظاهرها . ثم ذكر أن الخطابي تعقب في جزئه بأن ما ذكر كان في المنام وقوله أن القصة بطولها إنما هي حكاية بحكيها أنس من تلقاء نفسه لم يميزها إلى النبي (ص) ولا نقلها عنه ولا أضافها إلى قوله ، فإصل الامر في النقل أنها من جهة الراوي إما من أنس وإما من شريك فإنه كثير التفرد بمناكر الالفاظ التي لا يتابعه عليها سائر الرواة انتهى — أي كلام الخطابي ثم أطال الحافظ البحث فيه ، ولا ينبغي من بحثه هنا إلا قوله بأن للحديث حكم المرفوع لأنه مرسل صحابي فيما لا مجال للرأي فيه ويفسر هذا ما يأتي

وأما ما رواه أنس عن غيره مشتملا على مسألة شق الصدر فليس في الصحيح

منها إلا حديث مالك بن صعصعة الانصاري المرفوع الذي رواه أنس عنه ولم يرو أحد عنه غيره. وأوله كما في البخاري: «يبدأ أنا في الخطيب - وربما قال في المجرم - مضطجما» [قال الحافظ: زاد في بدء الخلق «بين النائم واليقظان»] إذا أتاني آت فقد قال سمعته يقول - فشق ما بين هذه إلى هذه...^(١) فاستخرج قلبي ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة إيماناً فغسل قلبي ثم حشي ثم أعيدته ثم أتيت بدابة دون البقل «الحديث». والظاهر أن أنسا روى هذه القصة غير مرفوعة عن مالك هذا فصرح باسمه مرة وأرسلها مرة أو مرارا عند ما كان يتحدث بها وذكر في بعض المرات ما سكنت عنه في بعض. وهذه تؤكد أن القصة كانت في النوم وتضعف تأويل المؤولين إلا من قال بحصولها مرة في اليقظة ومرة أو أكثر من مرة في الرؤيا إن أثبت ذلك

وقد روى أنس مسألة شق الصدر في أحاديث المراج عن أبي ذر مرفوعة في الصحيحين قال: كان أبو ذر يحدث أن رسول الله (ص) قال «فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم» ثم جاء بطست من ذهب مملوءة حكمة وإيماناً فأفرغه في صدري ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فخرج بي إلى السماء «الحديث» هذه الرواية لم يصرح فيها بأنه كان نائماً ويمكن حملها على المصراحة بذلك دون المكس. ولذلك جزم الحافظ بأن القول بتعدد المراج في اليقظة بعيد جداً تنافيه المراجعة في مسألة فرض الصلاة منافاة ظاهرة. وإذا كان الجمع بين تعارض الروايات الصحيحة السند متعذراً بدون القول بالتعدد وكان القول بالتعدد في اليقظة بعيداً بل غير معقول - فلا مندوحة عن القول بأنها كانت رؤيا نامية إما كلها أو يستلزم واحدة منها كانت في اليقظة، والاكترون على هذا، فيمكن أن يقال إذاً أن شق الصدر كان في الرؤيا النامية التي تكررت دون واقعة اليقظة إلا أن تكون هذه مشاهدة روحية كما قال بعضهم

وأما حديث مس الشيطان للمولود فهو مروى في الصحيحين عن أبي هريرة بإسناد عيسى في بعض الروايات وعيسى وأمه في بعض الحديث واحد وسيأتي نحوه في (١) يعني من ترقوته إلى آخر مراقبته وفسر في هذه الرواية بلفظ آخر

تُلخِص الجواب. وقد استشكل بعض العلماء معناه قال الحافظ في شرحه من الفتح مانصه: «وقد طعن صاحب الكشف في معنى هذا الحديث وتوقف في صحته فقال إن صح هذا الحديث فعناه إن كل مولود يطلع الشيطان في اغوائه إلا مريم وابنها فانهما كانا معصومين وكذلك من كان في صفتها لقوله تعالى (الابادك منهم الخالصين) قال واستهلال الهبي صارخا من مس الشيطان فحبل لطمعه فيه كأنه يمس ويضرب يده عليه ويقول هذا من أهويه. وأما صفة النفس كما يتوجه أهل الحشوفاء ولومك ابليس على الناس نخسهم لامتلائ الدنيا صراخا انتهى. وكلامه متعقب من وجوه والذي يقتضيه لفظ الحديث لإشكال في معناه ولا عاقلة لما ثبت من عصمة الانبياء بل ظاهر الخبر إن ابليس ممكن من مس كل مولود عند ولادته لكن من كان من عباد الله الخالصين لم يضره ذلك المس أصلا واستثنى من الخالصين مريم وابنها فانه ذهب بمس على عادته فحبل بينه وبين ذلك، فهذا وجه الاختصاص ولا يلزم منه تسلطه على غيرها من الخالصين. وأما قوله لو ملك ابليس الخ فلا يلزم من كونه جعل له ذلك عند ابتداء الوضع إن يستمر ذلك في حق كل أحد. وقد أورد الفخر الرازي هذا الاشكال وبأنه في تقريره على عادته وأجل الجواب فازاد في تقريره على أن الحديث خبر واحد ورد على خلاف الدليل لأن الشيطان إنما يغوي من يعرف الخبر والشر والمولود بخلاف ذلك وانه لو ممكن من هذا القدر لفضل أكثر من ذلك من أهلاك وافساد وانه لا اختصاص لمريم وعيسى بذلك دون غيرها الى آخر كلام الكشف: ثم أجاب بأن هذه الوجوه محتملة ومع الاحتمال لا يجوز دفع الخبر انتهى. وقد فتح الله تعالى بالجواب كما تقدم والجواب عن اشكال الافراء يعرف مما تقدم أيضا وحاصله إن ذلك جعل علامة في الابتداء على من يتمكن من اغوائه والله أعلم. انتهى كلام الحافظ

وأما حديث قرناء الناس من الشياطين الذي ذكر فيه إسلام شيطان النبي (ص) أو سلامته من وسوسته فهو مروي في صحيح مسلم من حديث عائشة وعبد الله بن مسعود ولفظ هذا «ما سمك أحد الا وقد وكل الله به قرينه من الجن» قالوا وإياك يا رسول الله؟ قال «وإياي الا إن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني الا بخير» وقد

ضبط بعضهم « فاسلم » برفع الميم واختاره الخطابي ومعناه فأنا أسلم من شر وسوسته ، وضبطها بعضهم بفتح الميم ومعناه فصار هو مسلما وقيل مستسلما . وهما روايتان وقوله « فلا يأمرني الا بنخير » يرجح الثانية بل يوجب الجزم بها . قال النووي في شرحه : قال القاضي (أي عياض) واعلم أن الامة مجتمعة على عصمة النبي (ص) من الشيطان في جسمه وبخاطره ولسانه وفي هذا الحديث اشارة الى التحذير من فتنة القربن ووسوسته واغوائه فأعلمنا بأنه معنا لنحذر من وسوسته بحسب الامكان اه

أقول وفي رواية أخرى لهذا الحديث « وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة » ويوضح هذا حديث ابن مسعود عند الترمذي والنسائي وابن حبان في صحيحه « ان للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة ، فأما لمة الشيطان فإبعاد بالنشر وتكذيب بالحق » الخ وهذا الملك الذي يقابل الشيطان يسمى ملك الالهام وهو الذي عبر عنه النبي (ص) بقوله « واعظ الله في قلب كل مؤمن » وقد بينا مسألة اتقسام الخواطر النفسية الى شيطانية وملكية في الجزء الاول من التفسير وفي هذا الجزء (السابع) منه أيضا فليراجع السائل تفصيل ذلك في تفسير (ولو جملناه ملكا لجملناه رجلا) من جزء المنار الثالث من هذا المجلد (ج ٣ م ١٩) فهو يقرب لذهنه ما لمعه يراه بعيدا عنه اذا لم يكن قرأه

وملخص الجواب ان حديث شق صدر النبي (ص) في طفولته ونظمه من حفظ الشيطان منه في سنه مقال ومثله ليس مرفوعا الى النبي (ص) وليس له حكم المرفوع . وليس مثله لا ينافي عصمة النبي (ص) لان حاصل معناه ان روح القدس قد ظهر قلبه وقدسه منذ الطفولة وقبل ان يصل الى السن التي تكون فيها الوسوسة ، وان حديث شقه في قصة المراج كانت رؤيا منامية في الراجع ولا ذكر فيها لحظ الشيطان فالحاصل معناها انها رمز وتمثيل لتأييد الروح القدس والملائكة له (ص) واعداهم بإملائجاة الله عز وجل مناجاة خاصة . وأما حديث مس الشيطان للمولود عند ولادته فسنده صحيح لا عبرة بمن تكلم في صحته ولكن استثناء عيسى وحده مرة فيه واستثناءه هو وأمه مرة أخرى ان كانتا غير متعارضتين فلا عموم في الصيغة ، وينافي ذلك قولهم الاستثناء ميمار الموم . وان كانتا متعارضتين فقط

الاستدلال بهما أو يقوم الدليل على ترجيح احدهما . وقد علمت ماقاله انزعشري في الحديث وأقواء معارضة قوله تعالى (الا عبادك منهم المخلصين) له فانه صريح في ان الشيطان لاسطان له على اغواء عباد الله المخلصين . وعلمت ما أجاب به الحافظ عن هذه المعارضة وهو ان هؤلاء العباد لا يضرهم ذلك المس اذا لا يدل الحديث على أن كل من مسه الشيطان يغويه . ونقول انه يجوز ان يكون المراد بالمس بيان توجه الشيطان الى التعرض للوسوسة للمولود واستعداد المولود لقبول الوسوسة التي هي تزيين الباطل والشر في النفس، وكيفية المس على القول بأنه حقيقة لا تمثيل بحث في عالم الغيب وهو ما أجمعوا على تفويض كيفية الى الله تعالى اذا صح الخبر به وكان ممكنا في نفسه . وأما حديث القرين من الشياطين والقرين من الملائكة فهو أصح سنداً وأقوى متناً لان له شاهداً من القرآن (ومن يعشُ عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين) والاحاديث التي وردت في توضيحه تدل على ان الانفس البشرية فيها داغيتان إحداهما للحق والخير والاخرى للباطل والشر ، وان الاولى ترجح بالهلام ملكي الاخرى باغواء شيطاني . ولكن الانسان هو الذي يزكي نفسه ويهذبها حتى ترتقي الى التناسب مع روح الملك وتلقي الهام الحق وانلير منها — أو يدسها ويفسدها حتى تهبط الى التناسب مع روح الشيطان وتلقي وسوسة الباطل والشر منها ، فمثل ملك الالهام كمثل القرين الصالح من الناس لا يماشر الا من يشا كله، ومثل الشيطان كمثل قرين السوء لا يصاحب الا من يشابهه، فكل قرين بالمقارن يقتدي به و « الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » كما ورد في الحديث الصحيح، واذا قارف الرجل الصالح خطيئة كان تأثيرها في نفسه معدا للوسوسة الشيطان أو يمحوه بعمل صالح يضاده « وأتبع السيئة الحسنة تمحها » (ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين)

﴿ بدع الجمعة والاذان وختم الصلاة والجنائز ﴾

(س ١٣ - ٢٠) من صاحب الامضاء بطملاي مركز منوف مديرية المنوفية

بسم الله الرحمن الرحيم

وبعد فهذا من عبد الرحمن احمد الصعيدي الى دار الدعوة والارشاد بمصر
يتشرف بالافادة عما سيذكر : في هذا العهد ظهر عندنا رجل ينهانا عما سيأتي

١ قراءة سورة الكهف جهارا داخل المسجد يوم الجمعة

٢ والاذان المسمى عندنا بالاول من يوم الجمعة

٣ والاذان الثاني داخل المسجد بين يدي الخطيب

٤ الترقية

٥ التبليغ في الصلاة

٦ ختام الصلاة جهارا في المسجد

٧ الصلاة والسلام على النبي عقب الاذان

٨ السير مع الجنائز بالذكر جهارا وقراءة البردة

وحيث اننا نفعل كل ما ذكر من منذ وجدنا بالدنيا وهذا الرجل يجتهد في ابطال ذلك ولا نعلم اذا كان عمل هذا من البدع فنتركه أم من الدين فتدعه

نرجو الافادة مع التوضيح وإفتانا عما ذكرناه لان في نفوسنا (ريبا) من ذلك :

وقال الله تعالى (فإلأأهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) وصلى الله على سيدنا محمد

مقدمه

وعلى آله وصحبه وسلم

عبد الرحمن احمد الصعيدي

الجواب عن هذه الاسئلة (*)

١ - قراءة سورة الكهف جهارا داخل المسجد يوم الجمعة - بدعة ليس لها دليل
من كتاب الله ولا من سنة رسوله (ص) ولا تؤثر عن سلف الامة الصالح . ولكن
لقرائتها يوم الجمعة بدون تقييد بالجهر وبكونها في المسجد أصلا ضعيفا ، قال الحافظ

(*) حذفنا سؤالاً من هذه الاسئلة يتعلق بإعادة مصرية بين العرويين

ابن حجر في تخریج أحاديث الأذکار: أن أقوى ماورد في قراءة الكف يوم الجمعة حديث أبي سعيد الخدري عند الحاكم في التفسير والبيهقي في السنن « من قرأ سورة الكف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعةين » وقد أورده الحاكم من طريق نعيم بن حماد عن هشيم عن أبي هاشم وصححه ولكن قال الذهبي في الميزان: بل نعيم ابن حماد ذو منابر. أقول بل جرح بأكثر من هذا، وقد وودت أحاديث أقوى من هذا في قراءة آل عمران وهود في يوم الجمعة، فلماذا لا يشمل بها هؤلاء الناس الموابلون على قراءة الكف ان كان غرضهم العمل بالأحاديث لا اتباع العادة

ثم ان الاتيان بالعبادة المشروعة على وجه مخصوص وفي وقت معين لم يرد في الشرع ما يدل عليهما بدعة في كيفية الاداء المبينة على الاتباع، وإظهار ذلك يجعل ما ليس من شعائر الدين شعارا. وهذا ما يسميه الشاطبي في الاعتصام بالبدعة الاضافية وسعاد ذكره قريبا، دع ما في رفع الصوت بقراءة الكف أو غيرها في المسجد عند اجتماع الناس للصلاة من التهويش على المنابين وهو غير جائز وقد صرح الفقهاء بمنع الجهر بالتلاوة في المسجد اذا كان فيه من يصلي وأنه حرام. وفي حديث أبي سعيد الخدري: اعتكف رسول الله (ص) في المسجد فسمعهم يجهرون بالقراءة فكشف الستر وقال « ألا ان كلكم مناج لربه فلا يؤذ بعضكم بعضا ولا يرفع بعضكم على بعض في القراءة » رواه أبو داود

٢ — الاذان الاول يوم الجمعة — أحدثه عثمان في خلافته وأقره الصحابة (رض) وما رواه ابن أبي شيبة عن ابن عمر انه قال: الاذان الاول يوم الجمعة بدعة — فالأظهر انه استعمل البدعة هنا بمعناها اللغوي لا للانكار ومعناه انه لم يكن في عهد النبي (ص) قيل وبجمل انه للانكار، أي لان مقتضى إكمال الدين في هذه (ص) ان لا يزداد في العبادات ولا سيما الشعائر بعده شيء، وإنما الاجتهاد في مسائل المعاملات والمصالح التي تختلف باختلاف الزمان والمكان لا العبادات وشعائر الاسلام التي لا يدخل فيها القياس الذي احتجوا به لفعل عثمان (رض) ويمكن ان يجاب عن هذا بأن الاذان للاعلام بالوقت وسيلة للصلاة اجتهادية لا عبادة مقصودة لتأسيها وان النبي (ص) استشار المسلمين في أمر هذه الوسيلة واستحسن ما كان منهم من رأي وروى فلاجل

هذا رأى عثمان والصحابة ان هذه المسألة يصح العمل فيها برأي أولي الامر اذا احتيج الى ذلك. فلما حدثت الحاجة بكثرة المسلمين وعدم تبيكرهم الى المسجد على نحو ما كانوا يفعلون في عهده (ص) أمر عثمان المؤذن أن يؤذن بهم تاجمة على الزوراء — وهي موضع أو دار له بسوق المدينة — وأبقى ما كان من اذان المسجد عند جلوس الامام على المنبر كما كان ابقاء للعبادة كما كانت. قال السائب بن يزيد (رض) فيما رواه عنه البخاري وأبو داود والسنائي: كان النداء يوم الجمعة أوله اذا جلس الامام على المنبر على عهد رسول الله (ص) وأبي بكر وعمر فلما كان عثمان وكثر الناس زاد النداء الثالث على الزوراء ولم يكن للنبي (ص) غير مؤذن واحد. وفي رواية أخرى لهم زيادة فثبت الامر على ذلك. والمراد بقوله النداء الثالث هو الاذان الاول فهو أول بالنسبة الى تقديره في العمل وثالث بالنسبة الى حدوثه بعد الاذنين المشروعين لكل صلاة أعني الاذان والاقامة وكانوا يطلقون عليهما «الاذانين» على طريق التبليغ أولان الاول اعلام بوقت الصلاة والآخر اعلام بالشروع فيها، ولكنهم اذا ذكروا الاقامة وحدها لا يسمونها أذاناً بل إقامة. والمرجح المختار عندنا في هذه المسألة ان يتبع الناس في كل حالة ما كان عليه السلف الصالح فاذا علمنا ان المصلين اجتمعوا في المسجد على نحو ما كانوا عليه في زمن النبي (ص) وأبي بكر وعمر (رض) اكتفينا بأذان المسجد، واذا كانت الحال كما كانت في عهد عثمان وعلمنا ان الاذان الاول على المنارة أو في السوق مجلبة للمصلين فعلمنا. ولا ينبغي لمسلم ان ينكر على أهل مسجد ما يختارونه من هذين الفعلين، اذ لا يصح ان يكون ما حدث في عهد عثمان ناسخاً لما قبله ولا ان يكون ضلالة من بعض الراشدين أقره عليها الصحابة، فليتق الله من تحدثه نفسه بهذا الانكار. وليعرف قيمة نفسه أولاً. وأما قول السائب: لم يكن له (ص) غير مؤذن واحد فهو خاص بأذان الجمعة

٣ — الاذان الثاني داخل المسجد بين يدي الخطيب — فيه أن فعله بين يدي الخطيب والتلقين المعهود في بعض المساجد بدعة لا فائدة فيها ولا نعرف الحامل لمبتدعها عليها. وقد علم مما قلنا، أننا في مسألة الاذان الاول أن الاذان الثاني وهو الذي كان على عهد الرسول (ص) إنما يكون اذا جلس الامام على المنبر كما

صرح به السائب في حديثه الصحيح . وأما مكانه فقد روى الطبراني فيه أن بلالا كان يؤذن على باب المسجد . وذكره الحافظ في فتح الباري محتجا به وهو المشهور ٤ — الترقية المعهودة في يوم الجمعة بدعة لأنعرف لها أصلا من كتاب ولا سنة ولا اجتihad أحد من الأئمة وإنما أحدثها بنو أمية وأنكرها الفقهاء من جهيم المذاهب (راجع المنار ص ٣٩ م ٦)

وقد استفتي شيخ الجامع الأزهر منذ بضع عشرة سنة في بعض المسائل المتعلقة بالجمعة مما تقدم فأقنى بأنها بدع منكورة . وقد أشار الأستاذ الامام الى هذه الفتوى ومقاومة بعض أصحاب النفوذ السياسي لها بقوله في كتاب الاسلام والنصرانية (ص ١٣٩ من الطبعة الثانية) فقال :

« سأل سائل من الأستاذ شيخ الجامع الأزهر عن حكم عمل من الاعمال الجارية في المساجد يوم الجمعة — ومنزلة الشيخ من الرئاسة في أهل العلم بالدين منزله — فأقنى بما ينطبق على السمة وما يعرفه العارفون بالدين وقال ان العمل بدعة من البدع يجب التنزه عنها . أيقظ ان المستفتي أمكنه العمل بمقتضى الفتيا كلاً ، حدث قيل وقال ، وكثرة تسأل ، ودخلت السياسة ، ثم قيل ان الزمان ناصر الحقيقة وقد وجدنا الامر كذلك من قبلنا ، وسكت السائل وماذا يصنع المحييب ؟ اهـ »

٥ — التبليغ في الصلاة هو رفع المؤذنين اصواتهم بالكبير للاحرام وأذكار الانتقال لاعلام من لم يسمع صوت الامام ولا يراه عند إحرامه وانتقاله من ركن الى آخر : وله أصل في السنة بما كان من صلاة رسول الله (ص) في مرض موته آخر جمعة اذ صلى قاعدا والناس خلفه قيام وأبو بكر (رض) يلفهم تكبيره . وقد صرح علماء المذاهب المشهورة بمجواز التبليغ اذا احتيج اليه فان لم يحتج اليه كان بدعة منكورة . على أن المؤذنين فيه بدعا كثيرة كفعلهم له جماعة ورفعهم اصواتهم أكثر مما ينبغي متعربين فيها حسن النغم وإطالهم المد حتى يضطر الامام الى انتظارهم أو سبقهم فيقتل الى السجدة الثانية قبل فراغهم من تكبير السجدة الاولى مثلاً وقد بين الفقهاء ذلك وأطال فيه وفي غيره من هذه المسائل صاحب المدخل رحمه الله تعالى .

٦ — ختام الصلاة جهارا في المساجد والاجتماع ورفع الصوت من البدع التي

أحدثها الناس فاذا التزموا فيها من الاذكار ماورد في السنة كانت من البدع الاضافية وقد تساهل فيها كثير من مقلدة الفقهاء وأطال العلامة الشاطبي الكلام في انكارها في كتابه الاختصاص وقلناه عنه في المنار فليراجعه من شاء

وهذه البدعة قد انتشرت في الاقطار الاسلامية منذ بضعة قرون حتى عمت الغرب والشرق والجنوب والشمال ، ولما أنكرها من أنكرها في الاندلس كثر فيها القيل والقال ، وقد كنت فطنت لما قبل أن أرى لاحد من العلماء كلاما فيها قبحها في أواخر زمان الطلب ولكنني لم أترك الاذكار الواردة بل كنت أقولها وأنا منصرف من الصلاة ، ولم يخطر في بالي أن أنهي عنها أحدا ، ولأنها يصح أن تسمى بدعة. ولما كنت في علكه من الهند سنة ١٣٣٠ قدموني للخطبة وامامة الجمعة فلما فرغت من الصلاة لم أستطع الانصراف ولا التحول من شدة الزحام في المسجد ولا رأيت أحدا من الناس انصرف ولا قام للصلاة ولا غيرها ، ثم خلص الي شاب من طلاب العلوم الدينية فأخبرني ان الناس ينتظرون أن يسمعونني أذكار ختم الصلاة ليتبعوني فيها ويقوموا الى صلاة السنة البعدية وغيرها من شؤونهم ، قلت ان هذا غير مشروع ، قال ألم يرد في الصحيح أن النبي (ص) كان يقول بعد السلام « اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام » قلت نعم قد صح انه كان إذا سلم لم يقعد الا بمقدار ما يقول ذلك (رواه مسلم) ولكن لم يصح انه كان يقول ذلك رافعا صوته ليسمعه الناس ويقولونه بقوله ، وأنا قد قلت ذلك سرا . ولما جئت بيروت عند منصرفي من الهند أقمت فيها أياما كنت أقرأ درسا بعد الظهر في مسجد المجيدية من كل يوم ، فشغل المؤذن بعد صلاة الجمعة يوما عن الاذكار والادعية التي جرت العادة برفع صوته فيها واتباع جمهور المصلين له ، شغلته عنها صلاة جنازة ، فغل كثير من الناس ينتظرونه متلفين الى اليمين والى الشمال ، فبدأت الدرس ببيان الحق في هذه المسألة وهو انه ليس من السنة أن يجلس الناس بعد الصلاة لقراءة شيء من الاذكار والادعية المأثورة ولا غير المأثورة برفع الصوت وهيئة الاجتماع كما اعتادوا في الافطار المختلفة وان هذه العادة صارت عند الناس من قبيل شعائر الدين التي ينكر على تاركها والناهي عنها ، وانكار تركها هو المنكر . وان ما ورد في بعض الاحاديث من الاذكار كقول « اللهم أنت

السلام» الخ والاستغفار والتسبيح والتحميد والتكبير والتلليل يستحب أن يقوله الأفراد سرا في أي حالة يكونون عليها بعد الصلاة من قيام وقعود ومشى، وإن الاجتماع لذلك والاشتراك فيه ورفع الصوت بدع هونها على الناس تعود، وقد دعاهم أحد إلى مثل هذه الصفات في عبادة أخرى كصلاة تحية المسجد مثلا لأنكروا عليه أشد الانكار. ولما عدت إلى مصر وشرعت في طبع كتاب الاعتصام للشاطبي رأيته وفي هذه المسألة حقا، فحمدت الله تعالى

٧ - الصلاة والسلام على النبي (ص) عقب الاذان - هي بدعة أيضا والقول فيها كاقول فيما تقدمها. قال صاحب المدخل: يطلب من امام المسجد أن ينهى المؤذنين عما أحدثوه من صفة الصلاة والتسليم على النبي (ص) عند الاذان وإن كانت الصلاة والتسليم على النبي (ص) من أكبر العبادات ولكن ينبغي أن يسلك بها مسلكها فلا توضع إلا في مواضعها التي جعلت لها، ألا ترى أن قراءة القرآن من أعظم العبادات ومع ذلك لا يجوز للمكلف أن يقرأه في الركوع ولا في السجود ولا في الجلوس - أعني الجلوس في الصلاة - لأن ذلك لم يرد والخبر كله في الاتباع، وهي بدعة قريبة الحدوث جدا. بما تقدم ذكره فيما أحدثه بعض الأمراء من التفتي بالأذان. الخ

٨ - السير مع الجنازة بالذكر جهارا وقراءة البردة - كل ذلك من البدع التي لم يسكت عنها المشتغلون بعلوم الشرع كما سكت جماهيرهم على الاذكار التي اتفقت بالأذان والصلاة. على أن جميع ما ذكر في هذه الاسئلة والاجوبة من البدع قد بينه انصار السنة وحافظو البدعة من العلماء منذ أحدثت إلى هذا العصر.

وبالبلاء كل البلاء في جعل عمل الناس حجة على كتاب الله تعالى ودواوين السنة مع أن بعض الائمة قال بالاحتجاج بعمل أهل المدينة في زمن الصحابة والتابعين تخالفه في ذلك سائر الائمة وجهود الامة وخص بعضهم ذلك بزمن الراشدين فقط، والآن يحتاج الناس بعمل العوام الطغام وبسكوت من لا حجة في قوله فضلا عن سكوتهم من المومنين، أو بتأويل بعض المنافقين الذين يقرّبون إلى العامة بما يرضيهم طمعا ببعض الطغام أو لجاه الكاذب عندهم.

وقد استفتي شيخ علماء الاسكندرية لهذا العهد في المسألة الاخيرة من هذه المسائل وفي مسائل أخرى مما أحدثه الناس في أمور الموتى فنذكر ذلك بنصه :

﴿السؤال﴾

« ما قولكم فيما يفعله الناس الآن من الصباح أمام الجنازة بنشيد البردة وغيرها والاجتماع للتعزية بنصب الخيام، وقراءة القرآن فيها أياما مخصوصة، وقراءة الصمدية بعدد مخصوص يسمونه (عتاة) ويزعمون انها تعق الميت من النار وتفريق الخبز للقراء على القبور، وأخذ القراء الخبز والنقود أجرا على قراءة القرآن — فأهل العلم فيما بينهم من ذلك ومحلل، وقد لجأنا اليكم كي تقيّدونا، هل هذا من الدين أم لا ؟ وماهي طريقة نبينا صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح من الأئمة في ذلك ؟ وما حكم الله فيمن يخالف طريقهم أفيدونا بأدلة تشفيينا، فلا زلتم هداة الخاطئين

﴿الفتوى﴾

« الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وبعد فما يفعله الناس الآن من الصباح أمام الجنازة بنشيد البردة وقراءة القرآن ونحو ذلك غير جائز شرعا ، وهو خلاف السنة ، وخلاف عمل السلف الصالح ، لان السنة في اتباع الجنائز الصمت والتفكير والاعتبار وعلى ذلك جرى العمل من السلف الصالح ، وقد قال الامام مالك رضي الله عنه (لن يأتي آخر هذه الامة بأهدى مما كان عليه أولها) وكذلك الاجتماع بنصب الخيام في التعزية مباهاة وافتخار ، وقراءة القرآن بالكيفية الجارية العمل بها الآن في هذه المجتمعات ، وأخذ القراء الخبز والنقود أجرة على ذلك واتخاذ ذلك سنة وعادة ، فليس من السنة ، ولا من عمل السلف الصالح ، وانما شأنهم انهم كانوا يذهبون الى صاحب المصيبة في بيته لحمله على الصبر وعدم الجزع ، من غير اطالة مكث ، ويدعون لصاحب المصيبة بالصبر ، والى الميت بالمفطرة والرحمة ، ثم ان الذي ينغم الميت انما هو الصدقة على روحه ، والدعاء له بالمفطرة والرحمة ، اما اهداء ثواب الفاتحة وغيرها مثل قراءة القرآن بغير الطريقة التي أخرجه الى حد الفناء فبعض العلماء رجح حصول الثواب الى الميت ، وبعضهم قال بعدمه »

شيخ علماء الاسكندرية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كتاب الطب النبوي في الأمراض

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدي

١٨

أما نوبة الملايا فلها ثلاثة أطوار: —

(١) طور البرودة — يشعر المريض بتعب وسامة وصداع وآلام في الظهر وبرودة، وتبدأ الرعدة فينكمش في فراشه ويرتجف جميع جسمه وتصلط أسنانه ويزرق وجهه وأنامله ويتصب شعر جسمه كما يحصل من شدة البرد أو الفزع ويصفر النبض ويسرع ويضطرب ويتوتر، ويكون التنفس سرهما غير عميق ويكون سطح الجلد باردا حقيقة ولكن إذا وضع مقياس الحرارة في الفم أو في الدبر أو تحت الإبطين أو في الحرارة مرتفعة، فإنها تبدأ في الزيادة قبل الرعدة بدقائق بل بساعة أو ساعتين أحيانا؛ وإنما نشأ الاحساس ببرودة سطح الجسم من انقباض أوعية الدم فيه

ويكون مقدار البول كثيرا ولونه رائحا وكثافته قليلة. ويستمر هذا الطور نصف ساعة أو ساعتين. وترتفع الحرارة بسرعة في آخره إلى ما بعد ٤٠° ستيجراد (٢) طور السخونة — يبدأ بالاحساس بالسخونة التي تعم الجسم كله فترداد الحمى، وتتمدد الشرايين، ويتوتر النبض ويسرع ويمتلئ، ويحترق الوجه، ويتصدع الدماغ. وفي بعض الحالات يهذي المريض أو يتبريه الذهول. ويكون البول في هذا الطور قليلا قاتما كثيفا. وكثيرا ما تظهر [الحملة Herpes] حول الفم. ويستمر هذا الطور ٣ — ٤ ساعات

(٣) طور العرق — يقضى الجسم أولا بالعرق بعد شدة جفافه ويعم الجسم كله ثم يصبر غزيرا ويستمر ساعة أو ساعتين أو ثلاثا فيشعر المريض حينئذ بالراحة ويضطرب لسانه، وتنخفض الحرارة أولا بالتدرج ثم تسرع حتى تصير طبيعية (المجلد التاسع عشر) (٦٩) [الناظر: ج ٩ م ١٩]

ويعود المصاب الى حالته الصحية الاولى . ويكون البول في هذا الطور كثيفا جدا وتربسب فيه أملاح كثيرة من حامض البليك ولا تحصل جميع هذه الاطوار لكل . مصاب ، بل قد تقتصر النوبة على واحد منها أو اثنين ، فمثلا قد يشعر ببرودة خفيفة تعقبها سخونة مدة ساعتين أو ثلاث ولا يحصل عرق ، وقد يبرد ويحرق ولا يشعر بسخونة ، وقد يحرق فقط مع ارتفاع خفيف في الحرارة

أما الاطفال فيندر أن يحصل لهم رعدة بل يصابون بدلها بتشنج خفيف (قد لا يلاحظ) أو بتشنج شديد

وفي الاحوال المعتادة يكبر الطحال في طور البرودة والسخونة حتى قد يحس به تحت الضلوع

ونحصل أول نوب الحمى هذه إما في الصباح أو وقت الظهر ، أما النوب التي تليها فلا تكون دائما في وقت النوبة الأولى بل قد تأخر عنها شيئا فشيئا حتى تحصل في المساء أو في الليل ، وقد تقدم عنها شيئا فشيئا حتى تحصل قبل الفجر ، ويسمى النوع الاول بالمتفقر والثاني بالمتقدم

والاحوال المعتادة من هذه الحمى غير مميتة في الغالب إلا للاطفال الصغار أو الشيوخ أو السقاء . وقد يمتد الطحال منها حتى ينفجر وينسكب الدم في تجويف البطن ، وقد ينزف الدم في منسوج الطحال نفسه ويتكون فيه خراج فينفجر في تجويف البريتون . ومضاعفات مثل هذه الاحوال ليست بكثيرة ، وأشهرها النزلة الشبيهة والرعاف والبل الزلالي والآلام المصيبة فوق الحجاب

أما الاحوال الخبيثة المسماة [بالصيفي الخريفة] فلا تكون نوبها منتظمة ولا متقطعة الأحيان قليلة تكون الفترة فيها قصيرة ، ويقل حصول الرعدة للمصاب ، وكثيرا ما يصتره اليرقان والغثيان والقيء والاسهال ، حتى قد تشبه هذه الحمى بالحمى التيفودية ، وقد تطول مدتها الى ثلاثة أسابيع وتنتهي كثيرا بالموت الذي يسبقه الهذيان أو الغيبوبة أو الاضطرابات الهضمية أو البول الزلالي أو النزف الدموي أو الحمود (المهبط)

ومن الانواع التي يتأثر منها المجموع العصبي بشدة نوع يتميز بطول الفيوبة فيه حتى تمكث نحو ١٢ ساعة أو أكثر ويكون الشخص كأنه مصاب بنزف في مخه ، ومنها نوع يشتد فيه الهذيان والهيجان . وقد شوهد بعض أحوال يكون فيها المصاب كأنه ميت حقيقة فيقف تنفسه ويضعف نبضه وضربات قلبه حتى لا يمكن إدراكها واعلم ان هذه الحمى اذا تكررت نوبها جعلت الشخص سقيما عليلا مصفرا (للابادة ميكروبها للكريات الدموية الحمراء) ويمتريه الدوار وتله الميل للطعام وآلام بالمضلات والمفاصل والضعف والاستسقاء ، ويضعف الطحال والسكبد أو يكثر منسوجه اليفي ويبتس ويضم ، وقد يصاب الشخص بالجنون أو بالتهاب الاعصاب أو بطنين الأذان أو الصمم أو فقدان الشم أو الذوق

التشخيص — إن أحسن الطرق للتحقق من تشخيص هذه الحمى البحث في الدم عن ميكروبها بواسطة المجهر . وليحتس من اعطاء الكينين للمريض قبل عمل هذا البحث فإن هذا الدواء يذهب الميكروب من الدم . ويختفي الميكروب أيضا من الدم في الانواع الحبيثة وقت انخفاض الحرارة أعني في الفترات التي بين نوب الحمى ، وأحسن الاوقات لمشاهدته في تلك الانواع هو ان يبحث في الدم عند ابتداء البوبة وقت صعود الحرارة . أما في الانواع الحبيثة فيكون الميكروب أكبر وأظهر في الفترات التي بين نوب الحمى

المعالجة — الغرض الذي يرمى اليه هو قتل الميكروب واخراج سمومه من الجسم وإراحة المريض مما يحدثه من أعراض الاء . وأحسن الادوية وأشهرها لقتل هذا الميكروب هو [الكينين Quinine] ^(١) وأشهر أملاحه السكبريات ،

(١) هذه الكلمة مأخوذة من لغة أهل بيرو Peru بامر بكة الجنوبية ، ومعناها (القشر) لأن هذه المادة تستخرج من قشر شجرة « السنكونا Cinchona » وسميت هذه الشجرة بهذا الاسم لأن أميرة « شكون Chinchon » زوجة حاكم بيرو عولجت بها من حمى فشفيت في سنة ١٦٣٨ وفي السنة التالية أحضرتها الى أوروبا ، وبعد ذلك أدخلها الجزويت الى رومية ، ولذلك سميت أيضا « قشر الجزويت »

وهي مادة بيضاء خفيفة شديدة المرارة قليلة الذوبان في الماء فتذوب فيه بنسبة ١:١٠٠ ولكنها سهلة الذوبان فيه بإضافة أحد الحوامض إليه . ومقدار تعاطيها في اليوم ٢٠ — ٣٠ قحمة تقسم على ثلاث دفعات ، والأفضل أن تكون الدفعة الأخيرة قبل ميعاد حضور النوبة بنحو ست ساعات ، ولا مانع من إعطائها بعد طعام الفطور والغداء والعشاء ككثير من الأدوية الأخرى . وإذا قامها المريض مزجت بقليل من الأفقون أو حقنت في المستقيم أو تحت الجلد ، والأفضل أن تحقن داخل عضلات الالية ، وأحسن الملاح للحقن في الشرج أو تحت الجلد هو [عيدور بروميد الكينين الهلبي] فإنه سهل الذوبان في الماء ولا يتسبب منه المكان المحقون ، وجرعته من قحمتين إلى عشر أو ١٥ قحمة

و [اليوكينين Euquinine] وهو إثيل كروبونات الكينين يكاد يكون عديم المرارة ولا يضر المعدة ولا الأعصاب ، ولذلك كان أحسن دواء للأطفال والنساء . وجرعته تختلف من ٥ إلى ١٠ قحمتين بحسب السن

ويجب الاستمرار على تعاطي الكينين مدة بعد زوال الحمى لأن بعض الميكروبات قد يندمج من قبله ويختفي في الطحال ثم يعود إلى الظهور ويكثر فيحدث النكس ، فلذا يجب الاستمرار على تعاطيه بعد الشفاء بمقادير يعينها الطبيب (تكمس قحمتان في اليوم) لمدة ثلاثة أشهر على الأقل

وهناك بعض أدوية أخرى نافعة في الملاريا ولكنها أقل قيمة من الكينين مثل

مركبات الزرنيخ

وكثيرا ما يحدث من الكينين أعراض ضارة مثل طنين الأذن والصداع والحمى ، وقد تنقضي هذه الأعراض بتقليل مقداره أو إعطائه حامض الهيدرو بروميك أو الجويدر لمنع الاحتقان الناشئ من الكينين

الوقاية — تكون (١) بردم المستنقعات و (٢) بإبادة البعوض وذلك بسبب زيت البترول على المياه التي توجد فيها البويضات والعلق لقتلها ، ويكون ذلك بنسبة أوقية لكل ١٥ قدما مربعة من سطح الماء و (٣) باتقاء لدغ البعوض بمثل السككة (الناموسية) وخصوصا باليسيل وهو وقت لدغ هذا النوع من البعوض في

القالب و (٤) بدوام استعمال الكينين في الاقاليم التي تكثر فيها الملاريا (بمقدار خمس قمحات يوميا)

حتى البول الاسود Blackwater Fever

نحدث هذه الحلي في الاقاليم الحارة التي تكثر فيها الملاريا لمن أقام بثلث البلاد سنة على الأقل فأكثر أو الذين أصيبوا بالملاريا ، ويقال حصولها لغير هذين السببين بمبحث الاسباب تفصيلا — ذهب العلماء في حقيقة سبب هذه الحلي مذاهب أهمها — : (١) أنها نتيجة اصابة شديدة بالملاريا (٢) أنها ملاريا متضاعفة باصابة الكلتيين (٣) أنها نتيجة ميكروب مجهول (٤) أنها ملاريا مع عامل آخر كقسم الجسم يمثل الكينين أو بسبب مرض من الأمراض كالفرنجي وغيره ، أو كالتعرض للبرد

الاعراض — تشتمل آلام في الاطراف والدماغ وتوعك ثم رعدة قتي صفراوي قبول أحر أو أسود بسبب ذوبان مادة الكريات الحمراء فيه ويكون فيه زلال كثير وترقق احمرارة إلى : مستحرجا فأكثر ثم تنخفض قليلا بعد بضع ساعات ثم ترتفع مع رعدة أخرى ، وهلم جرا . ويصاب المريض باليرقان ، ويضعف الطحال والكبد ويتألم المصاب من جسمها

وفي الحالات البسيطة تزول الاعراض بعد نحو أسبوع ، وأما في الشديدة فيستمر القيء ، ويقل البول أو يبطأ إفرازه ويصاب المريض بالقيح أو الهمود ويموت وعدد الوفيات بهذا المرض هو من ١٦ إلى ٥٠ في المئة

المعالجة — تكون بحسن التمريض والعناية بالمصاب والاكثر من شرب السوائل لادرار البول ، وتعطى المنشآت المقويات للقلب ، ولا يعطى المريض الكينين الا اذا وجد ميكروب الملاريا في الدم ، وحينئذ يعطى أي ملح من أملاحه غير الكبريتات فأنها تساعد على إذابة الكريات الحمراء ويكون مقدار أي ملح قليلا متكررا

الدوسنتاريا الاميبية Amoebic Dysentery

قلنا ان الدوسنتاريا نوعان : نوع ينشأ من ميكروب نباتي (وقد سبق الكلام

عليه في صفحة ١٠٢ من الجزء الثاني من هذا الكتاب) والآخر ينشأ من ميكروب حيواني وهو المراد بالكلام هنا

وكلمة [أميبا Amoeba] يونانية معناها « المتغير » تطلق علي حيويين دقيق ذي خلية واحدة دائم التغير لشكله بما يرسله من جسمه في جميع الجهات من الأرجل [الكاذبة ^(١) Pseudopodia] التي يتحرك بها حركة ذاتية ، وهو من أبسط الحيويينات المسماة [الحيوانات الاولى Protozoa]

ينساق الانسان ثلاثة أنواع من الاميبا : (١) نوع يوجد في فمه اذا أصاب أسنانه النكد (التسويس) (راجع ص ٦٨ من الجزء الاول) (٢) ونوع يسكن الجزء الأعلى من الامعاء الغلاظ ، والظاهر أنه لا ضرر منه (٣) والثالث هو أميبا الدوسنتاريا هذه وهذا الاميبا يشاهد في براز المصاب وفي المدة التي قد تتكون في الكبد ^(٢) بسبب هذا المرض ، وأكثر وجوده يكون في المواد المخاطية التي يتبرزها المريض وقت اشتداد المرض أي في زمن حدته ، قطر هذا الميكروب الحيواني هوم من ٢٥-٣٥ ميكرونا ، أي ان حجمه كحجم ثلاث أو أربع كريات حمراء من كريات الدم . وهو يقبب الفشاء المخاطي للامعاء الغلاظ ويسكن تحته ويتكاثر ويحدث الموضع وقد يصل الى الأوعية اللمفاوية أو الأوردة فيسير فيها

اسباب الدوسنتاريا الاميبية — يوجد هذا النوع من الدوسنتاريا في الاقاليم الحارة والمعتدلة كحصر ، ولا ينتشر بشكل وبائي كالنوع الآخر السابق . وتنقل الاميبا بواسطة الماء الذي يتلوث ببراز المصاب أو بواسطة الاطعمة الملوثة به أيضا خصوصا الخضرا . ويصيب المرض جميع الاجناس البشرية اذا تعرضت للمدوى وكذلك الصغار والكبار بلا تمييز بينهم ، غير أن الظاهر أنه يصيب الذكور أكثر من الاناث لقلة تعرض هؤلاء له من أولئك . ولهذا النوع أيضا حملة كالتنوع الاول يوجد الميكروب في أمعائهم ولا تحدث لهم أعراضه الاعراض — لانختلف أعراض هذا النوع كثيرا عن أعراض النوع الباسيلي

(١) سميت بذلك لانها ليست دائمة بل تنبث وتقبض (٢) خصوصا بعد فتح خراج الكبد هذا بثلاثة أيام حينما تنقبض جدرته

الذي سبق ذكره الا في أشياء قليلة ، وهي أنه لا يكون ابتداءه مفاجأة بل تدريجياً في الغالب ، وتكون مدته أطول فانه يميل لأن يكون مزمناً ، وتكون الحصى فيه أقل وكذلك الاضطراب العام وتكثر نكساته ولا يمنع ذلك من أن يكون أحياناً شديداً جداً ومميتاً بسرعة ، فترفع الحصى ويقل البول ويكثر الزلال فيه . ومن الناس من توجد في أمعائه قروح ناشئة على هذا الميكروب ومع ذلك لا تظهر عليهم أعراض المرض ، ولكن ذلك قليل

المضاعفات — تحتقن الكبد أحياناً وتلتهب وكذلك الكليتان ، ويندر حصول النزف المعوي في هذا الشكل . وأهم المضاعفات خراج الكبد الذي يكون غالباً واحداً أو على الأكثر لا يزيد عن ثلاثة ، والسبب فيه وصول الميكروب الى الكبد بطريق الوريد الباب فيميت بسمه منسوجه

ومن العقاقير ضيق الامعاء بسبب انقباض آثار القروح التي تحدث فيها الانذار — يراعى فيه مسألة خراج الكبد وشدة الاعراض . وتحشى النكسة والازمان . والفوائى علامة سيئة في الحالات الحادة لانه ينذر غالباً بقرب الاضمحلال والموت المعالجة — لا تختلف عن معالجة النوع الباسيلي الا في نفع [عرق الذهب] وشدة تأثيره في هذا المرض ، وهو جذور شجرة في بلاد البرازيل بأمرىكة الجنوبية ، في هذه الجذور مادة مقيئة تسمى لذلك باللقات الافرنجية [Emetine] ولكنها شافية لهذا الداء . والجرعة من مسحوق هذه الجذور هي ٢٠ — ٣٠ قحمة ، ويستحسن اعطاء قليل من الافيون أو أحد مرباته قبلها بنحو نصف ساعة ويستلقي المريض على قناه ولا يعطى له شيء آخر سوى قليل من الثلج لمصه ، وذلك كله لمنع القيء الذي يحدث من الدواء وتكرر الجرعة بعد ٨ أو ١٠ ساعات ، وإذا كانت الاعراض شديدة أعطيت الجرعة ثلاث مرات في اليوم ، وبعد زوال أعراض الدوسنتاريا بكل العلاج بمركبات البريموت والافيون ونحوها

ويفضل استعمال [الامتين Emetine] حقناً تحت الجلد أو في داخل العضلات ^(١) بمقدار نصف قحمة مرة ليلاً ومرة نهاراً وعندما تتحسن الحال يحقن المريض

(١) ذلك أفضل لعدم إحداث ألم وورم وتيس في مكان الحقن

مرة واحدة فقط في اليوم ، ولا يحدث القيء بهذه الطريقة كما يحدث من إعطاء مسحوق عرق الذهب نفسه بالفم . وهذا الدواء نافع أيضا في منع التهاب الكبد وخراجها لانه قاتل لميكروب الدوسنتاريا بسرعة عجيبة

والمعالجة بالامتياز أو بعرق الذهب نافعة أيضا في الحالات المزمنة ، وذات نفاست حقن المريض أيضا بالمحاليل المطهرة أو القابضة في المستقيم ، ويكون مقدار الحقن نحو لتر من المحلول الدافئ

الوقاية — تكون بتطهير الماء بالنفلي أو غيره ، وبالامتناع عن أكل الخضضر وغيره الا اذا ظهرت ، وبإبادة الذباب بقدر الامكان أو منعه من الوصول الى الطعام أو الشراب

الحُمى الرَّاجِعة أو ذات التَّكْس Relapsing Fever

مرض معد شهير ينتشر عادة بشكل وبائي وليس له طفح مخصوص كبعض الحُميات الاخرى وانما يتميز بحصول حمى بضعة أيام تنتهي فجأة بعد نحو اسبوع ثم ترجع ثانية بعد مضي بضعة أيام وهكذا . وهي كثيرة الوجود في مصر وغيرها وقد كانت تنتشر بشكل مريع في السجون وغيرها حيث يكثر الازدحام

ينشأ الشكل المعتاد منها في مصر من ميكروب حيواني حلزوني الشكل اكتشفه

[أبرميير Obermeier] في الدم سنة ١٨٧٣ وله أنواع يختلف بعضها عن بعض

قليلا كما في بلاد الهند وأمريكا . طول هذا الميكروب يختلف من ١٦ — ٤٠

ميكرونا وعرضه ميكرون واحد . وهو يشاهد في دم المصاب بهذه الحمى بين كريات

لا في داخلها . ويقول بعض الباحثين انه يمكن مشاهدته في طور التفرخ قبل حصول

الحمى بنحو ٤٨ ساعة ، ويقول آخرون انه يشاهد أولا في اليوم الثاني للحمى ويكثر

عدده كلما تقدمت الحمى ولا يقل إلا اذا بلغت الحمى أقصى شدتها وارتفاعها قبيل

البحران ، فاذا انخفضت الحرارة لا يشاهد الميكروب في الدم الى ان تقارب الثوبة

الثانية . وقد أمكن تلقيح الانسان والقرود بهذا الميكروب اذا حقن فيها جزء من دم

المصاب . وشاهد بعض العلماء أن الميكروب اذا اختفى من الدم ذهب الى الطحال

وهناك يتنامى بعض الكريات البيضاء وقتله . فلذا استنتج انه اذا أظنت بعضها من

القتل وعاد الى الدم تكاثر فيه فنتكس الحمى

والاصابة بهذه الحمى لا تحمي الشخص من عودتها بعد زمن الا قليلا ولكنها تحمي غالبا من الاصابة بالتيفوس . ومن الاسباب المهيئة للمدوى الفاقة والجوع والازدحام والقذارة . وذلك لانها تثقل من شخص الى آخر بواسطة قمل الجسم فقد شوهد فيه نفس الميكروب ، وهو لا ينتقل الى الانسان بلسع القمل لجسمه ، وانما ينتقل بطريقة أخرى ، وهي أن المصاب بالقمل يكون كثير الحك لجسمه فيسأخ جلده قليلا من أطافره أو غيرها فاذا سحقت قملة في أثناء الحك أو غيره كالنوم عليها وأصاب دمها بعض تلك الجروح التي بالجلد دخل منها الميكروب الى الدم وأصاب الانسان بالحمى . ويبقى الميكروب في جسم القملة مدة حياتها بل يصل الى بويضاتها (الصئبان) فتتلقي به أيضا ، ولذلك يجب الاحتراس من القمل والصئبان فانها ينقلان هذه الحمى

وهي تصيب الانسان في جميع الاعمار ولا تميز بين الذكر والانثى الا قليلا فان نسبة المصابين بها من الذكور الى الاناث تكون عادة كنسبة ٣ الى ٢ وهي كثيرة الحصول للقراء والشعاعدين ونحوهم لكثرة ضعفهم ووجود القمل فيهم ، وقل أن تصيب الاغنياء الا اذا صادفتهم قملة انتقلت اليهم من مصاب بها أقربوا منه وهناك نوع من هذه الحمى يحصل في أفريقية ينتقل من شخص الى آخر بواسطة القراد ولكن مدة هذه الحمى أقصر فانها تكون عادة يومين أو ثلاثة ، ويوجد أيضا ميكروها حتى في بويضات القراد ، ويميز أن ينتقل الى الجيل الثالث من نسله

الاعراض — يتراوح طور التفرخ بين يوم ١٦ يوما ولكن في أكثر الاحوال يكون أقل من تسعة أيام . وتبدأ الحمى فجأة بقشعريرة أو برعدة يعقبها سريعا صداع في الجبهة وآلام في الظهر والاطراف . وبعد زمن يسير تزول القشعريرة ويلاحظها احساس بحرارة في الجسم ويزداد الصداع والآلام المذكورة . وتكون درجة الحرارة في اليوم الاول ٣٩ أو أكثر فيضطر المريض الى التزام الفراش ويشد به العطش والاقهواء وقد يمتريه النشيان والقيء ويحترق الوجه ويبيض اللسان وتزداد درجة الحرارة في الليل فتكون ٤٠ أو ٤١ وتنخفض قليلا في الصباح فتكون أقل بدرجة غالبا

(المنار : ج ٩) (٧٠) (المجلد التاسع عشر)

وقد تتكرر الرعدة ويكثر العرق . ويسرع النبض وكذلك مرات التنفس . ويعتري المريض في بعض الاحوال البرقان الشديد حتى يتكون البول بلون المرة (الصفراء) وتكبر الكبد والطحال خصوصا وتظهر [النملة Herpes] أحيانا على الشفتين وقد يحصل رعاف (نزف من الانف) . وتستمر هذه الحالة الى نحو من أسبوع ، ويقبل نوم المريض ويشتكى كثيرا من آلام المفاصل والمضلات ولكنه يبقى حافظا لقواه العقلية إلى قبيل النهاية وعندئذ يعتريه الهذيان ، وتشتد الحى جدا حتى قد تصل إلى ٤٢ و ٤٩ . وحينئذ تفرج الازمة فجأة ويحصل البهران فيكثر العرق وتقل مرات النبض والتنفس وتنخفض الحرارة بسرعة ويشفى المريض غير أنه قد يعتريه همود خصوصا اذا كان شيخا ، وقد يصحب البهران اسهال أو رعاف وتكون الحرارة أقل من الدرجة الطبيعية ثم يتحسن الحال بسرعة وتشتد شهوة الطعام وتعود قوة المريض في ثلاثة أيام أو أربعة . وبعد أن يظن أنه شفى تماما تعود اليه الحى فجأة كما بدأت ويكون ذلك بعد مضي اسبوع تقريبا ، فيصير المريض في عين الحالة التي كان عليها في المرة الاولى ، وبعد بضعة أيام تنتهي النكسة بالبهران أيضا . وقد ينكس المريض ثانية وثالثة ورابعة وكذا خامسة في النادر . ومن المرضى من لا ينكس البتة . وتكون مدة النكس في الغالب أقل من مدة المرض الاولى فتكون عادة أربعة أيام أو خمسة وقد تكون يومين أو ثلاثة ، وتكون النكسة في الغالب أخف وطأة من الحى الاولى ولكنها أحيانا تكون أشد بل قد يموت منها المريض

واعلم أن جميع المدد المذكورة سابقا هي تقريبية فانها تتفاوت تفاوتاعظيما باختلاف الاشخاص فقد رأينا في السجون المصرية أن مدة الحى الاولى قد تتراوح من يوم الى ثمانية أيام أو تسعة والفترة الاولى من يومين الى واحد وعشرين يوما ومدة النكسة الاولى من يوم الى عشرة والثانية من يوم الى سبعة وهلم جرا في الاختلافات العظيمة في مدة الفترات وأيام النكس ، ومن المسجونين من نكس أربع مرات (١) وعدد الوفيات يختلف من ١٤ الى ١٨ في المئة ويحصل الموت عند اشتداد

(١) راجع تقرير جناب الدكتور (كرتون Kirton) رئيس القسم الطبي بمصلحة السجون المصرية عن سنة ١٩٠٧ م

الكرب في الحى الاولى أو عقب البحران مباشرة من الهمود خصوصا في الشيوخ كما تقدم . وقد يحصل الموت بسبب التسمم البولي والتشنج أو بالالتهاب الرئوي أو بالزحار أو غيره

ومن المضاعفات غير ماذكر ضخامة الطحال وتمزقه ، والحجرة بالأطراف السفلى ، والتهاب الغدد اللمفاوية أو تقيحها ، والتهاب العين الذي يعميها ، واجهاض الحبالى والنزف الرحمي الخطر

الجمعيات الاتحادية

لتكوين العصبية التركية

كتب بعض شبان العرب المتعلمين في مدارس الدولة العثمانية بالاستانة مقالات في الجرائد في موضوع هذا العنوان ثم رأينا في كتاب (ثورة العرب) الذي صدر بالعرية من عهد قريب كلاما مختصرا مفيدا في ذلك فنقلناه عنه لأجل الاعتبار به وإثبات ما يحتاج الى الرجوع اليه من تاريخ هذا الانقلاب الخطر . قال المؤلف تحت عنوان (الممول الاتحادى العظيم) ما نصه :

أنشأ الاتحاديون جمعية تركية عظيمة سموها جمعية « ترك أوجاڤي » — أي طائفة الترك أو العائلة التركية — وجعلوا غايتها محو الاسلام وترك العنصر العثمانى ومركزها في الاستانة ومصاريفها من تخصيصات وزارتي الاوقاف والداخلية ومن المشيخة الاسلامية أيضا وهي منتشرة في كل بلدة وقرية في الاناضول والقوقاس وتركستان وتراقية ومكدونية ولها أربعة فروع لكل منها مهمة خاصة به وهذه الفروع هي

أولا « ترك يوردي » — أي المملكة التركية — ومهمته العناية بالأدب التركية بطرق شتى أهمها « تطهير » اللغة التركية من الكلمات العربية وجعلها لغة مفهولة بحتة وتأليف الكتب القومية بهذه اللغة وتعليمها في المدارس ونشرها في البلاد

التركية وكتابتها بحروف منفصلة لكي لا يبقى بينها وبين اللغة العربية أقل شبه (١)
 ووظيفة أعضاء جمعية « ترك يوردي » مقاومة كل كاتب تركي أو غير تركي
 لا يرى رأيهم ولا يعتقد معتقدهم ونشر الكتب القومية والاناشيد الحماسية بين
 الترك وتدريبهم التاريخ التوراني القديم وإفهامهم أن الترك أعظم أمة في العالم اختارتها
 الاقدار لسيادة الامم . وقد جرى لهم حوادث عديدة مع فريق من عقلاء الترك
 أنفسهم كعلي كمال بك والدكتور رضا نور بك ولطفي فكري بك وغيرهم فاتهموا
 هؤلاء بالخيانة وتهديدوم بالقتل وقالوا ان العنصر التركي يتبأ منهم وانهم من أصل
 يوناني وانه لا وطنية لهم ولا قومية ولا شرف

ثانياً « ترك درنكي » — أي ثبات الترك — ومهمته بث الفكرة القومية في
 الترك العثمانيين وغير العثمانيين بشكل لم يسبق له مثيل في تواريخ الامم (٢)

وأعضاء ترك درنكي من غلاة الاتحاديين وأشداهم كرهاً للعناصر ورغبة في
 تتركبها والقضاء على الفكرة القومية فيها . وهم على جانب عظيم من الهمة والنشاط
 ولكن الغرور أعمى أبصارهم وأسدل ستاراً من الجهل على عقولهم فكانت ثمرة نشاطهم

(١) المنازل: قررت وزارة الحرية في عهد ناظرها أنور باشا استعمال الحروف
 المنفصلة في الامور العسكرية فقط ، ثم نقلت اليها الجرائد أخيراً ان الاتحاديين
 قرروا كتابة التركية بالحروف الافرنجية ولا ندرى كيف ينفذون ذلك

(٢) المنازل: اذكر ان هذه الجمعية تشغل بتنقيح اللغة التركية وانها هي التي
 دعيت الى مجلس ادارتها في الاستانة لما بلغها ان بعض المسلمين كتبوا الي من
 جاوه انه بلنهم أن الدولة العثمانية تضطهد اللغة العربية وتصرح بانها تظهر التركية
 منها وانهم لا يصدقون هذا الخبر الا اذا أكدته أنا لهم وانهم حينئذ يحذفون اسم
 السلطان من الخطبة ، ولما اجتمعت بهم وتذاكرنا في المسألة قال لي رئيس الجمعية
 ان عملنا في محض لا دخل له في السياسة ولا الدين فتوصل اليك ان تستعمل
 بنفوذك الديني لازالة التهم السيئة التي حومت حوله . وجرى بيننا محاوراة ليس
 هذا عملها

شراً على الدولة ووبالا (١)

ثالثاً : ترك بلكليشي — أي العلم التركي — ومهمة أعضائه ترجمة الكتب العلمية الى اللغة التركية القديمة ونشر هذه اللغة بين الترك وبث الفكرة القومية التركية في تركستان والقوقاس ووز بطهما بدولة الاتحاديين برابط سياسي متين
رابعاً « ترك كوجي » — أي القوة التركية — ومهمته العناية بصحة الترك وتقوية أجسامهم ونشر الالعب الرياضة بينهم .

ويشترط للدخول في جمعية « ترك أوجاني » أو في احد فروعها ان يكون طالب الدخول تركيا وان يدفع رسماً شهرياً وان يتعهد ببذل حياته ونشاطه وماله لاعلاء شأن الترك وبسط سيادتهم على الامم الاخرى وان يغير اسمه باسم توراني يعرف به بين أصحابه فن كان اسمه انور مثلاً صار يعرف اليوم بين أصحابه باسم ايشلداق — أي أنور بالتركية القديمة — ومن كان اسمه محمداً أو سليمان أو حسيناً أو سعيداً صار اسمه اليوم نيوراً أو جنكيزاً أو هلاكوا أو غوز الخ

وقد بدّل كل الضباط الاتحاديين أسماءهم بأسماء تورانية وكذا رجال الحكومة الحالية لانهم كلهم من جمعية « ترك أوجاني » ويعرفون بين أصحابهم الترك بأسماء تورانية غير أسمائهم التي يعرفهم بها غير الترك .

وقد أنشأت جمعية ترك أوجاني وفروعها أندية عديدة في جميع المدن والقرى التركية لتدرّس تاريخ الترك القديم ولا سيما تاريخ هلاكوا وأوغوز وجنكيزخان وبث الفكرة التركية في الامة التركية وجعلها تعتقد بتفوقها على الامم الاخرى في كل شيء . وعينت هذه الجمعية ثلاثة أيام في الاسبوع لتعليم النساء التركيات التاريخ القديم وبث الفكرة العنصرية فيهن وجعلن على العناية بتربية أطفالهن تربية قومية تركية . وتبرعت وزارة أوقاف المسلمين أخيراً بمخمسين ألف ليرة عثمانية لجمعية « ترك أوجاني »

(١) بلغ منهم الغرور مبلغاً لا يتصوره العقل فيما كانت جيوش البلقانيين امام شطليحه تهدد كيان الدولة كان أحدهم — أحمد أغايف بك — ينشئ سلسلة مقالات في جريدة تصوير أفكار جاء فيها ما ترجمته « يجب ان تهتم تركيا بشؤون ايران أعظم اهتمام لان ايران طريقنا الى الهند والصين ! »

لأجل تأليف تواريخ مفصلة لهلاك وواغوز وجنكيز وليمورلنك وأندي « ترك أوجاني » محرم دخولها على غير الترك فكل من يود أن يدخل البر يجب عليه أن يظهر للباب ورقة عليها اسمه ورسمه وتاريخ ولادته وقد سمعت جمعية ترك أوجاني أخيراً في ترجمة القرآن الكريم إلى التركية القديمة مع خطبة الجملة والادعية الدينية وغيرها مما يوجب الدين الاسلامي تلاوته باللغة العربية وعزمت على نزع أسماء الصحابة من الجوامع لاعتقادها أن وجود هذه الأسماء العربية في الجوامع والاماكن المقدسة مما يضعف الفكرة القومية في الترك

ولست المدارس العثمانية رشدية كانت أو اعدادية ملكية أو عسكرية إلا فروعاً من فروع جمعية « ترك أوجاني » وكذلك جمعية الاتحاد والترقي وجميع الجمعيات السياسية والعلمية والدينية والادبية التي تأسست في الآستانه والاناضول قبل الحرب الاوروبية وبعدها

وقد أدخلت الحكومة في برنامج مدارسها العالية ولا سيما المدرسة الحربية ومدرسة اركان الحرب في الآستانه درس تاريخ التورانيين وعلومهم الحربية وآدابهم ونظاماتهم وعهدت الى احمد اغايف بك وأمين بك وخالد ضيا بك وحمد الله بك في إلقاء محاضرات يومية في هذه المواضيع على تلامذة المدارس الحربية ومدارس الحقوق والطب والهندسة وغيرها وترسيخ الفكرة التركية في نفوسهم . واستعاض التلامذة في جميع المدارس الابتدائية والاعدادية والعالية من الكتب العصرية بمجموعة « ترك يوردي » — المملكة التركية — وكتاب ترك قليجي — السيف التركي — وتاريخ توران وتاريخ تيمورلنك وهلاك ووجنكيز خان وغيرهم .

وفي كل يوم يجتمع تلامذة المدارس الحربية في ساحات مدارسهم ويستلون سيوفهم وينشدون نشيدهم الوطني الذي يتنديء بهذه الايات :

جنكز خانك بايراغي آنلي شانلي صانلاندي

آيت خانك بايراغي حربه بويله اكلاندي

أي : لقد تموجت أعلام جنكيز خان في جو المجد والشرف وأرشدتنا أعلام

آيت خان إلى نهج هذا الطريق المجيد في الحرب . الخ

والاغرب من هذا كله الدعاء الجديد الذي لفته جمعية «تورك يوردي» وجعلت الترك يستعملونه في منازلهم ومدارسهم، وقد قررت أخيراً استعماله في الجوامع في الاستانة والاضول وهذه ترجمته :

«أيها الاله القادر على كل شيء أنعم على الترك بالصحة والعافية وأحسن اليهم بذئب أبيض^(١) واشملهم برعاية مولانا السلطان الاعظم
«وأنت يا ملكة توران الجميلة المحبوبة ارشديننا الى الطريق المؤدية اليك لان جدنا اوغوز الكبير يتادينا

«أيها الاله القادر على كل شيء أنر طريق توران أمامنا واجعل امتنا كالورد الناضر واهدنا الصراط المستقيم»

﴿الاناشيد الحماسية في الجيش﴾

أما الجيش العثماني فمعظم ضباطه وجنوده الترك من الاتحاديين ومن المنسبيين الى جمعية ترك أوجاخي وهم يحتقرون الضباط والجنود من أبناء العناصر العثمانية الاخرى ولا يسمون الدولة الا الدولة التركية وينفرون من تسميتها الدولة العثمانية لاعتقادهم ان البلاد العثمانية غير التركية ليست الا مستعمرة فتحها الترك بالسيف . وهذا نموذج من الاناشيد الحماسية التي يترنمون بها في الجيش :

بوتر كرسن تركك امانتلك

هيج قورقمه هب اولورسى ويرميز

أي: نحن ترك وانتم (يا آسيا) أمانة بيدالترك فلا تخشوا شرا لاننا نغديكم بارواحنا

اي ترك كنجي يتشير ارتق أو يومه

قوش كو ياليتك امداديتيه دورمه

أي: انهض ايها الفتي التركي فقد تمت طويلا وأمرع في الحال الى امداد

بلاد اجدادك

جنكيز خانك بايراغى افلى شانلى صانلاندى

ايت خانك بايراغى حر بده بويله اكلاندى

(١) الذئب الابيض اله من آلهة الترك الاقدمين وقد كان شعاراً لهم أيضاً

وقد سبقت ترجمته

انتقامي آله منسك ترككك بزه نافله
صوصتره لم بايقوشاري يتيشر بولوله
أي : لا يحق لنا ان ندعى اتراكا ما لم ننتقم من أعدائنا . فلسكت اليوم عن
نعمة . ولكفنا ماسمعناه من الضجيج والنحيب
يوريلام ايلري به اتلاية لم طلاغ تبه
باطلاتالم بومباري جانلر كيرسون يرلره
أي : هلموا إلى الامام فتنبسط امامكم الجبال والاكام وتنفجر قبائل الديناميت
وتفجر الارض فاهلا لا بتلاع النواقيس والاجراس
آل بايراغك التنده انا آرم يورودي
كوك بايراغك التنده يكي توران بيودي
أي لقد سار اجدادنا إلى المجد تحت العلم الاحمر الذي هو مصدر عظمة
توران الجديدة

يورين طاغرا ينسين التون اردوشان ويرسون
آل بايراق ! يانفينلر اوزرنده يوكاسك
أي : سيروا لتنبسط الجبال وتكسبنا جيوش التاي^(١) الشرف فان مجدهنا
سيشاد تحت العلم التركي على الاقتاض والحرائق
بزايفورز دونميز قوناغز طاغ اوه
توكز بزمدراسيا توكز توكز هبمز
أي : نحن سعداء فلا نرجع عن سيرنا إلى الامام لان مسكننا الجبال والبطاح
نحن ترك وآسيا كلها لنا نحن اتراك اتراك كلنا

﴿ كيف يعلمون الامة ﴾

هذا نموذج من الاناشيد التركية الوطنية التي يترنم بها الترك في ميادين القتال
على مسمع من جنود العرب وضباطهم
(١) اسم الجبل آلتون طاغ الذي يعمده الترك التورانيون ببلادهم الاصلية

والى القراء نموذج من الخطاب والدروس التي يلقىها على التلامذة العثمانيين في مدارس الدولة اساتذة من أعضاء جمعية « ترك اوجاخي » عينوا برواتب باهظة لتعريك أبناء العناصر العثمانية :

قال استاذ التربية العسكرية في المدرسة الحربية في الاساتذة في درس القاء على صف الضباط بعد اعلان الحرب العثمانية بايام ماخلاصته [أي خلاصته ترجمته] : « اود ايها انسادة ان التي عليكم كلمة في غاية الاهمية بمناسبة الحوادث العظيمة التي وقعت في الغرب فظهرت لنا معاشر الترك امورا لم تخطف في بالنا من قبل وعبرنا ينبغي أن نعتبر بها . فان البلجيك الصغيرة تجمست على محاربة المانيا العظيمة ووقفت بجيش لا يزيد على مئة الف جندي امام أعظم جيش ذكره تاريخ بني البشر خالت دون القضاء على حليفها فرنسا . لذلك لا يسعنا نحن الترك أعداء البلجيك إلا ان نطأ على رؤوسنا اجلالا لها واحتراما لجيشها الباسل . ولكن تعلمون ايها الاصدقاء لماذا وقفت البلجيك تيار الجيش الالمانى العظيم ؟ وقفته لانها كانت نحرابه باسم القومية وباسم الوطن . او تعلمون لماذا عظمت فرنسا وانكلترا والمانيا وسدنت العالم وصرن اعلى أمم الارض مقاما واكثرها تراء ؟ لانهم خضن معترك الحياة باسم القومية لا باسم الدين . فعلينا ايها الاعزاء ان نظهر من الآن وصاعدا امام العالم بصيغة القومية المقدسة وان نضرب بالعصية الدينية عرض الحائط

« نحن ايها السادة أتراك واني لأعجب من تسميتنا عثمانيين . فمن هو عثمان الذي نقسب اليه ؟ انه تركي جاء من آلتاي واجتاح هذه البلاد بجيشه التركي . فاقسبنا الى أصله أشرف من انسابنا اليه . وقد خدعنا بجهل أسلافنا في الماضي قبش الاسلاف الذين أنسونا قوميتنا انكم ايها الاعزاء ستلحقون بالجيش قريه وستكونون اساتذة جنودنا الابطال . فطموهم انهم ترك وانهم اذا حاربوا العدو من أجل الترك وتحت العلم التركي يقتصرون عليه ويحورزون ما أحرزته البلجيك من المجد والفخر . وتأكدوا أن التركية خبر لنا من الاسلام وان التعصب للجنسية من أكبر فضائل الهيئة لاجتماعية »

فأجابه أحد ضباط العرب قائلا : « تعلم ايها القائد ان للام الشرقية تقاليد (المنار: ج ٩) (٧١) (المجلد التاسع عشر)

لا يمكن الاغضاء عنها وقد حفظت الجنسية العثمانية هذه التقاليد وكفلت سلامة الدولة الى الآن. فتترك العناصر العثمانية أو انكار قوميتها عليها يؤدي الى اضمحلال الدولة في القريب العاجل. فأنا أحتج على هذا الكلام وأقول بكل صراحة ان الرابطة الاسلامية العثمانية هي الرابطة الوحيدة التي تربطنا بالترك. ولما كنت حضرتك تعلمني الآن ان هذه الدولة دولة تركية وان هذا العلم الذي عهدت الي في الدفاع عنه هو علم تركي أي علم أجنبي هني فقد قضيت على قوتي المعنوية قضاء مبرماً وأخذت كل عواطفني الوطنية لأنني وأنا وأبناء العرب وجميع أبناء العناصر غير التركية لنحارب في جنب الترك الالقاء متحدة وذبا عن حياض الاسلام والعثمانية. فأجاب القائد قائلاً: « اعلم أن الحقيقة غير العواطف وأنتك وان تكن عربياً فأنت وعنصرك من تبعة تركيا. ألم يستعمر الترك بلادك؟ ألم يفتحوها بالسيف؟ ان العثمانية التي تتخذها حجة لك هي حيلة اجتماعية يستعملها الضعيف للوصول الى غايته. أما الدين فلا شأن له في السياسة، وسننقض قريباً باسم التركية ونحت العلم التركي ونترك الدين جانباً لانه من الامور الشخصية الثانوية، أما أنت وأبناء جنسك فليكنم أن تعرفوا انكم ترك وأنتم ليس في العالم قومية عربية أو وطن عربي » (١) وقد احتج ضباط العرب الذين سمعوا هذه الخطبة الى وزارة الحرية وطلبوا منها عزل القائد الاستاذ فلم تنبأ باحتجاجهم ولا أجابهم الى طلبهم بل اتخذت التدابير اللازمة للتخلص منهم قذفت بهم الى ميادين القتال وعرضتهم لرصاص العدو بلا سبب الا رغبتنا في محوهم لينتسب لها بعد ذلك قبل الفكرة القومية في بلادهم. وهذه الرغبة — رغبة قتل العرب — قديمة العهد في الترك الاتحاديين. فقد عثر ضباط العرب سنة ١٩١٢ في بولايير على كتاب من أحد زعماء الاتحاديين الى قائد اتحادي كبير جاء فيه « عرضوا العرب لرصاص العدو وأعملوا على التخلص منهم لان قتلهم يفيدنا. أما الكرد فاحتفظوا بهم لانهم يلزموننا في بلاد الارمن » (٢)

(١) جرت هذه المناقشة على مسمع مئات من ضباط العرب في المدرسة الحربية في الاسكندرية وقد نقلها اليها غير واحد منهم فمر بناها للقراء اه من هامش الاصل
(٢) نشر هذا الكتاب في حينه في معظم الصحف العربية اه من هامش الاصل

رحلة الحجاز

٣

✽ باخرتنا الحجاج - المنصورة والنجيلة ✽

استأجرت الحكومة للحجاج باخري (المنصورة والنجيلة) وهما من أقدم سفن شركة البواخر الخديوية — وأما الحمل المصري فقد حمل مع أميره وعسكره على سفينة جربية إنكليزية — ولما كنا آخر من جاء السويس من الحجاج علمنا من أصدقائنا الموظفين في هذا الشأن ان المنصورة أسرع الباخرتين وأنه لم يبق في الدرجة الأولى منها موضع لي والسيدتين لأن وفد العلماء المرسل الى الحج على نفقة سلطان مصر المعظم قد ركب المنصورة قبل مجيئنا وتسابق اليها الناس وقد يوجد فيها موضع واحد لي ، وان النجيلة تفضل المنصورة بأنها أقل منها نودانا وأنه يمكن أن نجد في الدرجة الأولى منها بيتا أو محطتا (قره) خاصا بنا. فنزلنا فيها مع رفيقينا في يوم الاحد لأربع بقين من ذي القعدة ، وقد علمنا بعد سفرها أنها أبداً بواخر الدنيا سيرا قبل لنا أنها تقطع ثمانية أميال في الساعة ولعلها لا تم الستة الا بالجهد ، وهي قديمة وسخة ليس فيها ضوء كهربائي ولا أجراس ولا مقاعد للاستراحة الا كراسي المائدة في الدرجة الأولى، ولكن المخدم الذي خصص لنا فيها واسع جدا قلما يوجد في البواخر الكبيرة مثله في سمته وهو معد لنوم ستة أو سبعة ، وفيه عدة نوافذ. ثم أن ربانها سالم أفندي البدن من أحسن الناس أخلاقا وعناية بالحجاج ، وهو من أقدم المستخدمين بهذه البواخر وقد حج مرارا ، وطيبها مذهب حسن المعاشرة وهو طلياني يتكلم بالعربية العامية بطلاقة ولهجته فيها سورية ، فنشكر لهذين الرئيسين في الباخرة حسن عشرتهما وعنايتهما بنا خاصة وبإسائر الحجاج أيضا ، ولا نبخس خدام الباخرة حقهم من الثناء على حسن خدمتهم . ولعل باخرتنا كانت تفضل المنصورة فيما عدا سرعة السير. وقد زارنا في الباخرة قبل سفرها محافظ السويس ثم صار الى المنصورة لزيارة وفد العلماء السلطاني فيها

(حجاج باخرتنا النجيلة)

وأنسا في الباخرة بصحبة كثير من ركاب الدرجتين الاولى والثانية ومحمدنا صحتهم وعشرتهم وأخص بالذكر منهم علما من أكبر علماء القطر المصري وأديبا من أفضل أدبائه . أما العالم فهو الاستاذ الشيخ عبد الفتاح الجمل شيخ علماء بور سعيد وقد كنت أسمع له ذكرا حسنا فرأيتنه فوق ما كنت أسمع علما وفضلا وهديا وأديبا وانصافا في المذاكرة واستقلا في الفهم ، وله مشاركة حسنة في التاريخ والادب ومعرفة أحوال العصر ، ولعله يتدر وجود مثله في علماء مصر . وأما الاديب فهو محمد توفيق علي (اليوزباشي) في الجيش المصري ، وهو يفضل من نعرف من أدباء مصر وضباطها في الاخلاق الدينية والمحافظة على العبادات ، وكثرة النظم في ذم الفواحش والمنكرات . وقد كان معه والدته وهي امرأة تقية زكية الفطرة واتفق ان كان لخصمه ملاصقا لخصمه فكانت الدني وشقيقتي تأسان بالمأما بهما وصحبتهما لها وهي أقل منهما دوارا ، واكثر على مشقة البحر اضطبارا ، وقد حجت قبل هذه المرة . وكذلك كنت أنا أكس به ، فقد كنا أكثر الرفاق نلازما قلما ففترق الا في وقت النوم ، وكان أكثر حديثنا وسمرنا أول الصعبة في الشعر والادب وأقلها في المسائل الدينية والعلمية والشؤون الاجتماعية ، الا اذا حضر المجلس الاستاذ الجمل فان الحديث يكون بعكس ذلك ، كما كان في أواخر العهد بالصعبة

وقد وزعت بعض نسخ المناسك على حجاج الباخرة قبل أن أقرأها وأصحح أغلاطها وبعضها بعد ذلك ، ولما علم الناس أنها بغير من كثير الطلب لها حتى من الاميين فصرت أشترط على من يأخذها من القارئ ان يقرأها لمن يجاوره من الرفاق الاميين ، وكان انتشارها في المركب سببا لكثرة اختلاف الحجاج اليها للسؤال عن أحكام المناسك ولا سيما واجبات الاحرام

كان سفرنا من مصر في أول الميزان وقد بدأ هواء الخريف المعتدل يطرد هواء الصيف الحار ويجلبه عن أفق مصر ، وكان ما كان يرحل منه عن مصر يذهب الى الحجاز ليحل محل هواء صيفه الذي هو أشد منه حرارة ، لذلك كنا كلما أوفلنا في الجنوب نشعر بأن جونا يرجع بنا القهقري الى الصيف فكان عامة من في السفينة لا

يكادون يبرحون ظهورها الا الى حاجة غير النوم اذ كان جميع ركاب الدرجة الثالثة ينامون على الظهر وكذلك بعض ركاب الدرجة الثانية، وكان جل ركاب الدرجة الثالثة من أدنى طبقات المصريين قد دهمهم الى الحج دعا ما كان من عناية الحكومة ببعث حجاج يعجبون وحملها الاغنياء على مساعدة الفقراء على الحج بالمال، فوق ما كان من تسهيل مآثر الاسباب، فكان أكثرهم يقطعون أوصال الليل باللهو واللعب، والغناء والطرب، ومنه ما يسمونه في اصطلاح أهل الطرق بالذكر، وهو ان يقف جماعة يتنون ويرقصون ويصيحون بأصوات منكرة: **الله الله، أو: هو هو، أوحى حى، على صوت من يغنيهم بعض الاغاني الحديثة أو الاشعار القديمة، فيكونون بذلك من الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا، وأقبح الله وأنكره وأقربه من غضب الله وأبعده عن مرضاته ما جعل دينه، فهو لا الدين يسمون أنفسهم ذاكرين لله** يظنون أنهم خير من الذين يتفنون ببعض الاغاني لاجل التسلي عن فراق الاهل والولد مثلا، وما ذلك الله الذي سموه ذكرا الامعصية، وما هذا الله الا ظنوه حراما أو مكروها الامباح، ولهم في ذكرهم هذا شر مكانا ممن قال فيهم بعض العلماء

قال الله حين عبدتموه **كلوا أكل البهائم** وارقصوا لي

وكذلك هم هاذون الذكر مع الغفلة أو التمية الذي قال فيه الشيخ محيي الدين ابن العربي
بذكر الله تزداد الذنوب وتنطمس البصائر والقلوب

ومن مظاهر الدين الباطلة في هؤلاء العوام ما كان يمثله رجل منهم شر تمثيل: كنا نسمع كل ليلة صوتا منكرا أجش ينادي به صاحبه السيد البدوي بألقابه المشهورة في هذه البلاد، ويكثر من ذلك ويلج فيه بعد نوم الناس، مستغلا على ظهر السفينة من مكان الى مكان، وكثيرا ما كان يقف بالقرب من بعض نوافذ مخدعنا فيزعج السيدتين وينقص عليهما نومهما، ولما تكرر ذلك منه بمخائنه فاذا هو يزى أهل الطريق المتصنعين الذين يرامون الناس بلحاحم وثيابهم وحركاتهم وأصواتهم، فقلطنا في وعظه واقناعه بترك ذلك الصباح ولكنه أقل منه ولم يتركه البتة.

هذا وانما لما حاذينا رايغ آذن ربان السفينة الحجاج يبلوغ ميقات الاحرام فطلقوا يهرمون، واننا نرجى الكلام على الاحرام الآن لندكره في هذه الرحلة مع

غيره من أعمال المناسك متصلا بعضها ببعض ، ونسترسل في وصف السفر فنقول :
 ﴿ الوصول الى جده ﴾

وصلت المنصورة الى ثغر جدة ضحوة يوم الاربعاء وهو التاسع والعشرون من ذي القعدة ولم يلبث ركابها أن نزلوا منها ، وأما باخرتنا النجيلة فوصلت عشاء ليلة الخميس فلم تستطع التقدم الى موقف البواخر من الميناء لكثرة الصخور الحفية هنالك فأرست في مكان بعيد عنه ، وأما دخلت الميناء وأرست فيه ضحوة يوم الخميس فكان تأخر ركابها عن ركاب أختها ٢٤ ساعة ، والسفن تُرسى على بعد شاسع من البر في ذلك الثغر لرقعة الماء وكثرة الصخور ، فلما رأت الوالدة والشقيقة ذلك عراها الغم لأن الدوار يشتد عليهما في الزوارق الصغيرة ذات الشرع أو المجاذيف ويؤلمها طول المسافة فيها ، وخافتا أن لا تصلا الى البر الا بحالة لا ترضيهما ، ولكننا لم نكدر نستعد لنزول الا وكان صديقنا الكريم الشيخ محمد نصيف وكيل سيدنا الشريف الاعظم صاحب المجاز^(١) قد جاء الباخرة في زورق كهر بائي أو بخاري (لنش) مع جماعة من سرارة جدة وكبرائها لاجل استقبالها ، وقد أخبرونا بعد السلام انهم قد نزلوا أمس للزورق عنا في باخرة المنصورة ، ثم اتنا بعد استراحة الزائرين نزلنا وأنزلنا معنا في الزورق ما خف من متاعنا وصفر حجمه وأرسلنا ما بقي في مراكب النقل الشراعية - وكان الرفيقان الشيخ خالد ومحمد نجيب افندي قد نزلوا في بعضها - فسار بنا الزورق كالسهم فوصلنا بغاية الراحة ، ونزلنا ضيوفا مكرمين في دار صديقنا الكريم الشيخ محمد نصيف ، وهي دار فسيحة واسعة الحجرات كثيرة النوافذ ، تفيض عليها الشمس أشعتها من الشرق والغرب ، ويتخلل النسيم حجراتها من كل مهب ، فهي في الذروة من دور جدة ، وكان الهواء معتدلا في هذا الثغر ، لا يشتكى برد منه ولا حر ، وقد بلغني الصديق المضيف ، نعمة سيدنا الشريف ، رصدور أمره العالي اليه بالعناية بنا ، وكان قد بلغ الديوان الهاشمي العالي موعد وصولنا كما بلغه مندوبه بمصر خبر سفرنا بالبرق ثم بلغ مضيفنا بمكة خبر وصولنا بالمسرة (التلفون) وتكلمت به مع

(١) يعلم القراء ان هذا وقع قبل مبايعة اهل الحجاز الشريف بالملك ونشر الرحلة بعد المبايعة لانه تم استعمال لقب الملك فيما حكى فيها عما كان قبل ذلك

اخواننا محمري جريدة القبلة . وفي صبيحة اليوم التالي ورد على مضيقنا في البريد من المقام الهاشمي الاعلى رقعة شريفة هذا نصها :

نومرو ١٩٥

وكيل شرافة مكة المكرمة وامارتها بحجده

معتمدنا الاعز

كتابك رقم ٢٧ الجاري وصل وعلم مآله لاسيا من خصوص السيد رشيد رضا فقد أرسلنا قبله وبتاريخه كان قصدنا نشعلك بالاستعداد لمقابته بما يقتضي له من الحفاوة والمعلومية تحرر في ٢٩ ذي القعدة سنة ١٣٣٤ الشريف مكة وأميرها الحسين بن علي

لم نكد نستقر في الدار الا وأقبل الزائرون المهنتون يمدون علينا أفرادا وجاعات وفي مقدمتهم الشيخ مصطفى فهمي معاون نائب الحضرة الهاشمية في جده جاء بالاصالة عن نفسه وبالتبابة عن سيادة رئيسه الشريف محسن معتذرا عنه بالاشتغال بشؤون الحمل المصري . وقد تذكرنا فتذكرنا بعد التحية والسلام ، فيما كان من تلاقينا أول مرة منذ بضعة أعوام ، ذلك انني زرت سورية عقب اعلان الدستور العثماني سنة ١٣٢٧ فأقمت فيها أشهر ثم عدت الى مصر على سفينة فرنسية من شركة المساجري واتفق ان كان في هذه السفينة مصطفى بك فهمي هذا قاصدا بور سعيد للسفر منها الى الحجاز فأرى اسمي بين ركاب الدرجة الاولى ولم يرني على مائدتها ولا على ظهرها مع الركاب لاتي أصبت بدوار خفيف زمت لاجله مخدعي ولم يكن معي أحد فيه ، فسأل عني فدل علي فالتقينا وتعارفنا ، قال لي إن سيادة أمير مكة الجديد سيدنا الشريف حسين طلبي لأكون كاتب السر له — وكان موظفا بولاية حلب في عمل لا أذكره الآن — وانني لما علمت بوجودك هنا رغبت في لقائك واغتنام الفرصة في الاستفادة من رأيك فيما ينبغي لبلاد الحجاز من الإصلاح في عهد الدستور فان أميره الجديد لا بد ان يوجه همهته الى إصلاح عظيم في هذه البلاد المقدسة وأنت أولى من يستنار برأيه في هذا الامر ... فذكرت له ما خطر في بالي في ذلك الوقت القصير من وسائل حفظ الأمن ونشر العلم وإصلاح حال البدو وسكة الحديد الحجازية ، وتواعدنا على المسكينة في كل ما يتجدد من الشؤون بتجدد الاعمال ،

وقد بدأ بالوفا، بوعده بعد وصوله الى مكة المكرمة بمدة وجيزة فكتب الي كتابا ذكر فيه انه عرض ماسمعه مني من الآراء على سيد الجميع فضادف القبول والارتياح ، وقد أجبته بما اقتضته الحال ، وكان من غرائب عهد الدستور انني أرسلت اليه كتابا مسجلا فيه كلام يتعلق بخدمة الدولة وتمكين سيادتها في البلاد العربية فأعيد الي هذا الكتاب ولم توصله اليه ادارة البريد التركية ولا يزال عندي وقد وعدته باطلاعه عليه عند ما التقينا في جده لأنه كان في أوراقى ولكن لم يتيسر لي اخراجه في ذلك الوقت

أقنا في جده من ضحوة يوم الخميس الى أصل يوم السبت ولم أخرج من الدار في هذه المدة الا الى صلاة الجمعة في أقرب المساجد اليها، وقد سمعنا خطيب المسجد يدعو للسultan محمد رشاد في خطبته كالعادة. ولم أرد الزيارة لأحد لان الزائرين كانوا لا يكادون يفارقوننا الا وقت النوم ، وكان جل حديثنا معهم في المسائل الدينية والعلمية ، والعبرة الاجتماعية والساسية ، وانما اختلست منهم ساعات متفرقة كتبت فيها نبذة من التفسير المنار ومكتوبات أرسلتها الى مصر

كنت أتمنى لو ملكت وقتا أرد فيه الزيارة للزائرين الكرام فلما غلبت على الوقت قلت لملي أملك بعد العودة من مكة المكرمة ما لا أملكه الآن ، ولكن وقت العودة كان أضيق كما يعلم في محله، ولذلك طلبنا من صديقنا ان يكتب الينا أسماءهم لنؤدي لهم الشكر بالكتابة ، جزاء ما استحقوه علينا من الزيارة ، فكتب الينا زهاء ثلاثين منهم وهم الذين تذكركم فن أهل العلم منهم الاساتذة الشيخ محمد حسين ابراهيم والشيخ أحمد الزهره والشيخ أحمد طه رضوان والشيخ اسحق بن حسن العباسي والشيخ محمد سعيد دردير خطيب مسجد عكاش ،

ومن رجال الحكومة عدا من ذكرنا مدير الشرطة مساعد الياباني ومدير الصحة الدكتور امين معلوف وقائد حامية الثغر عبد الرؤف عبد الهادي ورئيس كتاب الحجر الصحي رشيد باغمار ومحمد راغب الصنعاني من الكتاب ، وحسين ملوخة مأمور نقل البريد ، وكل هؤلاء يطلق عليهم لقب الشيخ للتكريم، وقد أعجبني من الدكتور معلوف وعبد الرؤف ومساعد زهم العربي فكانوا به أبهج في عيني منهم في زهم الافرنجي التركي

ومن كبراء الوجوه والتجار في الثغر الشيخ سليمان قابل رئيس البلدية والمشايخ
زينل علي رضا وعبد الله علي رضا ومحمود زاهد ومصطفى درويش عبد ربه ومحمد بن
احمد الهراز ومحمد باحفظ الله وعبد الله الحمد الفضل ومحمد العبد الرحمن الفضل
ومن أصحاب الحرف وكلاء الاعمال المشايخ حمزة جلال قتيب وكلاء المطوفين
وحسين مجبري من المطوفين وبكر وخيس وسليمان عزابه من وكلاء المطوفين ومحمد
سعيد كيال شيخ السامرة وعبد الرحمن فائق من كتاب شركة البواخر العمانية
فتشكر لهؤلاء ولسائر من تفضلوا بزيارتنا (كالشيخ عبد الرؤف الصبان من طلبة دار
العلوم المصرية وقد فاتنا ذكره مع علماء جدة) مودتهم وفضلهم، وقد علوا ما حال دون
ما كنا نبغي من زيارتهم، وان التقصير من الزمن لامتنا والمذر عند كرام الناس مقبول
(عبرة للمعتبرين * وجناية المفسدين على المصلحين)

أظهر لي صديقي المضيف سروره وارتياحه لرؤيته إياي ثوبي الاحرام (الازار والرداء)
وقد أثار عجبني وحزني أنه ظن أن من المحتمل أن أترخص بترك لباس الاحرام اعتمادا
على الغدبة. وقال لي لو رأيتك لا بسا ثياب الحل لعزمت عليك أن لا تنزل جدة الا
لباس الاحرام، لئلا يظن بعض الناس أنك من قبيل هؤلاء المتهاونين الذين يجيئون
هذه البلاد غير محرمين بحج ولا عمرة، وذكر لي شيئا يسيرا مما علمته بعد ذلك تفصيلا
من حال بعض الشبان الذين جاؤا الحجاز ودخلوا مكة المكرمة ففسها، وكأنهم لا يعرفون
شيئا من مكاتها، ولا حق بيت الله وشعائره فيها، فدخلوها غير محرمين، ومروا ببيت الله
تعالى غير طائفين ولا مصليين، وترددوا بين الصفا والمروة غير ساعين ولا مرملين، فكانوا
مضغة في أفواه الحجازيين، ومثالا مشوها لشبان المدينة المصريين، وحجة قاطعة
لأسنة الذين يلغطون منهم بتكفير الانحاديين، لانهم يساؤونهم في ضاللتهم، وهمهم
لشعائرتهم، ولكنهم يقصرون عنهم في الفيرة والاخلاص لا متهم، والتفاني بخدمة
دولتهم، وبذل النفس والفئس في احياء جنسيتهم

لقد احزنتني وامضني وساءني وآسفني ما قاله هذا الصديق الذي أعتقد أنه مأجبي
في الله تعالى الا لاجل اعتصامي بديني وغيثي عليه، ودعوتي الى احياء كتابه وسنته.
وقلت في نفسي يا سبعا الله! اذا كان مثل هذا الحب الحسن الاعتقاد قد بلغ
(الجلد التاسع عشر) (٧٢) (المنار: ج ٩)

سوء تأثير بعض أولئك الشبان في نفسه أن تصور ذهنه في مثلي جواز دخول جدة بغير ثياب الاحرام ولو على سبيل الرخصة ، والقيام بما يجب بدل ذلك من الفدية ، فكيف يكون رأيه واعتقاده فيمن لا يعرف لأحد منهم حظا من علم أو عمل ، ولا يحفظ لأحد منهم في قلبه بعض ما يحفظ لي من الظن الحسن ؟

وقلت له محاولا كتمان اسفي ومكابرة امتعاضي: لو كان هذا اللباس (لباس الاحرام) مستحبا لا واجبا لما تركته نهائيا ولا إيثارا لما في اللباس المعتاد من الحشمة أو الزينة أو الرفاهة ، وأنا أرجو أن أكون من أعلم الناس بفوائده وأحصرهم على إدراكها بالعمل ، ولو تركته لما استطعت أنت ولا أحد من الناس أن يقنعني بإتيانه ، لأنني لا أتتركه — لو تركته — إلا لعذر شرعي ملعي ، كأن اعتقد أنه يضر بصحتي ضررا يجعل الواجب محظورا ، وأكون بلبسه عاصيا لله تعالى لا طائعا ، وأما نظر الناس فلا أبالي به في أمر الدين ، وأعوذ بالله أن أكون من المرائين ، بل تعودت — والله الفضل والمنة — أن لا أتصنع للناس ولا أدهن لهم ولا أتحري مدحهم ولا أخاف انتقادهم في المصالح الدنيوية والأمور العادية بحيث يحماني ذلك على ترك شيء أراه حقا أو مصلحة أو فعل شيء أراه باطلا أو مفسدا ، وأقول مستطردا إنه قد عداني كثير من الناس في هذا الطلاق وأذوني لأجله ولم أؤذ أحدا منهم ، وأرى أنني غير منبؤون معهم ، وأن هذا الطلاق خبر لي من مودتهم ، ولا سيما من أعرف منهم سوء النية ، وفساد الطوية ، ولكن يسوءني أنه لا بد أن يوجد في أمثال هؤلاء من هو حسن النية يُخدع بالشبهة أو يقلد غيره فيما لأعلم له به ، وأنه يفسد المشور على هؤلاء والتناصف معهم باقتناع كلامنا بحسن نية الآخر وإخلاصه ، ورجوع الخطي إلى رأي المصيب أن ظهر صوابه ، وعذره إياه فيما لم يظهر له . ولم أذكر هذا التفصيل كله للصديق وإنما خطر في بالي عند الكتابة أن يراه مفيد لأن مثله يقع لكل صادق مستمسك بعروة الحق لا يجاني ولا يدهن الناس فيه .

ومن دقائق هذا البحث أن الإنسان كثيرا ما تنفسه نفسه وتخدعه بتسمية العجب والكبر والاصرار على الهوى اعتصاما بالحق وصلابة فيه وقلة اكترات بالمبطلين ، فيبني للمخلص في اعتقاد نفسه أن يمتحن نفسه ويناقشها الحساب فيما يعاب به وينتقد منه ، وهذا أمر عسير غير يسير ، إذ يقل في الناس من يبلغ من يحب ما ينتقده

هو أو غيره عليه ويطلعه على عيوب نفسه ، كما يقل فيهم من يسلم من غيبة صديقه .
واكثر ما يبلغ الناس من الانتقاد عليهم ، وانتقاصهم ، ما ينقل اليهم عن خصوصهم واعدائهم ،
وقل من ينظر في مثل هذا نظر الروية والانصاف فيستفيد منه ، وإنما يستحوذ على
الاكثرين عند سماعه ثوران الغضب وخواطر الدفاع أو الانتقام ، واحد الله تعالى
أن وقتني في ريعان الشباب واثائل العهد بالرشد الى حمل اصدقائي على ارشادي الى
عيوبي ومكاشفتي بما يروونه أو يسمعون من الانتقاد علي ، ولا ازال أسأل عن ذلك
من أتوسم فيه النصح وإن كان اصغر مني سناً واقل تجربة ومعرفته ، وأني لاجوج الى
نصيحة واحدة استعين بها على اصلاح نفسي ، من سبعين مسألة استعين بها على
إصلاح غيري . وقد توجد هذه النصيحة عند عامي يزيد ما عندي من العلم والاختبار
على ما عنده . منهما سبعين ضعفاً ، فيكون أعلم مني بما أنا اجوج اليه مما أفضله به
وأما ما اكتبه فأنني أطالب الناس بالانتقاد على ما يروونه منه خطأ أو باطلاً ،
أطالبهم بذلك كتابة بما نشره في المنار كل عام ، وكل ما يكتب الي من ذلك أنشره في
المنار على حسب الوعد الذي أعد به عند طلب الانتقاد ، فإن تعمدت اغفال شيء —
وذلك نادرجداً — فانما أغفله لتكريم غيري ، لا لإخفاء عيبي ، ولا اذكر من ذلك
الآن الا رسالة ارسلها الي صديق مخلص من اشهر علماء الاقطار هفا فيها نوات نزري
بقدره لو نشرت وتهدت وإن تلتف الناقد جهد الطاقة ، وبالغ في الادب حتى بلغ
حد الاستطاعة ، قرأيت من الوفاء له ان ارجعه فيها ، واستأذنه بنشرها بعد التنبيه
لما فيها ، فلم يأذن . من أجل هذا أعتقد كما يعتقد جمهور قراء المنار أن آية الاخلاص
في انتقاد ما ينشر فيه ان يكتب ويرسل اليه ، لأن يقال أو يفسر في غيره من الصحف ،
فإن نشر النقد في المنار نفسه هو الوسيلة لتمحيص الحقيقة عند من اطعموا على الكلام
المنتقد فيه ، وأما فائدة الانتقاد عند المحلص فيه بيان الحق والصواب لمن ينتقد عليه
باطله أو خطئه ، ولئن اطعم على ذلك وخشي أن قد يكون قد ضل به وهم قراء كلامه ،
وأما انتقاد ذلك في بعض البيوت أو الأندية أو الصحف التي لا يطلع أكثر قرائها
على ما يدعي المنتقد انه باطل وضلال فهو إذاعة للباطل ضارة لا يحمل عليها الا هوى
النفس ، وذلك من شأن المرائين المفسدين ، لا من شأن الصادقين المصلحين ،

وقد ذكرني ماقاله الشيخ محمد نصيف في مسألة الاحرام والسبب الحامل له على هذا القول ما انبأني به اخي في الله عز وجل العلامة الشيخ محمد مكي بن عزوز التونسي في الاستانة سنة ١٣٢٨ قال رحمه الله تعالى ما حاصله : كتب الي أحد اخواني من علماء تونس بعد العلم بتلاقينا هنا : اننا نعرف قيمة السيد محمد رشيد رضا العلمية ومقاصده الاصلاحية من مثاره ... ولكننا نرى بعض الذين يلججون بطلب الاصلاح حتى الديني منه لا تنطبق أعمالهم على اقوالهم فهم لا يؤدون فرائض الدين ولا يقيمون أركانه فضلا عما دونها من آدابها واحكامها ، فكيف رأيت صاحب المنار بعد المعاشرة والاختبار؟ قال فكثرت اليه بعض ما رأيت ومنه ان زيارته الاولى لي في داري كانت بعد العصر فصلى صلاة العصر عندي وكنت قد صليتها قبل قدومه منفردا فأعدها مقتديا به ، فلم أر صلاة أكل انطباقا على السنة من صلاته . وزرته مرة مع بعض الاخوان فقدم لنا الشاي ولم يشرب معنا لانه كان صائما . الخ

أليس من آية ضعف الدين ، وابتلاء الصادقين بالمناقين ، وغمة الامر على المؤمنين ، ما دار من المكاتبة بين العالمين التونسيين في الصلاة والصيام ، ومن الحديث بيني وبين محمد نصيف في مسألة لباس الاحرام ؟ بلى واتي تذكرت في هذه الملاحظة مسألة اخرى من هذا القبيل اذكرها تماما للمبرة

دخلت مرة على الشيخ علي يوسف صاحب جريدة المؤيد في نهار رمضان فرأيت عنده ابراهيم بك المويلحي جالسا يدخن بلفيفة من التبغ (سيكارة) فذكر المنار ومنع الحكومة الحميدية اياه من دخول البلاد العثمانية فجعل المويلحي يرميها بالجلل ويقسم ان المنار خير لهما من فليق من العسكريين من خدمة الدين الذي لا تنهض الامة بدونه ، وأظن في مدح الدين وتأثيره في الاصلاح وعدم الرجاء في نهضة المسلمين بدون ما يدعوا اليه المنار من الاصلاح الديني . علم بهذه الواقعة ابراهيم بك الهلباوي فاشار اليها في مقالة ارسلها الى المؤيد من أوربة يذكر فيها بعض عبر السفر مستطردا الى العبارة بها على سبيل التشبيه والمثل ، قال في وصف رجل — على ما أذكر — : كذلك الرجل الذي كان يكلم صاحب المنار في مدح الدين ... في شهر رمضان ولفيفة التبغ بيده يدخن بها . — او ما هذا مؤداه — فهم بعض الناس من عبارته ان الذي كان يدخن هو صاحب المنار المخاطب لا المتكلم

الذي يخاطبه، وان كان المتبادر من العبارة العكس وهو الذي يجري عليه الكتاب عادة في مثل هذه المسألة، اعني أنهم لا يصرحون باسم من ينتقدونه في مقام الاعتبار، فاذا صرح احدهم باسم المنتقد عليه أو بوصفه بما يعرف به لهوى له وقصد الى ذمه، لاتواتيه الجرائد المعتمدة (كالاويد) ولا تنشر ذلك له، فلوان صاحب المؤيد فهم من العبارة ما فهمه بعض الناس او خطر في باله انه قد يفهم منها ذلك لتصرف فيها بما يحول دون هذا الفهم بلغني وبلغ صاحب المؤيد رحمه الله ذلك في وقته فلم يحفل به، وقال هو ان هذا الفهم لا يخطر الا ببال بعض العوام، وهو لا يؤثر أدنى تأثير في سمعة صاحب المنار حتى عند من لا يعرف مكانته من هداية الدين، واذا كتب شيء لا يوضح الحقيقة ربما كان سببا للقل والال. ثم هللنا ان هذا الفهم قد سبق الى اذهان بعض الناس في نائي الاقطار: جاءني يوما برقية من بمباي النهر الهندي المشهور من محمد باشا عبد الوهاب شيخ دارين أحد شعور نجد الجنوبية يقول فيه انه مسافر الى السويس في باخرة كذا بقصد الحج، فلما كان موعد وصول الباخرة رأيت من المروءة أن أذهب الى السويس لقائه وان لم أكن أعرفه أو أعرف عنه شيئا من قبل، فوافيته فيها وكان معه جمهور من العرب ومسلمي الهند جاء بهم ليعرجوا على فقته. فقدمنا فانفتحت التبغ (السكاير) على حسب العادة فاعتذرت، فمضوا على النارجيلة (الشيشة) فاعتذرت أيضا. فسألت الباشا عن السبب فقلت اني أكره هذا الدخان وقد حفظني الله تعالى من اعتياد التدخين في الصغر، فلا أتكلفه بعد العلم بضرره في الكبر، فقال إذا أنت لم تدخن في حياتك قط، قلت الامر كما ذكرت، فانفتحت الى أصحابه وذكرهم بما دار من الخلاف في عبارة الهلباوي وكيف ظهر ان الصواب ما قاله من نزه صاحب المنار عن ان يكون هو المفطر في رمضان. على ان المسألة مسألة مجاهرة بالمفطر، وهي أفحش من الفطر في السر، لما فيها من سوء القدوة، وانتهاك الحرمه.

بعد هذا الاستطراد الطويل أقول ان بعض شباننا الذين أنفست المدارس التركية أو الافرنجية عقائدهم، وشوهت حرية الكفر والفسق أخلاقهم وآدابهم، ولم يكن لديهم من التجربة والخبر، ولا من حكم العقل وصحة الفكر، ما يفرقون به بين الحجاز وبين الامتانة ومهر، لم يقفوا عند حد ترك الاحرام، قبل دخول

البلد الحرام ، وترك الطواف والصلاة والصيام ، بل تجرأ أحدهم على التصريح بالافتراض على القرآن ، وتجرأ آخر على الطعن في بعض الخلفاء الراشدين ، بل على ما هو أكبر من ذلك من الضلال المبين ،

من أجل هذا صار بعض الحجازيين يسمي "الظن" بجميع أفراد هذه النابتة الجديدة وبعضهم يجعل سيرة هؤلاء الغاوين "حجة" حتى على من ظهرت عدالتهم من الوافدين ، أما طبيعة الحرم بل طبيعة جزيرة العرب ، فلا تطبق الصبر الطويل على إلحاد الملحدين ، ولا على توسيد الأعمال إلى الفساق المجاهرين ، زأما ماعدا الجزيرة من البلاد العربية فستعذو نابتها حذو النابتة التركية ، وإن فيها من يود تقليد جمعية الاتحاد ، في السياسة والعصبيّة والاتحاد ، ولكن آمالهم أدنى من آمالهم ، وآمالهم شر من آمالهم ، فأنهم لا يرجون أن يكون لهم دولة كالدولة العثمانية يغلبون على أمرها ، ويسترون بقوة ماله وقوة جندها ، وسيظهر حالهم ومقصدهم ، وما يكون من تأثيره في بلادهم وأمتهم .

تقريظ المطبوعات الجديدة

كتاب الحرب الاوربية — أو فلسفتها —

لا أعرف أحدا من العامة ولا من الخاصة يصدق جميع ما ينشر في الجرائد من أخبار الحرب والسياسة ولا أكثره ، وإنما يصدق اناس ما يوافق عقولهم ، وآخرون ما يوافق أهواءهم . وأهل البصيرة يعلمون أن أصحاب الجرائد في بلادنا لا يعرفون جميع الحقائق التي يعرفها أصحاب الجرائد في أوروبا ، وأنه لا يباح هؤلاء ، ولا لا ذلك أن يفشروا كل ما عرفوا ، فإن ما ينشر في الجرائد في هذه الحال يراد به عند جميع الامم ما يترتب عليه من التأثير ، لا تمحيص الحقائق ولا تدوين التاريخ ، وإنما يرجى أن تدون الحقائق بعد الحرب بسنين ، بأقلام أركان الحرب وأحرار المؤرخين . وأجدر الناس بظهور الحقائق في كل زمن هم الحكماء ورجال الإصلاح الاجتماعي والتحقيق التاريخي ، وإذا قلت أن (خوستاف لوبون) هو أشهر حكماء الاجتماع وفلاسفة التاريخ في هذا العصر لا أكون مبالغاً ، فإنه قد اشتهر في الشرق كما اشتهر في الغرب بما تُرجم من كتبه الاجتماعية باللغات الشرقية ككتاب تطور الامم وكتاب

روح الاجتماع ، وبما كتبه في تاريخ أعظم أمم الشرق ، ككتاب حضارة العرب وكتاب حضارة الهند . وقد كتب كتابا في فلسفة هذه الحرب بين فيه مناقشة النفسية وأسبابها الخفية والجليّة ، وكيفية تولدها ونماها وبرهانها في كل أمة من الأمم المتقاتلة ، وكونها معاملة لعل خفية ما كان في استطاعة أحد أن يحول دون ترتبها عليها ، ولم تكن بارادة دولة من الدول ولا ملك من الملوك ، خلافاً لكثير من الذين ضلّوا في ذلك . ومن مباحث الكتاب بيان انقلاب الطرق الحربية والمواطن التي توقظ داعية الحرب ، وتأثير الاخلال النفسية والحربية فيها ، وإيقاظها للشعور الديني ، والطرق الحربية الألمانية وتأثيرها ، ونتائج الحرب المجهولة وهجمات الصلح ، وغير ذلك من الفوائد ، مستنبطاً مسائله وقواعده من الوثائق الرسمية ، وأبسط الاخبار بالثقة

مثل هذا الفيلسوف الكبير يكتب ما يعتقد ، وقد بدأ التمهيد الذي جعله مقدمة للكتاب بقوله : « ليس غرضي من هذا الكتاب درس حوادث الحرب الأوروبية وإنما الذي أرمي اليه استقصاء الظواهر النفسية التي أدت اليها والتي رافقتها منذ نشأتها ، فإن تدوين وقائعها بانصاف وإخلاص ليس بمسور لنا اليوم . وإن الاهواء لا تزال منسجمة على نفوسنا ، ولا يتسنى للأجيال التي تخلق التاريخ أن تدونه . ولا بد من فترة تمر بعد انتهاء المآسي البشرية حتى يتمكن الإنسان من اكتشاف سرها وإدراك حقيقتها ، فإن التاريخ لا ينصف إلا الموتى »

ومن أراد أن يستفيد من هذه الحرب علماً وفلسفة وعبرة وبصيرة فعليه بهذا الكتاب وهو قد ترجم بالعربية وطبع في مطبعة الهلال

﴿ كتاب ثورة العرب — مقدماتها وأسبابها ونتائجها ﴾

أنف هذا الكتاب عضو من أعضاء بعض الجمعيات العربية ، هو سوري أقام في الأستانة عدة سنين وفي مصر عدة سنين لا عمل له إلا الاشتغال بالسياسة ، والاقطاب التي تدور عليها مباحث الكتاب تنحصر فيما يأتي :

الحرب الأوروبية والشرقي . المسألة الشرقية وفروعها . المسألة العربية وأدوارها . العرب والتريك في الماضي . العرب والأتحماديون . تأليف الجمعيات العربية وأسبابه . المؤتمر العربي الأول ونتائجه . نيات الاتحاديين ومعداتهم والاتحماديون والاسلام

والعرب ، تقاوم الخطب ، انفجار البركان . المباهة بالملك على العرب . مستقبل العرب . ما من مسألة من مسائل هذا الكتاب الا ولدينا علم تفصيلي فيها . وقد قرأت نبذا متفرقة منه لاقف على مناج مؤلفه فيه ، فظهر لي مما قرأت وما أعلم من اخلاق المؤلف وآدابه أنه اجتهد ونحري الحق فيما كتبه بحسب ما وصل اليه علمه وفهمه مما رأى وروى ، وما سمع وقرأ . وما يئنه في كتابه أن أذكاء العرب قد ألجأتهم سيرة الاتحاديين وسيرهم بالدولة والاحداث التي حدثت في عهد دستورهم الى تأليف الجمعيات والاحزاب للمحافظة على مقومات أمنهم وترقيتها في عهد الدستور في ظل الدولة العثمانية مع الاخلاص لها والحرص على دوام الارتباط بها . وقد صدق .

تقلنا في هذا الجزء فصلا من فصول الكتاب وربما نقل عنه غيره ، وقد بلغت صفحاته ٢٤٦ صفحة من قطع المنار وتمن النسخة منه عشرة قروش صحيحة

﴿ المذابح في ارمينية ﴾

كتيب للشيوخ فائز الغصينيين فيه مآرأه بعينيه وسمعه بأذنيه من رجال الحكومة الاتحادية الطورانية وضباطها من حوادث وخبار الفتك بالارمن . والكتاب من أبناء رؤساء عشائر العرب في حوران تخرج في مكتب الدولة الملكي بالاستانة وانظم في سلك حكومتها الادارية ، وقد كان حظه من تشكيل حكومته بأمثاله من نجباء العرب النفي الى أرضروم ، ولكنه سمجن في ديار بكر بضعة اشهر وهي قطب الرحي لتلك الاحداث وفي طريقها رأى وروى مادونه في كتيبه من القطائع التي تقشع منها الجلود ، ثم تيسر له الفرار الى البصرة ثم الى الحجاز فصر وغرضه من الكتاب تبرئة الاسلام والمسلمين من قتل احد بغير حق ولا سجا النساء والاطفال وبيان ان تبعة مذابح الارمن في اعناق الحكومة الاتحادية دون سواها .

﴿ الكنز المفقود ﴾

قصة خيالية كتبت ببعض اللغات الانجليزية وترجمتها بالعربية الكاتبة المشهورة (ماري نجار) وغاية مؤلفها منها بيان شأن المرأة المهذبة وان جمال المرأة وقاءها وثروتها لانفي عنها شيئا اذلم تكن مقرونة بالتهذيب . ولذلك قدمتها المترجمة الى الصحف العربية التي يعنى أصحابها « برفع شأن المرأة ومساواتها بالرجل وتشجيعها على رفع صوتها والسماح لها لبشر أفكارها على صفحاتها » وصفحات القصة ٢٣٥ من القطع الصغير وتمن النسخة منها ٥ قروش .

المسحاة

١٣١٥

يقول الحكمة من بناء ومن يؤمن الحكمة فقد
أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الأبصار

قشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الأبصار

قال عليه الصلاة والسلام : إن الإسلام صوى و «منارا» كثار الطريق

٢٩ جمادى الآخرة ١٣٣٥ — ٥ المحل (را) ١٢٩٥ هـ ش ١٨ إبريل ١٩١٧

فَتَاوَى الْمَسْأَلَاتِ

ففتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، إذ لا يسع الناس عامة، ولشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف او يعبر بما شاء من الألفاظ ان شاء . وانا نذكر الاسئلة بالترتيب غالبا وربما قدمنا متأخراً لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه، وربما أجبنا غير مشترك لمشاكل هذا، ولن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا عذر صحيح لا غفاله

﴿ استدارة الزمان والنسبة في الحج ﴾

(س ٢١) من أحد قراء المنار من كبراء مكة المكرمة الذي أحبط به علم حضرة الفاضل الأستاذ أني استفسر عما رسخ بفكري عند تلاوة قوله تعالى (إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم ذلك لدين القيم فلا تظلموا فيمن أنفسكم) قال صلى الله عليه وسلم « ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان » قال أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني في فتح الباري بشرح صحيح البخاري : المراد بالزمان النسبة وقوله كهيئته أي استدار استدارة مثل حاله ... ولفظ الزمان يطلق على قليل الوقت

وكثيره والمراد باستدارته وقوع تاسع ذي الحجة في الوقت الذي حلت فيه الشمس
 برج الحمل حيث يستوي الليل والنهار ، فلا يخفى ان مفهوم منطوق الحديث الشريف
 استدارته يوم خلق الله السموات والأرض مع ما تضمنه شرح ابن حجر بقوله
 المراد باستدارته وقوع تاسع ذي الحجة في الوقت الذي حلت فيه الشمس برج الحمل
 حيث يستوي الليل والنهار ان وقت الوقوف بهرقة لا يكون الا في ذلك اليوم
 الذي تحل فيه الشمس برج الحمل لا يتقدم ولا يتأخر وإذا تقدم أو تأخر دخلت
 النسبة معنى اذا لاغروا ان وقت الوقوف من بعد ذلك اليوم لم يقع في ذلك الوقت
 لانه لا أقل من تأخر الوقوف كل عام عشرة ايام بحسب الفصول على حساب
 الاشهر الهلالية . فان قلتم هذا امر مقرر مشى عليه الصعابة والتأخير من بعده صلى
 الله عليه وسلم وهلم جرا الى الآن وعليه جاء في تفسير قوله تعالى (يستلونك من
 الالهة قل هي ميثاق للناس والحج) ان المعنى في الحج الاشهر الهلالية . قلنا
 حينئذ يترتب على هذا انه لا فائدة لما افهمه منطوق الحديث الشريف وهو لا ينطبق
 من الهوى ، ولا معنى لما شرحه ابن حجر في قوله في ذلك اليوم الذي حلت فيه
 الشمس برج الحمل . وهذا اذا كان السؤل في الآية الشريفة عن الهلال فقط وأما اذا
 جرينا على ان السؤل كان من جميع الالهة حيث دخلت الشمس في هذا الجمع
 فحينئذ السؤل قد توجه بلا اشتباه حيث ان ما ذكر من مفهوم الآية والحديث المتقدم
 ذكرهما يؤيدان المراد بقوله والحج أن ميثاق الحج الشمس حينما تحل في برج الحمل
 افقونا مأجورين أمين

(ج) ليس في منطوق الحديث الشريف ولا مفهومه أن استدارة الزمان هي
 وقوع تاسع ذي الحجة في أول يوم من برج الحمل ، ولا ذلك مطابق للواقع . وإنما
 أخذه الحافظ من قول بعض العلماء لا من حديث آخر فقد قال في شرح الحديث
 من كتاب بدء الخلق من الفتح : وزعم يوسف ابن عبد الملك في كتابه تفضيل
 الازمنة ان هذه المقالة صدرت من النبي (ص) في شهر مارس وهو آذار وهو برمهات
 بالقيطية وفيه يستوي الليل والنهار عند حلول الشمس في برج الحمل . اهـ ومنه يعلم
 انه ذكر هذا لبيان الواقع ، ولا أدري من ابن اخذ الحافظ ان تاسع ذي الحجة واقع

في تلك السنة دخول الشمس في برج الحمل فهو لم ينقل عن يوسف بن عبد الملك ذلك. والواقع ان أول ذي الحجة من تلك السنة وهي العاشرة كان يوم الخميس كما ثبت في كتب الحديث وهو بوافق ٢٧ فبراير وثاني برمهات ، وفي بعض كتب التقويم ان أوله الجمعة ٢٨ فبراير ٣ برمهات وعلى كل من الحسايين يكون دخول الشمس في برج الحمل بعد اليوم التاسع ، وهب انه كان فيه فما ذكرهم له الا بيان للواقع. وكل من موافقة وقوع لوقوف في أول يوم من برج الحمل وموافقة عام حجة الوداع لأول عام انتظم فيه حساب السنين في اثر تكوين السموات والارض بهذه الحالة لادخل له في فريضة الحج. على أننا ان سلمنا أن هذا المفهوم المنع في السؤال هو مفهوم الحديث نقول أنه مفهوم مخالفة اشتراط من يحتجون به ان لا يعارضه ما هو أقوى منه من منطوق أو مفهوم موافقة ، وهذا المفهوم يعارضه الكتاب والسنة اذ لو جعل الحج في فصل الربيع نابعا لحساب الشمسي لخرج من الاشهر الحرم المعلومات عند العرب بالتواتر من عهد ابراهيم واسماعيل اللذين فرض الله الحج على ألسنتهما وهو قوله تعالى (الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج) الخ وهن الاشهر المتواليات في حديث الاستدارة. وكانت حكمة جعل الحج في الاشهر الحرم ان يأمن الحجاج على انفسهم في ذهابهم الى مكة واياهم منها الى أوطانهم فلا يغير عليهم احد من الاعراب كعادتهم .

واما فائدة الحديث فهي تقرير إبطال النسبة ولوازمه . قال تعالى بعد الآية المذكورة في أول السؤال (٣٧ : ٩) إنما النسبة زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله) وهو ما جروا عليه من تأخير بعض الاشهر الحرم الى غيره أي استحلال الشهر الحرام نفسه وبحريم شهر آخر بدلا منه لما كانوا يرون من الحاجة الى الاغارة في الشهر الحرام . مثل ذلك انهم كانوا يؤخرون تحريم القتال في الحرم الذي يوردون فيه من الحج الى صفر ويعلنون ذلك في (منى) قبل انصرفهم من الحج ، واذا احتاجوا اخروا صفر الى ربيع وهلم جرا حتى استدار التحريم على شهور السنة كلها . وروي ان القلبي بن امية بن عوف نسباً لهم الشهور اربعين سنة فترتب على ذلك أنهم أحلوا جميع ما حرم الله وأخروا

الحج عن وقته الذي شرعه الله فيه حتى ان السنة التاسعة التي حج فيها أبو بكر بأمر النبي (ص) كان الوقوف فيها في شهر ذي القعدة كما قال مجاهد، وتلتها حجة الوداع فكان فيها الوقوف في ذي الحجة وهو الشهر الذي فرض الله الوقوف فيه . فكانت استدارة الزمان أن رجع حساب الحج الى أصله وحرم النسيء البتة فزال السبب الذي كان يتأخر فيه الحج من الأشهر المعلومات التي فرضه الله فيها . وإفاد الحديث أن هذا الحساب حقيقي صحيح في نفسه ليس فيه من خطأ النسيء شيء . وقد قرأت بعد كتابة ما ذكر ما كتبه الحافظ علي الحديث في تفسير سورة براءة فإذا به قد نقل هذا المعنى عن الخطابي

وأما ما ذكرتم من الفرق بين الهلال والالهة فلا نعلم له مأخذاً من اللغة ولا أصلاً من الرواية فالالهة جمع هلال وهو اسم للقمر عند ما يبدو في أول ليلة من الشهر الى ثلاث ليال وقيل الى سبع وفي الليلتين الأخيرتين أو الثلاث الأخيرة منه . فإذا كان هذا اللفظ لا يطلق مفرداً على الشمس فكيف تدخل الشمس في مفهوم جمعه ؟

﴿ تصحيح في تفسير هذا الجزء من المنار ﴾

بعد ان طبع تفسير هذا الجزء وأردنا طبعه على حدته أعدنا النظر فيه فرأينا فيه ما يحتاج الى التصحيح والتنقيح . وبما صححناه فيه ما يأتي :

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٥٨٧	٢٤	القياس الجلي	القياس
«	٢٥	أو السنة هو	أو السنة وما قطع فيه بنفي الفارق هو
«	«	الصحيح	الصحيح الذي لا وجه لاختلاف فيه
٥٩١	١	ونقله أعلم بالظالمين ^(١)	أليس الله بأعلم بالشاكرين
٥٩٦	١٠	عاقبتهم عنه	عاقبتهم عنده
٥٩٧	١١	من طردهم	عن طردهم

(١) سبب هذا الخطأ انه نقل عن كتاب الدر المنثور المطبوع بلا تأمل

ذِكْرُ الْمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ

٣

خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ مِنْ دَارِهِ إِلَى دَارِ أَبِي بَكْرٍ،
ثُمَّ خَرَجَا مُتَرَوِّدِينَ مِنْ خَوْخَةٍ ^(١) فِيهَا وَاسْتَحْفِيَا فِي النَّارِ الْمَعْرُوفِ بِغَارِ
تَوْرٍ ^(٢)، وَكَانَا قَدْ اسْتَأْجَرَا دَلِيلًا مَاهِرًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ لِيُرْجِلَ بِهِمَا،
وَأَعْطِيَاهُ رَاحِلَتَيْهِمَا وَأَمَّنَاهُ عَلَى سِرِّهِمَا ^(٣) وَوَعَدَاهُ غَارَ تَوْرٍ بَعْدَ ثَلَاثَ،
فَكُنَّ أَمْرَهُمَا وَوَأَفَاهُمَا فِي الْمَيْعَادِ، وَلَمَّا عَلِمَتْ فُرَيْشٌ مَخْرُوجَهُمَا،
خَرَجَتْ بِالْقَافَةِ فِي طَلِبِهِمَا ^(٤) حَتَّى إِذَا مَا أَنْتَهَوْا إِلَى بَابِ الْغَارِ، صَرَفَ
اللَّهُ عَنْهُ الْقُلُوبَ وَالْأَبْصَارَ، وَفِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ
لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى مَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرْنَا، فَقَالَ «يَا أَبَا بَكْرٍ
مَا ظَنُّكَ بِأَنْتَيْنِ اللَّهُ تَالِيَهُمَا؟ لَا نَحْزَنُ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا» وَلَمَّا كَانَ بَعْدَ
ثَلَاثَ جَاءَ الدَّلِيلُ فَرَجَلَ بِهِمَا، وَأَرْدَفَ أَبُو بَكْرٍ مَوْلَاهُ عَامِرَ بْنَ قُهَيْرَةَ
فَهَاجَرَ مَعَهُمَا، وَكَانَتْ نَارُ الطَّلَبِ قَدْ خَمِدَتْ عَنْهُمَا، وَجَعَلَ الْمُشْرِكُونَ

(*) تابع لما نشر في الجزء الثامن ص ٤٧٣

(١) الخوخة الكوة النافذة والباب الصغير في الباب الكبير

(٢) تور اسم جبل معروف من جبال مكة والغار لا يزال فيه الى اليوم

(٣) فيه من العيرة ما كان عند العرب من الامانة والصدق والوفاء

(٤) القافة جمع قائف وهو الذي يسرف الآثار فاذا رأى أثر الاقدام أو

الاخفاف أو الحوافر في الارض استدلل بها على عددها ووجهة سيرها

لِمَنْ جَاءَهُمْ بِهِمَا دِيَّةٌ كُلٌّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا ، وَقَدْ كَانَ مَا كَانَ مِنْ حِفْظِ
 اللَّهِ وَإِكْرَامِهِ لَهُمَا ،

وَلَمَّا بَلَغَ الْأَنْصَارَ خُرُوجَهُ ﷺ مِنْ مَكَّةَ ، كَانُوا يَخْرُجُونَ
 صَبِيحَةَ كُلِّ يَوْمٍ يَنْظُرُونَهُ فِي الْحَرَّةِ ، ^(١) وَلَا يَزْجُمُونَ إِلَى
 الدَّيَّارِ ، إِلَّا بَعْدَ أَنْ تَغْلِبَهُمُ الشَّمْسُ عَلَى الظَّلَالِ ، سَتَى وَأَقَاهُمْ
 قُبَاءٌ ^(٢) يَوْمَ الْأَثْنَيْنِ ثَامِينَ رَبِيعِ الْأَوَّلِ فَتَلَقَّوهُ بِالْإِكْرَامِ ، وَأَقَامَ فِيهَا
 مَدَّةَ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ ، وَكَانَ زَوْاهُ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ زَوْفٍ ، وَبَنَى فِيهَا
 مَسْجِدَهَا الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَدِينَةَ
 يَوْمَ الْجُمُعَةِ عِنْدَ دُخُولِ الشَّمْسِ فِي بُرْجِ الْمِيزَانِ ، وَهُوَ أَوَّلُ الْأَعْيَادِ
 الْخَرِيفِيِّ فِي الزَّمَانِ ، فَسَكَانَ ذَلِكَ رَمْزًا لِمَا فِي شَرِيعَتِهِ مِنَ الْأَعْيَادِ ،
 وَكَوْنِهَا آخِرَ الشَّرَائِعِ الْإِلَهِيَّةِ الَّتِي يَبْلُغُ بِهَا الدِّينُ غَايَةَ التَّكَامُلِ
 وَالْكَمَالِ ، وَقَدْ أَدْرَكَتُهُ الْجُمُعَةُ فِي بَنِي سَالِمِ بْنِ عَوْفٍ فَجَمَعَ بَيْنَهُمْ
 فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي فِي بَطْنِ الْوَادِ ، ثُمَّ رَكِبَ فَأَخَذُوا بِخِطَامِ نَاقَتِهِ :
 هَلُمَّ إِلَيْنَا الْمَدَدَ وَالْمُدَّةَ وَالْمَنْعَةَ وَالسَّلَاحَ ^(٣) ، فَقَالَ « سَلُّوا سَبِيلَكُمْ فَأُولَئِكَ
 مَأْمُورَةٌ » ، وَكُلَّمَا مَرَّتْ بِدَارٍ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ رَغِبُوا إِلَيْهِ فِي التَّزْوِلِ

(١) الحرة موضع بظاهر المدينة من جهة مكة فيه حجارة سود

(٢) أي عند ما يقرب وقت الظهر ويتخلص ظلال الجدر حتى كان الشمس
 تغالب المستظل بها عليها (٣) موضع بظاهر المدينة فيه قرية واصله اسم لغير كانت

هناك فهو مؤنث ممنوع من الصرف ويصرف ببنى الموضع ، ونقصر أيضا
 (٤) الخطام الحبل الذي يوضع في خيطام الراحة أي أنها نقاد به و : هلم

الطح حكاية لقولهم أي قائلين هلم أي أقبل وتعال الى قوتي الكثرة والاستعداد

عَلَيْهِمْ وَهُوَ يَقُولُ « دَعُوها فَاِنَّهُما اُمُورَةٌ » وَمَا زَالَتْ تَمُرُّ بِدَارٍ بَعْدَ دَارٍ ،
إِلَى أَنْ بَرَكْتَ فِي مَوْضِعٍ سَجَدَ بِهِ الْيَوْمَ مِنْ دُورِ أَخَوَالِي بَنِي النَّجَّارِ ^(١)
فَبَادَرَ أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ إِلَى رَحْلِهِ فَأَدْخَلَهُ فِي يَتْنِهِ ، فَجَعَلَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ « الْمَرْءُ مَعَ رَحْلِهِ » ؛ وَأَقَامَ فِي مَنْزِلِ أَبِي أَيُّوبَ
حَتَّى بَنَى حُجْرَتَهُ وَمَسْجِدَهُ ، وَاسْتَحْضَرَ فِي أَثْنائه ذَلِكَ أَهْلَ يَتْنِهِ مِنْ
مَكَّةَ الْمَكْرَمَةِ ^(٢) ، وَلَمْ يَفْرَحْ إِلَّا أَنْصَارُ بَشْيءٍ كَفَرِهِمْ بِقُدُومِهِ ﷺ ،
وَمِنْهُ عَوْدَتُهُ إِلَيْهِمْ بَعْدَ الْفَتْحِ الْأَعْظَمِ ^(٣) ، وَأَيُّ شَرَفٍ وَفَخْرٍ وَسَعَادَةٍ
فِي الْحَيَاةِ وَبَعْدَ الْمَمَاتِ ، أَعْظَمُ مِنْ هَذِهِ السَّعَادَةِ الَّتِي أَفْتَحَرِ بِهَا شَاعِرُهُمْ
بِيَدِهِ الْأَيَّاتُ :

تَوَى فِي قُرَيْشٍ بِضَمِّ شَرَّةٍ حِجَّةً يُذَكِّرُ لَوْ يَلْقَى حَبِيبًا مُوَاتِيًا ^(٤)
وَيَعْرِضُ فِي أَهْلِ الْمَوَائِمِ نَفْسَهُ فَلَمْ يَرَمَنْ يُوِي وَلَمْ يَرْدَاعِيًا ^(٥)

(١) هم قبيلة من الانصار وهم أخواله (ص) من جهة جده عبد المطلب فان
أمه سلمى بنت عمرو منهم (٢) أرسل (ص) زيد بن حارثة وأبا رافع وأعطاهما
بغير بن وخمسة درهم فاحضرا فاطمة وأم كلثوم ابنتيه وسودة بنت زمعة زوجة
التي تزوجها بعد خديجة وأسامة بن زيد وأمه أم أيمن. وأما بنته زينب فلم يكن لها
زوجها أبو الماص بن الربيع من الخوارج. وقد خرج مع هؤلاء عبد الله بن أبي
بكر بعيال أبي بكر ومنهم عائشة فقتلوا في بيت حارثة بن النعمان (٣) هوفج مكة
(٤) نوى أقام والحجبة بالكرم السنة والضح ما بين ٣ الى ٥ أي أقام ثلاث عشرة
سنة بككة يدكر ويغظ بالدعوة الى الله في أثنائها وانما دعا في عشر منها (٥) المواسم
بجمع الحجج. فلم ير من يؤويه أي يجعل له مأوى أي منزلا يامن فيه على نفسه ولم
ير داعيا الى ذلك أو الى الله بمساعدته ونصره

فَلَمَّا أَنَا وَأُسْتَقَرَّتْ بِهِ النَّوَى وَأَصْبَحَ مَسْرُورًا بِطَيْبَةِ رَاضِيَا^(١)
وَأَصْبَحَ لَا يَخْشَى ظَلَامَةَ ظَالِمٍ بَعِيدٍ وَلَا يَخْشَى مِنَ النَّاسِ بَاغِيَا^(٢)
بَذَلْنَا لَهُ الْأَمْوَالَ مِنْ حِلٍّ مَالِنَا وَأَنْفُسَنَا عِنْدَ الْوَعَى وَالنَّاسِيَا^(٣)

لِنَعَادِي الَّذِي عَادَى مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ
جَمِيعًا وَإِنْ كَانَ الْخَبِيبَ الْمَصَافِيَا^(٤)
وَنَلَّمَهُ أَنْفَ اللَّهِ لَا رَبَّ غَيْرُهُ وَأَنَّ كِتَابَ اللَّهِ أَصْبَحَ هَادِيَا^(٥)

المعروف وسيرته بعد الهجرة مع المؤمنين

وحاله مع أهل الكتاب والمشركين

كَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَكْرَمَ الْخُلُقِ أَخْلَاقًا، وَأَعْلَاهُمْ فَضَائِلَ وَأَدَابًا، امْتَنَزَ
بِذَلِكَ فِي عَهْدِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَكَيْفَ يُدْرِكُ كُنْهَهُ بَعْدَ النُّبُوَّةِ، وَقَدْ
خَاطَبَهُ الْعَرِيُّ الْعَلِيمُ، بِقَوْلِهِ (وَإِلَّا لَكَ لَعَلِي خُلُقٌ عَظِيمٌ)، كَانَ جَاءَهُمَا رَيْنُ
الْلُّطْفِ وَالْتِمَاضِ وَالِدَّمَائَةِ، وَبَيْنَ الْعِزَّةِ وَالْوَقَارِ وَالْعَلَاءَةِ، مَنْ رَأَاهُ

(١) النوى وجهة المسافر التي ينوم بها بسفره، وطيبة المدينة، ويروى البيت في سيرة ابن هشام هكذا: فلما أنا أظهر الله دينه فاصبح مسرورا بطيبة راضيا

(٢) الباغي المعتدي ويروى البيت هكذا

فاصبح لا يخشى من الناس واحدا قريبا ولا يخشى من الناس نائبا

(٣) الوعى الحرب والتآسي مثل التعازي ما يتسلى به المرء عن المكاره

(٤) أي نعادي الذي عاداه من جميع الناس وإن كان من قبل حبيبا لئلا يؤثر عليه أحدا

(٥) يروى هذا البيت بالفاظ أخرى في سيرة ابن هشام وفيها أيسات

أخرى أيضا

بديهة هابة، ومن خالطة معرفة أحبه^(١)، وجامعاً بين الرأفة والرحمة
والحياء، وبين الشجاعة والخزم والمضاء، فكان في حومة ألونجي
أثبت الناس، وكانوا يلوذون به إذا اشتد البأس^(٢)، حتى إنه ثبت
وحده في يوم أحد، وأكبنه لم يقتل بيده غير أبي بن خلف^(٣)، وإنما
كان يدفع عن نفسه وغيره دفاعاً، ويرشد المقاتلين بالتدبير
والثبوت إرشاداً، ولم يكن ينقم نفسه، ولا يجابي في الحق
عشيرة ولا أبناء جنسه، وكان على حمله ألوايسع، لا تأخذه في
الله لومة لائم، وكان أجود من الرّيح المرسلة، والسحب السهلة،
وكان أعظم الناس صبراً، وأحسنهم لله وللناس شكراً^(٤)، وكان

(١) البديهة الفجأة أي من رآه مفاجأة من غير سابق معرفة خافه أو وقره
واجه لما يتجلى في شأله من الروعة والهيبة، ومن خالطه أي عاشره خالطة معرفة
أحبه لحسن خلقه وكأله وأدابه وشدة رحمته وعنايته بأمر معاشه. وهذا الكلام من
وصف علي رضي الله عنه له صلى الله عليه وسلم (٢) البأس بالهمز ويخفف هنا
للتناسب وهو الشدة والمكروه والمراد هنا الحرب ونحوها من المكارة الشديدة
(٣) كان أبي من رموس المشركين وصناديدهم وكان يملف فرساً له بكّة اسمه العود
ويقول أقتل عليه محمداً فبلغ النبي «ص» خبره فقال «بل أنا أقتله إن شاء الله»
فلما كان يوم أحد ونسب المسلمون واتكفوا عن النبي «ص» أقبل أبي متعماً
بالحديد لا يرى من بدنه شيء وجعل يقول ابن هذا الذي يزعم أنه نبي فليبرز لي
فانه إن كان نبياً قتلني، فلما دنا من النبي «ص» أخذ النبي حربة من الحارث بن
الصمة فطعن بها طعنة جاءت في ترقوته من فرجة بين سابعة الدرع والبيضة التي
على الراس فسكر الخبيث منهزماً ومات من ذلك الجرح في طريقهم إلى مكة قيل
بسرف وقيل برايع (٤) قال «ص» «من لم يشكر الناس لم يشكر الله» رواه أحمد
والترمذي عن أبي سعيد

يُحِبُّ الْيُسْرَ وَيَأْمُرُ بِهِ، وَيَكْرَهُ الْعُسْرَ وَيَنْهَى عَنْهُ ^(١)، رِيَاءُ كُلِّ مَنِ
الطَّعَامِ مَا وَجَدَ، لَا يَأْتِي الْمُسْتَلَذَّ مِنْهُ نُسْكَاً، وَلَا يَتَحَرَّاهُ تَغَمُّاً وَزِفْكَاً،
وَلِكَيْفَ كَانَ يَمْتَنِّي بِأَمْرِ الْمَاءِ ^(٢)، وَيُحِبُّ الطَّيِّبَ وَالنَّسَاءَ، وَكَانَ
يُكْثِرُ الْوَصِيَّةَ بَيْنَ وَبَالِيَتَيْهِ وَالْأَرْفَاءِ، لِيَمْنَحُوهُ مِنْ أَنْفُسِ النَّاسِ
أَحْتِقَارَ الضَّعْفَاءِ،

كَانَ ﷺ يُرَبِّي الْمُؤْمِنِينَ بِالْقُرْآنِ، وَبِمَا آتَاهُ اللَّهُ مِنَ الْخُلُقِ
الْعَظِيمِ وَالْعِرْفَانِ، فَآخَى بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، حَتَّى إِذَا كَانُوا
يَتَفَقَّسُونَ الْمَالَ وَالْعَقَارَ، وَأَلَّفَ اللَّهُ بِهِ بَيْنَ نُلُوبِ الْأَوْسِ وَالْخَزَرَجِ
فَاصْبَحُوا بِنِعْمَتِهِ تَعَالَى إِخْوَاناً، وَكَانُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَعْدَاءً لَا يَأْتُوا
أَحَدُهُمَا الْآخَرَ بَنِيّاً وَعُدُوّاً، وَكَانَ يُشَاوِرُ أَصْحَابَهُ فِي الْأَمْرِ،
وَيَسَاوِي بَيْنَهُمْ فِي الْأَقْبَالِ وَالْبَشَرِ، وَيُؤَدُّ كِبَرَهُمْ وَيَرْحَمُ صَغِيرَهُمْ،
وَيُكْرِمُ فَقِيرَهُمْ، وَيَعُوذُ مَرِيضَهُمْ، وَيُشَيِّعُ مَيِّتَهُمْ، وَيَقْبَلُ هَدِيَّتَهُمْ،
وَيُجِيبُ دَعْوَتَهُمْ، وَيَكُونُ مَعَهُمْ كَأَحَدِهِمْ

فَأَمَّا الْيَهُودُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، الَّذِينَ كَانُوا فِي تِلْكَ الرَّحَابِ،
فَقَدْ وَادَعَهُمْ وَأَقْرَبَهُمْ دِينَ بَيْنَهُمْ، وَأَمَّنَّهُمْ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ،
عَلَى أَنْ لَا يَحَارِبُوهُ، وَلَا يَطَّاهِرُوا وَلَا يُوَالُوا ^(٣) عَدُوَّهُ عَلَيْهِ، وَأَنَّ لَهُمْ

(١) من وصاياه « يسروا ولا تعسروا ، وشرروا ولا تنفروا » رواه البخاري
ومسلم وغيرهما (٢) كان أحب الشراب إليه الخلو البارد كما في حديث عائشة في
الشامل وكان يستعذب له الماء من بيوت السقياء كما روى أبو داود والسقياء بالضم
عين على بعد يوم من المدينة أو أكثر (٣) أي لا يعاونوا ولا يناصرو

النَّصْرَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَيُنْفِقُونَ مَعَهُمْ مَا دَامُوا مُحَارِبِينَ، وَأَنْ لَهُمْ دِينَهُمْ
وَالْمَسَامِينَ دِينَهُمْ، سَوَاءٌ فِي ذَلِكَ مَوَالِيَهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ
مَا لَبِثُوا أَنْ تَقَضُّوا عَنْهُمْ، وَظَاهَرُوا عَلَيْهِ عَدُوَّهُ،

وَأَمَّا الْمُشْرِكُونَ فَأَشْتَدَّتْ خِدَاؤُهُمْ لَهُ، وَكَانُوا حَرْبًا لَهُ وَلَعَنَ
أَمَنَ بِهِ، فَلَمْ يَسْتَفْهَمُوا بِإِخْرَاجِهِ وَإِخْرَاجِهِمْ مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ،
وَمَا كَانَ مِنْ تَعْلِيْقِهِمْ لَهُمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَضَعْفَانِهِمْ وَلِسَانِهِمْ، لِأَجْلِ إِرْجَاعِهِمْ
عَنِ الْإِسْلَامِ، إِلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، حَتَّى صَارَ حُومُهُمْ
أَبْنَى وَالْعُدُونِ، فَلَمْ يَكُنْ لِلْمُسْلِمِ أَمَانٌ عَلَى نَفْسِهِ فِي مَكَانٍ، إِلَّا
أَنْ يَمْنَعَهُ أَحَدُ الْأَقْوَامِ، أَوْ يَصُدَّهُمْ عَنْهُ الشَّهْرُ الْحَرَامُ أَوْ الْمَسْجِدُ
الْحَرَامُ، عَلَى أَنَّ قُرَيْشًا صَدَّقَتْهُمْ عَنِ النَّبِيِّ، بَعْدَ أَنْ قَلَدُوا الْهِنْدِي
وَأَحْرَمُوا بِالْعُمْرَةِ سَنَةَ سِتٍّ^(١)، حَتَّى صَالَحَهُمْ ﷺ فِي الْحُدُودِ^(٢)،
— وَالْإِسْلَامُ عَلَى مَا صَارَ إِلَيْهِ مِنَ الْمَنَّةِ وَالْقُوَّةِ^(٣) —، عَلَى وَضْعِ

الْحَرْبِ عَشْرَ سِنِينَ، يَأْمَنُ فِيهَا النَّاسُ مِنْ مُؤْمِنِينَ وَكَافِرِينَ، وَأَنْ
يَرْجِعَ عَنْهُمْ ذَلِكَ الْعَامَ، وَيَخْلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَكَّةَ فِي الْعَامِ الْقَبِيلِ ثَلَاثَةَ
أَيَّامٍ، وَأَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ مَنْ أَتَاهُ مِنْ أَصْحَابِهِمْ وَلَوْ يَقْصِدُ الْإِسْلَامَ،

(١) الاحرام وتقليد الهدي أي ما يهدي الى الحرم من الانعام دليل على عدم
ارادة القتال (٢) الحدودية بالتخفيف كدوية ويشده أكثر الحدودين بترسمي
باسمها الموضع الذي حوطها (وقيل واد هناك) وهو على نحو مرحلة من مكة من
أسفلها عن طريق جدة. وكان هناك قرية، قيل هي في الحل وقيل في الحرم وقيل
بعضها في الحل وبعضها في الحرم وهو أبعد عن مكة

(٣) كان مع النبي صلى الله عليه وسلم ١٤٠٠ رجل أو ١٥٠٠

وَلَا يَرُدُّوا عَلَيْهِ مِنْ آثَامِهِمْ مِنْ أَصْحَابِهِ الْكَرَامِ، وَكَانَ عَلَيْهِ
 فَذَرَأَى فِي الْمَنَامِ، أَنَّهُ قَدْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، فَظَنَّ الْمُسْلِمُونَ أَنَّ
 تَأْوِيلَ الرُّؤْيَا يَكُونُ فِي تِلْكَ السَّنَةِ، وَلِذَلِكَ أَشْتَدَّ عَلَيْهِمُ الْإِسْتِثْنَاءُ
 مِنَ الصَّلَاحِ حَتَّى خَفِيَ عَلَيْهِمُ الْفِتْنَةُ، ^(١) لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْزَلَ
 عَلَيْهِمُ السَّيْكِتَةَ، وَعَجَّلَ لَهُمْ بَعْضَ مَا وَعَدَهُمْ ثُمَّ مِنَ الْمَغَانِمِ
 الْكَثِيرَةِ، ^(٢) وَذَلِكَ بُرْهَانٌ عَلَى إِتْيَانِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمَا كَانَتْ
 حُرُوبُهُ إِلَّا دِفَاعًا وَتَأْمِينًا لِدَعْوَةِ الْإِسْلَامِ، وَكَانَ أَكْبَرَ فَوَائِدِ
 ذَلِكَ الصَّلَاحِ اخْتِلَافُ الْمُسْلِمِينَ بِالْمُشْرِكِينَ، وَإِتْمَاعُهُمْ أَنْتَرَانِ
 وَتَبْلِيغُهُمْ حَقِيقَةَ الدِّينِ، وَإِبْرَاسَالُ الرُّسُلِ لِتَبْلِيغِ الْمُلُوكِ الْمَجَاوِدِينَ، ^(٣)
 فَصَارَ النَّاسُ يَدْخُلُونَ فِيهِ آمِنِينَ مُقْتَنِينَ، وَأُظْهِرَ الْإِسْلَامُ فِي هَذِهِ
 الْهُدَى، مَنْ كَانَ يُخْفِيهِ بَيْنَ الْمُشْرِكِينَ خَوْفَ الْفِتْنَةِ، وَحَسْبُكَ أَنَّهُ تَعَالَى
 أَنْزَلَ سُورَةَ الْفَتْحِ، فِي تَنْظِيمِ شَأْنِ هَذَا الصَّلَاحِ، مُبَيِّنَةً مَا فِيهِ مِنَ
 الْحُكْمِ وَالْمَصْلَاحِ، وَمُسْتَمِلَةً عَلَى أَخْبَارِ الْغَيْبِ وَالْوَعْدِ بِالنَّصْرِ وَالْمَغَانِمِ،
 فَسَمَاءُ فَتَحًا مُبِينًا، وَأَعْقِبُهُ كَأَعْدَدَ نَصْرًا عَزِيزًا، إِذْ كَانَ تَهْيِيدًا لِفَتْحِ

(١) لا صلح (ص) المشركين أمر المؤمنين بالتحلل من عمرتهم فلم يبادروا الى
 الامتثال لما عراهم من ذهول الحزن، فدخل (ص) على أم سلمة وقال لها «هلك
 المسلمون» وذكر لها ما كان فأشارت عليه بأن يخرج ولا يكلم أحدا حتى يخرج
 هديه ويحلق رأسه، فخرج فقبل ذلك فتموه فنجروا وصار يحلق بعضهم بعضا
 حتى كاد بعضهم يقتل بعضا من الغم

(٢) عجل لهم فتح خير فقد عاد (ص) من المدينة في ذي الحجة فاقام في
 المدينة زهاء عشرين ليلة ثم خرج الى خيبر ففتحها في الحرم أول سنة سبع
 (٣) ملوك جزيرة العرب والشام ومصر وقارس

مَسَكَّةً ، الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ النُّعْمَةُ ، وَأَزْدَادَ الْمُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ إِنَّا نَا ، وَصَارَ
النَّاسُ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ،

وَكَانَ فَتَحَ مَسَكَّةَ سَنَةً ثَمَانٍ ، وَفِي سَنَةِ عَشْرٍ حَجَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
حُجَّةَ الْوَدَاعِ ، الَّتِي هَدَمَ فِيهَا قَوَاعِدَ الشِّرْكِ وَالْجَاهِلِيَّةِ وَقَرَّرَ قَوَاعِدَ
الْإِسْلَامِ ، وَعَلَّمَ الْأُلُوفَ أَحْكَامَ الْمَنَاسِكِ ^(١) ، وَأَمَرَ بِأَنْ يُبَلِّغَ
الشَّاهِدُ مِنْهُمْ الْغَائِبَ ، وَأَشْهَدَ اللَّهُ تَعَالَى وَالْمُؤْمِنِينَ عَلَى أَنَّهُ بَلَغَ
مَا نُزِّلَ إِلَيْهِ وَيَتَنَبَّأُ بَيْنِيَا ، وَأُنْزِلَ تَعَالَى عَلَيْهِ فِي مَسَاءِ عَرَفَةَ (الْيَوْمَ
يُئِيسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا يَخْشَوهُمْ وَأَخْشَوْنَ الْيَوْمَ
أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ
الْإِسْلَامَ دِينًا)

وَكَانَ ﷺ قَدْ أَقَامَ فِي مَسَكَّةَ بَعْدَ بَدْءِ التَّبْلِغِ عَشْرَ سِنِينَ ، يَدْعُو
إِلَى أَسْوَالِ الْإِيمَانِ وَكَلِمَاتِ الدِّينِ ، وَتَرْكِيَةِ النَّفْسِ بِتَطْهِرِهَا مِنْ
أَذْرَانِ الرَّذَائِلِ ، وَتَحْلِيلَتِهَا بِأَحْكَامِ الْأَخْلَاقِ وَعَقَائِلِ الْفَضَائِلِ ،
وَأَسْتَعْمَالَ نِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ بَدَنِيَّةٍ وَعَقْلِيَّةٍ ، وَسَمَآوِيَّةٍ وَأَرْضِيَّةٍ ،
فِيمَا تَظْهَرُ بِهِ حِكْمَتُهُ وَشَاهِدُ آيَاتِهِ فِي الْخَلْقِ ، وَتَسْمَعُ بِهَا الْعُلُومُ
الَّتِي يُعْرِفُ بِهَا الْحَقُّ وَتَكُنُّ مَوَارِدُ الرِّزْقِ ، صَابِرًا مَعَ السَّائِقِينَ مِنْ

(١) المناسك أحكام الحج، وقد اختلف في عدد من حج مع الرسول (ص) حجة
الوداع من ٤ ألقا الى مئة وعشرين ألقا . وسبب هذا الاختلاف انه خرج من
المدينة بجماهير المسلمين فيها وفيما حوّلها وكان الناس ينضمون اليهم في الطريق عدا
من حج من سائر بلاد العرب

الْمُؤْمِنِينَ، عَلَى الْأَضْغَلَاءِ وَالْأَذَى مِنَ الْمُشْرِكِينَ، ثُمَّ دَخَلَ الْإِسْلَامَ
بِالْهَجْرَةِ فِي عَهْدِ الْحُرِّيَّةِ، وَتَسَكَّوَتْ لَهُ قُوَّةُ الْعَصِيَّةِ، وَجَاءَ الْوَحْيُ فِيهِ
مُفَصَّلًا أَجْمَلًا فِي السُّورِ الْمَكِّيَّةِ مِنَ الْأَحْكَامِ، وَبَيَانَ الْخُلَالِ وَالْخُرَامِ،
وَيَبَّغَتْ السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ جَمِيعُ فُرُوعِ الْعِبَادَاتِ، وَكُلُّ مَا يُنْتِجُ إِلَيْهِ مِنَ
النُّصُوصِ وَالْقَوَاعِدِ لِلْسِّيَاسَةِ وَفُرُوعِ الْعَمَالَاتِ، فَبِذَلِكَ كُلِّهِ أَكْمَلَ
اللَّهُ الدِّينَ، وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَقَدْ تَرَبَّى عَلَى ذَلِكَ الْأَلُوفُ مِنَ
الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، فَتَشَرُّوا هَذَا الدِّينَ الْقَوِيمَ فِي الْأَقْطَارِ وَالْأَمْصَارِ،
فَارَوُا أَمَّ الْحَضَارَةِ وَالْأَذْيَانَ الْقَدِيمَةَ، مِنَ الْعَدْلِ وَالرَّحْمَةِ وَالسَّيِّرَةِ
الْقَوِيمَةِ، مَا لَمْ يَرَوْا مِثْلَهُ بِأَعْيُنِهِمْ، وَلَا رَوَوْا نَظِيرَهُ عَنْ أَحَدٍ مِنْ
قَبْلِهِمْ، وَقَدْ كَانَتْ مَدَّةُ التَّشْرِيعِ بَعْدَ الْهَجْرَةِ، كَمَدَّةِ التَّبْلِيغِ بَعْدَ
الْبَيْتَةِ ^(١) فَبِمَدَّحَجَةِ الْوُدَّاعِ بِثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ ^(٢) فَبَضَّ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ نَبِيَّهُ
الْمُصْطَفَى، وَرَسُولُهُ الْمُجْتَبَى، وَرَفَعَ رُوحَهُ الطَّاهِرَةَ إِلَى الرَّفِيقِ
الْأَعْلَى، فَتَوَفَّى ﷺ تَارِكًا لِلْأُمَّةِ مَا إِنْ تَمَسَّكُوا بِهِ لَنْ يَضِلُّوا مِنْ بَعْدِهِ،
كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتَهُ فِي تَبْيِينِهِ وَغُرَّتَهُ الْعَالَمِينَ بِرِمَا مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ ^(٣)

(١) أي عشر سنين (٢) توفي (ص) يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول سنة إحدى
عشرة وكذلك كانت ولادته وبعثته وهجرته في يوم الاثنين . وفي ذلك إشارة إلى
أن الإيمان به يلي الإيمان بالله تعالى ، والشهادتان شاهدتان على ذلك (٣) روى مسلم
في صحيحه من طرق عن زيد بن أرقم قال : قام فينا رسول الله (ص) خطيباً جاء
يدعى نَحْمًا بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال « أهد
الآأها الناس فأنا أنا بشريوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين
أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتب الله واستمسكوا به — فحث
على كتاب الله ورغب فيه ثم قال — وأهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي ، —

وَكَذَا خُلَفَاؤُهُ الرَّاشِدُونَ، ^(١) وَعُلَمَاءُ أَصْحَابِهِ الْعَامِلُونَ ^(٢)، مُؤَسَّسًا

= أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي « وفسر زيد أهل بيته بمن حرم عليهم الصدقة قال وهم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس . ويقول آخرون هم علي وذريته من فاطمة عليهم السلام . ولعمري أنهم كانوا أحفظ الناس لهديه حتى عند ظهور البدع وفتن الدنيا ولا يخلو عصر من طائفة منهم أو أفراد من الهداة المصلحين ، وإن فتن الكثيرون منهم بغلاة الحبسين ، فكانت فتنتهم لهم أعم وأدوم من فتنة الامراء الظالمين، إذ كان من أثرها في ذريتهم أن تركوا العلم والأعمال النافعة استغناء عنهما بشرف النسب، غافلين عن قول جدم علي المرتضى كرم الله وجهه: قيمة كل امرئ ما يحسنه . والله در بيت الامامة في اليمن منهم فانهم لم يتركوا الاجتهاد في علوم الدين والحفاظة على الامامة الى اليوم. وانتقل بالضم وبفتنهم الشيء النفيس المصون وكذا متاع المسافر وحشمه . قال النووي قال العلماء سميا ثقلين اعظمهما وكبير شأنهما وقيل لثقل العمل بهما . وروى الترمذي من حديث جابر قال رأيت رسول الله (ص) في حجته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب فسمعته يقول « اني تارك فيكم ما ان تمسكنم به لن تضلوا بعدي — أحدهما أعظم من الآخر — كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض، وعترتي أهل بيتي ولن يتفراقا حتى يردا علي الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما » وروى احمد والطبراني من حديث زيد بن ثابت مرفوعا « اني تارك فيكم خلفين كتاب الله حبل ممدود بين السماء والارض وعترتي أهل بيتي وانهم لن يتفراقا حتى يردا علي الحوض » وعلم عليه السيوطي بالضحة . وروي نحوه من حديث أبي سعيد وحذيفة بن اسيد ورواياته كثيرون وطرقه متعددة ذكرنا أصحابها . وروي حديث بمعناه عن أبي هريرة وفيه لفظ السنة بدل العترة ومعناه صحيح ولا معارضة بينه وبين الآخر الذي هو أصبح منه رواية . ويؤيده حديث مرسل في الموطأ

(١) ورد في مناقب الخلفاء الاربعة أحاديث كثيرة في الصباح وغيرها وورد لفظ الخلفاء الراشدين في حديث العرابض بن سارية عند أبي داود والترمذي « فمليكم بسني وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ » الخ (٢) ورد في فضل أصحابه « ص » أحاديث كثيرة منها في صحيح مسلم أنهم أمانة لأمتهم فاذا ذهبوا أتاهم ما يوعدون . ومعنى أمانة حفظة على الدين ، ومنها الحديث الصحيح « خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » الخ رواه الشيخان وغيرهما . والقرن العصر طال أو قصر

لَهُمْ أُمَّةٌ عَظِيمَةٌ، وَدَوْلَةٌ عَادِلَةٌ رَحِيمَةٌ، وَحُكُومَةٌ شَوْرَوِيَّةٌ حَكِيمَةٌ،
فَبَدَّتْ فِيهَا سُلْطَةُ الْفَرْدِ، بِالشَّرِيعَةِ الْعَادِلَةِ وَسَيِّطَرَةُ أَهْلِ الْحُلِّ
وَالْعَقْدِ، ^(١) مُبَشِّرًا بِأَنَّ مُلْكَهَا سَيِّمُ الشَّرْقِ وَالْمَغْرِبِ، وَيَنْتَظِمُ مُلْكُ
كَسْرَى وَفَيْصَرَه، وَأَنَّهُ يَظَلُّ عَزِيزًا مَا أَقَامُوا الْحَقَّ وَأَعْتَصَمُوا بِالْعَدْلِ،
فَإِذَا وَسَدُّوا الْأَمْرَ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ، فَلْيَنْتَظِرُوا سَاعَتَهُمُ الْمَضْرُوبَةَ
لِفَقْدِهِ، ^(٢) وَبِأَنَّهُ لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِهِ ظَاهِرَةٌ عَلَى الْحَقِّ قَوَّامَةٌ
عَلَى أَمْرِ اللَّهِ، إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ وَيَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ ^(٣)

وَقَدْ تَمَّ كُلُّ مَا بَشَّرَ بِهِ وَأَنْذَرَ، وَلَا تَزَالُ آيَاتُ نُبُوَّتِهِ تَتَجَدَّدُ
وَتَتَكَرَّرُ، فَجَزَاهُ اللَّهُ عَنَّا أَفْضَلَ مَا جَزَى نَبِيًّا عَنْ قَوْمِهِ، وَرَسُولًا
عَنْ أُمَّتِهِ، وَصَلَّى اللَّهُ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ الطَّاهِرِينَ، ^(٤) وَسَلَامٌ
عَلَى الْأَمْرِ سَلِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

(١) الاسلام هو الذي شرع للناس شكل الحكومة التي يسمونها الديمقراطية
فأقامها الراشدون بالعمل ثم هدمت بالتدريج (٢) إشارة الى حديث أبي هريرة عند
البخاري « اذا وسد الامر الى غير أهله فانظروا الساعة » (٣) إشارة الى ما ورد
في الصحيحين والسنن من الاحاديث كحديث ثوبان « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين
على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى ياتي أمر الله وهم كذلك » وحديث المغيرة « لن
يزال قوم من أمتي ظاهرين على الناس حتى ياتيهم أمر الله وهم ظاهرون » واللفظان
هنا لمسلم وليس في البخاري « على الناس » وفي احاديث أخرى ذكر عصاة قتال
على الدين أي على حفظه. وذكر النووي ان الطائفة لا يلزم أن يكونوا مجتمعين بل
يجوز اجتماعهم في قطر أو بلد ويجوز تفرقهم، وذكر ان منهم الفقيه والحدث والمفسر
والقاتل والقائم بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر والزاهد والعابد . اي لان اقامة
الحق تكون بالعلم بالكتاب والسنة وبهما والعمل بهما والدفاع عنه بالحجة والقوة
(٤) ذكر المباركة هنا مع الصلاة لمواقفة الصلاة الابراهيمية المشروعة في العبادات،
والحمد لله على نعمه التي تتم بها العبادات

علماء بغداد في القرن السادس

ومكاتبهم في الوعظ والتذكير

قال الرحالة ابن جبير الاندلسي بعد ان وصف بغداد بأنها أنست بالنسبة الى ما كانت كالاطل
الدارس وانتقد أخلاق أهلها ومعاملتهم وغرورهم يلبسهم ما نصه :

استفقر الله الافتقار المحدثين ، ووعاظهم المذكرين ، لاجرم ان
لهم في طريقة الوعظ والتذكير ، ومداومة التنبية والتبصير ، والمثابرة على
الانذار المخوف والتحذير ، مقامات تستنزل لهم من رحمة الله تعالى
ما يحيط كثيرا من أوزارهم ، ويسحب ذيل الغفو على سوء أعمالهم ، ويمنع
القارعة الصماء أن تحمل بديارهم ، لكنهم معهم يضربون في حديد بارد ،
ويرومون تفجير الجلامد ، فلا يكاد يخلو يوم من أيام جمعاتهم من واعظ
يتكلم فيه ، فالوقوف منهم لا يزال في مجلس ذكر أيامه كلها لهم في ذلك
طريقة مباركة ملتزمة ، فأول من شاهدنا مجلسه منهم الشيخ الامام رضي
الدين القزويني رئيس الشافعية ، وفقه المدرسة النظامية ، والمشار اليه
بالتقديم في العلوم الاصولية ، حضرنا مجلسه بالمدرسة المذكورة إثر صلاة
المصر من يوم الجمعة الخامس لصفر المذكور ، فصعد المنبر وأخذ القراء
امامه في القراءة على كراسي موضوعة ، فتوقفوا وشوقوا وأثابوا بتلاحين
معجبة ، ونبات محرقة مطربة ، ثم اندفع الشيخ الامام المذكور فخطب
خطبة سكون ووقار ، وتصرف في أفانين من المأموم من تفسير كتاب الله
عز وجل ، وابراد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والتكلم على معانيه ،
ثم رشقته شآبيب المسائل من كل جانب ، فأجاب وما قصر ، وتقدم وما
تأخر ، ودفعت اليه عدة رقاع منها ، فجمعها جملة في يده وجعل يجاوب على

كل واحدة منها وينبذها الى أن فرغ منها، وحان المساء فنزل وافترق الجمع.
فكان مجلسه مجلس علم ووعظ وقورا هينا لينا، ظهرت فيه البركة والسكينة،
ولا سيما آخر مجلسه، فانه سرت خيا وعظه الى النفوس حتى أطارتها
خشوعا، وفجرتها دموعا، وبادر التائبون اليه سقوطا على يده ووقوعا، فكم
ناصية جزء، وكم مفصل من مفاصل التائبين طبق بالموعظة وحز، فبه مثل مقام
هذا الشيخ المبارك ترحم العصاة، وتعهد الجناة، وتستدام العصاة والنجاة،
والله تعالى يجازي كل ذي مقام عن مقامه، ويتمد ببركة العلماء الاولياء
عباده العاصين من سخطه وانتقامه، برحمته وكرمه انه المنعم الكريم لارب
سواء ولا معبود الا اياه

وشهدنا له مجلسا ثانيا اثر صلاة العصر من يوم الجمعة الثاني عشر من
الشهر المذكور، وحضر ذلك اليوم سيد العلماء انخراسانية، ورئيس
الأئمة الشافعية، ودخل المدرسة النظامية بهن عظيم وتطريف آفاق تشوقت
له النفوس، فأخذ الامام المتقدم الذكر في وعظه مسرورا بحضوره
ومتجملابه، فأتي بأفانين من العلوم على حسب مجلسه المتقدم الذكر،
ورئيس العلماء المذكور هو صدر الدين الخجندي المتقدم الذكر في هذا
التقيد المشتهر المآثر والمكابر، المتقدم بين الاكابر والاعاظم،

ثم شاهدنا صبيحة يوم السبت بعده مجلس الشيخ الفقيه الامام الواحد
جمال الدين أبي الفضائل ابن علي الجوزي بازاء داره على الشط بالجانب
الشرقي وفي آخره على اتصال من قصور الخليفة وعقربة من باب البصلية
آخر أبواب الجانب الشرقي، وهو مجلس به كل يوم سبت، فشاهدنا مجلس
رجل ليس من عمره ولا زيد، وفي جوف القرا كل الضياء آية الزمان

وقرة عين الايمان، رئيس الحنبلية، والمخصوص في العلوم بالرتب العلمية، إمام الجماعة، وفارس حلبة هذه الصناعة، والمشهور له بالسبق الكريم في البلاغة والبراعة، مالك أزمة الكلام في النظم والنثر، والفائض في بحر فكره على نقاش الدر

فأما نظمه فرضي^١ الطباع، ميارى الانطباع، وأما نثره فيصنع بسحر البيان، ويعطل المثل بقس وسحبان، ومن أبهر آياته، وأكبر معجزاته، أنه يصعد المنبر ويتبدى^٢ القراء بالقراءة وعددهم ينف على العشرين قارئاً، فيتنزع الاثنان منهم أو الثلاثة آية من القرآن يتلونها على نسق بتطريب ونشويق، فإذا فرغوا تلت طائفة أخرى على عددهم آية ثانية، ولا يزالون يتناوبون آيات من سور مختلفات، الى ان يكملوا قراءة وقد أتوا بآيات مشبهات، لا يكاد المتقّد الخاطر يحصّلها عدداً، أو يسميها نسقاً، فإذا فرغوا أخذ هذا الامام الغريب الشأن في اراد خطبته عجلاً مبتدراً، وأفرغ في أصداف الامماع من ألفاظه درداً، وانظم أوائل الآيات المقرّوات في أثناء خطبته فقرأ، وأثنى بها على نسق القراءة لها لا مقدماً ولا مؤخراً، ثم أكل الخطبة على قافية آخر آية منها، فلو ان أبدع من في مجلسه تكلف تسمية ما قرأ القراء به آية آية على الترتيب لعجز عن ذلك، فكيف بمن ينتظمها مرتجلاً، ويورد الخطبة الفراء بها عجلاً؟ (أفسح هذا أم أتم لا تبصرون؟) ان هذا هو الفضل المبين. فحدث ولا حرج عن البحر، وهيئات ليس الخبر عنه كالخبر، ثم انه أتى بعد ان فرغ من خطبته برقائق من الوعظ، وآيات بينات من الذكر، طاولت لها القلوب اشتياقاً، وذابت بها الانفس احتراقاً، الى ان علا الضجيج، وتردد بشهقاته النشيج، وأعلن الثابون بالصياح، وتساقطوا

عليه تساقط الفراش على المصباح، كل يلقي ناصيته بيده فيجزها، ويمسح على رأسه داعياً له، ومنهم من يغشى عليه، فيرفع في الأذرع إليه، فشاهدنا هؤلاً يملأ النفوس انابة وندامة، ويذكرها هول يوم القيامة، فولم نركب ثبج البحر، ونعتسف مفازات القفر، الا لمشاهدة مجلس من مجالس هذا الرجل لكانت الصفة الراجعة، والوجه المفلحة الناجحة، والحمد لله على ان من بقاء من يشهد الجمادات بفضلها، ويضيق الوجود عن مثله، وفي أثناء مجلسه ذلك يتدرون المسائل وتطير اليه الرقاع فيجاوب أسرع من طرفة عين، وربما كان أكثر مجلسه الرائق من نتائج تلك المسائل، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء لا إله سواه .

ثم شاهدنا مجلساً ثانياً له بكرة يوم الخميس الحادي عشر لصفر يباب بدر في ساحة قصور الخليفة ومناظره مشرفة عليه، وهذا الموضع المذكور هو من حرم الخليفة، وخص بالوصول اليه والتكلم فيه ليسمعه من تلك المناظر الخليفة ووالدته ومن حضر من الحرم، ويفتح الباب للعمامة فيدخلون الى ذلك الموضع، وقد بسط بالحصر وجلسه بهذا الموضع كل يوم خميس، فبكرنا لمشاهدته بهذا المجلس المذكور، وقعدنا الى أن وصل هذا الخبر المتكلم فصعد المنبر وأرخى طيلسانه على رأسه تواضعاً لحرمه المكان، وقد تسطر القراء امامه على كراسي موضوعة فابتدروا القراءة على الترتيب، وشوقوا ماشاءوا، وأطربوا ما أرادوا، وبادرت الميون بارسال الدموع، فلما فرغوا من القراءة وقد أحصينا لهم تسع آيات، من سور مختلفات، صدع بخطبته الزهراء الفراء وأتى بأوائل الآيات في أنثائها متعلقات، ومضى الخطبة على ققرة آخر آية منها في الترتيب الى أن أكلمها، وكانت الآية (الله

الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرًا إن الله لذو فضل على الناس) فمادى على هذا السين، وحسن أي تحسين، فكان يومه في ذلك أعجب من أمسه، ثم أخذ في الثناء على الخليفة والدعاء له ولوالدته، وكني عنها بالستر الاشرف، والجناب الارأف، ثم سلك سبيله في الوعظ، كل ذلك بديهة لاروته، ويصل كلامه في ذلك بالآيات المقرآت على النسق مرة أخرى، فأرسلت وأبلى العيون وأبدت النفوس سرشوقها المكنون، وتطارح الناس عليه بذنوبهم معترفين، وبالتوبة معلنين، وطاشت الابواب والعقول، وكثر الوله والذهول، وصارت النفوس لا تملك تحصيلًا، ولا تميز معقولًا، ولا تجدد للصبر سبيلًا، ثم في أثناء مجلسه ينشد بأشعار من النسب مبرحة التشويق، بديهة الترقيق، تشعل القلوب وجداء ويعود موضوعها النسبي زهدًا. وكان آخر ما أنشده من ذلك وقد أخذ المجلس مأخذه من الاحترام، وأصاب المقاتل سهام ذلك الكلام

أين فؤادي أذابه الوجدُ وأين قلبي فما صحا بعدُ

ياسعد زذني جوى بذكرهم باقة قل لي فديت ياسعدُ

ولم يزل يرددها والاقبال قد أثر فيه، والمدامع تكاد تمنع خروج الكلام من فيه، إلى أن خاف الاخام فابتدأ القيام، ونزل عن المنبر دَهْشًا عجلاً، وقد أطار القلوب وجلاً، وترك الناس على أحر من الجمر، يشيرون بالمدامع الحمر، فن أعلن بالانتعاب، ومن متعفر في التراب، فياله من مشهد ما أهول مرآه، وما أسعد من رآه، نعمنا الله ببركته، وجعلنا ممن فاز به بنصيب من رحمته، بمنه وفضله.

وفي أول مجلسه أنشد قصيداً نثر القيس عراقى النفس في الخليفة أوله

في شغل من الغرام شاغل من هاجه البرق بسفع عاقل
يقول فيها عند ذكر الخليفة

يا كلمات الله كوني عوذة من العيون للامام الكامل
فلما فرغ من انشاده وقد هز المجلس طربا ثم أخذ في شأنه، وتماهى
في ايراد شعر بيانه، وما كنا نحسب أن متكلمنا في الدنيا يعطى من ملكة
النفوس والتلاعب بها ما أعطي هذا الرجل، فسبحان من يخص بالكمال
من يشاء من عباده لا إله غيره

وشاهدنا بعد ذلك مجالس لسواه من وعاظ بغداد ممن نستغرب شأنه
بالإضافة لما عهدنا من متكلمي الغرب، وكنا قد شاهدنا بمكة والمدينة
شرفهما الله مجالس من قد ذكرناه في هذا التقييد فصغرت بالإضافة لمجلس
هذا الرجل القذافي تقوسنا قدرا، ولم نستطع لها ذكرا، وأين تقمان مما أريد،
وشتان بين الزيديين، وهيهات الفتيان كثير، والمثل بمالك يسير،

ونزلنا بعده بمجالس يطيب سماعه، ويروق استطلاعاه، وحضرنا له مجلسا
ثالثا يوم السبت الثالث عشر لاصفر بالموضع المذكور بازاء داره على الشط
الشرقي فأخذت معجزاته البيانية مأخذها، فشاهدنا من أمره هيباء، صمد
بوعظه أقداس الحاضرين سحبا، وأسأل من أدمعهم وابلاسكيا، ثم جعل
يردد في آخر مجلسه أياتا من النسيب شوقا زهديا وطربا، الى أن غلبته
الركة فوثب من أعلى منبره والمها مكتنبا، وغادر الكل متدما على نفسه
متحبا، لمفان يتأدي يا حسرتا واحربا، والنادبون يدورون بنحيبهم دور
الرحى، وكل منهم يمد من سكرته ما سمعا، فسبحان من خلقه عبدة لأولي
الآل باب، وجعله لثوبة عباده أقوى الأسباب، لا إله سواه.

الدكتور شبلي شميل

في اليوم الاول من هذه السنة الميلادية سنة (١٩١٧) اغتالت المنية الطيب
النطاسي ، الحكم الاجتماعي ، العالم الطبيعي ، الاديب الكاتب ، النساظم النائر ،
الدكتور شبلي شميل الشهير بتصانيفه ومقالاته العلمية والاجتماعية في المجلات والجرائد
العربية والفرنسية

كان شبلي فذا نادر المثل في مجموعة علومه واعماله وأفكاره وأخلاقه والذي
يحملنا على ترجمته انه كان من طلاب الاصلاح المدني والتجديد الاجتماعي المخلصين
— وقليل مام — لامن الذين اتخذوا العلم ذريعة لجمع المال ولا وسيلة للجهاد كما هو
شأن السواد الاعظم من المتعلمين ، فهو لم يدخر مالا ولم يتأثل عقارا ، ولم يصرف
جل أوقاته للكسب ، بل كان اشتغاله بالامور الاجتماعية أكثر من اشتغاله بالطب ،
ومثل هذا يكون مؤثرا في أهل جيله تأثيرا نافعا أو ضارا لا كالذين يعدون من العلماء
بورقة شهادة يحملها كل منهم بيده ونرى أنه يعيش عمرا طويلا ثم يموت كما يموت
العصفور لا يترك أثرا في جيله ينسب اليه. لهذا نذكر عن هذا الرجل أهم ما نرى فيه
العبرة من ترجمته فنقول :

كان أول من نشر مذهب دارون باللغة العربية وانتصر له وناضل دونه اذ كان
رجال الدين ولا سيما الكاثوليك الذين نشأ شميل على مذهبهم يعدون هذا المذهب
من دعائم الكفر ، ولم يكتف الرجل بذلك بل كان يصرح قولا وكتابة بالتعطيل
والاحلاد ، ولم يتجراً أحد قبله على ما تنجرأ عليه من ذلك فيما نعلم مع كثرة الذين زاعجت
عقائدهم من المتعلمين على الطريقة الاوربية الحديثة. ومن الغريب أن نرى المحامين
عن النصرانية وكتبها الدينية كاليسوعيين (الجزويت) لم يتصدوا للرد على الدكتور
شميل كدأبهم في الرد على أمثاله من كتاب الشرق والغرب ، وقد كانت مجلته
(الشرق) واقفة بالرصاد للمعتطف والهلل وغيرهما من الصحف المنشرة كلها نشر
فيها شيء يخالف الدين أو المذهب الكاثوليكي ردوا عليه أشد الرد . فاذا كان
(المتر: ج ١٠) (٧٩) (المجلد التاسع عشر)

الجزويت لم يشنعوا على الدكتور شبلي شميل كما شنعوا على من لم يجهر بمثل ماجهر به فلا عجب اذا سكنت عنه من دونهم عصبية وعناية بهذا الامر ، وأكبر ما بلغنا من مقاومة بعض القسيسين له أنهم كانوا ينهون بعض الناس سراً عن دعوته لمعالجة مرضاهم . وجهور المتعلمين على الطريقة العصرية من السوريين في مصر وسورية وأمريكة يحبون الدكتور شميل ويعدونه من دعاة الاصلاح الاجتماعي المخلصين ومنهم من يغلو فيه ، أما النصارى منهم — وهم الاكثرون — فلا يرون عدم تدينه ما نفا من اصلاحه الاجتماعي اذ لا علاقة للدين بذلك عندهم ، ولا شك في كون هذا من اساهلهم الذي قاربوا به الافرنج ، وأما المسلمون فلا يرون مروة من عقيدته التي نشأ عليها مبعدا له عنهم لانها ليست عقيدتهم فهو في نظرهم طيب عالم اجتماعي غير مسلم ، ولكنه أقرب من غيره من المخالفين لهم الى التساهل والانصاف لحرية واستقلال فكره . وله أصدقاء من مسلمي مصر لعلمهم بيزيدون على أصدقائه من مسلمي سورية الذين لا يعرفه أكثرهم الا بالجماع

وأمامذهب دارون قد تنكلم بعض علماء المسلمين فيه وفي مخالفته لظواهر النصوص في خلق آدم عليه السلام ، ولم يجملوا ذلك ردا على الدكتور شميل لانه لم يكن صاحب المذهب ، وقد سبق أشيائنا الى الرد على مذهب دارون وأول ما رأيناه في ذلك ما أبرزه لنا الاستاذ الامام في ترجمته لرسالة استاذة الحكيم السيد جمال الدين التي سماها الرد على الدهريين . ثم ما كتبه استاذي الذي نخرجت على يديه الشيخ حسين الجسري الرسالة الحميدة فهو قد تلخص هذا المذهب وبين أن دلائله في أصل البشر ظنية لم تصل الى درجة القطع ، وأنها لو ثبتت وصارت يقينية لا تكون حجة على الاسلام لا مكان تأويل ظواهر النصوص الواردة في الكتاب والسنة في خلق آدم . وقد أقر أكابر علماء سورية شيخنا على تلك الرسالة وترجمت بالتركية فأقرها علماء الترك ، وكافأه السلطان عبد الحميد على خدمته للاسلام بها برتبة علمية عالية وراتب شهري . ورغب اليه ان يكون من شيوخ قصره فاعتذر وعاد الى طرابلس الشام بعد ان أقام في قصر يلدز عدة شهرا ضيفا مكرما عند السلطان . وأما علماء الازهر فقد اطلع كثير منهم على الرسالة الحميدة وأعجب بها . ولكن لم

نسمع ان أحداً منهم كتب في موضوعها شيئاً

بيننا رأيي المسلمين الذين يعرفون الدكتور شبلي فيه وانهم كانوا يرونه أقرب إلى التساهل والانصاف، ويبان ذلك انه كان يقول انه لا يوجد دين اجتماعي يتفق مع مصالح البشر المدنية الا دين القرآن. سمعت هذا منه غير مرة. وأخبرني أنه طالما خطر في باله ان يجمع ما في القرآن من الآيات الواردة في المسائل الاجتماعية والاقتصادية ويفسرها تفسيراً علمياً اجتماعياً. وأنه قد حاول هذا الجمع فذهب عليه بحريه ما أرادته لما في القرآن من المزج بين هذه المسائل والمسائل الروحية الاخروية. وقال لي انك أقدر مني على تجريد ما أريد فلو فعلت لكان تفسيرى نافعا لك فيما تتوخاه من التوفيق بين الاسلام والعلم المصري والحضارة المصرية ومن نشر محاسن الاسلام بين الناس لان الوفا من الناس يقرؤون تفسيرى ولا يقرؤون تفسيرك وأما رأيى في نبينا صلى الله عليه وآله وسلم فهو انه كان يفضل على جميع البشر، وقد كتب الى منذ تسع سنين كتاباً أودعه آياتاً من الشعر في ذلك : هذا نفسه :

الى غزالي عصره السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار

أنت تنظر الى محمد كنبى فتجمله عظيماً وأنا أنظر اليه كرجل واجمله أعظم . ونحن وان كنا في الاعتقاد (الدين أو المبدأ الدينى) على طرفي قيفض فالجامع بيننا العقل الواسع والاخلاص في القول وذلك أوثق بيننا لعمري المودة .

من صديقك الدكتور شبلي

﴿ الحق أولى أن يقال ﴾

دع من محمد في سدى قرآنه	ما قد نحاه للحمه الغابات
اني وان ألك قد كفرت بدينه	هل أكفرن بمحكم الآيات
أوما حوت في ناصع الالفاظ من	حكم روادع للهوى وعظات
وشرائع لو اتهم عقلا بها	ما قيدوا العمران بالمعادات
نعم المدير والمحكمين وانه	رب الفصاحة مصطفى الكلمات
رجل الحجارجل السياسة والدها	بطل حليف النصر في الغارات
يلاعه القرآن قد خلب النعى	وبسيفه أنهى على الهامات

من دونه الابطال في كل الوري من سابق أو لاحق أو آت
وقد نشرنا هذا الكتاب والايات في (ج ١ م ١١) في معرض الرد على
البرنس كايثاني في زعمه أن نجاح النبي (ص) كان في كفاءته من حيث هو سياسي
محض أكثر من نجاحه من حيث هو نبي، وأن حنكته وسياسته أفادا أكثر من افادة
القرآن. رددنا على صاحب هذا القول وعلى المؤيد الذي نقل كلامه وأقره وعلى
الدكتور شميل فيما زعمه من أن النبي (ص) أفضل من حيث كونه رجلا منه من
حيث كونه نبيا. وسألنا الله تعالى أن يهديه الى الباقي من مرابا كتابنا ورسولنا (ص)
وهو المهمل الاعظم المتعلق بأمر الدين والآخرة الذي أشار اليه في البيت الاول وكفر
به في البيت الثاني ، فقد صرح لنا بأن مراده بلحمة الغايات أمور الآخرة
ان الدكتور شبلي شميل قد اهتدى بالاطلاع على القرآن الحكيم الى ما فيه من
الحكم الروادع للهوى والشرائع الموافقة لاصول العمران حتى في هذا الزمان .
وبالاطلاع على سيرة النبي (ص) الى كونه قد فاق جميع أبطال البشر وعظماهم —
ويدخل فيهم عنده أكابر الانبياء عليهم السلام وكبار الساسة وقواد الحروب وأهل
الفصاحة والادب . فلوان الدكتور تأمل فيما اهتدى اليه من هذين الامرين وكان
مؤمنا بالله تعالى لجزم بكونه نبيا مرسلا من عنده عز وجل ، لان ما امتاز به كتابه
وما امتاز به شخصه على جميع البشر من سابق أو لاحق أو آت إنما كان بعد ان
بلغ أربعين سنة في الامة بين أهل الشرك والجاهلية فهل يعقل أن نحدث هذه المزايا
العلمية العملية الادبية العمرانية الحرية السياسية الاجتماعية لرجل في سن الكهولة دفعة
واحدة ؟ كلا ان هذا لا يعقل أن يكون الا بوحى وتأييد من الله عز وجل . ولكن
كثيرا من الباحثين في مثل هذه المسألة يبحثون فيها من جهة واحدة منصرفين عن
سائر الجهات فلا يحيطون بسائر أطراف المسألة . والصوارف عن أمثال هذه
المباحث كثيرة أظهرها كون انكار الاديان عديم من القضايا المسلمات ، وكنت أرى
ان للدكتور شبلي شميل مانعا قلما يشاركه فيه غيره في بلاده وهو عده الجراءة على التصريح
بالتصلي مزية من المزايا العظيمة التي انفرد بها ، وحب الامتياز من غرائز البشر الراسخة
فمن رأى نفسه قد انفردت بشي منه قلما يفكر ويبحث في شي من شأنه أن يذهب

بما انفرد به . على ان رجال الدين الذين على مذهب أمرته الذي نشأ عليه ثم ارتد عنه قد حكموا بأنه تاب من رذته وعاد قبل الموت الى دينه ومذهبه الاولين ولذلك جثّزوه وصلوا عليه في كنيستهم ودفنوه في مقابرهم ، وجاهلير الناس يرتابون في ذلك أو يجهزون بخلافه ويعدون هذا من غرائب تساهل الكاثوليك

كان الدكتور شبلي شميل من دعاة الاشتراكية وهو مستقل برأيه فيها غير مقلد لطائفة من طوائفها ، وكان ماديا في آرائه وأفكاره الا انه كان متحليا بكثير من الاخلاق الحسنة الحمودة التي يضاد بعضها ما تقتضيه الافكار المادية التي غلبت على عقله وخياله ، كالرفقة والسخاء والصدق والوفاء والتجدة والمروءة والشجاعة وغير ذلك . وان تحلي بعض المعطلين بالفضائل من أقوى الشبهات على الدين في هذا العصر ، فاننا نسمع كثيرا من المرتابين أو الراسخين في الكفر يقولون أي حاجة للناس في الدين واننا نرى كثيرا من المصلين الصائمين منغمسين في المعاصي والزنا ، بل نرى كثيرا من رؤساء الاديان الرسميين كذايين طماعين أدياء بخلاء لا يرجى منهم معروف ، ونرى فلانا وفلاننا لا دين لهم متحلين بالاخلاق الفاضلة والآداب العالية والسبق الى عمل المعروف وقد أجبت عن هذه الشبهة في المنار غير مرة وانفذت تأبين الدكتور فرصة لبيان ذلك للجمهور

في اليوم المتمم الاربعين من تاريخ وفاته أقام النادي السوري في القاهرة حفلة تأبين للدكتور الذي هو من نوابغ السوريين بلاخلاف أجاب الدعوة اليها مئات من أهل العلم والأدب والوجاهة من سكان القاهرة على اختلاف مذاهبهم ونحلهم ففص النادي بهم ، وافتتح الجلسة رئيسها احمد حشمت باشا بخطبة وجيزة أطرى فيها المؤيّن اطراء كبيرا . ثم دعي الدكتور يعقوب صروف الى الكلام في علم الدكتور شميل وهو أعلم الناس به ويعلمه فجاء من ذلك بخلاصة جمعت فأوعت . ثم دعيت الى الكلام على أخلاقه فقلت ما خلاصته على ما أتذكر الآن :

« أشكر لادارة النادي السوري اختيارهم اباي للكلام في أخلاق الدكتور شبلي شميل فان الكلام في الاخلاق أحب اليّ لان أثرها في حياة الناس العملية أعظم من أثر العلم لان العلم يبين طرق العمل ، والاخلاق هي التي تبعث عليه وتهدي

الى الغاية منه فحسن الاخلاق هو الذي يجعل العلم نافعا وسوء الاخلاق قد يجعله ضارا
ولذلك شبه حكماءنا علم فاسد الاخلاق بالسيف في يد المجنون ، وانفسا نرى مبلغ
تأثير ضرر العلم بسوء استعماله في الحرب الاوربية الحاضرة التي كان الموقد لغيراتها
بعض الاخلاق المذمومة من الطمع والكبر وحسب الملوك واستعباد الاقوياء للضعفاء
على ان العمل النافع لا يرتقي الا بالعلم ، وما ساد بعض الامم على بعض الا بالعلم
(هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) وانما تظهر حقيقة المرء وتعرف
ترجمته ببيان علمه وأخلاقه وأعماله ، وقد أحسن النادي باختيار العلامة الدكتور
صروف للكلام على علم الدكتور شميلي فهو أعلم منا بهذه العلوم ويمكن الرجل منها
وقد جاء بفصل الخطاب في ذلك

كان الدكتور شميلي متحملا بمدة من الاخلاق الحميدة التي لا يرتقي العمران
البشري الا بكثرة المتحملين بها في الامم كالصدق واستقلال الرأي والشجاعة والثبات
والسخاء والوفاء والمجدة والمروءة والراقة ، يعرف له ذلك كل من عرفه ، وكل خلق
من هذه الاخلاق له تأثير في أعمال الناس ومعاملاتهم ولا يمكن بيان ذلك بالتفصيل
في وقت قصير محدود كوقتنا هذا وانما أشير الى بعض ذلك بالابحاز فأقول :

ان من أضر مفاسد الكذب طمس الحقائق وإبطال ثقة الناس بعضهم ببعض
فالكذاب لا يوثق بخبره ولا بعلمه ولا برأيه ولا يمكن أن يرتقي قوم فقدت الثقة
من بينهم . ومن أكبر بواعث الكذب الجبن ولولا ما أوتي الدكتور شميلي من
الجرأة والشجاعة لما أمكنه أن يكون صادقا يقول ما يعتقد وان كان مما ينكره
عليه ويكرهه منه أهله وقومه والسواد الأعظم من أهل وطنه ، والشاهد على هذا
تصريحه قولاً وكتابة بالآراء التي تخالف عقائد هؤلاء الذين يعيش معهم ، والمعروف
أن الخوف من عاقبة قول الصدق ، هو الذي يحمل الناس على الكذب ، ولذلك
يكثُر في عهد الاستبداد والظلم ، ولكننا نرى كثيرا من كهراء الحكام ورؤساء الناس
في بلاد كثيرة يكذبون على رعاياهم ومرءوسيههم ، فلا يتجرؤون على التصريح لهم
بما لا يرضيهم ، وان كان التصريح خيرا لهم ، وهكذا يعيش كثير من أكابر الناس
وأصاغرهم عيشة الكذب والغش والرياء والنفاق لجبنهم وضعف ملكة الاستقلال

فيهم ، ولم يكن شميل مرآيا ولا منافقا بل كان مستقلا شجاعا يقول ما يعتقد حقا وصوابا غير هيب ولا وجل

وكان على جرأته وشدة في آرائه رقيق القلب سخي النفس ، فكان اذا دعي الى معالجة فقير يخفف اليه مرتاحا ويعالجه بجانا وربما اشترى له الدواء ، وزاده من الغذاء ، على انه لم يكن ذا فضل من المال ، واننا نرى كثيرا من الاغنياء البخلاء ، يمتالون على أكل أموال الناس حتى الفقراء والادباء ، ونحن أصحاب الصحف قد جربنا جميع أصناف الناس فوجدنا في كل صنف منهم (حتى علماء الدين وكبار الحكماء من قضاة وغيرهم) انما يتعمدون هضم الحق فيمدون جابي الصحة ويمطلون ، حتى نمر الشهور والسنوات ، ولا يصدقون ولا يفون . فهل يمكن ان نرتقي أمة الا بزوال هؤلاء أوزوال النعمة من أيديهم ؟ ان السخي لا يمنع حق أحد ، لان من يعطي الناس من ماله ما ليس لهم ، لا يقل ان يمساك عنهم ما هو لهم ، وفي مثل شائع بين كثير من المسلمين : ان الذي يزكي لا يسرق .

وهنا مسألة مهمة نخفي على كثير من الناس ، وهي ان اكثر مكارم الاخلاق لا تنطبع في النفس الا بالتربية الدينية ، وتكون عرضة للفساد بالتعطيل والافكار المادية ، فكيف انصف الدكتور شميل تلك الاخلاق الحسنة مع كونه كان ماديا معطلا ؟ يصبح بهذه الشبهة بعض الملاحدة على عدم الحاجة الى الدين قائلين اننا نرى فلانا وفلانا ممن مرقوا من الدين افضل أخلاقا وآدابا من المتدينين الذين نرى من رؤسائهم وعلمائهم من فشا فيهم الكذب والطمع والدناءة والبخل والجبن والرياء والغش ، والجواب عن هذه الشبهة ان فاسدي الاخلاق من المنسويين الى الدين لم يتربوا تربية دينية صحيحة بل لم يكن لهم حظ من الدين الا الاسم أو تعود بعض العبادات من غير فهم لحكمها ولا قيام بحقوقها ، وان أولئك المعطلين الحسني الاخلاق قد تربوا تربية دينية تكونت بها أخلاقهم الفاضلة ثم طرأت عليهم فكرة التعطيل في الكبر فلم تلمس ما طبع في النفس من أخلاقهم ، فقد حدثني الدكتور شميل عن نفسه انه كان في نشأته الاولى مبالغا في التدين مواظبا على العبادة ، وان فكرة التعطيل ما طرأت عليه الا بعد سفره الى أوروبا ، فقد لقي في فرنسا عالما ماديا قال له كلمة هدمت عقيدته الدينية

هدماء ولم يذكر لي تلك الكلمة. وأقول إنها لم تهدم تأثير التربية الدينية في نفسه، ولا ماورثه من أخلاق أهل بيته ، ولا عجب فقد ثبت في العلم الحديث أن لكل نوع من المورثات الفكرية والوجدانية مركزا خاصا في دماغ الانسان ، وما كل فكر يأخذه المرء بالتسليم يؤثر في أخلاقه وآدابه العملية بل لا بد في هذا التأثير من التربية العملية أو كونه عقيدة يجهز صاحبها عقلًا ووجدانًا بأن العمل بمقتضاها سعادة، وتركها شقاوة لا تعدلها شقاوة ، وفكرة الإلحاد ليست كذلك ، فهي قد كانت محصورة في مركز صغير من دماغ الدكتور شميل له صلة بلسانه ولا سلطان له على قلبه ، ولذلك كانت تظهر أحيانا في كلامه ولكنها لم تنزع من نفسه ما تربى عليه في بيته من الاخلاق الدينية كالصدق والرحمة والسخاء وغير ذلك »

ثم ذكرت في التائين رأي الدكتور في الاسلام وفي نبينا عليه الصلاة والسلام وقرأت كتابه وأبيانه في ذلك وقد تقدم ذكرها في هذه الترجمة

هذا ما أتذكره من كلامي في أخلاق الدكتور شميل لم أترك منه شيئا ولكنني زدت مسألة الشبهة الأخيرة إيضاحا لاتي رأيت بعض الناس لم يفهمها حتى قال لي بعضهم ان التائين يقصد به المدح وأنت ذممت الرجل وجعلته مجنونا ، وإنما أخذ جعلي إياه مجنونا من قولي ان فكرة الكفر والالحاد قد طرأت على دماغه في الكبر، وقد صبرت بكلمة المخ بدل الدماغ فهم ذلك الرجل وغيره من ذلك ما فهدوا ولغطوا به ثم دعي الدكتور كحبل الى الكلام في سيرة شميل الطيبة فقرأ خطبة طويلة بالفرنسية بين فيها ذلك . ودعي محمد حافظ بك ابراهيم فأئند قصيدة بلغة استعداد الجمهور كثيرا من أبياتها مرارا. ودعي أيضا كل من انطون جميل الاديب المشهور وحسن افندي الشريف وهو شاب من أبيار وأميل افندي زيدان صاحب اللال فالقى كل منهما خطبة فصيحة أطرى فيها الفريد إطراء الشاب الممتلىء إعجابا بأرائه وأفكاره ونشاطه وحمته ، فدل ذلك على تأثير الرجل في أنفس النابئة الجديدة . ثم قام ابن أخيه رشيد بك شميل صاحب جريدة البصير فشكر للنادي السوري وللمؤيدين عليهم ، وانقضت الجلسة

عمران بغداد في القرن الثالث

﴿ وصف دار الخلافة فيها ﴾

نصرا في هذا الجزء اثاره من تاريخ بغداد الطبعي الذي في القرن السادس بعد تخریب البغداد لعمرائها ونقش هنا اثاره أخرى من تاريخ عمرائها قبل ذلك سبق لنا نشره في (ص ٢٨٥ م ١٣) نقولا عن تاريخ مدينة السلام للخطيب الحافظ قال

حدثني أبو الحسين هلال بن المحسن قال كانت دار الخلافة التي على شاطئ دجلة تحت نهر معلّى قديما للحسن بن سهل ويسمى القصر الحسيني فلما توفي صارت لبوران بنته فاستنزلها المعتضد بالله عنها فاستنظرته أياما في تفريقها وتسليمها ثم ومنها وعمرتها وجصصتها وبيضتها وفرشتها بأجل الفرش وأحسنه وعلقت أصناف السور على أبوابها وملأت خزائنها بكل ما يخدم الخلفاء به وربت فيها من الخدم والجواري ما تدعو الحاجة إليه . فلما فرغت من ذلك انتقلت وراسلته بالانتقال ، فانتقل المعتضد الى الدار ووجد ما استكبره واستحسنه ، ثم استضاف المعتضد بالله الى الدار ما جاورها كل ما وسعها به وكبرها وعمل عليها سورا جمعها به وحصنها وقام المكتفي بالله بعده ببناء التاج على دجلة وعمل وراءه من القباب والمجالس ما تنهى في توسعته وتعليته ووافى المقدر بالله فواد في ذلك وأوفى مما أنشأه واستحدثه وكان الميدان والنريابا وجير الوحوش (بستانها) متصلا بالدار ، كذا ذكر لي هلال بن المحسن أن بوران سلمت المعتضد الدار الى المعتضد وذلك غير صحيح لأن بوران لم تعش الى وقت المعتضد وذكر محمد ابن أحمد بن مهدي الاسكافي في تاريخه انها ماتت في سنة احدى وسبعين ومئتين وقد بلغت ثمانين سنة ويشبه أن تكون سلمت الدار الى المعتضد على الله والله أعلم

حدثني القاضي أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي قال حدثني أبو الفتح أحمد ابن علي بن هرون النجم قال حدثني أبي قال قال أبو القاسم علي بن محمد الجواليقي في بعض أيام المقدر بالله وقد جرى حديثه وعظم أمره وكثرة الخدم في داره : قد اشتملت الجريدة الى هذا الوقت على أحد عشر ألف خادم خفي وكذا من صقلي ورومي وأسود وقال هذا جنس واحد مما تضمه الدار فدع الآن الغلمان الحجرية وهم ألوف كثيرة والحواشي من الفحول . وقال أيضا حدثني أبو الفتح عن أبيه وعمه عن (المنار: ج ١٠) (٨٠) (المجلد التاسع عشر)

أيهما أبي القاسم علي بن يحيى أنه كانت عدة كل نوبة من الفراشين في دار المتوكل على الله أربعة آلاف فراش ، قالا فذهب علينا أن نسأله كم نوبة كانوا . حدثني هلال بن الحسن قال حدثني أبو نصر خواشاذة خازن عضد الدولة قال طفت دار الخلافة عامرها وخرابها وحرما وما يجاورها ويتاخها فكان ذلك مثل مدينة شيراز قال هلال وسمعت هذا القول من جماعة آخرين عارفين بخبرين

ولقد ورد رسول اصحاب الروم في أيام المقتدر بالله ففرشت الدار بالفراش الجميلة وزينت بالآلات الجميلة ورتب الحجاب وخلعواهم والخواشي على طبقاتهم على أبوابها ودهاليزها وممراتها ومخترقاتها وصحونها ومجالسها ووقف الجند صفين بالثياب الحسنة وتحتهم الدواب بمراكب الذهب والفضة وبين أيديهم الجنايب على مثل هذه الصورة وقد أظهروا العدد الكثير والاسلحة المختلفة فكانوا من أعلى باب الشامسية الى قريب من دار الخلافة ، وبمقدم الغلمان الحجريّة والخدم الخواص الدارية والبرانية الى حضرة الخليفة بالهجرة الرائقة والسيوف والمناطق المحلاة وأسواق الجانب الشرقي وشوارعه وسطوحه ومسالكه معلومة بالعامّة النظارة^(١) وقد أكثرى كل دكان وغرفة مشرفة بدرهم كثيرة ، وفي دجلة الشذات والطيارات والذباب والزلالات والسمرات^(٢) بأفضل زينة وأحسن ترتيب وتمتعة ، وسار الرسول ومن معه من المواكب الى أن وصلوا الى الدار ودخل الرسول فر به على دار نصر القشوري الحاجب ورأى ضعفا كثيرا ومنظرا عظيما فظن أنه الخليفة وتداخلت له هبة وروعة حتى قيل له انه الحاجب ، وحمل من بعد ذلك الى الدار التي كانت يرسم الوزير وفيها مجلس أبي الحسن علي بن محمد بن الفرات يومئذ فرأى أكثر مما رآه (عند) نصر الحاجب ولم يشك انه الخليفة حتى قيل له هذا الوزير ، وأجلس بين دجلة والبساتين في مجلس قد علقت ستوره واختيرت فروشه ونصبت فيه الدسوت وأحاط به الخدم بالاعمدة والسيوف ، ثم استدعي بعد أن طيف به في الدار الى حضرة المقتدر بالله وقد جلس وأولاده من جانيه فشهد من الامر ما هاله ثم انصرف الى دار قد أعدت له

حدثني الوزير أبو القاسم علي بن الحسن المعروف بابن المسلمة قال حدثني

أمير المؤمنين القائم بأمر الله قال حدثني أمير المؤمنين القاهر بالله قال حدثني جدي
 أم أبي اسحاق بن المقتدر بالله أن رسول ملك الروم لما وصل إلى تكريت أمر أمير
 المؤمنين المقتدر بالله باحتياسه هناك شهرين ولما وصل إلى بغداد نزل دار صاعد
 ومكث شهرين لا يؤذن له في الوصول حتى فرغ المقتدر بالله من تزئين قصره
 وترتيب آئنه ثم صف العسكر من دار صاعد إلى دار الخلافة وكانت عدد الجيش
 مئة ومئتين ألف فارس وراجل ، فسار الرسول بينهم إلى أن بلغ الدار ، ثم أدخل
 في أزج^(١) تحت الأرض فسار فيه حتى قبل بين يدي المقتدر بالله وأدى رسالة
 صاحبه ثم رسم أن يطاف به في كل الدار وليس فيها من العسكر أحد البتة وأنما فيها
 الخدم والحجاب والقلبان السودان وكان عدد الخدم اذ ذاك سبعة آلاف خادم
 منهم أربعة آلاف بيض وثلاثة آلاف سود وعدد الحجاب سبع مئة حاجب وعدد
 القلبان السودان غير الخدم أربعة آلاف فلام قد جعلوا على سطوح الدار والعلالي
 وفحت الخزائن والآلات فيها مرتبة كما يفعل بخزائن المرات وقد علفت الستور
 ونظم جوهر الخلافة في قلابات على درج غشيت بالديباج الاسود .

ولما دخل الرسول إلى دار الشجرة ورآها كثير تصعبه منها وكانت شجرة من
 الفضة وزنها خمس مئة ألف درهم عليها أطيار مصوغة من الفضة تصفر بجمرات قد
 جعلت لها فكان تعجب الرسول من ذلك أكثر من تعجبه من جميع ما شاهده .
 قال لي هلال بن الحسن ووجدت من شرح ذلك ما ذكر كاتبه أنه نقله من خط
 القاضي أبي الحسين بن أم شيخان الهاشمي وذكر أبو الحسين أنه نقله من خط الأمير
 وأحسبه الأمير أبو محمد الحسن بن عيسى ابن المقتدر بالله قال كان عدد ما علق في
 قصور أمير المؤمنين المقتدر بالله من الستور الديباج المذهبة بالطور المذهبة الجليلة
 المصورة بالجامات والفيلة والخليل والجمال والسباع والطيور والستور الكبار البهائية
 والارمنية والواسطية والبهنسية السواذج والمنقوشة والديقية المطرزة ثمانية وثلاثين ألف
 ستر — منها الستور الديباج المذهبة المتقدم وصفها افق عشر ألفا وخمس مئة ستر —
 وعدد البسط والنخاخ^(٢) الجهرية والدرابجودية والاورقية في الممرات والصحن التي

(١) بيت مصططيل أخس من النلق (٢) السوابب الانطفاخ وهو ضرب من البسط

وعلي عليها القواد ورسل صاحب الروم من حد باب العامة الجديد الى حضرة المقتدر بالله سوى ما في المقاصير والمجالس من الانماط الطبري والديقي التي لحقها النظر دون الدوس اثنان ومثرون ألف قطعة، وادخل رسل صاحب الروم من دهلين باب العامة الاعظم الى الدار المعروفة بخان الخيل وهي دار أكثرها أروقة بأساطين رخام وكان فيها من الجانب الايمن خمس مئة فرس عليها خمس مئة مركب ذهباً وفضة بنير أخضبة ومن الجانب الايسر خمس مئة فرس عليها الجلال الدياج بالبراقع الطوال وكل فرس في يد شاكري بالبرزة الجميلة ثم أدخلوا من هذه الدار الى الممرات والدهاليز المتصلة ببحر الوحش وكان في هذه الدار من أصناف الوحش التي أخرجت اليها من الخبر قطمان تقرب من الناس وتشممهم وتأكل من أيديهم. ثم أخرجوا الى دار فيها أربعة فيلة مزينة بالدياج والوشى على كل فيل ثمانية نفر من السند والزرايين بالنار فقال الرسل أمراء، ثم أخرجوا الى دار فيها مئة سبع : خمسون يمنة وخمسون يسرة كل سبع منها في يد سبع وفي رؤوسها وأهناقها السلاسل والحديد

ثم أخرجوا الى الجوسق المحدث وهي دار بين بستانين في وسطها بركة رصاص قلبي حوالها نهر رصاص قلبي أحسن من الفضة المخلوة طول البركة ثلاثون ذراعاً في عشرين ذراعاً ، فيها أربع طيارات لطاف بمجالس مذهبة مزينة بالديقي المطرز وأغشيتها ديقي مذهب وحوالي هذه البركة بستان بمادين فيه نخل قبل ان عدده أربع مئة نخلة وطول كل واحدة خمس أذرع قد لبس جميعها ساجاً مقوشاً من أصلها وإلى حد الجوسق بحلق من شبه مذهبة وجميع النخل حامل بغرائب البسر الذي أكثره خلال لم يتغيره وفي جوانب البستان ارج حامل ودستنبو ومقفع وغير ذلك ثم أخرجوا من هذه الدار الى دار الشجرة وفيها شجرة في وسط بركة كبيرة مدورة فيها ماء صاف وللشجرة ثمانية عشر غصناً لكل غصن منها ساحات كبيرة عليها الطيور والمصافير من كل نوع مذهبة ومفضضة وأكثر قضبان الشجرة فضة وبعضها مذهب وهي تمايل في أوقات ولها ورق مختلف الالوان يتحرك كما تحرك الريح ورق الشجرة وكل من هذه الطيور يصفر ويهدر وفي جانب الدار بمئة البركة تمايل خمسة عشر فارساً على خمسة عشر فرساً قد ألبسوا الدياج وغيره وفي أيديهم

مطارد على رماح يدورون على خط واحد في الناورد خبيا وتقريبا وفي الجانب الايسر مثل ذلك ،

ثم أدخلوا الى القصر المعروف بالفردوس فكان فيه من الفرش والآلات ما لا يحصى ولا يحصر كثرة ، وفي دهايز الفردوس عشرة آلاف جوشن مذهبة معلقة ثم أخرجوا منه الى عمرطوله ثلاث مئة ذراع قدعاق من جانبيه نحو عشرة آلاف درقة وخوذة وبيضة ودرع وزردية وجمعية محلاة وقسي ، وقد أقم نحو ألفي خادم بيضا وسودا صفيين بمئة ويسرة ثم أخرجوا بعد ان طيف بهم ثلاثة وعشرين قصرا الى الصحن التسعيني وفيه القلمان الحجرية بالسلاح الكامل والبزة الحسنة والهيئة الرائعة وفي أيديهم الشروخ والطربزينات والاعمدة . ثم روا بمصاف من عليه السود من خلفاء الحجاب والجند والرجالة وأصاغير القوادد دخلوا دار السلام . وكانت عدة كثير من الخدم الصفايلة في سائر القصور يستقون الناس الماء المبرد بالنارج والاشربة والفقاع ومنهم من كان يظوف مع الرسل ولطول المشي بهم جلسوا واستراحوا في سبعة مواضع واستسقوا الماء فسقوا وكان أبو عمر عدي بن أحمد بن عبد الباقي الطرسوسي صاحب السلطان ورئيس النغور للشامية معهم في كل ذلك وعليه قباء أسود وسيف ومنطقة ووصلوا الى المقتدر بالله وهو جالس في التاج مما يلي دجله بعد ان لبس بالثياب الدنيقية المطرزة بالذهب على سرير أنبوس قد فرش بالديقي المطرز بالذهب وعلى رأسه الطويل ومن مئة السرير تسعة عقود مثل السيج معلقة ومن يسرته تسعة أخرى من انفر الجواهر واعظمها قيمة غالبية الضوء على ضوء النهار وبين يديه خمسة من ولده ثلاثة بمئة واثنان يسرة . ومثل الرسول وترجمانه بين يدي المقتدر بالله فكفّر له (اي سجد) وقال الرسول لمؤنس الخادم ونصر القشوري وكانا يترجمان عن المقتدر لولا اني لا آمن ان يطالب صاحبكم بتقبل البساط لقبائنه واسكنني فعدت ما لا يطالب رسولكم بمثله لان التكفير من رسم شريعتنا ، ووقفا ساعة وكانا شابا وشيخا فالشاب الرسول المتقدم والشيخ الترجمان وقد كان ملك الروم عقد الامر في الرسالة للشيخ متى حدث بالشاب حدث الموت ، وناله المقتدر بالله من يده جواب ملك الروم وكان ضيخا كبيرا فتناوله وقبله إعظاما له وأخرجوا من باب الخاصة الى دجلة واقعدا وسائر اصحابهما في شذا من الشذاوات الخاصة وصعدا الى حيث أنزلا فيه من الدار المعروفة بصاعد وحمل اليهما خمسون بدرة ورقا في كل بدرة خمسة آلاف درهم وخلع على أبي عمر عدي الخلع السلطانية وحمل على فرس وركب على الظهر وكان ذلك في سنة خمس وثلاث مئة اهـ

خاتمة السنة التاسعة عشرة للمنار

بحمد الله تعالى نختتم المجلد التاسع عشر جاهلين حجمه وعدد أجزائه كما بينا في خاتمة المجلد الذي قبله لأن الورق قد قل وزاده غلاء ثمنه حتى ان ما كنا نشتره قبل الحرب بمئة قد صار ثمن مثله أربعمائة أو خمسمائة

وقد جرينا في إصدار أجزاء هذا المجلد على ترتيب الشهور الذي اضطررنا اليه في العام الماضي حتى اننا بدأنا بطبع هذا الجزء في الشهر السادس من سنة ١٣٣٥ إذ كان هو الشهر العاشر لسنة المجلد التي كان بدؤها شهر شعبان سنة ١٣٣٤ ولكننا اضطررنا بعد طبع أكثره الى تأخير إصداره الى شعبان، وكان من أسباب ذلك وصلة عرضت لنا، وتلفتنا وثأر أصابت يدنا البني، ومنهما مرض عرض لمن يتوقف عليه العمل في المطبعة، وأقوى الأسباب التي لم أكن أكره مثل هذا التأخير في هذه السنين النحسات التي حجب فيها المنار عن قرائه في بلاد كثيرة فقلت الاستفادة منه وقيل دخله من حيث كثرت نفقته ونفتتنا، لم أكن أكره هذا ولم أكن أتعده، فلما عرضت الأسباب له لم أجتهد في مقاومة ما يمكن مقاومته منها، فاذا رحم الله تعالى البشر فحرف عنهم شر هذه الحرب عن قريب وعادت المياه الى مجاريها فلنا الرجاء بأن تتدارك ما فات بإصدار جزئين في كل شهر الى ان تعود سنة المنار الى ما كانت عليه من غير ان تنقص مجلداته عن عدد سنه القمرية، واذا أود الله ان يطول أجل الحرب فالارجح ان تعتمد تأخير بعض الاجزاء من المجلد العشرين الى ينتهي بانتها سنة ١٣٣٦ فيضيع بذلك مجلد من حساب السنين القمرية، ولا تلبث مجلدات المنار أن توافي عدد سنهها الشمسية، ونحن إنما نتقاضى اشتراك المنار عن المجلدات لا عن السنين فلا يضر المشتركين تأخر بعض الاجزاء. على ان بدء المجلد العشرين سيكون في التاريخ الذي بدء فيه المجلد التاسع عشر فلا تأخير جديد

هذا وان ما كنا قد ادخرناه من الورق لهذا المجلد قد اضطررنا الى استعمال بعضه لطبوعات أخرى (كذكرى المولد النبوي) فلم يكن كافيا، وقد وقفنا لابتعا

طائفة أخرى من ورق خبز من ورقه لاجل المجاهد العشرين تكفيه إذا صدر بحجم هذا المجاهد فلا يخشى أن يتوقف صدوره من عدم الورق وإن انقطع الوارد عن مصر انقطاعا تاما ، وليس هذا الانتقاع بعيد إذا اشتدت وطأة الحرب فقد علمنا من أخبار أوربة أن أعظم دول الصناعة تشكو من قلة الورق وقد نقصت صحفها من عدد أوراقها وقيل أن بعضها سيحتجب أو يبطل صدوره ، فما أقول في بلادنا التي تجلب كل الورق الذي تحتاج إليه من أوربة وقد تضاعف ثمنه هنالك ونضاعت اجرة نقله ، وما كل ما ينقل يصل بل تفرق الفواصات بعض السفن التي تحملها . فمسي ان يكون علم المشتركين بهذه الاحوال باعثا لهم على أداء قيمة الاشتراك بلا مطال ولا تسويق ونذكر المشتركين الكرام بشيء ربما يفغل الكثيرون عنه ، هو نفقة الجباة أو وكلاء التحصيل فإن الذي كان يرضى بعشرين في المئة مما يجمعه أصبح لا يرضى بخمسة وعشرين ، وقد طاف بعض إخواننا في بعض البلاد طوفة للحصول على نفقتنا فبلغت نفقته أربعين في المئة مما جمعه ، وإليته جمع من كل مدينة أو قرية جميع ما يطلب من مشتركيها واستغنى عن العودة إليها بقية العام . كلا إن بعضهم لوى وسوف يطلب النظرة مع المسيرة لا إليها ، فإذا كان أهل كل بلد لا يؤدون ما عليهم إلا بعد أن يسافر إليهم الجابي مرارا يمثل تلك النفقة أو بما دونها قليلا فإذا بقي لصاحب الصحيفة في مقابلة سائر النفقات ثم ماذا يبقى له بعدها في مقابلة عمله لاجل نفقته ؟ فن تأمل هذا نهاء قلبه (ضمه) أن يسوف في أداء ما عليه ، وأن يلجئ الجابي الى تكرار العودة إليه ، وإن كان قد اعتاد الأرجاء والتسويق

الانتقاد على المنار

لم يكتب البنا في هذه السنة انتقادا ما على شيء من مباحث المنار إلا ما كتبه بعض إخواننا من إخبارنا بكرة كثير من الناس لما يكتب في المنار من الفلسفة السياسية (كذا كتب بعضهم) وقد كلنا غير واحد من الإخوان في ذلك مشافة ومصرحوا بأن ما يكرهون من المنار هو طعن في الحكومة التركية الانحدادية على هلائها التي يصدق إخبارها السوءى بعضهم دون بعض ، وتأيدته للحركة العربية المجازية . وقد أجبت عن هذا الانتقاد بأنني كتبت في ذلك ما أعتقد انه حق

وان بيانه واجب عليّ للمتي وأمتي وسيعلم من لا يكره أن يعلم اني كنت ناصحاً مخلصاً وهلى حق وصواب، وقد كنت كتبت لهذا الجزء مقالة تاريخية طويلة للأسئلة العربية بينت فيه اخلاص العرب للدولة الى ان اضطرتهم الحكومة الاتحادية الى ما اضطرتهم اليه من مقاومة بشيهم، ضاق عنها هذا الجزء، وستنشر في الاول من المجلد العشرين ان شاء الله تعالى وانتقد بعض الاخوان والمحبين شدة العبارة التي انتقدنا بها بعض الشبان الذين ذهبوا الى الحجاز وأخلوا فيه بالواجبات وفأهوا بالمنكرات قائلين ان بعض الناس قد أولوها بغير ما قصد بها من النصيح ثم علمنا ان ذلك التأويل كان في بلد نحن من أشد الناس اخلاصاً له وغيره عليه اذ عد الانتقاد طعناً في حكومة الحجاز نفسها . واقترح علينا ان نصح بقرضنا من ذلك النقد فتقول :

إننا لم نكن نقول انه يخطر ببال أحد يقرأ المنار أو يعرف مشربنا في الجملة اننا نقصد بتلك العبارة غير النصيح لمن اعتادوا التهاون بأمور الدين ان يراهوا الفرق بين البلاد المقدسة وغيرها وان لا يجعلوا أنفسهم حجة لاهل الحجاز — ولا لقبهم — على رجال النهضة الجديدة وطالب الاصلاح للامة العربية فيطيل الثقة بهم ، وربما يكون سبباً لسوء الظن بالحكومة العربية الجديدة اذا انتظم أولئك المنتقدون فيها على ان ماحكيانه عن بعضهم كان قبل تأديس هذه الحكومة فليس في عبارة الانتقاد ذكر لها ولا لكون المنتقدين انتظموا في سلك خدمتها وكلامنا صريح في هذا لا يكاد يتبادر الى الذهن غيره ، وقد كنا نسدي مثل هذه النصيحة لمن نراه من أولئك الشبان قبل سفرهم ولكن يتعذر رؤية كل من يسافر لهذا الغرض فتمين النصيح بالكتابة، ونحن العرب أحرص الناس الى الوحدة والاتفاق ونبذ الخلاف والشقاق والاجتهاد في جمل الحكومة التي نجدت لنا في أحسن حال ممكنة، وهذا ما نقصده من نصيحنا والله يعلم حسن نيتنا ونقل البناء ان بعض الناس استنبط من عبارة المنار في هذا الموضوع اننا نقول بوجوب لباس الاحرام على كل من يسافر الى مكة ولو بقصد التجارة وهذا من سوء الفهم، ومعاذ الله أن نقول بذلك، وإنما يجب لباس الاحرام على من قصد الحج أو العمرة دون غيره. ومن شأن المتدين أن يغتنم فرصة ذهابه الى الحرم فيحج أو يعتمر، وأصل الله تعالى ان يوفق كلاً منا للتيازم بما يجب عليه، والاخلاص فيه، والحمد لله أولاً وآخراً.